تراث الحلة

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشيْعِيّ

العتبة العباسية المقدسة

تراث الحلة

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث الحلة

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (٨)/المجَلَّدُ (٨)/العَدَدُ (٢٤)

شوَّال ١٤٤٥هـ/نيسان ٢٠٢٤م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة.قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.

تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ٢٠١٦-

مجلَّد : إيضاحيَّات ؛ ٢٤ سم

فصليَّة.-السنة ٨، المجلَّد ٨، العدد ٢٤ (نيسان ٢٠٢٤)-

ردمد: 2412.9615

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ . الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ٢ . الحِلَّة (العراق)--الحياة الفكريَّة--دوريَّات. أ. العنوان.

LCC : DS79.9.H55 A8374 2024 VOL. 8 NO. 24

DDC : 956.747

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ
عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْم

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.:
Date:

الرقم: ب ت/ ٤٦٦٦
التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٢٤

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على اعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/٧/٢٠

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٤٠٠٦/٤ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفحة

مهند ابراهيم
٤/ تموز

رئيس التحرير

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

جامعة الكوفة

مدير التحرير

أ.م.د. أحمد رشيد وهاب الددة

جامعة بابل

هيأة التحرير

أ.د. صباح عطيوي عبُّود، جامعة بابل

أ.د. يوسف كاظم جغيل، جامعة بابل

أ.د. هاشم جعفر حسين، جامعة بابل

أ.د. عاصم حاكم عبَّاس، جامعة القادسيَّة

أ.د. ستار عبد الحسن جبَّار، جامعة القادسيَّة

أ.د. حازم كريم عبَّاس، جامعة الكوفة

أ.د. حسن كاظم أسد، جامعة الكوفة

أ.د. حسين عليّ حسين، وزارة التربية

أ.د. سعيد جاسم الزبيديّ، جامعة نزوى، سلطنة عمان

أ.د. عبد القادر ميلود سلّامي، جامعة تلمسان، الجزائر

أ.د. حسام محمَّد نادي أحمد، جامعة الفيُّوم، مصر

أ.د. كبرى روشنفكر، جامعة طهران (تربيت مدرِّس)، إيران

تراث الحلة

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلّيِّ

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (٨)/المجَلَّدُ (٨)/العَدَدُ (٢٤)

شوَّال ١٤٤٥هـ/نيسان ٢٠٢٤م

مدقِّق النصِّ العربيّ

أ.د. عماد جبَّار كاظم

جامعة واسط/كلّيَّة التربية

مدقِّق النصِّ الإنكليزيّ

م.د. عبَّاس حسن عبيِّس الجبوريّ

المديريَّة العامَّة للتربيَّة في بابل

مسؤول الموقع الإلكترونيّ

حيدر عبد العزيز العتري

التصميم والإخراج الطباعيّ

أحمد عبد العالي عبد خلف الكعبيّ

الإدارة الماليَّة

ليث مهدي محمود العامريّ

التقييم الدوليّ

ISSN: 2412.9615

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقيَّة

(٢١٥٨) لسنة ٢٠١٦م

العنوان الوقعيّ

منطقة الثيلة- قرب جسر الهنود-

مدينة الحِلَّة- محافظة بابل-

جمهوريَّة العراق

المراسلات تعنون باسم رئيس التحرير

07827753770

البريد الإلكترونيّ

turathhi@gmail.com

موقعنا على شبكة الانترنيت

http://mk.iq/hillah_heritage/

سياسة النشر في مجلَّة تراث الحِلَّة

مجلَّة (تراث الحِلَّة) مجلة فصليَّة تراثيَّة محكَّمة، تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلِّفين من داخل العراق وخارجه، والتي تكون ضمن محاور الآتية:

١. ما يتعلَّق بالحِلَّة، فهو يبدأ من تمصير الحِلَّة على يد صدقة بن منصور (ت ٥٠١هـ)؛ إذ مصَّرها عام ٤٩٥هـ، الموافق ١١٠١م، وينتهي مُسمَّى التراث عندنا إلى ما قبل خمسين عام- استمرارًا.

٢. يكون البحث المقدَّم للنشر ملتزمًا بمنهجيَّة البحث والنشر العلميّ وأخلاقيَّاته وخطواته المتعارَف عليها عالميًا.

٣. أن لا يكون البحث منشورًا، أو حاصلًا على قبول للنشر، أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أخرى، ويقوم الباحث بتوقيع تعهُّد خاص بذلك.

٤. لا تقوم المجلَّة بنشر البحوث المترجمة إلَّا بتقديم ما يُثبت موافقة الباحث الأصليّ، وجهة النشر، على ترجمة البحث ونشره.

٥. يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبِّر البحوث عن آراء مؤلِّفيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلَّة.

٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلَّة لاعتبارات فنيَّة تتعلق بهويَّة المجلَّة ومحاورها.

٧. يبلَّغ الباحثُ بتسلُّم بحثه في مدَّةٍ لا تتجاوز عشرة أيَّام، من تاريخ التسليم.

٨. يبلَّـغ الباحث بالموافقة أو عـدم الموافقة على نشر بحثه في المجلَّة خلال مدَّة لا تتجاوز الشهرين، اعتبارًا من تاريخ تسلُّم المجلَّة البحثَ.

٩. لا تُعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلِّفيها.

١٠. يلتزم الباحـث بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه، ووفـق تقارير هيأة التحرير أو المقيِّمين، وإعادته إلى المجلَّة في غضون أسبوع من تاريخ تسلُّمه التعديلات.

١١. جميع البحوث المقدَّمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلميّ من ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدَّمة للنشر إلى فحص الاستلال الإلكترونيّ.

١٣. تُنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ للبحوث إلى المجلَّة، ووفق صيغـة تعهُّد يقوم المؤلِّـف بتوقيعه، ولا يحقُّ لأيَّة جهة أخرى إعـادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلَّا بموافقة خطيَّة من المؤلِّف ورئيس هيأة تحرير المجلة.

١٤. لا يجوز للباحث سـحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز سـحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر، وبموافقة السيِّد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٥. يُمنح المؤلِّف ثلاثة مستلَّات مجانيَّة مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يجـبُ على الباحث الإفصاح عن الدعم الماليّ أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدَّمة له عند إجراء البحث.

١٧. يجبُ على الباحث إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه وجود خطأ كبير في البحث، أو عدم دقَّة بالمعلومات، وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلِّفين

١. تستقبل المجلَّة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبيَّنة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدَّم للنشر أصيلًا، ولم يسبق نشره في مجلَّة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي الباحث حقوقًا حصريَّةً للمجلَّة، تتضمَّن النشر والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدَّم للنشر على عشرين صفحة.

٥. تُرسل البحوث إلى المجلَّة عبر بريدها الإلكتروني: (**turathhi@gmail.com**).

٦. يُطبع البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ(**Word**) أو (**LaTeX**) وبحجم صفحة (**A4**)، وبهيئة عمودَين منفصلَين، ويكتب متن البحث بنوع خط (**Times New Roman**) وبحجم ١٤.

٧. يقدَّم ملخَّص للبحث باللغة الإنكليزيَّة، وفي صفحة مستقلَّة، وأن لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث/ الباحثين، وجهات الانتساب.
- البريد الإلكترونيّ للمؤلِّف/ المؤلِّفين.
- الملَّخص.

- الكلمات الدلاليَّة.

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٦ Bold.

١٠. يكتب اسم الباحث/ الباحثين متمركزًا في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ Bold.

١١. تكتب جهات الانتساب للباحثين بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٠ Bold.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ / Italic Bold.

١٣. تكتب الكلمات الدلالية التي لايتجاوز عددها خمس كلمات بنوع خط (Times New Roman) وبحجم ١١ Italic /Justify.

١٤. جهات الانتساب تثبت على النحو الآتي: (القسم، والكليَّة، والجامعة، والمدينة، والبلد)، وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخَّص البحث، تجنُّب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم الباحث/ الباحثين في متن البحث على الإطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلميَّة المتعارَف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر، ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقَّمة ترقيمًا متسلسلًا.

١٨. يلتزم الباحث بالشروط الفنيَّة المتَّبعة في كتابة البحوث العلميَّة من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، ويجب مراعاة وضع صور المخطوطات لـ(النصوص المحقَّقة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة

Harvard Reference Style.

٢٠. جميع الدراسات التي استُشهدَ فيها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبَّت بشكلٍ دقيق في قائمة المصادر، وبالعكس.

٢١. يلتزم الباحث/ الباحثون بيانَ فيما إذا كان البحث المقدَّم للنشر قد تمَّ في ظلِّ وجود أيَّة علاقات شخصيَّة أو مهنيَّة أو ماليَّة يمكن تفسيرها على أنَّها تضارب في المصالح.

دليل المقوِّم العلميّ

إنَّ المهمَّة الرئيسة للمقوِّم العلميّ للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصُّصه العلميّ بعناية فائقة، وتقييمه وفق رؤى ومنظور علميّ أكاديميّ، لا يخضع لأيَّة آراء شخصيَّة، ومن ثمَّ يقوم بتثبيت ملاحظاته البنَّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقويم، يُرجى من المقوِّم التأكُّد فيما إذا كان البحث المرسَل إليه يقع ضمن تخصُّصه العلميّ أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصُّصه العلميّ، فهل يمتلك المقيِّم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إنَّ عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز عشرة أيَّام.

بعد موافقة المقوِّم على إجراء عملية التقويم، وإتمامها في المدَّة المحدَّدة، يُرجى إجراء عملية التقييم وفق المحدِّدات الآتية:

١. هل البحث أصيلٌ ومهمٌّ لدرجة يجب نشره في المجلَّة.
٢. فيما إذا كان البحث يتَّفق مع السياسة العامَّة للمجلَّة، وضوابط النشر فيها.
٣. هل فكرة البحث متناوَلة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يُرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.
٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه.
٥. بيان فيما إذا كان ملخَّص البحث يصف وصفًا واضحًا مضمون البحث وفكرته.
٦. هل تصف المقدِّمة في البحث ما يريد الباحث الوصول إليه، وتوضيحه توضيحًا دقيقًا، وهل وضَّح فيها الباحث المشكلة التي قام بدراستها؟.
٧. مناقشة الباحث للنتائج التي توصَّل إليها في بحثه مناقشةً علميَّةً مُقنعةً.

٨. يجب أن تجرى عملية التقويم سرِّيًّا، وعدم اطِّلاع الباحث على أي جانب فيها.

٩. إذا أراد المقوِّم مناقشة البحث مع مقوِّمٍ آخر، فيجب إبلاغ رئيس التحرير بذلك.

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوِّم والباحث فيما يتعلَّق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن تُرسل ملاحظات المقوِّم إلى المؤلِّف من خلال مدير التحرير في المجلَّة.

١١. إذا رأى المقوِّم أنَّ البحث مستلٌّ من دراسات سابقة، وجبَ على المقوِّم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إنَّ ملاحظات المقوِّم العلميَّة وتوصياته سيُعتَمد عليها اعتمادًا رئيسًا في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، ويُرجى من المقوِّم الإشارة بشكلٍ دقيقٍ إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط يمكن أن تقوم به هيأة التحرير، وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهريّ يجب أن يقوم بها الباحث نفسه.

نموذج تعهُّد الملكيَّة الفكريَّة ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلَّة تراث الحِلَّة

أنا/ نحن الموقع/ الموقِّعين أدناه، نقرُّ بأنَّ البحث الموسوم:

المقدَّم للنشر في مجلَّة تراث الحِلَّة، هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص، وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمَّنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا في مدَّة إنجازه، باستثناء ما تمَّت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إنَّ دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم، التي استُخدمت في هذا البحث، قد تمَّت الإشارة إليها في متن البحث، ووضِعت بدقَّة ضمن قائمة المصادر.

وأتعهَّد/ نتعهَّد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلميّ المعتمدة في مجلَّة تراث الحِلَّة، وأنَّ العمل الذي أدَّى إلى إنتاج هذا البحث قد تمَّ وفق أخلاقيَّات البحث العلميّ المعروفة عالميًا، فضلًا عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهَّد/ نتعهد بأنَّ هذا البحث لم يسبق أن نُشِر أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أو أيَّة وسيلة نشر أخرى، وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصريَّة الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ لهذا البحث إلى مجلَّة تراث الحِلَّة، أو مَن تخوِّله هذه المجلَّة.

ت	اسم المؤلِّف/ المؤلِّفون	البريد الإلكترونيّ	التوقيع والتاريخ

ملاحظة: يملأ هذا الحقل في حال كون المؤلِّف مخوَّلًا من بقيَّة المؤلِّفين لتوقيع هذا التعهُّد نيابةً عنهم

إنِّي..... مخوَّل/ مخوَّلة من جميع المؤلِّفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهُّد نيابةً عنهم، وأتعهَّد بصحَّة كافة معلوماتي الشخصيَّة التي وردت في هذا التعهُّد، ولأجله وقَّعت.

التوقيع:..... التأريخ:.....

البريد الإلكتروني:.....رقم الهاتف:.....

المحتويات

البحوث العامَّة		
تقوية المعنى بأسلوب القصر في شعر حَسَن بِن مُصَبِّح الحِلِّيّ (١٢٤٧-١٣١٧هـ)	أ.د. صباح عطيوي عبُّود نور راهي غانم جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة	٢٥
قراءةُ النَّص وعناصر الإبداع الفنِّيّ في شعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ- قصيدته في رثاء محمَّد صالح الفلُّوجي أنموذجًا	د. إيمان كريم جبَّار الحريزي جامعة الكوفة/ كليَّة التربية للبنات	٨٧
أنماط الخبر ومقاصده الدلاليَّة في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ	د. أمين عبيد جيجان جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة	١٢٥
النقد اللغويّ في كتاب السرائر لابن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ)	أ.م.د. حيدر جبَّار دفتر جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية أ.م.د. ابتهاج سماع عليّ جامعة القادسيَّة/ كليَّة الآثار	١٥٣
جانب من التصويب اللغويّ عند العراقيّ (ت ٥٦١هـ) في كتابه (نزهة الأنفس وروضة المجلس) أنماطُهُ وأنواعُهُ	م.د. نبراس حسين أيُّوب الموسويّ المديريَّة العامَّة للتربية في بابل	١٩١
مصنَّفاتُ فَخْرِ المحقِّقِينَ محمَّد بنُ الحسن الحِلِّيّ (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)	الباحث عليّ عبيِّس حسين عليّ المعموريّ	٢٢٣
نقباء آل طباطبائي الحِلِّيِّين وأثرهم العلميّ في العصر المغوليّ الأيلخانيّ (٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٧م)	د. رنا رسمي هاشم	٣٠٧
قلعة الخلفة (البو سلطان) دراسة آثاريَّة ميدانيَّة	أ.م.د. رجوان فيصل الميالي جامعة القادسيَّة/ كليَّة الآثار	٣٣٧

الأحوال العامَّة لمدينة الحِلَّة منذ السيطرة العثمانيَّة على العراق سنة ١٥٣٤م إلى بداية القرن الثامن عشر سنة ١٧٠٠م	أ.م.د. عليّ طالب عبيد السلطانيّ كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام/ أقسام بابل	٣٨٧
الحياة الاقتصاديَّة لمدينة الحِلَّة إبَّان القرن العشرين	م.د. عبَّاس حسن عبيس الجبوري المديريَّة العامَّة للتربية في بابل	٤٢١
البحث القرآنيّ		
الشَّاهد القرآنيّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ) دراسة مقارنة	أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجيّ جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة قاسم حسن نعمة الياسريّ	٤٥٩
النَّسخ في القرآن الكريم آراء ضياء الدين عبد الله بن الأعرج الحسينيّ الحِلِّيّ أنموذجًا	زهراء غلام رضا جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميَّة، سوريا/ السيِّدة زينب	٤٨٧
التحقيق ونقده		
مَا وَصَلَ إلينَا مِنْ كِتَابِ (نُورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى) للحَسَنِ بن أبي طاهِر أحمد بنِ مُحَمَّد بن الحُسَين الجَاوانيّ الحِلِّيّ (ت٥٩٧هـ) دراسة وتحقيق	أ.د. رَحِيم كَرِيم عَلِي الشّرَيْفِيّ جامعة بابل/ كيليَّة العلوم الإسلاميَّة أ.د. حُسَيْن عَليّ حُسَيْن الفَتْلِيّ وزارة التربية/ الكليَّة التربويَّة/ بابل	٥٢٣
البحوث المترجمة		
المنهج الكلاميّ عند المقداد السيوري الحِلِّيّ الشيخ عليّ الربَّانيّ الكلبايكانيّ	الشيخ محمَّد فرضي بوريان طالب دكتوراه في علم الكلام الإسلاميّ ترجمة: أيُّوب ناصر نعمة	٥٥٩
نافذة التراث الحِلِّيّ		
الرَّد عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتابِ حَيدَر الحِلِّيّ- سِيرتُه، شِعرُه، مُؤَلَّفاتُه الأَدبيَّة. تأليف: عَليّ الحُسَينيّ	د. مضر سليمان الحسيني الحِلِّيّ مركز تراث الحِلَّة	٥٨٧

البحوث العامَّة

تقوية المعنى بأسلوب القصر
في شعر حَسَن بِن مُصَبِّح الحِلِّيّ (١٢٤٧-١٣١٧هـ)

أ.د. صباح عطيوي عبُّود
نور راهي غانم
جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Strengthening the Meaning with Limitation Style in the Poetry of Hassan bin Musabbeh Al-Hilli (1247-1317 AH)

Prof. Dr. Sabah Atiwi Abboud
Researcher Nour Rahi Ghanem
University of Babylon/College of Education for Human Sciences

الملخَّص

تناول هذا البحث تقوية المعنى بأسلوب القصر في شعر حَسَنٍ بنِ مُصَبَّح الحِلِّيّ، وهو يرمي إلى دراسة أسلوب القصر دراسة مفصَّلة، ومعرفة أنماطه، وتسليط الأضواء على الأبيات الشعريَّة التي تضمُّ أسلوب القصر، وتحديد مواضع القصر فيها، وكذلك يهدف البحث إلى تحليل بعض أبيات أسلوب القصر، وقد اشتملت دراسة بحثنا هذا على جميع طرق القصر التي استعملها الشاعر، ماعدا القصر بضمير الفصل، الذي لم يرد في شعره، ومن هذه الطرق التي استعملها القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بطريق (إنَّما)، والقصر بطريق العطف (لا، بل)، والقصر بأداة التعريف (أل)، وأخيرًا القصر بطريق تقديم ما حقُّه التأخير.

الكلمات المفتاحيَّة: حسن بن مصبِّح الحِلِّيّ، تقوية المعنى، أسلوب القصر.

Abstract

This research dealt with strengthening the meaning with the style of limitation in the poetry of Hassan bin Musabah Al-Hilli. It aims to study the style of limitation in detail, know its patterns, and shed light on the poetic verses that include the style of limitation and specifying the places of limitation in them. The research also aims to analyze some of the verses of the limitation style. The study of my research included all the limitation methods that the poet used, except limitation with the disjunctive pronoun, which did not appear in his poetry. Among these methods he used limitation in the negative and exception, limitation in the way of but, and limitation in the conjunction (no, Rather), limitation it with the definite article (al), and finally limitation it by presenting what is caused by delay.

Keywords: Hassan bin Mosbeh Al-Hilli-Strengthening the meaning - limitation style.

مقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

أمَّا بعد:

فإنَّ أسلوب القصر هو أسلوبٌ بلاغيٌّ نحويٌّ عُنيَ بهِ البلاغيُّون والنُّحاة، ويقصد بـهِ تخصيص شيء بشيء آخر، وقصره عليه، ويحدث في الجملَتَين الاسميَّة والفعليَّة، ويعدُّ من درجات التوكيد العالية، وله فائدة كبيرة في توكيد الكلام وإكسابه قوَّة عالية، وتمكين المعنى وتقريره في ذهن المتلقِّي. والقصر على أنواع، مثل القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بطريق (إنَّما)، والقصر بـ(أل) التعريفيَّة، والقصر بأداتَي العطف (لا، بل)، أو قد يكون من غير أداة، مثل القصر بالتقديم والتأخير، فيكون هذا النوع بتقديم بعض عناصر الجملة على بعضها؛ لغرض القصر والعناية بالمتقدِّم.

وهذا البحث دراسة في الأبيات التي تضمُّ أسلوب القصر في ديوان الشاعر حسن ابن مُصبِّح الحِلِّيّ، وتحليلها وفق السياق الشعريّ الذي وردت فيه، إذ لا بدَّ من معرفة هذا الأسلوب وطرقه؛ لما له من أثر كبير في توكيد المعنى وتقويته، وختمنا البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّلنا إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

وشمل هذا البحث جميع طرق القصر وأنماطه، ما عدا القصر بضمير الفصل، الذي لم يرد في شعر الشاعر حسن بن مُصبِّح الحِلِّيّ، وقد انتظم البحث في ما يأتي:

- القصر بالنفي والاستثناء.
- القصر بطريق (إنَّما).
- القصر بطريق العطف (لا، بل).
- القصر بأداة التعريف (أل).
- القصر بطريق تقديم ما حقّه التأخير.

أوَّلًا: القصر بالنفي والاستثناء

من الثابت أنَّ القصر «صورة توكيديَّة تعتمد في أداء وظيفتها على الأداة»[١]، وطريق القصر بالنفي والاستثناء، «المراد بالنفي فيه كلُّ ما يؤدِّي معنى النفي من أدواته (ما، لا، إنْ، ليس، لَمْ، لَنْ)»[٢]، وكذلك (هل) «المستعملة في النفي مثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠)»[٣]، بمعنى «ما جزاءُ الإحسان إلَّا الإحسان، من قصر الموصوف على الصفة. والمراد بالاستثناء أيضًا كلُّ ما يؤدِّي معناه من أدواته، مثل (إلَّا، غير، سوى)، تقول: لَمْ يغب عن المحاضرة سوى طالبٍ واحدٍ، فقد قصرت صفة الغياب على موصوف، هو الطالب الذي تخلَّف عن المحاضرة»[٤]، ونقول في الاستثناء بـ(غير): «ما جاءني غيرُ زيد»[٥].

ولـمَّا كان القصر توكيد الكلام وتمكينه في أذهان السامعين[٦]، فالتوكيد بطريق النفي، وإلَّا هو «أبلغ طرق القصر وأقواها، ولذا فهو يستعمل في تأدية المعاني الغريبة التي تحتاج إلى فضل تأكيد، وإلى زيادة تقرير، فهو يدفع الأنكار، ويصحِّح الأفكار»[٧]، «والمفارقة بين النفي والإثبات تزيد الكلام تأكيدًا

(١) في النحو العربيّ (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزوميّ: ٢٣٨.
(٢) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.
(٣) أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٧٧-١٧٨.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.
(٥) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ: ٣٤٢.
(٦) ينظر: أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس: ١٧٥.
(٧) الأداء الجماليّ في البناء التركيبي، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٦.

وقوَّة»[١]. إذن القصر بالنفي والاستثناء يفيد تقوية المعنى، ويجعل الكلام أكثر توكيدًا، ففي النفي والاستثناء يكون موقع المقصور عليه دائمًا بعد (إلَّا)[٢].

ووظيفة (إلَّا) في الاستثناء المفرغ الحصر، إذ إنَّها تحصر حكم ما قبلها في ما بعدها؛ لذلك سمِّيت أداة حصر[٣]. ونرى أنَّ (ما، وإلَّا) أفادت القصر؛ لأنَّ (إلَّا) معناها الأصليّ هو الاستثناء، ونقصد بالاستثناء أنَّنا نُخرج ما بعد إلَّا من حكم المستثنى منه، فإذا لم يكن المستثنى منه موجودًا، فيكون الحكم منحصرًا في ما بعد (إلَّا)، وفي الوقت نفسه، كانت (إلَّا) مسبوقة بأداة نفي أو شبه نفي، فيكون الاستثناء مفرَّغًا، ويفيد القصر.

ويُستخدم النفي والاستثناء إذا كان هناك أمر يشكُّ فيه المخاطب وينكره[٤]، كقولك «لصاحبك، وقد رأيت شبحًا من بعيد (ما هو إلَّا محمَّد) إذا وجدته يعتقده غير محمَّد، ويصرُّ على الإنكار»[٥]. فنجد هذا الأسلوب يدلُّ على التوكيد بما فيه «من قصر الصفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على الصفة، فنقول في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: (ما زيدٌ إلَّا شاعرٌ)، وقلبًا: (ما زيدٌ إلَّا قائمٌ)، وتعيينًا كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ (يس: ١٥)، أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا كاذبون فيها»[٦].

(١) تجلِّيات الجمال في أسلوب القصر (بحث منشور)، عبد الرحيم محمَّد الهبيل: ١٩/ ٩٧٧.
(٢) ينظر: الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٩٩.
(٣) ينظر: نحو المعاني، د. أحمد عبد الستَّار الجواريّ: ١٣١.
(٤) ينظر: ظواهر تركيبيَّة في مقابسات أبي حيَّان التوحيديّ (دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة)، د. سعيد حسن بحيري: ٩٦.
(٥) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير: ١٧٦.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٢٥.

وفي قصر «الصفة على الموصوف إفرادًا، نقول: ما شـاعرٌ إلَّا زيد.. لمن يرى الشـعر لزيد ولعمرو. وقلبًا: ما شـاعرٌ إلَّا زيدٌ، لمن يرى أنَّ زيدًا ليس بشـاعر»[١]. وتحقيق وجه القـصر «في الأوَّل أنَّه متى قيل: (ما زيدٌ) توجَّه النفي إلى صفته»[٢]، لا ذاته؛ لأنَّ «أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنَّما تُنفى صفاتها، وحيث لا نزاع في طوله ولا قصره ولا سـواده ولا بياضه، وإنَّما النزاع في كونه شاعرًا أو منجِّمًا، تناولهما النفي، فإذا قلت: إلَّا شاعر، جاء القصر؛ وتحقيق وجه القصر في الثاني هو: أنَّك متى أدخلت النفي على الوصف المسـلَّم ثبوته، وهو وصف الشعر، وقلت: ما شاعر، توجَّه بحكم العقل إلى ثبوته للمدَّعى له.. فتناول النفي ثبوته لذلك، فمتى قلت: إلَّا زيد، أفاد القصر»[٣].

نخلـص مـن ذلـك إلى أنَّ هنـاك فرقًـا بـين الجملَتـين (مـا زيـد إلَّا شـاعر)، و(ما شاعرٌ إلَّا زيد)، ففي الجملة الأولى خصَّصنا زيد بصفة الشعر، ونفينا عنه أي صفة أخـرى، وجاء هـذا التخصيص بالنفي والاسـتثناء. أمَّا في الجملة الثانية (ما شـاعر إلَّا زيد)، فقد قصرنا الشـعر على زيد، ونفينا أن يكون غير زيد شـاعر، وكذلك جاء القصر في هذه الجملة بالنفي والاستثناء.

إذن القصر هو من «ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ إنَّ جملـة القصر في مقام جملتَين، فقولـك (ما كاملٌ إلَّا الله) تعادل قولك: الكمالُ للهِ، وليس كاملًا غيرُه»[٤].

وورد أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها:

(١) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٢.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٢٥.
(٣) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٢.
(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ: ١٨٧.

الموضع الأوَّل: القصر بالنفي والاستثناء بـ(إلَّا)

وردت (إلّا) مسبوقة بمجموعة متنوعة من أدوات النفي في ديوان حسن مُصبّح ومن هذه الأدوات:

١. القصر بـ(ما) و(إلّا):

جاء القصر بـ(ما) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله مُهَنِّئًا السَّيِّد حُسَينَ ابنَ المَرْحُومِ الميرزا صَالِحٍ القزوينيَّ في عُرْسِهِ[١]:

فَمَا الحُبُّ إلَّا جَمْرَةٌ يَصْطَلِي الحَشَى
لَوَافِحَهَا حَتَّى تُذَوَّبَ بِالصَّهْرِ

استعمل الشاعر أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ما)، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ الحبَّ هو حرقة في القلب، فأراد الشاعر من هذا الاستعمال تخصيص صفة الجمر بالموصوف (الحُب).

وقال الشاعر حسن مُصبِّح في الغزل[٢]:

فَمَا الحُبُّ إلَّا زَفْرَةٌ وَتَأسُّفُ
وَشَوْقٌ لَهُ سُحْبُ المَدَامِعِ تَذْرِفُ

قصر الشاعر الموصوف (الحب) على الصفة (زفرة) باستعماله أسلوب القصر المتكوِّن من (ما) أداة النفي، و(إلَّا) أداة الاستثناء، فالغرض من استعماله هذا الأسلوب هو تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ الحبَّ هو ألم وندم وحنين، له سُحب المدامع تُذرِفُ.

(١) ديوانه: ٢/ ٣٧٨.
(٢) ديوانه: ٢/ ٤١٣.

ومن ذلك قوله راثيًا بِنْتَ المِيرزا جَعْفَرٍ، وَمُعَزِّيًا أَخاها السَّيِّد مُوسَى[1]:

فَمَا المَالُ والأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَدُّ الوَدَائِعُ

وهذا البيت للبيد العامريّ، ضمَّنه الشاعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ ضمن شعره. ونجد هنا في هذا البيت أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ما)، مع أداة الاستثناء (إلَّا)، والغرض من هذا الأسلوب هو تأكيد أنَّ المال والأهل أمانات، ولا بدَّ من يومٍ تُردُّ فيه هذه الأمانات.

٢. القصر بـ(لا) و(إلَّا):

ورد القصرُ بـ(لا) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في تهنئة زبدة العلماء وعمدة الفضلاء السيِّد مَهديّ القزوينيّ، في زواج ولد ولده الأشيم السيّد هادي ابنِ الميرزا صالح[2]:

لا يُضَاهِي عُلَاهُ في الفَخْرِ إلا
عَلَمُ الدِّينِ فَيْصَلُ الأَحْكَامِ

أكَّد الشاعر هذا البيت باستعمال أسلوب القصر، وهو (لا مع إلَّا)، وأفاد هذا الأسلوب تقوية المعنى، وتأكيد أنَّه يضاهي عُلاه في الفخر راية الدين فيصلُ الأحكام الذي يفصِلُ بين الأحكام ويبيِّنها.

وقال الشاعر أيضًا في رثاء الإمام العبَّاسِ عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢٩٤، وينظر: ديوان لبيد العامريّ: ١٧٠.
(٢) ديوانه: ٢/ ١٥.
(٣) ديوانه: ١/ ١٤٢.

تِـلْـكَ الأَمَـــانِيُّ لا يَـقُـومُ بِـحَـمْـلِـهَـا
إلّا الَّـــذِي يُـلْـقَـى لَـــهُ الـتَـقْـلِـيـدُ

استعملَ الشاعرُ أسلوب القصر الذي يكمن في (لا مع إلَّا)؛ لإكساب المعنى قوَّة، وتأكيد أنَّ تلك الأماني يحملها الشخص الذي يُقتدى به ويُحتذى به دون غيره.

ولهُ أيضًا مُخمِّسًا أبيات الفرزدق في الإمام عليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام[1]:

يُـغْـضِي حَـيَـاءً ويُـغْـضَى مِـنْ مَـهَـابَـتِـهِ
فَـلَا يُـكَـلَّـمُ إلَّا حِـيـنَ يَـبْـتَـسِـمُ

فاستعملَ الشاعرُ أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (لا)، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، فمعنى البيت «إنَّه خجول يغضُّ طرفَه ولا يتحدَّق به، والناس يُغضُّونَ ويُغضُّونَ طرَفَهم من دونِه تهيُّبًا، ولا قِبَلَ لهم بالتحدُّث إليهِ إلَّا حينَ يبتَسِمُ، وكأنَّما يُسمَح لهُم بالكلام»[2]. وفي كلِّ ما تقدَّم، وردت (لا) النافية داخلة على الفعل المضارع.

٣. القصر بـ(لم) و(إلَّا):

ورد القصر بـ(لم) و(إلَّا) في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام[3]:

لَمْ تَـرْضَ لِيْ نَـفْـسٌ وَأَنْـتَ أَمِـيرَهَـا
إلَّا الـتَّـمَـسُّـكَ في ولائِـكَ يَـا عَـلِيّ

(١) ديوانه: ١/ ١٦٩، وينظر: ديوان الفرزدق: ٢/ ١٧٩، وهو في الديوان بـ(ما) بدلًا من (لا).
(٢) شرح ديوان الفرزدق: ٢/ ٣٥٤، هامش١١.
(٣) ديوانه: ١/ ٥٨١.

إذ استعمل الشاعر أسلوب القصر المتمثِّل في أداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (إلَّا)؛ لأجل تقوية المعنى، كأنَّه يقول: لم ترضَ لي نفس وأنت أميرها، إلَّا الالتزام والاعتصام في ولائك يا عليّ، أي إنَّه قصر رضاء النفس على التمسُّك في ولاء الإمام علي عليه السلام.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا راثيًا المرحومَ الشَّيخ عبدَ اللهِ العِذاريّ طاب ثراه[1]:

وَحَافِلُ مَدْمَعِي لمْ يَرْضَ إلا
بِسُقيا ذَلِكَ الجَدَثِ العَطِيرِ

نجد الشاعر استعمل أسلوب القصر المُتكوِّن من أداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (إلَّا) تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ حافلَ مَدمَعي يرضى بِسُقيا ذاك القبر العطير.

وَلَهُ أيضًا في رثاءِ المرحومِ الشيخِ جعفرٍ الشوشْتَريّ[2]:

مَلِكٌ مَلَّكَ الهُدَى أيَّ نَفْسٍ
لَم يصِفْها إلَّا العَلِيُّ الحَمِيدُ

نجد الشاعرَ قصر وصف النَّفس على العليِّ الحميدِ، أيْ إنَّ هذه النفس لم يشخِّصها ويصفها إلَّا العلي الحميد، والذي دلَّ على هذا المعنى، هوَ أسلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (لم)، وأداة الاستثناء (إلَّا).

٤. القصر بـ(ليس) و(إلَّا):

وقد جاء في ديوان حسن مُصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في رثاء الإمامِ الحُسين عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣٢٦.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٥.
(٣) ديوانه: ١/ ٤٩٢.

وَلَـيـسَ مَـآلُ الـعَـبْـدِ إلَّا لـسَـيِّـدٍ
كَـريـمٍ عَـلَى الـبَـارِي بِـهِ الـكَـرْبُ يَـنْـجَـلي

أكَّد الشـاعر المعنى باستعماله أسـلوب القصر المتكوِّن من أداة النفي (ليس)، وأداة الاسـتثناء (إلَّا)، والغرض من هذا الاسـتعمال هو تقويةٌ للمَعنى، وتأكيد رجوعِ العبدِ لسيِّدٍ سخيٍّ على الباري، بِهِ الهمُّ والضيقُ يُزاحُ وينجلي.

ومن ذلك قوله في مدح الجَوادينِ عليهما السلام[1]:

وَلَـيْـسَ يَـبُـثُّ الـعَـبْـدُ إلَّا لِـسَـيِّـدٍ
تَـسَـامَـى عُـلًا فِي دَارِةِ الـفَـخْـرِ وَالـمَـجْـدِ

نجد الشـاعرَ في هذا البيت استعمل أسـلوب القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاسـتثناء (إلَّا)؛ لجعـل المعنى أكثر توكيـدًا وقوَّة، والدلالة عـلى أنَّ العبدَ لا يُظهرُ ما في داخِله إلَّا لسيِّدٍ ارتفع عُلًا في دارة الفخر والمجد.

وقال الشاعر مُقَرِّظًا كتابَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد طَه نَجَف، على مَعالم الأُصولِ[2]:

إذَا مَـا عَـدَدْنَـا الـسّـابِـقِـينَ إلى الـعُـلا
فَـلَـيْـسَ نَـرَى إلَّاكَ أسْـبَـقَ سَـابِـقِ

اسـتعمل الشـاعر أسـلوب القصر المتمثِّل بأداة النفي (ليس)، مع أداة الاسـتثناء (إلَّا)؛ تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّك أوَّل المتقدِّمين في الرِّفعة والشَّرف والمنزلة.

٥. القصر بـ(هل) و(إلَّا):

وردت (إلَّا) أداة الاسـتثناء مسـبوقة بشـبه نفـي، وهـو (هـلْ) التـي خرجـت لمعنـى النفـي في ديـوان حسـن مُصبِّـح في موضعـين، منهـا: قولـه مُقرِّظًـا العِقْـد

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٨
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٢١

المُفَصَّل المَذكور[1]:

وَهَــلْ لِـلـعُـلا مَـغْـنًـى تَــرُوْقُ نَـضَـارَةً
خَمَـائِـلُـهُ إلَّا وَمَجْـــدُكَ نَــازِلُــهْ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو حرف الاستفهام (هل) الذي يحمل معنى النفي، وأداة الاستثناء (إلَّا)؛ لغرض تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ للعُلا مسكنًا تروقُ أشجارُه نضارةً، وغرَّتُك قد حُلَّت به.

ولَه أيضًا تخميسُ أبياتٍ بإلتماسِ السَّيد الميرزَا صالِحٍ[2]:

فَـقُـلْـتُ لِـنَـفْـسِي إنَّهَــا قَـمَـرُ المَـهَـا
وَهَــلْ يُـنْـظَـرُ الأقــمارُ إلَّا مِـنَ الـبُـعْـدِ

إذ خرجت (هل)، وهي أداة الاستفهام، في هذا البيت إلى معنى النفي، أي لا ينظر الأقمار إلَّا من البعد، «فخروج (هل) عن أسلوب الاستفهام الحقيقيّ إلى أسلوب التوكيد، معنى فيه من القوَّة والإيجاز الشيء الكثير، لذلك عَدَّ البلاغيُون القصرَ أحدَ أنواعِ الإيجاز، وهو الإيجازُ بالقصر»[3].

الموضع الثاني: القصر بالنفي، والاستثناء بـ(سوى)

وردت (سوى) مسبوقة بمجموعة من أدوات النفي في ديوان حسن مُصبِّح، ومن هذه الأدوات هي:

١. القصر بـ(ما) و(سوى):

وقد ورد ذلك في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح

(١) ديوانه: ٢/ ٢٠٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٥٢.
(٣) من نحو الجملة إلى نحو النصّ (دراسة أسلوبيَّة في شعر أبي تمَّام)، أ. د. سامي علي جبَّار: ١٨٦.

الجَوادين عليهما السلام[١]:

كَـظَـمْـتُ عَـلَى غَـيْـظِـي وَقُـلْـتُ فَـمَا لَهَـا
سِـوَى كَـاظِـمِ الـغَـيْـظِ الْـمُـؤَمّـلِ بِـالْـقَـصْـدِ

أكَّـد الشـاعرُ بـ(مـا مـع سـوى) تقويـةً للمَعنَى، وتأكيـد أنَّهُ ليـس لـه إلَّا الإمامُ الكاظِمُ عليه السلام، الذي يلجأ إليه في الشـدائد، لذلك سـيطر على نَفسِـه عندَ الغضبِ، وكتمَ حُزنه.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في مدح أميرِ المؤمنينَ عليه السلام[٢]:

وَمَـا لِي سِـوَى مَـن صَرَّحَ الـذِّكْـرُ بِاسْمِهِ
إمـــامُ هُـــدًى في اللهِ أفـعَـالُـهُ سَـــوَا

اسـتعمل الشاعر أسلوب القصر بـ(ما مع سوى) تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ لَه أميرَ المؤمنـين الذي صرَّح القرآن باسـمِهِ، وهو إمـامٌ يدعو إلى الخير والصَّـلاح، وأفعاله في طاعة الله دليل على ذلك.

وله أيضًا في مدحِ أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام[٣]:

مَـــا لِي سِـــوَى الـــكَـــرَّارِ مَـــأْمُـــولُ
إنِّي امْـــــرُؤٌ بِـــالْحُـــبِّ مَـــتْـــبُـــولُ

جـاء القـصر في هـذا البيـت بـ(مـا وسـوى) تقويـةً للمعنـى، وتأكيـد أنَّـه لا يرجـو إلَّا أمـيرَ المُؤمنـين، وأنَّـه امـرؤ بالحُـبِّ أُصيـبَ قلبُـه بالكراهيـة والحقد.

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٨.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٨٧.
(٣) ديوانه: ١/ ١٨٦.

٢. القصر بـ(لا) و(سوى):

جاء القصر ب (لا) مع (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في موضعَين، منها قوله في عتاب بعضِ أُمَراءِ العَرَبِ[١]:

لا أَرَى مَنْ يَذُبُّ عَنِّي سِوَى اللهِ
وَحَسْبِي بِهِ وَلِيًّا نَصِيرَا

أكَّدَ الشاعرُ المعنى باستعمال أسلوب القصر، وهو أداة النفي (لا)، مع أداة الاستثناء (سوى)، للتأكيد على أنَّ الله هو الذي يَحميه وينصره لا غيره، وكذلك يعينه على تحمُّل الصعاب والهموم، والغرض من هذا الأسلوب هو تقوية المعنى في نفوس المخاطَبين.

وقالَ الشاعرُ حَسن مُصبِّح أيضًا في رِثاء المرحومِ الشّيخِ جَعفر الشّوشتَريّ[٢].

نَشَأَتْ لا تَرَى سِوَى اللهِ مَوْلى
وَسِوَاهُ مِنَ الوَرَى لا تُرِيدُ

استعملَ الشاعرُ طريق القصر، وهو أداة النفي (لا) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ لجعل المعنى أكثر توكيدًا وقوَّةً، والدلالة على رؤية هذه النفس منذ النشأة اللهَ حاكِمًا، ولا تريدُ غيرَه.

٣. القصر بـ(لن) و(سوى):

ورد القَصر بأداة النفي (لن) مع (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في موضع واحد، هو قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[٣]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢١٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٥.
(٣) ديوانه: ١/ ٥٤٢.

خَشِيتَ وَلَنْ تَخْشَى سِوَى اللهِ واحِدٍ
وَهَلْ رَاعَ قَلْبَ اللَّيْثِ في الرَّوْعِ صَارِخُ

أكَّد الشاعر هذا البيت بأسلوب القصر، وهو أداة النفي (لن)، مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقوية للمعنى، وتأكيد أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام يخاف ويخشى اللهَ وحده، ولا يخاف من أحدٍ غيره.

٤. القصر بـ(لم) و(سوى):

جاءَ القصرُ بـ (لم) و(سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء الإمام الحُسَينِ عليه السلام[١]:

يُضِيءُ دَاعِي الوَغَى مِنْ بَدْرِ غُرَّتِهِ
شِهابُهُ السَّيْفُ لَمْ يَخْطِفْ سِوَى العُمُرِ

استخدم الشاعر طريق القصر بأداة النفي، وهي (لم)، مع أداة الاستثناء، وهي (سوى)؛ تقويةً للمعنى، وتأكيد أنَّ مهمَّة السيف هي خطف الأرواحِ.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا مهنِّئًا السيِّد حُسَين ابنَ المرحومِ الميرزا صالِح القزوينيّ في عُرْسه[٢]:

بِعُرْسِ ابنِ مَجْدٍ طَاهِرِ الثّوبِ لَمْ يَزُرْ
سِوَى مُحْصَنَاتِ الفَضْلِ خَالِدةِ الذِّكْرِ

أكَّد الشاعر النصَّ بأداة النفي (لم) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقويةً للمعنى، والدلالة على أنَّه يزور فقط محصَّناتِ الفضل، خالدة السيرة، «والبيت فيه كناية عن

(١) ديوانه: ١/ ٦٠٣.
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٧٩.

طهارة المَمدوحِ، ونقاءِ نفسه، وخلودِ سيرتِهِ»[1].

وله أيضًا في رثاء الإمامِ الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام، قوله[2]:

جَـــذْلَانُ يَـلْـقَـى الجَـمْـعَ مُـدَّرِعًـا
بِـالـصَّـبْرِ، لَمْ يَخْـطِـفْ سِـوَى المُـهَـجِ

أكَّد الشاعر المعنى بأسلوب القصر بأداة النفي (لم)، مع أداة الاستثناء (سوى)، تقويةً للمعنى، والتأكيد على أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في المعركة «مطمئن وجذلان، وخطف المهج هو كناية على قتل الأعداء»[3]، فضلًا عن تأكيد قتل الأعداء بصبر وثبات.

٥. القصر بـ(ليس) مع (سوى):

ورد القصر بـ (ليس) مع أداة الاستثناء (سوى) في ديوان حسن مُصبِّح في مواضع عديدة منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[4]:

ثَـقُـلَـتْ عَـلَـيَّ الـنَّـائِـبَـاتُ فَـلَـيْـسَ لي
مِـنْـهَـا سِـوَى صِـهْـرِ الـنَّـبِـيِّ غِـيَـاثُ

أكَّد الشاعر هذا النص بطريق القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (سوى)؛ تقويةً للمعنى، والدلالة على أنَّه يلجأ إلى الإمام عليٍّ عليه السلام، فهو المعين له والمساعد له عندما تشتدُّ عليه المصائب والشدائد.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في مدحِ النبيِّ صلى الله عليه وآله[5]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣٧٩، هامش٢.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٢٦.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٢٦، هامش١.
(٤) ديوانه: ١/ ٥٣٢.
(٥) ديوانه: ١/ ٧٠٨.

فـاعْـفُ عَـنِّـي وَكُـــنْ شَـفِـيْـعًـا فَـإِنِي
لَـسْـتُ أَرْضَى سِـــوَى وَلاكُـــمْ حَمِـيـا

إذ استعمل الشاعر أسلوب القصر بـ(ليس مع سوى)؛ لأجل تقوية المعنى، والدلالة على أنَّه يرضى فقط بقربه وطاعته لهم، ولا يرضى بقرب غيرهم.

ومن ذلك قولُه يمدحُ بعضِ أُمَراءِ العَربِ العِظام[1]:

لَـيْـسَ يُـنْـجِـيـهِـمُ سِـــوَى الـسِّـلْـمِ مِـنْـهُ
لا حُـــصُـــونٌ تُـنْـجِـيـهِـمُ وَقُـــصُـــورُ

أكَّد الشاعرُ المعنى بأداة النفي (ليس) مع أداة الاستثناء (سوى)؛ لجعلِ المعنى أكثر قوَّة، ولدفع الشكِّ وتأكيد أن أُمراء العَرب يُنجيهم فقط المصالحة والسِّلم، لا حُصون ولا قصور تُنقذهم.

الموضع الثالث: القصر بالنفي والاستثناء بـ(غير)

جاءت (غير) مسبوقة بمجموعة من أدوات النفي، في ديوان حسن مُصبِّح، ومن هذه الأدوات:

١. القصر بـ(ما) و(غير):

ورد القصر بـ(ما) و(غير) في ديوان حسن مُصبِّح في موضعَين، منها قولُه في رثاء والدةِ السَّيِّد لافي ابنِ السَّيِّدِ سَعيدٍ[2]:

أَكْـــرِمْ بِـــزائِـــرةِ الـقُـبُـورِ وَقَـبْـلَ ذَا
مَـا زَارَهَـــا غَـيْـــرُ الْـــحِـمَامِ الـمُـخْـمِدِ

(١) ديوانه: ٢/ ٢٦٥.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٢٤.

أكَّد الشاعر المعنى باستعماله أسلوب القصر، وهو أداة النفي (ما) الداخلة على الماضي، مع أداة الاستثناء (غير)، فمعنى كلام الشاعر هو أكرِم بزائرة القبور التي زارها قبل ذلك الموت.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في رثاءِ العبَّاس عليه السلام[1]:

خَفِرَاتٍ مَا شِمْنَ غَيرَ خُدُودٍ
عُقِدَتْ غُرَّةً بِهَامِ الضُّرَاحِ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو أداة النفي (ما)، مع أداة الاستثناء (غير)؛ لغرض تقوية المعنى في نفوس السامعين.

٢. القصر بـ(لا) و(غير):

ورد القصر بـ(لا) مع (غير) في ديوان حسن مُصبِّح في موضع واحد فقط، في قوله في رثاء الإمام الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام[2]:

ثَلْمَةٌ لا يَسُدُّهَا غَيْرُ شَهْمٍ
هُوَ عَنْ كُلِّ سُنَّةٍ بَحَّاثُ

استعمل الشاعر أسلوب القصر، وهو (لا) الداخلة على المضارع، مع أداة الاستثناء (غير)؛ لأجل تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ هذه الثغرة لا يقدر على سَدِّها إلَّا الإنسان الذي له القدرة على تحمُّل الصِّعاب.

٣. القصر بـ(لم) و(غير):

ورد القصر بـ(لم) مع (غير) في ديوان حَسن مُصبِّح في موضعين، منها قوله في رثاء

(١) ديوانه: ١/ ١٠٧.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٢٣.

الإمام الحُسين عليه السلام[١]:

ظِـــمَاءَ قُـــلُـــوبٍ ثَـــوَتْ فِي الهَـجِـيرِ
وَلَمْ تَـنْـتَـهِـلْ غَـيرَ فَـيْـضِ الـدِّمَـا

أفادَ أسـلوب القصر هنا بـأداة النفي (لم)، مع أداة الاسـتثناء (غير)، تقوية المعنى، وتأكيد أنَّ ظِماء قلوبٍ ثَوت في الهجير وسُقِيت فيضَ الدِّماء.

وقالَ أيضًا في رثاء المِيرزا جَعفرٍ، وكَانَ في طَريق الحَجِّ[٢]:

فَـانْـصَـاعَ لَمْ يَخْـشَ غَـيْرَ اللهِ فِي عَـمَـلٍ
وَلَا عَـلَى الـغَـيْـبِ فِي شيءٍ بِـمُـتَّـهَـمِ

فالشـاعر في هذا البيت قصَر الخشية على الله وحده، ولا يخاف من غيره، والغرض من هذا القصر تقوية المعنى.

٤. القصر بـ(ليس) و(غير):

ورد القصر بـ(ليس) مع أداة الاستثناء (غير)، في ديوان حسن مُصبِّح في موضعين، منها قوله في رثاء الإمام الحسين بن عليٍّ عليهما السلام[٣]:

وَلَـيْـسَ لَـهَـا غَـيْـرَ الـزَّفـيرِ تَـسَـرُّعٌ
بِـأحْـشَـائِـهَـا يَـذكُـو وَلَمْ تُـظْـهِـرِ الشَّكْوى

استعمل الشاعر أسلوب القصر ،وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (غير)، تقويةً للمعنى، فهيَ لا تظهر الشكوى ممَّا بها، إنَّما تظهر الزفرات دليلًا على ذلك.

(١) ديوانه: ١/ ٧٢٢.
(٢) ديوانه: ٢/ ١١٣.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٨٧.

وقال الشاعر حسن مُصبِّح أيضًا في رثاء الإمام الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليهم)[1]:

فَـغَـدَا مُـفْـرَدًا وَلَـيْـسَ لَـدَيْـهِ
غَـيْـرَ رَهْـطٍ مِـنْ آلِـهِ الـنُّـصَّـاحِ

أكَّد الشاعر البيت بأسلوب القصر، وهو أداة النفي (ليس)، مع أداة الاستثناء (غير)، والغرض من ذلك تقوية المعنى، فالشاعر أراد القول «ازدادت بصيرة الإمام الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيَّات المحكّمة فيه، بما أظهروه له من السبِّ والتكفير، واستحلالِ دمِه، ونَهبِ امواله، ولم يبقَ معه من يأمن غَوائلَه إلَّا خاصَّة من شيعته وشيعة أبيهِ أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقومُ لأجناد الشام»[2].

(١) ديوانه: ١/ ١٠٠.

(٢) الإرشاد في معرفة حُجَجِ اللهِ على العِباد، الشيخ المفيد، الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العُكبريّ البغداديّ: ٢/ ١٣.

ثانيًا: القصر بطريق (إنَّما)

(إنَّما) هي أداة مكوَّنة من جزأين، فالجزء الأوَّل (إنَّ)، والجزء الثاني (ما)، فـ(إنَّ) نقصد بها حرف توكيد، اتَّصلت بها (ما) الزائدة، فكفَّتها عن العمل، وأزالت اختصاصها بالجمل الاسميَّة، وأصبحت (إنَّ) تدخل على الجمل الاسميَّة والجمل الفعليَّة، وزيد فيها معنى التوكيد[١].

وهي طريقة «من طرق القصر المشهورة، لدى جمهور علماء البلاغة، تقول قصر الموصوف على الصفة إفرادًا، أو قلبًا أو تعيينًا، بحسب المقام: إنَّما زيد شاعر، وتقول في قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارات الثلاثة، وبحسب المقام: إنَّما الشَّاعر زيد»[٢]. فمن دخولها على الجمل الفعليَّة، «كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٨)، ويكون المقصور عليه مؤخَّرًا»[٣]، ففي هذه الآية تقديم وتأخير مع (إنَّما)، فقدَّم المفعول به، وهو (الله)، على الفاعل، وهو (العلماء)؛ لأنَّ المطلوب من سياق هذه الآية هو اختصاص العلماء فقط بخشية الله، لكن غير العلماء لا يخشون الله[٤]، وفائدة (إنَّما) في الكلام هو اثبات الفعل لشيء، ونفيه عن سواه، فإذا قلنا: (إنَّما جاءني زيدٌ)، فُهِمَ إثبات المجيء لزيد، ونفيه عن غيره[٥]، والدليل على أنَّ (إنَّما) تفيد القصر

(١) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨١-١٨٢.
(٢) أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين ودلالاتها البلاغيَّة، د. عامر بن عبد الله: ١/ ٤٤-٤٥.
(٣) التراث اللغويّ العربيّ، بوهاس، جيوم، كولوغلي: ١٩١.
(٤) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٣.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجانيّ: ٣٣٤.

أمـور، منها: «الأوَّل: كونها متضمِّنة معنى (مـا) و(إلَّا)، لقول المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ (البقـرة: ١٧٣)، بالنصب، معناه (ما حرَّم عليكم إلَّا المَيتـة). والثاني: لقول النحـاة إنَّ (إنَّما) لإثبات ما يذكر بعدها، ونفي ما سـواه»[١]، ويذكـرون لذلـك «وجهًا لطيفًا، يُسـنَد إلى عليّ بن عيسـى الربعيّ، وأنَّـه كان من أكابر أئمَّة النحو ببغداد، وهو أنَّ كلمة (إنَّ)، لـمَّا كانت لتأكيد إثبات المسـند للمسـند إليه، ثمَّ اتَّصلـت بها (مـا) المؤكِّدة لا النافية، على ما يظنُّه من لا وقـوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسـب أن يضمن معنى القصر؛ لأنَّ قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلَّا تأكيدًا للحكـم على تأكيد»[٢]. أمَّا الثالث، فهو «لصحَّة انفصال الضمير معها، مثـل: (إنَّما يـضرب أنا)، أي: (ما يضرب إلَّا أنا)»[٣]. وأنا أؤيِّـد قول النحاة؛ لأنَّ (إنَّما) أشدّ قوَّة من غيرها من ناحية توكيد المثبت، والغرض من الإتيان بـ(إنَّما) تذكير المخاطب بشيء معروف وثابت. قال عبد القاهر الجرجانيّ: «اعلم أنَّ موضوع (إنَّما) على أنَّ تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يَدفعُ صحَّته، أو لما يُنزَّلُ هذه المنزلة. تفسير ذلك أنَّك تقولُ للرجـل: (إنَّـما هو أخوك، وإنَّما هـو صاحبك القديم)، لا تقوله لمـنْ يجهل ذلك ويدفعُ صحَّتـه، ولكـنْ لِـمَن يَعْلمُه ويُقرُّ بـه. إلَّا أنَّك تُريد أنْ تُنَبِّهَهُ للـذي يجب عليه من حقِّ الأخ، وحُرمة الصاحب»[٤].

ممَّا سـبق يتَّضح لنا أنَّ النفي والاسـتثناء يسـتخدم لخبر يجهله المخاطب، أمَّا (إنَّما) فتُسـتخدم لخبر لا يجهلـه المخاطب، أي خبر معروف لدى المخاطـب، وقد يأتي القصر بـ(إنَّما).

(١) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن: ١٧٤.
(٢) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٣.
(٣) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن: ١٧٤.
(٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجانيّ: ٣٢٨.

«للتَّعريض والتَّلويح، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (سورة الرعد: ١٩)، فإنَّه تعريض بِذَم الكُفّار، وأنَّهم من فرط العِناد وغَلَبَة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل. ففي هذه الآية تأكيد لهذا المعنى، وهو أنَّ الكُفَّار لا عقل لهم حيث إنَّهم لا عقل لهم»[١]. وجاء هذا المعنى الذي «أُريدَ تأكيده من الاختصاص الذي أفادته (إنَّما)؛ لأنَّ الاختصاص في (أولوا الألباب)، أي إنَّ أُولي الألباب مختصُّون بالتذكُّر دون غيرهم، وهم الكفَّار، فجاء التوكيد بالاختصاص بالتَّذكُّر، ونفي هذا التذكر عمَّن عداهم»[٢].

ورد القصر بـ(إنَّما) في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في تَهْنِئَةِ السَّيِّد حَيْدَرٍ الحِلِّيِّ في زواجِ وَلَدِهِ السَّيِّد حُسَينٍ[٣]:

إِنَّمَا المُسْرِفُ مَنْ صَانَ الحِبَا
دُونَ عَلْيَاهُ بِوَجْهٍ أَنْبَسِ

استعمل الشاعر لفظة (الحِبا)، ومعناها في تاج العروس «العطاء، يقال: حَبَا فُلانًا حَبْوًا، وحَبْوَةً يعني أعطاهُ بلا جزاءٍ ولا مَنٍّ أو عامٌّ»[٤]، ونجد الشاعر في هذا البيت قصر الإسراف على الذي صان العطاء، والذي دلَّ على هذا التخصيص، هو أداة القصر (إنَّما) التي دخلت على الجملة الاسميَّة.

وقال الشاعر أيْضًا مُهَنِّئًا سَلْمَانَ الحاجّ باقِر الطَّبيبَ في عُرْسِ ولدِهِ المحروسِ سَعِيد[٥]:

(١) أسلوب التوكيد في القرآن، محمد حسين أبو الفتوح: ١٨٣-١٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٤.
(٣) ديوانه: ٢/ ٤٣.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (مادة حبو)، للسيد محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ: ٣٧/ ٣٩٣.
(٥) ديوانه: ٢/ ٣٣٨.

إِنَّـــمَا الـــنُّـــسْـــكُ إِلَـــيْـــهِـــمْ نُـــسِـــبَـــا
وَسِـــــوَاهُـــــمْ فِي الـــعُـــلَا لَمْ يُـــذْكَـــرِ

أفاد القـصر بـ(إِنَّما) تقوية المعنى والتخصيص، أي جعلَ النسـك مختصًّا بهم فقط، وغيرهم في الرِّفعة لم يُعرَف.

وَلَهُ أَيْضًا مُخَمِّسًا قَصِيدةَ السَّيِّد حَيْدَر في مَدْحِ صَحْنِ الإمَام الكاظِم عليه السلام[1]:

إِنَّـــمَا أَنْـــتَ جَـــنَّـــةٌ ضَرَبَ اللهُ
عَـلَـيْـهَـا- كَـجَـنَّـةِ الخُـلْـدِ- سُـــوْرَا

أكَّد الشـاعر بـ(إِنَّما) قوله: (أنت جَنَّـة)؛ لغرض تقوية المعنى والقصر والتأكيد على أنَّ الله منحـك مكانة رفيعة، وهناك مؤكِّد آخر، وهو الجملة الاعتراضيَّة (كجنَّة الخلد)، والغرض من اجتماع توكيدين، هوَ المبالغة في التوكيد.

ومن ذلك قولهِ في مدح محمَّد آل رشيدٍ أمير جبل شمَّرٍ[2]:

إِنَّـــمَا أَرْتَجِـــي بِـــهِ عِـــزَّ نَـفْـسٍ
مِـــنْ عُـــلَا عِـــزِّكُـــمْ تَـــرُومُ

أفادت(إِنَّـمَا) القـصر والتوكيـد، وكفَّت (مـا) (إنَّ) وهيَّأتها للدخـول على الجملة الفعليَّة.

(١) ديوانه ١/ ٢١٤.
(٢) ديوانه: ٢/ ٣٧٥.

ثالثًا: القصر بطريق العطف (لا، بل)

أ. العطف بـ(لا):

تأتي «لنفي الحكم عن المفرد بعد إثباتِهِ للمتبوع، وهي تعطف بأربعة شروط:

الأوَّل: أنْ يكون معطوفها مفردًا لا جملة نحو: هذا نبيلٌ لا خليلٌ، ونحو: أشتريتُ كتبًا لا أقلامًا، **والثاني**: أن تُسبقَ بإيجاب»[١]، وكذلك أن تقع بعد نداء، نحو: يا زيد لا عمرو، أو تقع بعد أمر، نحو: اضْربْ زيدًا لا عمرًا[٢]، أمَّا **الشرط الثالث**، فهوَ: «ألَّا يصدق أحد معاطفيها على الآخر»[٣]، **والشرط الرابع**: «ألا يكون مدخولها صفة لسابقٍ مذكورٍ أو خبرًا لَهُ أو حالًا منه»[٤]. فإذا قلنا: زيد شاعر لا كاتب، قصرنا الموصوف زيد على الصفة (شاعر) عن طريق العطف بـ(لا)، وهذا القصر يسمَّى قصر إفراد؛ لأنَّ المخاطب كان متردِّدًا بين الصِّفَتين، فلمَّا استعملنا القصر بـ(لا) العاطفة، أزلنا الشبهة، وأثبتنا صفة الشعر لزيد، ونفينا عنه أي صفة أخرى[٥]. ونقول في «قصر الموصوف على الصفة قلبًا: زيدٌ قائمٌ لا قاعدٌ»[٦]، ولكن نقول في «قصر الصفة على

(١) نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٤.
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة بن مالك: ٢/ ٢٣٥.
(٣) النحو التطبيقيّ، د. هادي نهر: ٢/ ١٠٥٢.
(٤) نحو اللغة العربيَّة، د. محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٤.
(٥) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٤.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، القزوينيّ: ١٠٠.

الموصوف بالاعتبارين: زيد شاعر لا عمرو»[1].

وكذلك فإنَّ القصر بالعطف نحو «(جاء محمَّدٌ لا خالدٌ)، فإنَّما يكون بين أمرَين، أو أمـور تثبت بعضًا منها وتنفي بعضًـا، فقولك: (جاء محمَّد لا خالد) إنَّما ثبت فيه المجيء لمحمَّد، ونفيه عن خالد»[2].

ويكـون «موقـع المقصور عليه مـا قبلها»[3]، فهنـاك اختلاف بين القـصر بـ(إنَّما)، والقـصر بالعطـف، فمع (إنَّما) يعقـل منها إيجاب الفعـل لشيء ونفيه عن سـواه في آن واحد[4]، أمَّا معَ العطف، فالأمر متردِّد بهما في الحالين[5].

ورد القصر بـ(لا) العاطفة في ديوان حسـن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[6]:

ضَـــوْءُ الَّـلـيَـالي أَنْـــتَ لا مِـصْـبَـاحُـهَـا
وَنَهَـــارُهَـــا بِـــذُكَـــاءِ نُـــورِكَ أَوْمَـضَـا

أفـاد القـصر بـ(لا) قـصر الحكم على المعطـوف عليـه، أي تأكيد أنَّه ضـوء الليالي لا مصباحها، ونهارها بذكاء نورك أضاء.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في الرِّثاء[7]:

هَـــوَى سَـــاجِـــدًا للهِ لا صَـعِـقًـا وَلا
نَـــزَا قَـلْـبُـهُ خَـوْفًـا ولا خَـفَّ سَـاعِـيَـا

(١) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٠.
(٢) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٢/ ٢٥١.
(٣) أساليب البيان، أ.د. فضل حسن عبَّاس: ١٧٦.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١٣٠.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ: ٣٣٤.
(٦) ديوانه: ١/ ٥٦٢.
(٧) ديوانه: ١/ ٥٩٨.

أفاد القصر بـ(لا) تقوية المعنى، وتأكيد أنَّه هوى ساجدًا لله، لا مصروعًا، ومن ذلك قوله[١]:

والمُجْتَبَى الزَّاكِي بِسُمٍّ شَقَاهُمُ
لا سُمٍّ (جَعْدَةَ) نَالَهُ الضَّرَّاءُ

فقصر الشاعر (بِسُمٍّ) على الموصوف الحسن المجتبى عليه السلام بأداة العطف (لا)، وأفاد هذا القصر تقوية المعنى.

ب. العطف بـ(بل):

ومن شروط العطف بـ(بل) أن يليها مفرد[٢]، وأنْ تكون مسبوقة «بنفي أو نهي»[٣]، أو «إيجاب أو أمر»[٤]، لكن معناها يُحدَّد من الأسلوب الذي يقع قبلها[٥]، فإذا وقعت بعد «إيجاب أو أمر، نحو: (جاء محمَّد بل خالد)، و(أكرمَ سالمًا بل خالدًا)، فهي للإضراب، وذلك أنَّها تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه»[٦]، فلا يحكم عليه «بشيء وثبوت الحكم لما بعد، وفي هذا تأكيد لما بعدها»[٧]، فقولك: «(جاء محمَّد بل خالد)، يعني أنَّ الذي جاء هو خالد، وأمَّا محمَّد فيجوز أنَّه جاء، ويجوز أنَّه لم يَجِئْ، وقولك: (أكرم سالمًا بل خالدًا)، أضربت فيه عن الكلام الأوَّل، وأمرت بإكرام خالد، وأمَّا (سالم) فمسكوتٌ عنه. وليست (بل) ناهية عن إكرام

(١) ديوانه: ١/ ٢٦٧.
(٢) ينظر: نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٢.
(٣) الواضح في القواعد النحويَّة والأبنية الصرفيَّة، د. محسن عليّ عطيَّة: ١٣١.
(٤) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٥) ينظر: نحو اللغة العربيَّة، محمَّد أسعد النادريّ: ٦١٢.
(٦) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٧) اسلوب التوكيد في القرآن، محمَّد أبو الفتوح: ١٨٥.

سالم»[1]، وأمَّا إذا وقعت بعد نفي ونهي، فيكون معناها مثل (لكن)، بحيث تكون فائدتها تقرير حكم الذي يسبقها وإثبات ضدّه للذي بعدها، نحو: (ما قام زيدٌ بل عمرٌو)، و(لا تضرب زيدًا بل عمرًا)، ففي هاتين الجملتَين قامت (بل) بتقرير حكم النفي والنهي، وإثبات القيام لعمرو، والأمر بضرب عمرو[2]. نخلص من ذلك إلى أنَّ (بل) تكون حرف عطف إذا وليها مفرد وسبقت بأمر أو إيجاب أو نفي ونهي، لكن معناها يتحدَّد من الأسلوب الذي يتقدَّمها، فإذا سُبقت بأمر أو إيجاب؛ فإنَّها تفيد الإضراب، أمَّا إذا سُبقت بنفي أو نهي؛ فإنَّها تفيد الاستدراك بمعنى (لكن).

ويكون موقع المقصور عليه في العطف بـ(بل) بعدها[3]، ففي قولك: «(ما شوقي خطيبًا بل شاعرًا)، فإنَّ معناه نفي الخطابة عنه، وإثبات الشاعريَّة له، وهذا هو معنى القصر، فالمقصور هو (شوقي)، والمقصور عليه (الشاعر)»[4]، كما تقول في «قصر الموصوف على الصفة، إفرادًا أو قلبًا بحسب مقام السامع: (ما زيدٌ منجِّمٌ، بل شاعرٌ»[5]، ومثال «قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام: (محمَّدٌ قائمٌ لا خالدٌ»[6].

ورد القصر بـ(بل) العاطفة في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[7]:

(١) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ٢٥٨.
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة بن مالك: ٢/ ٢٣٦.
(٣) ينظر: أساليب البيان، فضل حسن عبَّاس: ١٧٦.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ٨٤.
(٥) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٤٠٠.
(٦) البلاغة والتطبيق: ١٧٥.
(٧) ديوانه: ١/ ٤١٨.

أَخُــو رَسُــــولِ اللهِ بَــلْ صِــنْــوُهُ
وَخَـــيْرُ مَـــاشٍ طَـــابَ أو رَاكِـــب

أفاد القصر بـ(بل) العاطفة الإضراب؛ لأنَّها سُبِقت بإثبات، وأفادت كذلك توكيد المعطـوف. أي تأكيد أنَّ الإمام عليًّا هو شـبيه النبيّ محمَّدﷺ. إذن أفادت (بل) العاطفة القصر، وتقوية المعنى.

وله أيضًا مهنِّئًا الميرزا صالحًا في تُحفةٍ وردت إليه من الشَّاه[1]:

بَــرَقَــتْ لا عَــنْ كَــذُوبٍ خُـلَّـبٍ
بَــلْ هَمُــوعٍ طَــابَ رَيَّــاهُ وِذَامــا

أكَّـد الشـاعر هـذا البيت باسـتعماله (بـل) العاطفة المسـبوقة بـأداة النفـي (لا)، فأفـادت (بـل) العاطفـة القـصر وتأكيـد أنَّهـا برقـت عـن همـوع لا عـن كـذوب خلَّب.

ومن ذلك قوله مهنِّئًا الميرزا صالحًا في تُحفةٍ وردت إليه مِنَ الشَّاه[2]:

لَمْ تَــزَلْ تَـقْـطُـرُ فِـيـهَـا نِـعْـمَـةً
لا رَذَاذًا بَــلْ سَـحَـاحًـا وانْـسِـجَـامَـا

أفـاد القصر بـ(بل) نفـي الحكم عن المعطـوف عليه، وإثبات الحكـم للمعطوف، وتأكيد أنَّها تقطر مطرًا غزيرًا، لا مطرًا قليلًا.

ويتبيَّن لنا ممَّا سبق أنَّ الحرفَين (لا وبل) إذا استكملا الشروط يفيدان العطف المفيد للقـصر، ونلاحظ كذلك أنَّ (بل) تشـبه (لا) في العطف بها بعد الإثبات، وتشـبه (بل) (لكن) في العطف بها بعد النفي.

(١) ديوانه: ٢/ ٥٤.
(٢) ديوانه: ٢/ ٦٠.

رابعًا: القصر بأداة التعريف (أل)

التوكيد بالقصر بـ(أل) التعريف سواء «بوجود ضمير الفصل أم بعدم وجوده، وتدخل على الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)»[١]، وكقولنا: «زيدٌ المنطلقُ يفيد حصر الانطلاق على زيد»[٢]، وبحسب المقام يكون نفيه عن غيره على وجه العموم أو الخصوص[٣]، على أنَّ «وقوع (أل) الجنسيَّة في المبتدأ أو في الخبر يفيد القصر، ويكون المقصور هو ما فيه (أل) على أحد رأيين تقدَّم أو تأخَّر، فالشاعر أنت، وأنت الشاعر. القصر هنا مستفاد من (أل الجنسيَّة)، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قصر (الشاعريَّة) الصفة، على الموصوف (الضمير) أنت، وقد تقع (أل الجنسيَّة) في المبتدأ والخبر، مثل أن يُقال: التقوى الكرم والعلماء الخاشعون»[٤]، وفائدة «تعريف المسند قصر المسند على المسند إليه لقصد المبالغة، تقول: زيد الجواد وعمرو الشجاع، فتفيد قصر جنس الجود على زيد، وقصر جنس الشجاعة على عمرو، ولكنَّك لا تقصد القصر الحقيقي.. وإنَّما تقصد المبالغة في وصف زيد بالجود وعمرو بالشجاعة»[٥]، وقد يفيد «تعريف المسند قصر المسند على المسند إليه حقيقة، وذلك كقولك: زيدٌ الشاعرُ، إذا لم يكن هناك في الحقيقة شاعر

(١) الزبدة النحوية والصرفيَّة، د. سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٢) مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازانيّ: ١/ ٣٦٥.
(٣) ينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين: ١/ ٨٥.
(٤) الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، الوصيف هلال الوصيف إبراهيم: ١٩٤.
(٥) خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى: ٣٣٩.

سـواه»[١]. إذن يتبيَّـن لنا أنْ (أل) الجنسـيَّة تدخـل على المبتدأ أو الخـبر، أو تدخل على الجزأين معًا، وهي في كلِّ الحالات تفيد القصر.

لقـد ورد القصر بـ(أل) التعريف في ديوان حسـن مصبِّـح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء المرحوم الشيخ جَعفر الشوشتريّ[٢]:

فَـهُـمُ صَـفْـوَةُ المَـهَـيْـمِـن قَـامُـوا
بِـمـقـامٍ هُـوَ المَـقَـامُ الحَـمِـيـدُ

أكَّد الشـاعر المعنـى بأداة التعريـف (أل) التي دخلت على الخـبر، وأفادت القصر وتأكيد المنزلة السامية لهم.

وقال الشاعر حسن مصبح أيضًا في مدح النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله[٣]:

مـا زَالَ يَـرْقَـى في المَـكَـارِمِ والـفِـطَـنْ
عَـرْشُ الـعُـلَا وَهْـوَ الـصَّـدُوقُ المُـؤْتَـمَـنْ

أفـاد القصر بـ(أل) التعريف الداخلـة على الخـبر تقوية للمعنـى، وإلصاق صفة الصدق بالنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وإثباتها له.

ومـن ذلـك قولـه في رثـاء سـيِّد الشـهداء الحسـين بـن عـليِّ بـن أَبي طالبٍ عليهما السلام[٤]:

فَـعَـادَ أَبُـو الـسَّـجَّـادِ فَـرْدًا يَخُـوضُ في
عُـبَـابِ الـرَّدى وَهـوَ الـكَـمِـيُّ المُـغَـالِـثُ

(١) خصائص التراكيب: ٣٤٠.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٤٦.
(٣) ديوانه: ١/ ٢٨٧.
(٤) ديوانه: ١/ ٨٠.

أكّد الشـاعر المعنى بأداة التعريف (أل) الداخلة عـلى الخبر، فأفادت (أل) القصر، وإثبات صفة الشجاعة والشهامة للإمام الحسين عليه السلام.

وله أيضًا مهنِّئًا السيِّدَ حيدر الحِلِّيّ بزواج ولده السيِّد حُسين[1]:

واشْرَبْ عَـلَى ذِكْـرِ الحَـبيـبِ فَـإِنَّـهُ
الـعَـذْبُ الـرَّقـيـقُ مُمَـازِجًـا نَـفَّـاحَـهَـا

أكَّـد الشـاعر المعنى بـأداة التعريف (أل) الداخلـة على خـبر (إنَّ)، وأفادت (أل) القصر وتقوية المعنى وتوكيده.

(١) ديوانه: ٢/ ٤٨.

خامسًا: القصر بطريق (تقديم ما حقّه التأخير)

يُعَدُّ التقديم «مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثِّل قدرات إبانة أو طاقات تعبيريَّة يديرها المتكلِّم اللقن إدارة حيَّة وواعية، فيسخِّرها تسخيرًا منضبطًا للإبانة عن معانيه ومقاصدِه، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة، كما هي شَديدة الحسَّاسيَّة، وأي تغيير فيها يُحدِث تغييرات جوهريَّة في تشكيل المعاني وأحوالها وصورها وظلالها»[١].

ولا شكَّ في أنَّ التقديم والتأخير «فن رفيع يعرفه أهل البصيرة بالتعبير، والذين أوتوا حظًا من معرفة واقع الكلام يقصده المتكلِّم بعينه لأحوال خاصَّة يقتضيها التعبير، منها أنَّ القاعدة الدلاليَّة هي أنَّ المهم يُقدَّم، وليس رصف الألفاظ على الصورة المعهودة في العربيَّة»[٢].

إذ تُشير «المخالفة للمألوف في التركيب، أي تأخير ما حقّه التقدُّم والعكس، إلى دلالات كثيرة أجملَها الباحثون في ملاحظ تنبع من السياق والمقام، أهمّها التقديم للتبرُّك والتعظيم وارتفاع المنزلة.. والتخصيص والعناية والاهتمام»[٣]، فالتقديم «يدلُّ على القصر بطريق الذوق السليم والفكر الصائب»[٤]، فأضحى تقديم ما حقّه التأخير من وسائل القصر المشهورة في العربيَّة، وما من شكٍّ، فإنَّ ترتيب الجملة الطبيعيّ في الجملة

(١) دلالات التراكيب (دراسة بلاغيَّة)، محمَد محمَّد أبو موسى: ١٩٢.
(٢) علم الدلالة، إنعام محمَّد عيسى: ٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ٩٢.
(٤) جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، أحمد الهاشميّ: ١٨٢.

الاسـميَّة هو أنْ تبـدأ بالمبتدأ ثمَّ الخبر، وترتيب الجملة الفعليَّة أن يسـبق الفعل، والذي نقصـد به المسـند الفاعـل، ويتبع الفعل الفاعل، ثـمَّ بعد ذلك يأتي المفعـول به بعده[1]، فـإذا حصل تغـيُّر في ترتيب الجملة من تقديم أو تأخير، فإنَّ ذلـك قد يكون لغاية معيَّنة مقصـودة يَلجأ المتكلِّم إليها، فقد يكون التقديم لإعطاء المتقدِّم عناية أو اهتمامًا[2]، وهوَ عند ابن جنِّي «على ضربَين: أحدُهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسـهله الاضطرار»[3]، وقد أحسـن عبد القاهر الجرجانيّ القول في ذلك: «هو بابٌ كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لايزال يفترُ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولاتزال ترى شِعرًا يروقك مسمعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثمَّ تنظر فتجد سببَ أنْ راقك ولطف عندك، أنْ قُدم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان»[4].

وعـلى ذلك فيكون تقديم الـشيء عند عبد القاهر الجرجانيّ عـلى وجهَين: «تقديمٌ يقـال إنَّه على نيَّـة التأخير، وذلك في كلِّ شيء أقررته مـع التقديم على حكمه الذي كان عليـه، وفي جنسـه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدَّمته عـلى المبتدأ، والمفعول إذا قدَّمته على الفاعـل، كقولك: منطلقٌ زيدٌ وضربَ عمرًا زيدٌ، معلـوم أنَّ (منطلق) و(عمرًا) لم يخرجـا بالتقديم عـمَّا كانا عليه، من كون هـذا خبر مبتدأ ومرفوعًـا بذلك، وكون ذلك مفعولًا ومنصوبًا من أجله، كما يكون إذا أخّرت»[5]، وتقديم لا على نيَّة التأخير، ولكن عـلى «أن تنقل الـشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابًا غير بابـه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء الى اسـمين يحتمل كلُّ واحدٍ منهما أن يكـونَ مبتدأ، ويكون الآخر خبرًا

(١) ينظر: أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين: ٥٩.

(٢) ينظر: بناء الجملة الاسميَّة في ديوان بني أسد (أشعار الجاهليِّين المخضرمين)، رسالة ماجستير، نور رياض كشاش: ١٣٢.

(٣) الخصائص، ابن جنِّي: ٢/ ٣٨٢.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ: ١٠٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٦.

لـه، فتقـدِّم تارةً هذا على ذاك، وأخـرى ذاك على هذا. ومثال ما تصنعـهُ بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: (زيدٌ المنطلقُ)، وأخرى (المنطلقُ زيدٌ)، فأنت في هذا لم تقدِّم (المنطلق) على أن يكون متروكًا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بـل عـلى أن تنقله عن كونه خبرًا إلى كونه مبتدأ.. وأظهر مـن هذا قولنا: (ضربت زيدًا) و(زيدٌ ضربتهُ)»[١].

وواضـح أثر النيَّة عنده في تركيب الـكلام، إذ فيهِ نُلاحظ أنَّ المقدَّم لا يتغيَّر حكمه الإعـرابيّ، لكـن في التقديم الذي لا يكون على نيَّة التأخير، نجـد أنَّ المقدَّم يتغيَّر حكمه الإعرابيّ، وينتقل من حالة إلى حالة، ويكون «توكيد الشيء بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصَّص له وتثبيته في غير مكانه»[٢]، إذ إنَّ من نمط العرب في كلامِهم أنَّـهم إذا أرادوا أن يعطوا شيئًا اهتمامًا وعنايةً قاموا بتقديمه[٣]، فالمتقدّم يلقى «اهتمامًا في نفس السـامع والمخاطَب، فيقدَّم بناءً على هذا الغرض الـدلاليّ المفعول على الفعل والفاعل، والخبر على المبتدأ، والحال على صاحبِها»[٤]، فالمقدَّم هو يكونُ المقصور عليه دائما[٥]، إذن التأكيد بالتقديم «يكسب الكلام قوَّة، وذلك لأنَّ الإسناد فيه يتكرَّر مرَّتين»[٦].

ويحـدث التوكيـد بالقصر بتقديم ما حقَّـه التأخير في الجملتَين الاسـميَّة والفعليَّة، ففـي الجملة الاسـميَّة يحصل التوكيد بالقـصر بتقديم ما حقّه التأخـير في مواضع نذكر منها:

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٠٦-١٠٧.
(٢) التراكيب اللغوية في العربية (دراسة وصفية تطبيقية)، هادي نهر: ١٧٩.
(٣) ينظر: النحو العربي (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزومي: ١٤٢.
(٤) أساليب التأكيد والمبالغة في ديوان الخنساء (دراسة دلالية)، مذكرة ماستر، فطيمة ميلي: ٢٦.
(٥) ينظر: في البلاغة العربية (علم المعاني)، قصي سالم علوان: ١٤٣.
(٦) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى: ٦٧.

الموضع الأوَّل: يقدم الخبر على المبتدأ جوازًا إذا كان «المبتدأ نكرة مضافة، أو نكرة موصوفة»[١]، ويكون تقديمه «لأغراض بلاغيَّة»[٢]، ومن هذه الأغراض البلاغيَّة العناية والاهتمام، جاء في معاني النحو «قد يقدَّم الخبر للاهتمام والعناية»[٣]، نحو قوله تعالى: «﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، فقد قدَّم المُسند، وهو الجار والمجرور؛ لغرض القصر»[٤]، أي «دينُكم مقصورٌ عليكم، وديني مقصورٌ عليَّ»[٥]، ومثال المبتدأ نكرة موصوفة، نحو «في المجلسِ رجلٌ عالمٌ، فالمبتدأ نكرة موصوفة بـ(عالم)، لذا يجوز الابتداء به، وفي مثل هذه الحالة يجوز تقديم الخبر، ويجوز تأخيره، فنقول: رجلٌ عالِمٌ في المجلِس، وعند تقديمه يكون خبرًا مقدَّمًا جوازًا»[٦]، وكذلك يجوز تقديم الخبر وتأخيره إذا كان «المبتدأ معرفة، نحو ممنوعٌ التدخينُ»[٧]. نخلص ممَّا تقدَّم أنَّ المبتدأ إذا كان نكرة مضافة أو موصوفة، أو كان معرفة، يجوز معه تقديم الخبر وتأخيره؛ لأغراض بلاغيَّة، وهي العناية والحصر.

وفي الموضع الثاني: يحدث التقديم في النواسخ، ومن هذه النواسخ هي (كان وأخواتها، إنَّ وأخواتها)، نحو قولنا: «قائمًا كانَ محمّد، فقدَّم خبر كان على كان، من باب التخصيص، وذلك إذا كان المخاطب يظنُّ أنَّ محمَّدًا كان قاعدًا لا قائمًا، فتصحِّح له هذا الوهم، وتقول إنَّه كان قائمًا

(١) الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٢) الأساليب النحويَّة، محسن عليّ عطيَّة: ٢٨٣.
(٣) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ١/ ٢٤٨.
(٤) مسائل الخلاف بين النحويِّين و البصريِّين والكوفيِّين في ضوء النظر البلاغيّ، د. محمود موسى حمدان: ١٤٤.
(٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ: ١٥٣.
(٦) الأساليب النحويَّة، محسن عليّ عطيَّة: ٢٨٣.
(٧) الصواب في معرفة القواعد والإعراب، عبد العبَّاس عبد الجاسم: ١٨٨.

لا قاعـدًا»[١]، وكذلك يقدَّم «خبر ليسَ على اسـمها، نحو: زيـدًا ليسَ أخوك»[٢]، فأفاد هـذا التقديم الحصر، ويُقدَّم أيضًا خبر كان وأخواتها على اسـمِها جوازًا، إذا كانَ «الخبر شـبه جملة والاسم معرفة، مثل: ما زالَ بين الناسِ الخيرُ، فنجدُ أنَّ خبر (ما زالَ) الظرف (بـين النـاس) قد تقدَّم على الاسـم، وذلك جائز؛ لأنَّ اسـم (مـا زال) معرفة (الخير)، ويجـوز أنْ نقـول: ما زالَ الخيرُ بينَ الناس»[٣]، هذا يخـصُّ التقديم في كان وأخواتها. أمَّا في إنَّ وأخواتها، فنجد أنَّ «رتبة خبر إنَّ وأخواتها التأخير عن الحرف الناسـخ واسـمه، ولكـنَّ هـذا الترتيب قـد لا يلتزمه النحويُّون، فيجـوز تقديم خبرها إذا كان شـبه جملة حـصرًا»[٤]، وكان اسـمها «معرفة، نحو: أيقنـتُ أنَّ بيَن يدي اللهِ الهِدايةَ، فشـبه الجملة (بـين يدي اللهِ) في محلِّ رفع خـبر (أنَّ) مقدَّم، و(الهداية) اسـم (أنَّ) مؤخَّر جوازًا؛ لأنَّهُ معرفة»[٥].

ويحدث كذلك التوكيد بالقصر بتقديم ما حقّه التأخير في الجملة الفعليَّة في مواضع نذكر منها:

الموضـع الأوَّل: يقـدَّم المفعـول بـه عـلى الفعـل جـوازًا؛ لغرض الحـصر، نحو: (زيـدًا ضربـت)[٦]، أي «تخصيصًـا لـه بالضَّـرب دونَ غـيره، وذلك بخـلاف قولك (ضربـتُ زيـدًا)؛ لأنَّـك إذا قدَّمـت الفعـل كنـت بالخيـار في إيقاعه عـلى أيِّ مفعول شـئتَ، بـأن تقول: ضربـتُ خالدًا أو بكـرًا أو غيرهمـا، وإذا أخَّرته لـزم الاختصاص

(١) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ١/ ٢٤٧.
(٢) الخصائص، ابن جنِي: ٢/ ٣٨٢-٣٨٣.
(٣) النحو الكافي، أيمن أمين عبد الغنيّ: ٢٠٧.
(٤) التقديم والتأخير في نهج البلاغة (دراسة نحويَّة أسلوبيَّة)، رسالة ماجستير، رافد ناجي وادي: ٧٧.
(٥) النحو الكافي، أيمن أمين عبد الغنيّ: ٢٢١.
(٦) ينظر: الحدائق النَّديّة في شرح الفوائد الصمديَّة، عليّ خان المدنيّ: ٢٧٣.

للمفعـول»[1]، وأفاد تقديم المفعـول به على الفعل الاختصاص، وحـصر العبادة بلفظ الجلالـة الله دون غيره، نحو قوله تعـالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، أي اختصاص العبادة والاسـتعانة بالله وحده دون سـواه[2]، هذا بالنسبة إلى تقديم المفعول على الفعل، أمَّا بالنسبة إلى تقديم المفعول به على الفاعل، «فيكون من أغراضِهِ التنبيه على أنَّه الأهم»[3]، و«العناية به أتم»[4]، ولأجل ذلك قال سيبويه: «وإنَّما يقدِّمونَ الذي بيانه أهـمُّ لهُم، وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانَ جميعًا يُهمَّانِهـم ويعْنيانِهم»[5]، كما في «قَتَلَ الخارجيَّ فـلانٌ، على أنَّ المقصـود الأهمّ قَتلُ الخارجيّ للتخلُّصِ مِـن شرِّهِ»[6]. فيتبين لنا ممَّا تقدَّم أنَّ المفعـول به يُقَـدَّم في الجملة الفعليَّة لأغـراض بلاغيَّة، ومن هذه الأغـراضُ العناية والاهتمام والحصرِ أيضًا.

أمَّا في الموضع الثاني: فيتقدَّمُ المفعول لأجله على الفعل لغرض الحصر، نحو: احترامًا لكَ قُمـتُ[7]، **وفي الموضـعِ الثالثِ**: «يتقدَّمُ الحـال على الفعل والفاعـل؛ للاختصاص والتنبيـه على هيئة صاحبِها»[8]، كقولِنا: ظافِرًا عاد الجيـشُ، بتقديمها على الفعل، وأفادَ هذا التقديم القصر والتوكيد[9].

(١) المثل السائر، ابن الأثير: ٢/ ٣٨.
(٢) ينظر: خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمَّد محمَد أبو موسى: ٤٠٠.
(٣) نحو اللغة العربيَّة الوظيفيّ في مقاربة أحمد المتوكِّل، أ.د. عبد الفتاح الحموز: ٢٢٦.
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ٩٦.
(٥) كتاب سيبويه: ١/ ٣٤.
(٦) نحو اللغة العربيَة الوظيفيّ في مقاربة أحمد المتوكِّل، عبد الفتاح الحموز: ٢٢٦.
(٧) ينظر: مختصر النحو، د. عبد الهادي الفضلّي: ٢٣٣.
(٨) التقديـم والتأخير في النتاج النقـديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتـوراه، زينة غني عبد الحسين: ١١٧.
(٩) ينظر: أساليب التأكيد في اللغة العربيَّة، إلياس ديب: ٦٩.

وقولُنا: جاء راكبًا زيدٌ، ففي هذا المثال قدّمت الحال على الفاعل[١]، أمَّا في الموضع الأخير فيتمُّ تقديم الظرف على عامله، إذ إنَّ «أغراض تقديم الظرف لا تكاد تختلف عن غيرها من أغراض تقديم المفعول والحال ونحوهما، وكلُّها مختبئة داخل معطف العناية والاهتمام»[٢]، نحو قوله تعالى: «﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (الملك: ٢٩)، ففي هذه الآية قُدِّم الجار والمجرور على الفعل؛ لأنَّ التوكُّل لا يكون إلَّا عليه»[٣]، فأفاد هذا التقديم القصر[٤]، وكذلك يتقدَّم ظرف الزمان على ركنَي الجملة الفعليَّة (الفعل والفاعل)؛ للعناية والاهتمام وإفادة الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)[٥].

إذن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ لذلك قال السيوطيّ: «كاد أهل البيان يطبقون على أنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كانَ مفعولًا أو ظرفًا أو مجرورًا»[٦].

وخلاصة الكلام أنَّ التقديم يكون على نوعَين (واجب، وجائز)، فالتقديم إذا كان واجبًا لا يفيد التوكيد؛ لأنَّه أسلوب اتَّخذته العربيَّة وارتكزت عليه في بنائها، فتقدَّم الشيء الذي له حقُّ التقدُّم في الكلام، كتقديم المفعول به إذا جاء اسم شرط أو اسم استفهام، أو تقدّم الشيء خوفًا من الالتباس إذا تأخَّر، إذن لا يمكننا أن نعتمد كلَّ تقديم يفيد القصر والتأكيد، أي يكون التوكيد فقط في التقديم الجائز، أي بتقديم ما حقّه أن يتأخّر، أمَّا التقديم الواجب، فلا يفيد الحصر أبدًا.

(١) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: ٢/ ٤٤.
(٢) التقديم والتأخير في النتاج النقديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتوراه، زينة غني عبد الحسين: ١١٠.
(٣) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ: ٣/ ١٠٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٠٦.
(٥) ينظر: الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، سيف حلو رسن: ٣٩٧.
(٦) الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطيّ: ٣/ ١٥٦.

ورد التوكيد بالقصر بتقديم ما حقّه التأخير في ديوان حسن مصبّح في الجمل الاسميَّة والفعليَّة:

التقديم والتأخير في الجمل الاسميَّة ونواسخها

أوَّلًا: تقديم الخبر جوازًا

جاء تقديم الخبر على المبتدأ جوازًا في ديوانه في مواضِع عديدة، منها قوله في مديح بعضِ أُمراءِ العرب(١):

أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُجِدُّ رُوَيْدًا
أَيْنَ تَسْرِيْ وَفِي البِلادِ الأَمِيرُ؟!

قدَّم الشاعر الخبر شبه الجملة (الجار والمجرور) (في البِلادِ) على الاسم المعرَّف، وهو (الأمير)، وهذا التقديم جائز أفاد تقوية المعنى، والعناية بالخبر، وتأكيد وجود الأمير في البِلاد.

وقالَ الشّاعرُ حسن مصبِّح أيضًا في رِثاءِ سيِّدِ الشُّهداءِ الحُسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام(٢):

للهِ أُسْدُ كَرِيْهَةٍ
كَرِهَ الحِمَامُ لِقَاءَهَا

قدَّم الشاعرُ الخبرَ شبه الجملة لفظ الجلالة (للهِ) على المبتدأ المضاف، وهو (أُسْد كريهةٍ)، وهذا التقديم جائز أفاد القصرَ وتقوية المعنى، وتأكيد أنَّ للهِ أُسدًا كريهة لا يحبُّ الموتُ لقاءَها.

(١) ديوانه: ١/ ٢٤.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٥.

ولهُ أيضًا مخمِّسًا أبيات الفَرَزْدَقِ في الإمام عليِّ بنِ الحُسينِ عليهما السلام[١]:

فِي كَـفِّـهِ خَـيْـزُرَانٌ رِيحُـهُ عَـبِـقُ
مِـنْ كَـفِّ أَرْوَعَ، فِي عِـرْنِـيـنِـهِ شَـمَـم

قدَّم الشاعر الخبرَ شبة الجملة (في كفِّهِ) على المبتدأ الموصوف (خيزرانٌ ريحُهُ عَبِقٌ)؛ لغرض التخصيص، أي أراد الشاعر أن يخصَّ الإمام زين العابدين بوجود «غصن مُتشنٍّ»[٢] في كفِّه، وتنتشر من هذا الغصن رائحة طيِّبة.

ثانيًا: التقديم في النواسخ (كانَ وأخواتها، إنَّ وأخواتها)

ورد تقديم أخبار النواسخ في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها:

١. تقديم خبر كانَ:

وردَ تقديم خبر كانَ في ديوانه في مواطن عديدة، منها قوله في الغزل[٣]:

رَكِـيـنًـا كُـنـتُ قَـبـلَ الـيَـومِ لَـكِـنْ
أَرَانِي لَمْ أُطِـقْ ذَا الـيَـومَ صَـبْرًا

قدَّم الشاعر خبر كانَ، وهو (ركِينًا) على كان واسمها (كُنتُ)، تقويةً للمعنى، ولغرض جلب انتباه السامعين إلى الخبر، أي التأكيد على اتِّصافه بالصبر في السابق، لكنَّه في الوقت الحالي لم يتحلَّ بالصبر.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في الغزل[٤]:

(١) ديوانه: ١/ ١٧٠.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادَّة خزر)، محمَّد مرتضى الحسينيّ: ١١/ ١٥٩.
(٣) ديوانه: ٢/ ٣٩٨.
(٤) ديوانه: ٢/ ٣٩٩.

زَعِـيـمًا كُـنـتُ قَـبـلَ الحُـبِّ لَـكِـنْ

لَـهُ طَـوْعًـا نَـزَعْـتُ عُـلًا وَعِـزّا

قدَّم الشاعر خبر كان (زعيمًا) على كان واسمها (كنتُ)؛ للاهتمام بالخبر، وتأكيد اتِّصافه بالزعامة في السابق.

ولهُ أيضًا مقرِّظًا على كتابِ التمسوه على تقريظه[1]:

فِي كُـلِّ فَـنٍّ إنْ أَتَـتْـهُ مُـفِـيـدُهَـا

عِـلْـمًا يَـرُوقُ وَ كَـانَ فِـيـهِ المُجتَبى

قدَّم الشاعر خبر كان، وهو (فيه)، على المبتدأ المُعرَّف، وهو (المجتبى)؛ لغرض العناية بالخبر، وأفاد هذا التقديم القصر وتقوية المعنى.

وعاتَبَهُ مُحسِن العذاريّ على رثاءِ وَلَدِهِ، فأجابَه بهذه الأبيات[2]:

وَقَـدْ حَـكَـمَ الإِلَـهُ وَكَـانَ عَـدْلا

قَـضَـاءُ اللهِ فِي قَـاصٍ وَدَانِ

قدَّم الشاعر خبر كان (عَدلًا)، على اسمها المضاف، وهو (قضاءُ اللهِ)؛ لغَرضِ التخصيصِ والتنبيهِ على عدالة اللهِ في حُكمِه، فنجدُ هذا التقديم أفاد القصر وتقوية المعنى.

٢. تقديم خبر صارَ:

ورد تقديم خبر صار على اسمها في ديوان حسن مصبح في موضع واحدٍ فقط. فله مخمِّسًا قصيدة السيِّد حَيدر في مَدحِ صَحْنِ الإمام الكاظِم عليه السلام[3]:

(١) ديوانه: ٢/ ٢١٩.

(٢) ديوانه: ٢/ ٣٠٩.

(٣) ديوانه: ١/ ٢٢٠.

صَنعَةُ الشِّعرِ صَارَ لِيْ مُنْتَهَاهَا

قدَّم الشاعر خبر صار (لي)، على اسمِها المضاف، وهو (منتهاها)؛ لغرض العناية بالخبر والاهتمام به، وتقوية المعنى وتأكيد أنَّ نهاية صنعة الشعر له.

٣. تقديم خبر ليس:

ورد تقديم خبر ليسَ في ديوان حسن مصبِّح في موضع واحد فقط، فللشاعر مُقرِّظًا ديوانَ المَرحومِ السَّيّد حَيْدَرٍ[١]:

لَكَ اللهُ أَوضِحْ لي فَلَيسَ (بِوَاصِلٍ
إلى ابْنِ عَطَاءٍ)، مِنْكَ نَفْثُ لِساني

قدَّم الشاعر خبر ليس (بواصل)، على اسمها (نفث لساني)، وأفادَ هذا التقديم القصر وتقوية المعنى.

٤. تقديم خبر إنَّ:

ورد تقديم خبر إنَّ على اسمها في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رِثاءِ وَلَدِهِ وابنتِهِ اللذَين ماتا في أسبوعٍ واحِدٍ[٢]:

فَذَوَتْ بَعْدَمَا تَراءَتْ لِعَيْنِي
أنَّ مِنْهَا نَضَارَةَ الأُقْحُوانِ

قدَّم الشاعر خبر (أنَّ) على اسمها؛ لغرض تقوية المعنى، والعناية بالخبر، وتأكيده.

وقالَ الشاعر حسن مصبِّح أيضًا مُهَنِّئًا السيِّد حَيْدَرَ الحِلِّيّ بزَواجِ ابنِ أخيه السيِّد داوودَ[٣]:

(١) ديوانه: ٢/ ٣١٢.
(٢) ديوانه: ٢/ ١٠٦.
(٣) ديوانه: ٢/ ٩٨.

فَـتَـخَـالُ أنَّ عَـلَى الـصَّـعِـيـدِ نُـجُـومَـهَـا
لَـمَـعَـتْ فَـجَـلَّـلَـتِ الـــوَرَى أَضْــوَاءَهــا

ففـي جملـة (أنَّ عَلَى الصَّعِيـدِ نُجُومَهَا)، نجد الشـاعر قـامَ بتقديم خـبر أنَّ (على الصّعيد) على اسمها المضاف (نجومها)؛ لغرض الاهتمام بالخبر.

ولهُ أيضًا مُقَرِّظًا العِقد المُفَصَّل للسيِّدِ حَيْدَر الحِلِّيّ في آلِ كُبَّة[1]:

خُــذْهُ إلَـيـكَ (أَبَــا الهَـــادِي) فَــإنَّ بِـهِ
رَحِـيْـقَ قُـدْسٍ وفي قَـلْـبِ الـعِـدَى حُـرُقَـا

نجد في جملة (فَإنَّ بِهِ رَحِيقَ قُدْسٍ) تقديم خبر إنَّ على اسمِها المضاف (رَحيْقَ قُدسٍ)، والغرض من هذا التقديم التخصيص وجلب انتباه السامعين إلى الخبر والاهتمام به.

التقديم والتأخير في الجمل الفعليَّة

١ . تقديم المفعول به على فعله:

ورد تقديم المفعول به على فعله في ديوان حسن مصبِّح في موضع واحد فقط، قوله في رثاء سيِّد الشُّهداءِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام[2]:

آلُــــهُ الــغُــرُّ تَــقْــتُــلُــونَ فَــرِيْــقًــا
وفَــرِيــقًــا تَــسْــبُــونَ سَــبــيَ الإِمَـــاءِ؟!

قـدَّم الشـاعر المفعـول بـه (فَرِيْقًـا) عـلى الفِعـل (تَسْـبُونَ)؛ للعِنايـةِ والاهتـمام بالمفعـول بـه، أي تأكيد سـبي الإنـاث والأطفـال، وأفـاد هـذا التقديم تقويـة المعنى والقصر.

(١) ديوانه: ٢/ ٢٠٣.
(٢) ديوانه: ١/ ٥٠.

٢. تقديم المفعول بهِ على فاعله:

ورد تقديم المفعول به على الفاعل في ديوان حسن مصبِّح في مواضع عديدة، منها قوله في رثاء والدة السيِّد مُحَمَّد حُسيْن ابنِ السيِّدِ ربيع رحمه الله[١]:

يَتَّمَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ المَعَالِيْ
فَهَواهَا عَنْ ذَاتِ خَصْرٍ نَحِيفِ

قدم الشاعر المفعول به (قلبَه) على الفاعل (حِسان المعالي)؛ للعناية والاهتمام بالمفعول به، وأفاد التقديم القصر وتقوية المعنى، وتأكيد أنَّ النساء الجميلات يَتَّمَنْ قلبه، فَهواهنَّ عن ذاتِ خصر نحيف.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في رثاء العبّاسِ عليه السلام[٢]:

وَالوَحشُ تَختَلِفُ اختِلافَ ظِلَالِهَا
فِيهَا فَيَرْتَقِبُ الهُصُورَ السَّيِّدُ

فقدم الشاعر المفعول به (الهصور) على الفاعل (السيِّد)؛ للعناية بالمفعول به، وأفاد هذا التقديم القصر، والتأكيد على ارتقاب السيِّد الأسدَ.

ومن ذلك قوله في رِثاءِ سيِّد الشُّهداءِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهما السلام[٣]:

وَأَرسَى حُلُومًا مِنْ هِضَابٍ شَوامِخٍ
وَأَسْرَعُ وَثْبًا إنْ دَعَا النَّصرَ طَالِبُ

(١) ديوانه: ٢/ ٧٥.
(٢) ديوانه: ١/ ١٤٢.
(٣) ديوانه: ١/ ٦٠.

قدَّم الشاعر المفعول به، وهو (النَّصر) على الفاعل (طالبُ)؛ للعناية والاهتمام بالمفعول به، والغرض من هذا التقديم القصر وتقوية المعنى، وتأكيد مساعدة المظلوم ومساندته في الانتصار على عدوِّه.

٣. تقديم المفعول لأجله على الفعل:

ورد تقديم المفعول لأجله على فعله في ديوان حسن مصبَّح في موضع واحد، قوله في ندبةٍ لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف[١]:

طَمَعًا أنْ يَدِينَ لِلضَّيمِ شَهمٌ
عَزْمُهُ في الهِيَاجِ يُورِي الوَطِيسَا

قدَّم الشاعر المفعول لأجله (طمَعًا)؛ للاهتمام به، وتأكيد أن يدين للضيم شهم شجاع؛ لأجل الطمع وإصراره يشعلُ الحرب.

٤. تقديم الحال على الفعل:

وردَ تقديم الحال على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في مواطن عديدة، منها قوله في رثاء الإمام الحُسَينِ عليه السلام[٢]:

فَرَحًا نَادَى أخَذْنَا لِلْجُدُودْ
ثَارَ مَنْ مِنْهُمْ بِبَدرٍ قُتِلَا

قدَّم الشاعر الحال (فَرحًا) على الفعل (نادى)؛ للاختصاص، وأفاد هذا التقديم الحصر، وتأكيد أنَّه نادى فرَحًا أخذنا للجدود حقَّ مَن مِنهم ببدرِ قُتِل.

(١) ديوانه: ١/ ٦٠.
(٢) ديوانه: ١/ ٤٣٠.

وقال الشاعر حسن مصبِّح أيضًا في رثاء الإمام العبَّاس بنِ عليٍّ عليهما السلام[١]:

بِـمُـفْـرَدِهِ عَـادَ جَمْـعُ الـعَـدُوِّ
بَـدَائِـدَ في مَـهْـمَـهٍ بَـلْـقَـعِ

قدم الشاعر الحال وهو شبه جملة (بمفرده) على الفعل (عادَ) للاهتمام بالحال وتأكيد أنَّ العدو عادَ مُنفَرِدًا وَ«مُتفرّقًا»[٢] في «الأرض القَفْر التي لا شيء لها، ويُقال منزِلٌ بَلْقَعٌ»[٣]، وأفاد هذا التقديم تقوية المعنى.

ولهُ أيضًا في مدحِ أمير المؤمنين عليه السلام[٤]:

مُـسْـتَـبْـشِرًا يَـلْـقَـى الـكَـتِـيـبَـةِ والـرَّدَى
لِـحُـسَـامِـهِ يَـومَ الـلِّـقَـا حِـربَـاءُ

قدم الشاعر الحال (مستبشرًا) على الفعل (يلقى)؛ للتخصيص، أي تخصيص حالة التفاؤل، ومعنى ذلك أنَّه كانَ متفائلًا في حالة لقائه الجيش والمعركة، ونجد الشاعر «شبَّه الموت بـ(حرباء)؛ لأنَّه يدورُ مع سيفِ الإمام عليّ عليه السلام في المعركة؛ لِقَبضِ الأرواحِ»[٥].

٥. تقديم شبه الجملة على الفعل:

ورد تقديم شبه الجملة على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في نمطين، هما:

(١) ديوانه: ١/ ٤٤١.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادَّة بدد)، السيِّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ: ٧/ ٤٠٤.
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (مادة بلقع): ٢٠/ ٣٥٩.
(٤) ديوانه: ١/ ٢٤٤.
(٥) ديوانه: ١/ ٢٤٤، هامش ٤.

النمط الأوَّل: تقديم (الجار والمجرور) على الفعل، في قوله في الغزل[1]

إلى اللهِ أَشْكُـوْ مِـنْ هَـوًى خَـامَـرَ الحَشَى
وَبَـــدَّدَ شَـمْـلَ الـصَّـبْـرِ حَـيْـثُ أَفَـاءَا

قدم الشاعر شبه الجملة (الجار والمجرور) (إلى اللهِ) على الفعل (أشكو)؛ لغرض حصر الشكوى في اللهِ لفظ الجلالة، ولا تتعدَّاهُ إلى غيره، ومعنى ذلك إلى اللهِ وحده لا غيره أبُثُّ شكوى في هوًى مازَجَ الحشى.

ولَهُ أيضًا مِنْ أبياتٍ مُجَنَّسةٍ في مدحِ أمير المؤمنينَ عليه السلام[2]:

إلَـيْـكَ أخَـا الـنَّـبـيِّ أَبُـثُّ شَـكْـوَى
وَلَا أَلْـقِـي لِـغَـيْـرِكُـمُ سُـؤَالا

قدم الشاعر شبه الجملة الجار والمجرور (إليكَ) على (أخا النّبيّ أبثُّ)؛ لغرض التخصيص وحصر الشكوى في أمير المؤمنين عليه السلام وحدَهُ، أي إنَّني أبثُّ همومي وأحزاني لك يا أمير المؤمنينَ ولا أشتكي لِغَيرِك.

ومن ذلك قوله في مدح آية الله العُظمى الإمام الميرزا محمَّد حسن الشِّيرازيّ[3]:

في بَـيْـتِـهِ نَـزَلَ الـفُـرْقَـانُ واتَّـضَـحَـتْ
بِهَـدْيِـهِ مُـشْـكِـلَاتُ الآيِ والحِـكَـمِ

فنجد الشاعر قدَّم شبه الجملة الجار والمجرور (في بيتِهِ) على الفِعل (نَزَلَ)؛ لغرض إكساب المعنى قوَّةً وتأكيدًا.

(١) ديوانه: ١/ ٢٧.
(٢) ديوانه: ١/ ٧٤٤.
(٣) ديوانه: ١/ ٣٦٢.

النمط الثاني: تقديم شبه الجملة الظرفيَّة على الفعل

جاء تقديم شبه الجملة الظرفيَّة على الفعل في ديوان حسن مصبِّح في موضعٍ واحدٍ، قولهِ في رثاء الإمام الحُسَينِ عليه السلام[1]:

تَـــــارَةً يَـــنـــظُـــرُ لـــلـــصَّـــحْـــبِ
عَـــلى الـــتُّـــرْبِ ضَـــحَـــايَـــا كَـــالـــنُّـــجُـــومْ

الشاعر قدَّم ظرف الزمان (تارةً) على الفعل (يَنْظُرُ)؛ لغرضِ تقوية المعنى، والدلالة على أنَّه أحيانًا ينظرُ للصَّحبِ الذين يبذلون أنفسَـهم لأجل الدين ضحايا كالنُّجومِ، أي يشبِّههم بالنجوم من حيث الضياء.

(١) ديوانه: ١/ ٤٣٣.

خاتمة البحث

١. تناول الشاعر القصر بجميع طرقه في شعره، فاستخدم القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بـ(إنَّما)، والقصر بأدوات العطف، والقصر بأل التعريف، وكذلك القصر بالتقديم.

٢. في القصر بالنفي والاستثناء، استعمل الشاعر أدوات نفي متنوِّعة، وهي (ما، لا، لَمْ، ليس، لن، وهل المستعملة في النفي)، وكذلك لم يقتصر على الاستثناء بـ(إلَّا)، وإنَّما استعمل الاستثناء بـ(غير، وسوى).

٣. ورد القصر بالنفي والاستثناء بنسب قليلة، فمثلًا القصر بـ(هل مع إلَّا، لا مع سوى، ما مع غير، ليس مع غير)، ورد كلُّ واحدٍ منها في موضعَين، أمَّا القصر بـ(لن مع سوى، ولا مع غير)، فقد ورد كلُّ واحدٍ منهما في موضعٍ واحد.

٤. استعمل الشاعر القصر بـ(إنَّما) كثيرًا، فـ(إنَّما) هي من طرق القصر المعروفة لدى علماء البلاغة، وتُستعمل لخبر يعرفه المخاطَب، أمَّا النفي والاستثناء، فيُستعمل لخبر لا يعرفه المخاطب.

٥. استعمل الشاعر القصر بأداتَي العطف (لا، بل)، ولم يستعمل القصر بأداة العطف (لكنْ) في شعره.

٦. التقديم الجائز يدلُّ على القصر، فالغرض من التقديم والتأخير في عناصر الجملة، هو توصيل المعنى المراد، وتحقيق الفهم الصحيح، والعناية

بالـشيء المتقـدِّم، والاهتمام بـه، وقد أظهر الشـاعر ميلًا واضحًا في اسـتعماله لذلك.

٧. تنوُّع التقديم والتأخير عنده، فكان في الجمل الاسميَّة ونواسخها، وفي الجمل الفعليَّة أيضًا.

٨. ورد تقديم خبر (صار) على اسـمها في موضع واحد، وكذلك ورد تقديم خبر (ليس) في موضع واحد أيضًا.

٩. لم يقتصر التقديم على المُسـنَد في شِعر حسن مصبِّح، ولكن حصل تقديم أيضًا في المتعلِّقـات، مثل (شـبه الجملة الظرفيَّة، والجار والمجـرور)، و(المفعول به، والحال والمفعول لأجله)، والغرض من تقديم المُسنَد والمتعلِّقات والفضلات؛ هو الاهتمام والتخصيص والقصر.

١٠. ورد تقديـم المتعلِّقات والفضلات في شـعر حسـن مصبِّح بنسـبة قليلة جدًّا، كالمفعـول بـه على فعلـه، والظـرف والمفعول لأجلـه، إذ كلُّ واحـد من هذه المتعلِّقات والفضلات قُدِّم في موضعٍ واحدٍ فقط.

١١. لم يرِد القَصر بضمير الفصل في شعر حسن مصبّح.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

الكتب

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١ هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، إصدارات وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربيَّة السعوديَّة، د.ط، د.ت.

٢. الأداء الجماليّ في البناء التركيبيّ من علم المعاني، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد ابن النعمان العكبريّ البغداديّ (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤. أساليب البيان، أ.د. فضل حسن عبَّاس، دار النفائس، عمَّان، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥. أساليب التَّأكيد في اللغة العربيَّة، إلياس ديب، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٦. أساليب القصر في أحاديث الصحيحَين ودلالاتها البلاغيَّة، د. عامر بن عبد الله الثبيتيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. الأساليب النحويَّة (عرض وتطبيق)، د. محسن عليّ عطيَّة، دار المناهج، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمَّد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٩. الإيضاح في علوم البلاغة، الشيخ الإمام الخطيب القزوينيّ (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمَّد عبد القادر الفاضليّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ، أبو الفيض الملقَّب بمرتضى الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).

١٢. التراث اللغويّ العربيّ، بوهاس، جيوم، كولوغلي، ترجمة: أ.د. محمَّد حُسين عبد العزيز، و د. كمال شاهين، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣. التراكيب اللغويَّة في العربيَّة (دراسة وصفيَّة تطبيقيَّة)، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٧.

١٤. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامريّ، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.

١٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١٢، (د.ت).

١٦. الحدائق النَّديَّة في شرح الفوائد الصمديَّة، السيِّد عليّ خان المدنيّ الشيرازيّ، تصحيح وتحقيق وتعليق: د. أبو الفضل سجادي، مطبعة روح الأمين، قم، ذوي القُربى، ط٢، ١٤٣٢هـ.ق/ ١٣٩٠هـ.ش.

١٧. خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٢، (د.ت).

١٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٥٢م.

١٩. دلالات التراكيب (دراسة بلاغيَّة)، د. محمَّد محمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، شرح غامضه وخرَّج شواهدَه وقدَّم له ووضع فهارسَه: د. ياسين الأيُّوبيّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١. ديوان الشَّيخ حَسَن مُصبِّح الحِلِّي، الشيخ حسن مصبِّح الحِلِّيّ (١٢٤٧-١٣١٧هـ)، تحقيق وتعليق: د. مُضر سُليمان الحِلِّيّ، مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، كربلاء، العراق، دار الكفيل، ط١، ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٩م.

٢٢. ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: أ. عليّ فاعور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣. ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامريّ (ت ٤١هـ)، اعتنى به: حمد وطماس، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٤. الزبدة النحويَّة والصرفيَّة، د. سيف حلو رسن، الدار المنهجيَّة، عمَّان، ط١، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

٢٥. شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، (د.ت).

٢٦. شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

٢٧. الصواب في معرفة القواعد والإعراب، عبد العبَّاس عبد الجاسم، دار دجلة، عمَّان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨. ظواهر تركيبيَّة في مقابسات أبي حيَّان التوحيديّ (دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة)، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٩. علم الدلالة، إنعام محمَّد عيسى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣٠. في البلاغة العربيَّة (علم المعاني)، قصي سالم علوان، جامعة البصرة، البصرة، العراق، (د.ط)، ١٩٨٥م.

٣١. في النحو العربيّ (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزوميّ، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢. كتاب سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمَّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلِّيّ (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، (د.ط)، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٣٤. مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازانيّ (ت٧٩٢هـ)، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٥. مختصر النحو، د. عبد الهادي الفضليّ، دار الشروق، جدَّة، ط٧، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٦. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرَّائيّ، دار الفكر، عمَّان، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٧. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمَّد بن عليّ السكاكيّ (ت٦٢٦هـ)، حقَّقه وقدَّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨. مـن أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيـس، مكتبة الأنجلو المصريَّـة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.

٣٩. من نحو الجملة إلى نحو النصِّ (دراسـة أسلوبيَّة في شعر أبي تمَّام)، أ.د. سامي عليّ جبَّار المنصوريّ، دار الرضوان، عمَّان، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٤٠. النحو التطبيقيّ، أ.د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤١. النحـو الـكافي، أيمن أمين عبـد الغنيّ، مراجعـة: أ.د. رمضان عبـد التوَّاب وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٢. نحو اللغة العربيَّة، د. محمَّد أسـعد النادريّ، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٣. نحـو اللغة الوظيفـيّ في مقاربة أحمد المتـوكِّل، أ.د. عبد الفتَّـاح الحموز، دار جرير، عمَّان، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٤٤. نحـو المعاني، أحمد عبد السـتَّار الجـواريّ، مطبعـة المجمع العلمـيّ العراقيّ، (د.ط)، ١٩٨٧م.

٤٥. الواضـح في القواعـد النحويَّـة والأبنية الصرفيَّة، د. محسـن عـليّ عطيَّة، دار المناهج، عمَّان، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

الرسائل والأطاريح

١. أسـاليب التأكيد والمبالغة في ديوان الخنسـاء (دراسـة دلاليَّة)، مذكِّرة ماستر، فطيمـة ميلي، كليَّة الآداب واللغات، جامعة منتـوري، بإشراف أ.د. يمينة بن مالك، مايو ٢٠١١م.

٢. بناء الجملة الاسميَّة في ديوان بني أسد (أشعار الجاهليِّين والمخضرمين)، رسالة ماجستير، نور رياض كشاش، كليَّة التربية، جامعة كربلاء، بإشراف: أ.د.عبد الكاظم محسن الياسريّ، جمادى الأولى١٤٣٥هـ/ آذار ٢٠١٤م.

٣. التقديم والتأخير في النتاج النقديّ والبلاغيّ عند العرب، أطروحة دكتوراه، زينة غني عبد الحسين الخفاجيّ، كليَّة التربية، جامعة بابل، بإشراف: أ.د. هناء جواد عبد السَّادة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤. التقديم والتأخير في نهج البلاغة (دراسة نحويَّة أسلوبيَّة)، رسالة ماجستير، رافد ناجي وادي الجليحاويّ، كليَّة التربية، جامعة بابل، بإشراف: أ.م.د. سعدون أحمد عليّ الربعيّ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

البحوث المنشورة

١. تجلِّيات الجمال في أسلوب القصر، د. عبد الرحيم محمَّد الهبيل، مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة (سلسلة الدراسات الإنسانيَّة)، المجلَّد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١١م.

قراءةُ النَّص وعناصر الإبداع الفنِّيّ
في شعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ- قصيدته في رثاء
محمَّد صالح الفلُّوجي أنموذجًا

د. إيمان كريم جبَّار الحريزي
جامعة الكوفة/كليَّة التربية للبنات

Reading the text and Elements of Artistic Creativity in the Poetry of Hassan Musabah Al-Hilli- His Poem in Eulogy for Muhammad Saleh Al-Falluji is an Example

Dr. Iman Karim Jabbar Al-Harizi
University of Kufa/College of Education for Girls

الملخَّص

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على مُحمَّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعين.

وبعد..

فهذا بحثٌ وسَمتُه بـ(قراءة النَّصِّ وعناصر الإبداع الفنِّيّ في شعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ- قصيدته في رثاء محمَّد صالح الفلُّوجيّ أنموذجًا)، بعدَ أن عرضَ عليَّ أستاذي الفاضل الدكتور عليّ الأعرجيّ دراسة شعر هذا الشاعر الفَذّ، وأتاني بديوانه المؤلَّف من جزأين بتحقيق الدكتور مُضر سليمان الحِلِّيّ، فجزاهُ الله عنِّي وعن العربيَّة خيرُ جزاءٍ وأوفاه، وأسأل الله أن يَمُنَّ عليه بدوام التوفيق والعافية، إنَّه قريب مجيب.

يقوم البحث على فكرة منهجيَّة، وهي استنطاق النصِّ، واستكشاف بنياته الداخليَّة، والوقوف على عناصر الإبداع فيه؛ لاستخراج معانيه الكليَّة، ويحاول البحث، لتحقيق الغرض المشار إليه، أن يَلِجَ إلى نصِّ الشاعر من ثلاث زوايا، نُقاربه فيها من حيث البناء اللغويّ، والبناء الأسلوبيّ، والبناء الفنِّيّ، في قصيدة أحسَبُها من أجملِ ما قِيلَ في شعر الرثاء.

إنَّ الناظر في شعر الشاعر (حسن مُصبِّح الحِلِّيّ)[1] يقفُ حائرًا أمام دقَّة الألفاظ،

(١) هو الشيخ حسن ابن الشيخ محسن بن حسين بن مصبِّح الحِلِّيّ، ولِد في الحِلَّة سنة ١٨٣١م، وتوفِّي سنة ١٨٩٩م، يعود نسبهُ إلى قبيلة آل يسار التي تقطن شمال الحِلَّة، كان فاضلًا أديبًا، شاعرًا من مشاهير شعراء عصره. ينظر ترجمته: الجزء الأوَّل من ديوانه، تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ، مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م: ١/ ١٣-١٦.

وروعة النَّسج، وجمال الأسلوب، فضلًا عن إيثار الشاعر التراكيب اليسيرة الفهم، البعيدة عن الرتابة والمَلل، المعبِّرة عن المعنى بأدقِّ صورة وأبهاها، فالشاعرُ امتلك ناصية اللغة، وحاز كفاءة الإبداع؛ فأمكنهُ ذلك من إيصال المعنى سلسًا منسابًا ينبو عن كلِّ غريب، وصفوة القول إنَّ شعره يقتحم القلب بيُسرٍ؛ لِيهزَّ العواطف هزًّا، ويجعل المتلقِّي يتعاطف مع الموقف بكلِّ انسيابيَّة.

أخيرًا، أرجو أن أكونَ بعملي هذا وتتمَّتُه في الدراسة الأخرى، التي ستُبصر النور قريبًا بإذن الله، قد أسهمتُ في الكشف عن جانب من جماليَّات الشعر عند الشاعر الفذِّ حسن مصبِّح الحِلِّيّ رحمه الله، التي لم تحظَ بدراسات معمَّقة إلى الآن، على الرغم من كونها تراثًا غنيًّا يستحقُّ أكثر من دراسة وتحليل.. والله الموفِّق.

Abstract

This is a research I called (Reading the text and the elements of artistic creativity in the poetry of Hassan Musabah Al-Hilli, his poem in lament for Muhammad Saleh Al-Falluji as an example) after my distinguished professor, Dr. Ali Al-Araji, offered me a study of the poetry of this exceptional poet, and he brought me his collection of two parts, edited by Professor Dr. Mudar Sulaiman Al-Hilli, So Allah rewarded him on my behalf and on behalf of the Arabic language with the best reward and fulfilled his death. I ask Allah to grant him continued success and well-being. He is close and responsive.

The research is based on a methodological idea, which is to interrogate the text, explore its internal structures, and identify the elements of creativity in it to extract its overall meanings. The research attempts to achieve the aforementioned purpose by accessing the poet's text from three angles in which we approach it in terms of linguistic structure, stylistic structure, and artistic structure in a poem that I consider to be from The

most beautiful thing said in lamentation poetry

The one who looks at the poetry of the poet (Hassan Musabah Al-Hilli) stands in bewilderment before the accuracy of the words, the splendor of the weave, and the beauty of the style, in addition to the poet's preference for simple compositions that are easy to understand over the intelligible, far from monotony and boredom, and that express the meaning in the most accurate and magnificent way.

The poet possessed the mastery of the language and possessed the competence of creativity, which enabled him to convey the meaning in a smooth, flowing manner that emanated from every stranger. The eloquence of the saying is that his poetry penetrates the heart easily to shake the emotions and make the recipient sympathize with the situation with complete ease.

Finally, I hope that by doing this and by continuing it in the other study - which will see the light soon, Allah willing - I have contributed to revealing an aspect of the aesthetics of poetry in the inimitable poet Hassan Musabeh Al-Hilli (may Allah have mercy on him), which has not received in-depth studies so far

despite it being a heritage. Rich deserves more than study and analysis.

Allah bless

القصيدةُ من البحر (الكامِل)[1]، وهي في رثاء الشيخ محمَّد صالح الفلُّوجيّ، وهو من أدباء الحِلَّة وفُضلائها وسَراتِها[2]

يَا دَهْرُ حَسْبُكَ كَمْ أَطَلْتَ نَعَائِي
وَأَذَلْتَ دَمْعًا فِلْذَةَ الأَحْشَاءِ

أَفْنَتْ صُرُوفُكَ مَنْ لِعَيْنَيْكَ اغْتَدَوا
نُورًا فَعُدْتَ بِمُقْلَةٍ عَمْيَاءِ

آلَيْتَ لَا تُبْقِي مِنَ القَوْمِ الأُلَى
سَكَنُوا رُبُوعَ المَجْدِ وَالعَلْيَاءِ

مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الفِخَارِ مُهَذَّبٍ
يَقِظِ الحَفِيظَةِ طَاهِرِ الحَوْبَاءِ

تَسْطُو بِعَضْبِ الغَدْرِ لَمْ تَعْبَأْ بِهِمْ
وَهُمُ جَمَالُكَ مِنْ بَنِي حَوَّاءِ

مَهْلًا فَقَدْ أَرْدَيْتَ مَنْ فِي مَجْدِهِ
فَاقَ الأَنَامَ بِعِفَّةٍ وَعَلَاءِ

المَاجِدَ الحَسَبِ الكَرِيمِ وَمَنْ بِهِ
فَخْرًا نُطَاوِلُ كَوْكَبَ الخَرْقَاءِ

رَبُّ القُدُورِ الرَّاسِيَاتِ أَعَدَّهَا
لِلنَّازِلِينَ قِرًى بِيَومِ سَخَاءِ

(١) ديوان الشاعر حسن مصبِّح الحِلِّيّ: ٢/ ١٦١-١٦٣ رقم القصيدة (١٧٤).

(٢) ينظر ترجمته في كتاب الروض الأزهر، نور الدين الواعظ: ١١٤-١١٥، وترجمته في ديوان الشاعر حسن مصبّح الحِلِّيّ: ٢/ ١٦١.

يَـا حَـامِـلِـيـهِ تَـرَفَّـقُـوا أَعَـلِـمْـتُـمُ
مَــنْ تَحْـمِـلُـونَ إِلَى ثَــرَى الـغَــبْرَاءِ
عَـجَـبًـا يَـسِـيرُ عَـلَى الأَكُـفِّ سَرِيـرُهُ
وَخِـيَـامُـهُ عُـقِـدَتْ عَـلَى (الجَــوْزَاءِ)
عَـجَـبًـا يَـضُـمُّ لَـهُ الـصَّـعِـيـدُ مَـآثِـرًا
وَهــوَ الخِـضَـمُّ نَـدًى بِـيَـومِ عَـطَـاءِ
يَـأْسًـا بَـنِـي الآمَــالِ قَـدْ ذَهَــبَ الَّـذِي
حَـسَـمَـتْ عَـطَـايَـاهُ يَـدَ الـبَـأْسَـاءِ
يَـأْسًـا عُـفَـاةَ الـنَّـاسِ مَـنْ تَـرْجُـونَ مِـنْ
هَــذَا الــوَرَى لِـلـشَّـتْـوَةِ الـغَــبْرَاءِ
جَـزَعًـا عَـلَـيْـهِ أَنْ تُـذِيـبِـي أَدْمُـعًـا
مِـنْـكِ الـفُـؤَادَ بِـحُـرْقَـةِ الأَرْزَاءِ
إِذْ قَـلَّ مِـنْـكِ أَنْ تَـصُـبِّـي دَمْـعَـةً
حَمْــرَاءَ فَــوْقَ الـوَجْـنَـةِ الـصَّـفْـرَاءِ
أَنْـتُـمْ مَـعَ الأَحْـيَـاءِ مَـوْتَـى فَـانْـفُـضُـوا
ثَــوْبَ الحَـيَـاةِ وَعَـجِّـلُـوا بِـفَـنَـاءِ
هَـيْـهَـاتَ فِـيـهِ حَـلَّـقَـتْ كَـفُّ الـرَّدَى
عَــنْ خُـطَّـةِ الـدُّنْـيَـا لِخَــيْـرِ فِـنَـاءِ
هُــوَ فِي الجُـسُـومِ يُـعَـدُّ فِي المَـوْتَـى
وَفِي الـذِّكْـرِ الجَـمِـيـلِ يُـعَـدُّ فِي الأَحْـيَـاءِ
أَ بَـنِـيـهِ مَـهْـلًا إِنَّ مَــنْ وَارَيْـتُـمُ
فِي الـلَّـحْـدِ أَقْــرَحَ مُـقْـلَـةَ الـعَـلْـيَـاءِ

وَأَذَابَ قَلْبَ المَجْدِ فِي أَحْشَائِهِ
حَتَّى اغْتَدَى صِفْرًا بِلَا سَوْدَاءِ
فَلَكُمْ بِهِ خَيْرُ العَزَاءِ بِمَاجِدٍ
شَيْخِ العَشِيرَةِ سَيِّدِ العُرَفَاءِ
(حَسَنُ) الفِعَالِ مُنَاطَةٌ أَقْوَالُهُ
بِالصِّدْقِ فَاقَ بِهِ عَلَى القُرَنَاءِ
يَا مَنْ بِهِ امْتَلَأَ الزَّمَانُ هِدَايَةً
وَنَأَى بِجَانِبِهِ عَلَى الفَحْشَاءِ
أَنْتَ المُؤَمَّلُ لِلأَنَامِ وَمُقْتَدًا
لِلْعَارِفِينَ بِحِدَّةِ الآرَاءِ
وَبِكَ اهْتَدَيْنَا لِلإِلَهِ عِبَادَةً
بَلْ فِيكَ تَفْخَرُ سَائِرُ الفُضَلَاءِ
وَإِلَيْكَ قَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ قِيَادَهُ
فَمَلَكْتَهُ فِي رَاحَةٍ بَيْضَاءِ
وَعَلَيْكَ أَغْصَانُ العُلُومِ تَهَدَّلَتْ
فَجَنَيْتَ دَانِي زَهْرِهَا وَالنَّائِي
فَلَكَمْ دَفَعْنَا فِيكَ كُلَّ مُلِمَّةٍ
شَنْعَاءَ قَدْ كَبُرَتْ عَلَى الرُّؤَسَاءِ
وَلَدَيْكَ قَدْ أَلْقَى العُفَاةُ رَجَاءَهَا
فَأَنَلْتَهَا غُرَرًا مِنَ الإِثْرَاءِ
خَفِّضْ عَلَيْكَ وَنَهْنِهِ الوَجْدَ الَّذِي
لَمْ يَرْمِ قَلْبَكَ وَحْدَهُ بِعَنَاءِ

لَـكِـنَّ مَـنْ فِي الـكَـوْنِ طُـرًّا أَصْبَـحُـوا
شَرْعًـا سَـوَاءَ بِـهِ عَـلَى الأَرْزَاءِ
عَـهْـدِي بِـصَـبْرِكَ كَـالجِـبَـالِ رَزَانَـةً
مَـا خَـفَّ رَاسِـخُـهُ لَـدَى الـلَّأْوَاءِ
صَـبْرًا أَقُـولُ وَأَنْـتَ ذَا مِـنْ أَهْـلِـهِ
وَبِـكَ اقْـتَـدَى طُـرًّا بَـنُـو حَـوَّاءِ
وَسَقَى ضَرِيحَ النَّدبِ صَوْبُ غَمَائِمِ الْـ
ـغُـفْـرَانِ بِـالـتَّـبْـجِـيـلِ وَالـنَّـعْـمَاءِ

التمهيد

قراءة النَّصِّ

لا بـدَّ لكلِّ تحليلٍ نصيٍّ من أن يُؤسَّـس على النصِّ نفسـه، فيكون النـصُّ وفقًا لهذا التحليل جديلـة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحويَّة، وهذه الجديلة المضفورة تؤلِّف سياقًا خاصًّا به، ينطبق في المرسلة اللغويَّة كلِّها[1].

وفاقًـا لهـذه الرؤية، نلجُ عالم النصِّ لتفسـير نظـام بنائه، وطريقـة تركيبه، وإدراك العلاقـات فيه، وبيـان الوجوه الممكنـة للنصِّ بالمعطيـات التعبيريَّة المبنيَّة على تواشـج المفـردات والبنـاء النحويّ الذي يعـدُّ ركيزة النصِّ الأساسـيَّة، اعتمادًا عـلى المادَّة التي يتكوَّن منها النصُّ الشعريّ نفسه[2].

والنصـوص الشـعريَّة الرثائيَّـة مـن النصـوص الأدبيَّـة الرفيعـة التـي تتَّسـم بسـمات أسـلوبيَّة وتعبيريَّـة مؤثِّـرة، يحـاول الشـاعر عِـبر البنيـات الجماليَّة التـي تمتاز بهـا والـدلالات الفكريَّـة العميقـة والبليغة التـي تحملها، إيصالهـا إلى المتلقِّـي محفوفةً بالصـدق، وزاخـرةً بالقيم الإنسـانيَّة النبيلة، فهـي تتَّصف بعمـقٍ أدبيٍّ وجماليّ، وتحمل في أطوائهـا طاقـات دلاليَّـة غنيَّـة بالإيحـاء، والإشـارة، والرمـز، لتُضفي عـلى النَّصِّ حركـة وحيويَّة، وتمنحه شـيئًا من سـمات الشـعريَّة، والشـاعر، كما هو معـروف، يأتي

(١) ينظـر: منهـج في التحليـل النصِّـيّ للقصيدة، د. محمَّد حماسـة عبـد اللطيف، حوليَّـة الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة، العدد الأوَّل: ٢١٣.

(٢) ينظر: منهج في التحليل النصِّيّ للقصيدة: ٢١٥.

بالبيـانِ والإفصـاح اللغـويّ، بوصفه خطوة في سـبيل الكشـف عن النفـسِ والكون معًا[1].

فاختيـار الألفاظ لـه أثرٌ مهمٌّ في تشـكيل المعنى النحويّ للجمـل، ويختلف الأداء النحويّ في الجملة، إذا استهلَّها الشاعر بفعل أو باسم أو بأداة؛ لأنَّ لكلٍّ منها خصوصيَّة تفـرِّق بينها وبـين غيرها، فإذا بدأ الشـاعر بجملة فعليَّة، دلَّت على اسـتمراريَّة وحيويَّة شـعريَّة، وإذا بـدأ بجملة اسـميَّة، دلَّت على ثبات واسـتقرارٍ، ونسـتطيع توظيف تلك البدايات في مدِّ جسور التواصل بين المبدع والمتلقِّي.

ويدلُّنا رصد الاسـتهلال في قصيدة الشـاعر أنَّه لم يحاول إخفاء لواعج الحزن الذي حلَّ فيه؛ لفقده الأحبَّة، ولهذا بدأ معاتبًا الدهر، معلنًا يأسه وحزنه، فنرى توظيفه لثلاثة أساليب في بيتٍ واحد، إذ جمعَ بين النداء والأمر والاستفهام، بقوله:

يـا دهُـر حسـبُـكَ كـم أطـلـتَ نعـائي
وأذلـــتَ دَمـعًـا فِـلـذَةُ الأحـشـاءِ

ولفظ (حسـبُك) هنا لفـظ الخبر، ومعناه معنـى الأمر، كما تقـول: اكتفِ بدرهم. فالجملـة الخبريَّـة التي اسـتعملها الشـاعر هنـا في مقام الإنشـاء على الوجـوب، وهي أقـوى وآكـد من دلالـة (افعـل)؛ لأنَّها تـدلُّ بصريح خطابهـا على وقـوع المطلوب في الخـارج في مقـام الحدث، فجـاءت بداعي الإنشـاء والطلب، فمعناها إخبـار وارد مع الطلب[2].

(١) ظ: الكلمـة دراسـة لغويَّـة ومعجميَّـة، حلمي خليـل، الطبعة الثانيـة، دار المعرفـة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، ١٩٩٨، ص٩.

(٢) ينظـر: تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللغة دراسـة تطبيقيَّة لأسـاليب التأثير والإقناع الحجاجـيّ في الخطاب النسـويّ في القرآن الكريم، د. محمود عكاشـة، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٣، ص١١٨.

وقد أكثرَ الشـاعر من الجمل الفعليَّة؛ لاخراج المتلقِّي ممَّا يشـغله، وادخالهِ في تجربة الشـاعر، فأوضحَ أنَّ الذي ضمَّهُ التُّراب قد ذهبَ إلى غير رجعة، قُطِعَت عطاياه وغيَّبهُ الموت. يقول:

يـأسًـا بـنـي الآمـــالِ قَــدْ ذهــبَ الَّــذي
حــسَــمَــتْ عــطَــايَــاهُ يــدَ الــبــأسَــاءِ

وأخذ يعدِّد سـجاياهُ وخِصَالهُ في النَّاس، ففي كلِّ مرَّة يعود مُذكِّرًا بأعمالِه ومآثرَه، فالذي أذهبتهُ (يد البأسـاء) بكتهُ العلـماء وأفاضل الناس، وتهدَّلت عليه أغصان العلوم (وعَليكَ أغصانُ العُلومِ تهدَّلت)، والذي يندبهُ تسقيهِ غمائم التبجيل والغفران بالنعماء، فحتَّى البكاء عليه هو نعمةُ الباكي كما يرى الشاعر.

وَسقَى ضريـحَ الـنَّـدبِ صـوْبُ غَـمَائِـمِ الـ
ـــغُــفْــرَانِ بــالــتَّــبــجــيــلِ والــنَّــعــمَاءِ

الخطاب في القصيدة إيصالي وإبداعي في آنٍ واحد، فالشاعر جمع بين خطاب العامَّة، وخطاب الخاصَّة[1]، باسـتعمال الصيغ والضمائـر الدالَّة عليها (أنتم مع الأحياء موتى)، هنا خطابٌ خاصٌّ، وخاطب أيضًا بصيغة الجمع أو بضمير الجمع (الذين سكنوا، وَهم جَمَالُكَ من بني حواء، نُطَاوِلُ كوكبَ الخرْقَاءِ، يَا حامليهِ ترفَّقوا، يأسًـا بني الآمالِ، يأسًا عُفَـاةَ النَّـاسِ، فانفِضُوا.. وَعَجِّلُوا بِفَنَـاءِ، أَبَنِيه مهلًا، فَلَكُم به خيرُ العـزَاءِ، فلَكَمْ دفعْنَا فِيكَ كلَّ مُلِمَّةٍ شَنعَاءَ، أصبَحُوا شرْعًا..).

فالشـاعر اعتمـد الخطـاب المباشر للمرثـي في الأبيـات الأخيرة وحسـب (وبِكَ اهتدَينَـا، فيـكَ تفخَرُ، وإلَيـكَ قدْ ألقَـى الزمان، وعَليكَ أغصـانُ العُلـومِ، ولَدَيكَ قدْ

(١) ينظر: الحمل على اللفظ والمعنى في القران الكريم في ضوء القياس على المشهور والنادر، د.محمود عكاشة، الطبعة الأولى، صادر عن الأكاديميَّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، ٢٠٠٩، ص١٥٣.

ألقَـى العفـاة، خفِّض علَيـكَ ونَهنِه الوجدَ، وأنـتَ ذَا مِن أهلـه، وبكَ اقتدَى طُـرًّا بَنُو حَوَّاءِ).

ونعلِّـل لهـذا التلويـن أنَّ الحديث عـن الغَير بصيغة الجمع يسـتأنس به الإنسـان، ولاسـيما إن كان هذا الشـخص غير موجود في الحيـاة، ليدلِّل إنَّه حـاضر معه، ويجري بعروقـه، وقريـب من جوارحـه، ومآثره خالدة لا تـزول، فيمنحه القرب، ويسـلِّيه في آنٍ واحـد، ويعطيه إيحـاء بالكثرة، وأنَّه موجود في كلِّ الأمكنة، فالكثرة تعطيه الشـعور بالدفء الاجتماعي، والاسـتئناس بالآخـر، وتؤكِّد احترامه وتقديره لمكانة الشـخص المرثيِّ.

واعتمدَ الالتفات من الغائب إلى المخاطب أيضًا، لاحظ قوله:

ربُّ الـقُـدورِ الـرَّاسـيـاتِ أعـدَّهـا
لِـلـنـازلـينَ قـرًى بـيـومِ سَـخـاءِ
يـأسًـا بـني الآمـال قَـدْ ذهـبَ الَّـذي
حـسـمَـت عـطـايـاهُ يـدَ الـبـأسـاء

وبـعـد عـدة أبـيـات قـال:

وبِـكَ اهـتـدَيـنَـا لـلآلـهِ عـبـادةً
بَـل فـيـكَ تـفـخَـرُ سـائـرُ الـفُـضـلَاءِ
وإلَـيـكَ قـدْ ألـقَـى الـزّمـانُ قـيـادَهُ
فَـمَـلـكـتَـهُ في راحـةٍ بـيـضـاءِ

وهـذا الالتفـات شـائع في خطـاب المـدح[1]، قـال تعـالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا

(١) تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللغة دراسة تطبيقيَّة لأساليب التأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم: ١١٢.

طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢١-٢٢]، لكنَّ الشاعر وظَّفه في خطاب الرثاء.

أمَّا ما يخصُّ الصورة، فالشاعر كان يلائم بين العبارة والمشهد الذي يريد تصويره، ممَّا يساعد ذلك على اكتمال الصورة عند المتلقِّي، فشعره يجمع بين التعبير للتعبير، والتعبير للتصوير، فأكثرَ من الجمع بين الماديَّات والمعنويات في صورة واحدة، يقول:

هُـوَ فِي الجُـسُـومِ يُـعَـدُّ فِي المَـوْتَـى
وَفِي الـذِّكْـرِ الجَـمِـيـلِ يُـعَـدُّ فِي الأَحْـيَـاءِ

الجسوم شيء (مادِّي)، والذِّكر الجميل شيء (معنوي)، فإذا كانت أداة الشاعر الكلمة النابعة من المجتمع الذي يستعملها، فما رأيتهُ في هذا النَّصِّ إبداعٍ شعريٍّ نابعٍ من إحساسٍ ذاتيٍّ عميق بقيمة المرثيّ، وهو الشيخ محمَّد صالح الفلُّوجيّ، ومكانته بين العوامِّ والخواصِّ في المجتمع.

فالشاعر سمح لتلك المشاعر التي يكنُّها للمرثيّ أن تدخل تجربته الشعريَّة وتغلغل عاطفته، فصهر نفسه وروحه لإخراج معدن المرثيِّ النفيس في قصيدته هذه.

المطلب الأوَّل

البناء اللُّغوي في قصيدة الشاعر حسن مُصبِّح الحِلِّيّ

نحاول في هذا المطلب بيان خصوصيَّة التشكيل اللغويّ عند الشاعر حسن مُصبِّح، كيف جعَل الألفاظ قوالبَ للمعاني؟ وكيف وظَّف التراكيب في لونٍ شعريّ يمتلك جمهورًا واسعًا من مختلف طبقات المجتمع أعني (شعر الرثاء)؟ وسنبيِّن ذلك في النقطتَين الآتيَتين:

أوَّلًا: اختيار الألفاظ على مستوى المفردة (أفعالًا وأسماءً)

تدلنا هذه القصيدة إكثاره من الأفعال بأنواعها الثلاثة (الماضية والمضارعة والأمر) فضلًا عن ورود الأفعال مبنية للمجهول في أكثر من موضع وذلك؛ لأنّها أشد وقعًا من الأفعال المبنية للمعلوم، نوضحها بالجدول الآتي:

الأفعال الماضية	الأفعال المضارعة	أفعال الأمر	الأفعال المبنية للمجهول
أطلتَ- أذلتَ- أفنَتْ- عُدت- سكنوا- فاقَ- حلَّقت	تسطو نطاولُ	ترفَّقوا	عُقِدَتْ
ألقى (٣ مواضع)	يضمُّ	انفضوا	يُعَدّ

أقرحَ- أذابَ-نأى- دفعنا	يسيرُ	عجّلوا	يُعَدّ
كَبُرَت- اقتدى- تهدلت- ذهبَ	تحملون	خفّض- نهنه	

جمعَ الشاعر بين تلك الأزمنة في نصٍّ واحدٍ؛ ليريُنا تأثير الفراق فيه، ولواعج الحُزن، إذ يشير الجمع بين هذه الأزمنة، وتأكيده بعض الأفعال بـ(قدْ) دون غيرها من المؤكِّدات، تعميق المُؤكَّد وما ارتبط به في نفس السامع، فأكَّدَ بهذا الجمع إيمانه وقناعته بأنَّ المرثيَّ قد مسكَ الزمان بيده، بحنكتهِ وقيادتهِ له، فملكَ الدُّنيا براحةٍ بيضاءَ تجلَّت بأعماله الخالدة، وأياديهِ الكريمة على العُفاة التي مدَّت إليهم غُررًا من الإثراء، ولهذا قال:

وإليكَ قد ألقى الزَّمان قيادَهُ
فملكتَهُ في راحةٍ بيضاء
ولديك قد ألقى العُفاةُ رجاءها
فأنلتها غُررًا من الإثراء

ووظَّف الشاعر أداة الربط (الفاء) في أكثر من موضع، كما في البيتَين السابقَين، وهذا البيت أيضًا:

أفنت صروفُك مَن لعينيكَ اغتدوا
نورًا فَعُدتَ بمُقلةٍ عمياء

فأفادت تعقيب الأحداث وترتيبها، وهي تدلُّ على تعلُّق الجملة الثانية بالجملة الأولى، وأنَّها بسبب منها، والمعنى في البيت أنَّ حوادث الدهر لم تُبقِ من الأحبَّة، على

الرغم من أنَّهم نور هذا الزمان، وبقي من دونهم أعمى يُصارع الحياة بعد فنائهِم.

وقد وظَّف الشاعر صيغ المشتقَّات في النصِّ بكثرة لافتة للنظر، وكان يؤثِر صيغًا على أخرى، وأحيانًا يجمع بين صيغَتَين في بيتٍ واحد، يقول:

مِن كلِّ مُشتَمِلِ الفَخارِ مُهَذَّبٍ
يَقِظِ الحفيظَةِ طاهِرَ الحَوباءِ

فجمع بين اسم الفاعل (طاهِر) والصفتَين المشبَّهتَين (مهذَّب)، و(يقِظ)، لتأكيد صفات المرثيِّ، وهي طهارة النَّفس، ودماثة الخلق، وحفظ العهد، والحذَر في كلِّ الأمور.

وورَدَ هذا الجمع أيضًا في بيت آخر:

فَلَكُم بِهِ خيرُ العزَاءِ بِماجِدٍ
شيخِ العشيرةِ سَيِّدِ العُرفَاءِ

فجمعَ بين اسم التفضيل (خير) واسم الفاعل (ماجد) والصفة المشبهة (سيِّد)، والغرض نفسه تعداد سجايا المرثي وتأكيدها في نفس السامع، فهذه السجايا سمات ثابتة فيه، فهو شيخ عشيرته، وسيِّد قومه في السرَّاء والضرَّاء، وملجأ وملاذ في كلِّ حالٍ، ولهذا يستحقُّ أفضل العزاء.

واسم التفضيل (خير) وردَ في بيت آخر ذَكَر فيه الشاعر أنَّ المرثيَّ ذهب عن الدُّنيا لخير فناء؛ لأنَّ ذِكره خالد، وأنَّه ذهب بجسده، لكنَّه حاضر بذِكره العطر وسيرته الحسنة.

هيهاتَ فِيهِ حَلَّقَتْ كفُّ الرَّدى
عَن خُطَّةِ الدُّنيَا لِخَيرِ فَنَاءِ

ووظَّف لتلك السيرة الصفة المشبَّهة (حَسن) الواردة بقوله:

حسنُ الفِعَالِ مُناطةٌ أقوَالُهُ
بالصِّدقِ فاقَ بهِ على القُرنَاءِ

فالمرثيُّ أفعالهُ تطابق أقواله، مرتبطة بالصدق، ومتَّصلة به، لا تفارقه أبدًا، ولهذا فاق به الأقران.

وجمع آخر للمشتقَّات يتجلَّى بقوله:

أنتَ المُؤمَّلُ للأنَامِ مُقتَدًا
للعارِفينَ بِحدَّةِ الآرَاءِ

هنا الخطاب المباشر الأوَّل للمرثيِّ في النّصِ، وفيه جمع الشاعر بين اسمَي المفعول (مؤمَّل ومُقتدى)، واسم الفاعل الوارد بالجمع (العارفين)؛ للدلالة على أنَّه شخص واحد، عُلِّقت عليه الآمال، واقتدى بآرائهِ العارفون؛ نظرًا لأهميَّتها وسدادها، فهو مرتجى الأنام وقدوتهم.

ووظَّف الشاعر صيغة المبالغة أيضًا بقوله:

عجَبًا يضُمُّ لهُ الصَعيدُ مآثِرًا
وهو الخِضَمُّ ندًى بِيومِ عطَاءِ

والبيت متعلِّق بقوله:

ربُّ القُدورِ الرَّاسياتِ أعدَّها
لِلنازلينَ قِرًى بيومِ سَخاءِ

فنلحظ التوظيف بالمزج بين اسم الفاعل (النازلين)، وقوله (الخِضَمُّ)، وهي صيغة مبالغة، وكلاهما يجمع معنًى واحدًا، وهو كرم المرثيّ، فهو مالك القدور الراسية الثابتة

المُعدَّة سلفًا للنازلين بقِراه، وهو المثل الأعلى في إكرام الضيف، وهو الرجل الشريف المعطاء، والسيِّد الضَّخْم بيوم العطاء[1].

وهكذا نرى كيف أسهم اختيار الصيغ المشتقَّة في مرونة اللغة، وإثراء النصِّ بدلالات تؤكِّد مكانة المرثيّ، ودماثة خلقه، ورفيع أدبه.

ومن جملة ما أكَّد الشاعر تأكيده الجمل الشعريَّة باسم المصدر (مهلًا)، (عجبًا)، (يأسًا)، (جزعًا)، (صبرًا)، في الأبيات:

عجَبًا يسيرُ على الأكُفِّ سريرُهُ
وخِيامُهُ عُقِدَتْ على (الجوزاءِ)
عجَبًا يضُمُّ لهُ الصَعيدُ مآثِرًا
وهو الخِضَمُّ ندًى بِيومِ عطَاءِ
يأسًا بني الآمالِ قَدْ ذهبَ الَّذي
حسَمَتْ عطَايَاهُ يدَ البأسَاءِ
يأسًا عُفَاةَ النّاسِ مَنْ ترجون
مِنْ هذا الوَرى لِلشَّتوةِ الغَبْرَاءِ
جَزعًا عَلَيهِ أن تُذِيبي أدْمُعًا
مِنكِ الفُؤَادَ بِحُرقةِ الأرْزَاءِ

فكان بارعًا في استعمال الأمر بصيغة اسم المصدر؛ لغرض التأكيد والاختصار والإغراء بالفعل، وذلك أنَّ الأمر بالاسم أدوم وأثبت من الأمر

(١) الخِضَمُّ نعتٌ للرجل الشريف المعطاء، أي: السيِّد الضَّخْم، وجمعهُ: الخِضَمُّونَ. ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال (د.ت): ٤/ ١٧٩.

بالفعل[1]، فما جاءت تلك الصيغ إلَّا لتحقِّق أداءً لغويًّا بارعًا، فضلًا عن أنَّها أعطت المعنى جمالًا ورونقًا بديعًا.

فهذا التنوُّع في تأكيد الجملة الشعريَّة أعطاه مساحة عريضة من القدرة على التعبير، ممَّا أوجد جمالًا في نصِّه، يحرِّك الأفكار ويُغلغل المشاعر، فحقَّق التواصل بينه وبين المتلقِّي، وهيَّأهُ لتجربة شعريَّة صادقة، يطمح صاحبها إلى تأكيدها بشتَّى صور التأكيد وأساليبه.

ثانيًا: الاختيار على مستوى التركيب

آثرَ الشاعر التراكيب البسيطة في نصّه فكان شعرُه يقتحم القلب بيُسرٍ لِيهزّ العواطف هزًا ويجعل من المتلقي يتعاطف مع الموقف بكلِّ انسيابيَّة، نذكر على سبيل العَرض قوله:

(حسن الفِعَال[2] مناطةٌ أقوالهُ بالصِّدق)

(عليكَ أغصانُ العُلومِ تهدَّلت)

(صبرًا أقولُ وأنتَ ذا من أهلهِ)

(أنتَ المُؤملُ للأنامِ)

وقد استعمل الشاعر أيضًا الجملة الفعلية المنفية بـ(لا)، و(لم) في قوله:

آلـيـتَ لا تُـبـقِـي مـن الـقـومِ الأُلى
سـكـنـوا ربـوعَ المـجـدِ والـعـلـيـاءِ

(١) ينظر: تحليل الخطاب، محمود عكاشة: ١١٢.

(٢) ذكر المحقِّق في: ٢/ ١٦٣ من الديوان، أنَّ إشارة الشاعر في البيت إلى (حسن) ولد المرثي الفقيد محمَّد صالح الفلُّوجي، لكن السياق يدلي بغير ذلك، فالكلام هنا في سياق تعداد مآثر المرثيِّ، وليس فيه أي إشارة إلى ولدهِ.

تسطو بعضبِ الغدرِ لم تعبَأ بِهم
وَهُم جَمالُكَ مِن بنِي حوَّاءِ

والمعنى أنَّه لم يدخر جُهدًا ولم يتوانَ في أخذِهم، وإنَّما ذهب بهم، فلم يشفع لهم جمالهم الجسديّ ولا جمال أخلاقهم ومثلُهم العليا، فكانت سطوتُه كالسيف القاطع، أرداهم في الحال، وكان مكانهم ربوع المجد والعلياء.

وأوردَ الجمل الاستفهاميَّة أيضًا في أكثر من موضع:

كم أطَلتَ نَعائِي وأذلتَ دَمعًا فِلذَةُ الأحشاءِ؟

أعلَمْتُم مَن تحمِلُون إلى ثرَى الغَبراءِ؟

مَنْ ترجون مِنْ هذا الوَرى لِلشَّتوةِ الغَبْرَاءِ؟

فالاستفهام الأوَّل عبَّر عن لواعج الحزن لفقد الأحبَّة، وإذلال الدمع النابع من الأحشاء، والاستفهام الثاني بيَّن مكانة المحمول إلى ثرى الغبراء، والثالث جاء في سياق الكرم، فالمرثيّ يفتقده الناس أيَّام القحط والجدب، فأسهم ذلك التوظيف بتنوُّع الجمل في وصول المعاني إلى المتلقي حافلة بجمال فنِّيّ ولغويّ، حقَّق المتعة الذهنيَّة، واستطاع أن يهزَّ المشاعر ببيانٍ شعريٍّ رفيع.

المطلب الثاني

البناء الأسلوبيّ في القصيدة

يحتلُّ الأسلوب مكانةً كبيرةً في الدراسات الأدبيَّة واللغويَّة والنقديَّة؛ لأنَّه أهم المقولات التي توحِّد بين علمَي اللغة والأدب، وإنَّ دراسته يجب أن تتمَّ في المنطقة المشتركة بينهما[1].

ولهذا تعدَّدت تعريفات الأسلوب ومناهجه في معاملة النصوص تبعًا لتعدُّد الأطر التي يدور حولها، فهو في أيسر تعريفاته طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وتحديد وجهة النظر التي ينطلق منها، وأوَّل ما يدور في خَلَده هو المتلقِّي وردَّة فعله عن مضمون الرسالة، فمن البدهيّ حضور المتلقِّي في عمليَّة الإبداع، إذ تؤكِّد التجارب الفعليَّة أنَّ المنشئ وهو يحاول تلوين أسلوبه بحسب طبيعة الخطاب وأساسيَّات اللغة، يرجع أيضًا بإحساسه إلى الإحساس المفترض وجوده عند المتلقِّي[2]، ولهذا يراعي كلَّ الأذواق والثقافات، ولا يعتمد التنميط اللغويّ المجرَّد، وإنَّما يحاول إقامة منهج تكامليّ يدرس أسلوب النصِّ بظواهره المميَّزة، وعمليَّات الإنتاج والتلقِّي معًا.

(١) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الطبعة الثانية، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٨٥م، ص٧٣.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبيَّة، محمَّد عبد المطَّلب، الطبعة الأولى، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٦٩.

ولا شكَّ في أنَّ الكشف عن البناء الأسلوبيّ لأيِّ نصٍّ يشير إلى مقدار التأثير الذي حقَّقه الشاعر، ومقدار التأثُّر عند المتلقِّي، إذ إنَّ النقد الأسلوبيّ الحديث هو نقدٌ علميٌّ- وصفيٌّ- تعليليّ[1].

فالأسلوب أداة اللغة في الدخول إلى عالم النصِّ[2]، وقد شاع في الدراسات الأسلوبيَّة أنَّ الأسلوب اختيار، فالمُنشئ يختار من إمكانيَّات اللغة، ما يستطيع وما يرى أنَّه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه، وما يمكن أن يكون قادرًا على خلق استجابة معيَّنة عند المتلقِّي، وأنَّ عمليَّة الاختيار في الأسلوبيَّة يمكن أن تؤدَّى بطرائق متعدِّدة، وهذا أمر ممكن؛ لأنَّه يعتمد في الأساس على ثروة المنشئ اللغويَّة، وقدرته على الانتقاء من النظام اللغويّ الذي يقدِّم له امكانيَّات واحتمالات متعدِّدة، يستطيع الاختيار من بينها، إذ إنَّ هناك احتمالات لتأدية الخبر الواحد بصور متعدِّدة، فالإنسان العادي يُعبِّر عمَّا يريد بأساليب مختلفة، فكيف يكون الحال عند المبدع؟![3].

فتُعدُّ عمليَّة الاختيار، في ضوء ما تقدَّم، عمليَّة واعية ومقصودة، وقضيَّتها تتمثَّل في الغاية المتوَّخاة والقصديَّة المنويّ الوصول إليها؛ لأنَّ عمليَّة الاختيار لا تعني فقط اختيار الكلمات أو المفردات من المعجم، بقدر ما تتَّصل أيضًا بعمليَّة التركيب وتشكيل النسق والسياق[4].

(١) ينظر: الأسلوبيَّة والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبدالسلام المسدي، الطبعة الأولى، الدار العربيَّة للكتاب، تونس الخضراء، ١٩٧٧م، ص٤٩.

(٢) الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب، د. منذر عيَّاشي، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاريّ، ٢٠٠٢، ص٨٥.

(٣) ينظر: الأسلوبيَّة مفاهيمها وتجلِّياتها، د. موسى سامح ربابعة، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر، ٢٠٠٣، ص٢٦.

(٤) ينظر: المرجع نفسه: ٢٧.

بناء على ما تقدَّم، نركِّز في بيان خصائص البناء الأسلوبيّ في القصيدة على النقطتَين الآتيتَين:

١. الأسلوب الخبريّ في القصيدة:

اعتمد الشاعر أسلوب الخبر في مواضع كثيرة؛ للتعبير عن معانٍ متنوِّعة تقع تحت الغرض الأساس للنصِّ، وهو تعداد مآثر المرثيّ، وقد أوضحت بعضًا من تلك المعاني في المطلب الأوَّل، نحو قوله:

ربُّ القُدورِ الرَّاسياتِ أعدَّها
لِلنازلينَ قِرًى بيومِ سَخاءِ

وقوله:

أنتَ المُؤمَّلُ للأنامِ مُقتَدًا
للعارِفينَ بِحدَّةِ الآرَاءِ

وقوله:

هُو في الجُسُومِ يُعَدُّ في المَوتَى
وفِي الذِّكرِ الجَمِيلِ يُعَدُّ في الأحيَاءِ

وقوله:

فَلَكُم بهِ خيرُ العزَاءِ بِمَاجدٍ
شيخِ العشيرةِ سَيِّدِ العُرفَاءِ
وإلَيكَ قدْ ألقَى الزّمانُ قيادَهُ
فَمَلكتَهُ في راحةٍ بيضاءِ

فالمرثـيّ ملَـك زمام الكون بيده، وأفاضـه عطاءً، وخرج منه نقَّـي السريرة، طاهر النفس، جليل السيرة، طيِّب الذِّكر.

٢. الأسلوب الإنشائيّ:

تعطي صور الإنشاء (الأمر، النهي، التمنِّي، الاستفهام، النداء، الشرط، القسم..)، حيويَّـة النصِّ، فضلًا عن أنَّها تُسـهم إسـهامًا فاعـلًا في جذب انتبـاه المتلقِّي، وتحريك مشاعره صوب النَّصِّ.

ومن تلك الصور في القصيدة (النداء، والاستفهام، والأمر)، انظر قوله:

يـا دهـرُ حسبُكَ كم أطَلـتَ نَعـائِي
وأذلـتَ دَمـعًـا فِـلـذَةُ الأحـشـاءِ

فالشـاعر بـدأ بأسـلوب النـداء وجمـع بينـه وبـين الاسـتفهام وكانـت غايتـه تحريـك المشـاعر والدخول إلى تجربـة الشـاعر، وهي تجربة تتَّسـم بالصـدق، وحرارة المشاعر.

ونلحظ هنا أسلوب النداء والأمر والاستفهام أيضًا:

يَـا حـامـلـيـهِ تـرفَّـقـوا أعـلَـمْـتُـم مَـن
تحـمِـلُـون إلى ثـرَى الـغَـبراءِ

وهـو أمـرٌ بحمل النعش برفـق وتؤد تكريمًا لهذا الشـخص؛ لمكانتـه وشرفه الذي طاوَل الكواكب، ومنها (الخرقاء)

مـهـلًا فـقَـد أردَيـتَ مَـن في مجـدِهِ
فـخـرًا نُـطَـاوِلُ كـوكـبَ الخـرْقَـاءِ

والبيت متعلِّق بقوله:

عـجـبًـا يـسـيرُ عـلى الأكـف سريـرهُ
وخـيـامُـه عُـقـدت عـلى الجـوزاءِ

وفي هذين البيتَين يتجلَّى تناص العلوم بأبهى صورة.

ووردَ الاستفهام أيضًا في قوله:

كـم دفـعـنـا فـيـك كـلَّ مُـلـمَّـة شـنـعـاء
قـد كَـبُـرت عـلى الـرؤوسـاءِ

أراد الشاعر إيصال معنى مفادهُ أنَّ المرثيّ مرجوٌّ للشدائد والملمَّات الصعبة، التي تصغُر في عينهِ، وتعظُم في عيون الرؤوساء، والمعنى في هذا البيت متعلِّق ببيت آخر، انظر قوله:

عـهـدِي بِـصَـبرِكَ كـالجِـبَـالِ رزانـةً
مـا خـفَّ راسِـخُـهُ لَـدى الـلَّأوَاءِ

وهنا وظَّف الشاعر فنَّ التشبيه لايصال المعنى، فالصَّبر شيء (معنويّ)، والجبال شيء (مادِّي)، فصبرهُ صبر الجبال برزانتها وثبوتها، لا يخفُّ ذلك الثبات عند أصعب الأحوال وأشقاها.

وجمع الشاعر بين أسلوبَي الأمر والنَّهي أيضًا بقوله:

خـفِّـض عـلَـيـكَ ونَهْـنِـهِ الـوجـدَ الَّـذي
لمْ يَـرمِ قـلـبَـكَ وحـدَهُ بِـعَـنَـاءِ

هنا أمر بتهوينِ وقع المصاب على النفس (خفِّض)[1]، بمعنى هوِّن عليك،

(١) خَفِّضْ عليك الأمر، أي هَوِّنْ. الصحّاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن=

و(نهنـه)[1] كُف عن شـدة الحـزن؛ لأنَّه لم يصبك وحـدك، بل أعيا قلبـك وقلوبًا كثيرة تشاطرك هذا الحزن.

وأكَّد هذا المعنى بقوله:

لـكـنّ مَــنْ في الـكـونِ طُــرًّا أصبَـحُـوا
شــرْعًـا سَــوَاءَ بــهِ عـلى الأرزاءِ

والمعنى أنَّ الكون بأجمعه حزين لهذا الـمُصاب.

=حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م: ٣/ ١٠٧٥.

(١) قـال ابن فـارس: «(نَهَ) النُّونُ وَالهَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. يُقَالُ: نَـهْنَهَ فَلانٌ فُلانًا: كَفَّهُ وَزَجَرَهُ». معجم مقاييـس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسـين (ت٣٩٥هـ)، المحقِّق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م: ٥/ ٣٥٣.

المطلب الثالث

البناء الفنِّي في النصِّ

تبدأ بلاغة النَّصِّ مع توافر القصد، أي العلَّة الباعثة على استعمال اللفظ، وبذلك تصبحُ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويتَّسع مفهومها لتنسحب الصفة على كلِّ قولٍ مطابقٍ لمقتضى الحال، ولتشترك كلُّ الأقوال التي يتوفَّر فيها هذا الشرط في دلالتها على الخصوصيَّة، فتعود العلوم البلاغيَّة، على تنوُّعها، إلى أصلٍ واحد يشدُّها ويصل بينها، هو الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذِكره[1].

لعلَّ الغاية من توظيف المعنى المجازيّ هو التأثير، وإعمال الذهن، والتخيُّل، والتصوير، وله إثارة وقوَّة في تجسيد المعنى وتبيُّنه.

فالصور التي كانت تُقدَّم لايضاح النصِّ أضحت سيِّدة المقام، وبات النصُّ هو الذي يوضِّحها ويرفع اللبس عنها، وهذا يجعلنا نصرف النظر إلى البحث عمَّا تسديه الرسالة اللغويَّة إلى الصورة[2].

(١) مقالات في تحليل الخطاب، بسمه بلحاج رحومة الشكيلي. كورنيليا فون. رادصكوحي نور الهدى باديس بسمة عروس هشام القلفاط، تقديم: حمَّادي صمود، كليَّة الآداب والفنون والإنسانيَّات، جامعة منوبة، تونس، المطبعة الرسميَّة للجمهوريَّة التونسيَّة، ٢٠٠٨، ص٨.

(٢) تحليل الخطاب، د. حاتم عبيد، الطبعة الأولى، دار ورد الأردنيَّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص٢٠٤.

نركِّـز في هذا المطلب على الصـور البيانيَّة والتكوينات البديعيَّـة في النَّصّ، وبما هو آتٍ:

من صور المجاز في النَّصِّ قول الشاعر:

جَـزعًـا عَـلَـيـهِ أن تُـذِيـبـي أدْمُـعًـا
مِـنـكِ الـفُـؤَادَ بِـحُـرقـةِ الأرْزَاءِ
إذ قـلَّ مِـنـكِ أن تُـصـبِّـي دَمـعَـةً
حمـرَاء فـوقَ الـوجـنَـةِ الـصّـفـرَاءِ

نلحـظ تعلُّق البيتَـين أحدهما بالآخر، وفيهما واسـى الشـاعر العيـون الباكية على المرثـيّ، ووظف أسـلوب الكنايـة، وأعطانا صـورة لونيَّة جميلة مرجعهـا (بايولوجي) طبيعة الشـخص، بقوله: (دمعـةً حمراء فوق الوجنة الصفراء)، وهـو كناية عن التعب، فـكأنَّ تلك العيـون أضناها البكاء حتَّى أصبحت حمراء، وانسـحب ذلك الإعياء للون الوجه حتَّى غدا شاحبًا مصفرًّا من شدَّة هول المصاب، وهنا تتجلَّى أيضًا عاطفة الشاعر قبالة العيون الباكية على المرثيّ، فكأنَّه اسـتردَّ قواه، وبدَأ يتقبَّل حقيقة الفراق الـمُرِّ، وأنَّ هذا الفراق هو فراق جسديّ وحسب؛ لأنَّ المرثيَّ حاضرٌ بمآثره الخالدة.

الصورة الأخرى نجدها بقوله:

هـيـهـاتَ فِـيـهِ حَـلَّـقَـتْ كـفُّ الـرَّدى
عَـن خُـطَّـةِ الـدُّنـيَـا لِخَـيـرِ فَـنَـاءِ

البناء الاسـتعاريّ بقوله: (هيهاتَ فِيهِ حّلَّقَتْ كفُّ الرَّدى)، اسـتغلَّ الشـاعر فعل التحليق بدلالته على العلوِّ لرسـم صورة شـاخصة واضحة المعالم، ظاهرة السمات، بأن جعلَ الموت إنسـانًا، واسـتعار له كفًّا ليرفع فيه الأشـياء؛ ولكنَّه كفٌّ يحلِّق بالأشياء إلى غير رجعة، وناسـبَ بين فعل التحليق واسـم الفعل (هيهات) الـدال على البُعد، فكان

وروده إيجازًا وتأكيدًا لفعل التحليق، فاللمسةُ البيانيَّة رائعة في هذا البناء، والجمع بين المادِّيّ (التحليق)، والمعنوي (كفّ الردى) يشير إلى أنَّ الاختيار كان بقصديَّة واعية، فهذا التحليق فيه انتقال (مادِّيّ) من مكان إلى مكان، وانتقال (معنويّ) إلى مكانٍ أفضل من المكان الأوَّل، ولهذا قال (خير فناء).

وصورة أخرى تتجلَّى بقوله:

أَ بـنِـيـهِ مـهـلًا إنَّ مَـنْ وارَيـتـمُ
فِي الـلِّـحـدِ أقـرَحَ مُـقـلَـةَ الـعَـلـيَـاءِ
وأذابَ قَـلـبَ المـجـدِ في أحـشَـائِـهِ
حَـتَّـى اغْـتَـدى صِـفْـرًا بـلا سَـوْداءِ

هنا البناء استعاري بقوله: (أقرَحَ مُقلَةَ العَليَاء)، و(وأذابَ قَلبَ المجدِ)؛ فالصورة مركَّبة، استعار المُقلة للعلياء، ثمَّ استعار الفعل (أقرحَ)[1] للمُقلة، والمعنى أنَّ ألم الفراق جاوز الأهل والأصحاب إلى مكانٍ أسمى وأرفع، وهو العلياء، فكأنَّ العلياء أنثى أعياها وجرحها الفراق جرحًا أبلغ من جروح هؤلاء، والحال نفسه مع المجد (وأذابَ قَلبَ المجدِ)، فالمجد إنسان قلبه ذائب، وأصبح صفرًا بلا سوداء (حبَّة القلب)، فكأنَّه بتأثير الفراق أُقلِع من مكانه، ولم يبقَ منه أي شيء.

فندرك الاختيار الجميل والتوظيف الأجمل للشاعر، فلم يقل: ألهبَ قلب المجد؛ لأنَّ اللهب ربَّما يُتحرَّر منه، فانتقى (أذابَ)، فكانت الصورة متناسقة لفظًا ومعنًى، ولمسة بيانيَّة عجيبة تنمُّ عن فطنة الشاعر في توظيف الألفاظ، وجعلها قوالبًا للمعاني.

(١) قال ابن فارس: «الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَاءُ ثَلاثَةُ أُصُولٍ صَحِيحَةٍ: أَحَدُهَا يَدُلُّ عَلَى أَلَمٍ بِجِرَاحٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَهَا». معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٨٢.

ومن الصور الأخرى قوله: (في راحة بيضاء)

وإلَـيـكَ قـدْ ألـقَـى الـزَّمـانُ قـيـادَهُ
فَـمَـلـكـتَـهُ في راحـةٍ بـيـضـاءِ

وهي كناية عن نقاء السريرة والعطاء في آنٍ واحد، وقد مرَّ تحليل البيت.

وقوله:

وعَـلـيـكَ أغـصـانُ الـعُـلـومِ تهـدَّلـت
فَـجَـنَـيـتَ دانِي زهـرِهَـا والـنَّـائِـي

الاستعارة بقوله: (وعَليكَ أغصانُ العُلومِ تَهدَّلت)، فاستعار للعلوم، وهي شيء معنويّ، أغصان، وهي شيء مادِّيّ، والمعنى أنَّ فروع العلوم لفقدكَ تراخت شيئًا فشيئًا، من هدلتُ الشَّيءَ أهدلهُ هدلًا، إذا أرخيته وأرسلته إلى أسفل[1]، والنتيجة أنَّك حصدتَ قريبها وبعيدها، فالدلالة معكوسة أضحت نتيجة التراخي هنا إيجابيَّة، وكان من المفترض أن تكون سلبيَّة، فاعتمد الشاعر المتقابلات اللفظيَّة (الداني والنائي)؛ ليرسم صورًا فنيَّة متناسقة بفعل المقابلات الدقيقة بينها.

فالتكوينات البديعيَّة بصورها المعروفة تُعطي إثارة فكريَّة وشعوريَّة تحقِّق نوعًا من المتعة الفنيَّة عند المتلقِّي، فإيراد اللفظ ونقيضه في موضع واحد يبرز جمال كلٍّ منهما في بنية النصِّ، والشاعر أفاد من تلك التكوينات، ووظفها، كما رأينا، في البيت أعلاه، وأبيات أخرى، مثل قوله:

أنـتُـم مـع الأحـيـاءِ مـوتَـى فـانـفِـضُـوا
ثَـوبَ الحـيـاةِ وَعَـجِّـلُـوا بِـفَـنَـاءِ

(١) الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٥/ ١٨٤٨.

فنـرى التقابل بين (الأحياء- الموتـى)، (الحياة- الفناء)، فهـذه الثنائيَّات المتضادَّة تُسهم إسهامًا فاعلًا في ترابط النَّصِّ وانسجامه.

الخاتمة

١. طَغـتْ المكوِّنات الحاضرة الشـاغلة للحيِّز في النصِّ قبالـة المكوِّنات الصامتة الغائبة، يُبيِّن هذا استدلال الشاعر بالواقع في تعداد صفات المرثي.

٢. مدلولات الصورة في هذا النصِّ مرجعها بايولوجيَّة الشـخص (دمعة حمراء) على (وجنة صفراء)، يعني اعتمد الطبيعة الحيَّة المتمثِّلة بالإنسان.

٣. الأثـر النفـسيّ والاجتماعـيّ كان واضحًـا في مواضـع كثـيرة، منهـا: مخاطبة الشـاعر لبنيهِ مرَّة، وحاملي نعشهِ مرَّة أخرى، وأمرهم أن يحملوه برفقٍ؛ إكرامًا له.

٤. عمليَّـة اختيار الألفاظ والتراكيب عند الشـاعر كانـت واعية ومقصودة؛ لأنَّ الشـاعر وظَّف إمكانيَّات اللغة بناءً وأسلوبًا وفنًّا، وسعى إلى إيصال المعنى إلى ذهن المتلقِّي واضحًا، ينبو عن كلِّ غريبٍ وغير مقبول.

في ختام هذا البحث أقول:

إذا كان الرَّسـام يحتاج الريشة والماء والألوان، فالشاعر حسن مصبِّح ريشته اللغة، وماؤه الأسلوب، وألوانه الفن.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- الأسلوبيَّة والأسلوب نحو بديل ألسنيّ في نقد الأدب، عبدالسلام المسدّي، الطبعة الأولى، الدار العربيَّة للكتاب، تونس الخضراء، ١٩٧٧م.
- الأسلوبيَّة مفاهيمها وتجلِّياتها، د. موسى سامح ربابعة، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر، ٢٠٠٣.
- الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب، د. منذر عيَّاشي، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاريّ، ٢٠٠٢.
- البلاغة والأسلوبيَّة، محمَّد عبد المطَّلب، الطبعة الأولى، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٨٤م.
- تحليل الخطاب، د. حاتم عبيد، الطبعة الأولى، دار ورد الأردنيَّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- تحليل الخطاب في ضوء نظريَّة أحداث اللغة دراسة تطبيقيَّة لأساليب التأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النسويّ في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٣.

- الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم في ضوء القياس على المشهور والنادر، د. محمود عكاشة، الطبعة الأولى، صادر عن الأكاديميَّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، ٢٠٠٩.
- ديوان الشاعر حسن مصبِّح الحِلِّيّ (المتوفَّى ١٣١٧هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ، مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (المتوفَّى ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الطبعة الثانية، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٨٥م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- الكلمة دراسة لغويَّة ومعجميَّة، حلمي خليل، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، ١٩٩٨.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسين (المتوفَّى ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- مقـالات في تحليل الخطاب، بسـمه بلحـاج رحومة الشـكيلي. كورنيليا فون. رادصكوحي نور الهدى باديس بسـمة عروس هشام القلفاط، تقديم: حمَّادي صمـود، كليَّة الآداب والفنون والإنسـانيَّات، جامعة منوبـة، تونس، المطبعة الرسميَّة للجمهوريَّة التونسيَّة، ٢٠٠٨.
- منهـج في التحليل النـصِّيّ للقصيـدة، د. محمَّد حماسـة عبد اللطيـف، حوليَّة الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة، العدد الأوَّل.

أنماط الخبر ومقاصده الدلاليَّة في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ

د. أمين عبيد جيجان
جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Predicate Patterns and their Semantic Purposes in Sayyid Haider Al-Hilli's Stanzas

Prof. Dr. Amin Obaid Jijan
University of Babylon/College of Education for Human Sciences

ملخَّص البحث

تنـاول هذا البحث دلالات الخبر في موشَّـحات السـيِّد حيدر الحِـلِّيّ، فورد الخبر بحالاتـه المختلفة في الكلام العربيّ التي قعَّدها النحويُّون بعد ذلك، وحصروها إحصاءً وتقسـيمًا، فجاء الخبر مفردًا، وهذا الأصل فيه، وورد بنوعيه الخبر المفرد المعرفة، والخبر المفـرد النكرة، بحسـب تنوُّع مقاصد الشـاعر التي توخَّاها لما أراده مـن التفنُّن في جمال القصيدة وإثراء محتواها، وكذلك ورد الخبر جملة اسميَّة في موارد اقتضاها المقام والمقال، وجـاء الخبر جملة فعليَّـة لدلالات أرادها الشـاعر، لا تؤدِّيها إلَّا الجملـة الفعليَّة، وورد الخبر في هذه الموشَّحة شبه جملة، فجاء مرَّة ظرفًا، وجاء أخرى جارًّا ومجرورًا، وتنوَّعت اسـتعمالات الشـاعر للخبر بحسـب ما أتاحته إمكانيَّـات اللغة، فقدَّم الخـبر وجوبًا في أبيـات، وقدَّمه بحالات الجـواز في أبيات أخرى، وحذف الخبر في مـوارد كان الحذف فيها أبلغ في الدلالة وأوقع في المعنى، كما هو معروف من بلاغة الحذف في اللغة العربيَّة، حين ينساق المعنى إلى ذهن السامع من دون إشكال أو لَبس.

الكلـمات المفتاحيَّة: الخـبر، الجملة الفعليَّة، الجملة الاسـميَّة، الموشَّـحات، حيدر الحِلِّيّ، الشاعر، الدلالة، المبتدأ، مقاصد.

Abstract

This research dealt with the connotations of the predicate in seyad Haider Al-Hilli's stanzas. He presented the predicate in its various cases in Arabic speech, which the grammarians later analyzed and limited to enumeration and division. The predicate came singular, and this is the origin of it, and it was mentioned in its two types, the singular definite predicate, and the indefinite singular predicate, according to the diversity of the poet's intentions. Which he sought because he wanted to be artistic in the beauty of the poem and enrich its content. Likewise, the predicate appeared as a nominal sentence in contexts required by the position and the article, and the predicate came as a verbal sentence for connotations that the poet wanted, which can only be given by the verbal sentence. The predicate appeared in this stanza as a semi-sentence, so it came once as an adverb and another time as an adverb and genitive. The poet's uses of the predicate varied according to what the capabilities of the language made possible, so he presented The predicate

is obligatory in verses, and it is presented in permissible cases in other verses, and the predicate is deleted in cases where the deletion was more eloquent in meaning and more impactful in the meaning, as is known from the eloquence of deletion in the Arabic language when the meaning is carried into the mind of the listener without problem or ambiguity.

Keywords: predicate, verbal sentence, nominal sentence, stanzas, Haider Al-Hilli, poet, significance, subject, objectives.

المقدَّمة

أشيع تقسيم للجمل في العربيَّة الذي عليه جمهور النحويِّين، وهو على قسمَين: الجملة الفعليَّة، والجملة الاسميَّة، وميدان البحث هذا هو الجملة الاسميَّة التي تتألَّف من المبتدأ والخبر، ومدار البحث هذا في جزئها الثاني، وهو الخبر، وعن دلالاته عند شاعر عظيم من شعراء العربيَّة، وشعراء الحِلَّة، والحِلَّة مَرْبَعُ الشعر الخصيب، ذلك هو السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وفي موشَّحاته التي تفيض بلاغةً وفصاحةً، وتشعُّ جمالًا وبهاءً؛ ولأنَّ الشاعر أتقن أساليب العربيَّة وقواعدها، وأبدع في استعمال فنونها، لذلك كان تنوُّع الخبر عنده واضحًا، يُثري به الدلالة، ويعمِّق المعنى، ويصل بالسامع والقارئ لما يريد، فبحثت الخبر عنده بأنماطه المختلفة، فوجدت الخبر المفرد بنوعَيه، الخبر المفرد المعرفة، والخبر المفرد النكرة، وورد الخبر في الموشَّحة جملة اسميَّة لتقرير اتِّصاف المبتدأ بالخبر على نحو الثبوت، وورد الخبر جملة فعليَّة فعلها ماضٍ، وورد جملة فعليَّة فعلها مضارع؛ لتؤدِّي دلالة استمرار اتِّصاف المبتدأ بالخبر، ودرس البحث الخبر بصورة شبه الجملة بنوعيها الظرف والجار والمجرور، وكذلك درس البحث حذف الخبر وتقديره، ثمَّ خلص البحث إلى نتائجه في الخاتمة.

الخبر في اللغة والاصطلاح

الخبر في اللغة مأخوذ من خبر بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر إذا عرفته على حقيقته، والخبر: النبأ، وخبَّره بذلك وأخبره: نبَّأه[1].

والخبر في الاصطلاح هو «الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع، ويصير مع المبتدأ كلامًا تامًّا»[2]

وكذلك عرَّفه ابن هشام بأنَّه «المسند الذي تتمُّ به مع المبتدأ فائدة»[3].

أنواع الخبر

الخبر هو الجزء الذي تتمُّ مع المبتدأ الفائدة به من الكلام، فهما يؤلِّفان جملة هي الجملة الاسميَّة[4]. ولبيان أنواع الخبر، لا بُدَّ من معرفة المبتدأ حتَّى يتَّضح ركنا الجملة الاسميَّة، فالمبتدأ: هو الاسم أو ما في تقديره، المجعول أوَّل الكلام لفظًا أو نيَّة على الوصف المتقدِّم[5]

والمبتدأ لا يكون إلَّا معرفة، أو ما يقارب المعرفة من النكرات[6].

(١) ينظر لسان العرب: ٤/ ٢٢٦.
(٢) شرح المفصَّل: ١/ ٨٧.
(٣) شرح قطر الندى: ١١٧.
(٤) ينظر شرح الكافية الشافية: ١/ ٣٦٣.
(٥) ينظر المقرب: ٨٨.
(٦) شرح المفصَّل: ٨٥.

وفيما يأتي نورد أنواع الخبر في العربيَّة، وتطبيق دلالاتها فيما ورد في موشَّحة السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

١. الخبر المفرد:

الأصل في الخبر أنْ يكون مفردًا، «فإذا كان الخبر مفردًا، فهو المبتدأ في المعنى، وهو مرفوع بالمبتدأ، نقول: زيدٌ أخوك ومحمَّدٌ صاحبُك، فزيدٌ هو الأخ، ومحمَّدٌ هو الصاحب»[١]. وهذا يمثِّل الأصل لعلاقة المبتدأ والخبر، بأن يكون المبتدأ هو الخبر في المعنى، والخبر هو المبتدأ، وهي علاقة التطابق الدلاليّ بين عنصرَي الجملة الاسميَّة، وهو ما يسمِّيه سيبويه علاقة (هو هو)[٢].

والخبر المفرد يكون على نوعين، هما:

أ. الخبر المفرد النكرة:

فمن أحوال الخبر المفرد «أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة نحو عمرو منطلق: وهذا ينبغي أن يكون عليه الكلام»[٣]، فيرى ابن السراج أن الاصل في الخبر أن يكون نكرة، لأن النكرة عامة، وتفيد دلالة أوسع مما تفيده المعرفة المقيدة كما هو معروف في دلالتي النكرة والمعرفة.

وجاء هذا النوع من الخبر كثيرًا في موشحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ، منها قوله:

غادةٌ أقتلهُا لي كلُّها
مثلما أحيا لقلبي وصلُها

(١) اللمع في العربيَّة: ٣٦.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ١٢١.
(٣) الأصول: ٦٥.

ذاتٌ غـنـجٍ قـد سـبـاني دَلُّـــهـا[1]

فموضع الشاهد هذا (ذاتُ غنجٍ)، وهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي)، يعود على (غادة) في الشطر السابق، والغنج هو حسن الدلِّ، وقيل الملاحة في العينَين[2]. و(ذات) اسم نكرة ملازمة للإضافة، وهي بمعنى صاحبة مؤنَّثة (ذو)، فأراد الشاعر أن يعبِّر عن جمالها بوصف عام، هو نكرة مخصَّصة تدلُّ على عموم، وشمولها على الغنج، فهي صاحبته التي تملكه، وآثر تركيب (ذات غنج) على كلمة (متغنِّجة)؛ لأنَّ (متغنِّجة) تكون متَّصفة بالغنج، أما التركيب الإضافيّ (ذات غنج) فيوحي، زيادةً على أنَّها متغنِّجة، أنَّها مالكة للغنج، فهو ملكها وملازم لها. ولتأكيد هذا المعنى أردف الشاعر جملة (قد سباني دلُّها) ليؤكِّد تملُّكها لهذا الغنج، بوصفه أنَّه سباه (دلُّها)، و(الدلُّ) هو الغنج في المعنى، كما أشار صاحب لسان العرب في نصِّه المتقدِّم، فبرع الشاعر بإتيانه بالمفردة (غنج) في الخبر، وبمرادفه (الدلّ)؛ ليؤكِّد معنى الخبر لوصف المبتدأ، وهو الضمير (هي) الذي يدلُّ على معشوقته الموصوفة بشعره.

ب. الخبر المفرد المعرفة:

الأصل في الكلام أن يأتي الخبر نكرة، ولكن قد يأتي الخبر معرفة، وذلك لغايات دلالية، «فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة، فإنَّما الفائدة في مجموعهما»[3]، وهنا يرصد ابن السرَّاج الفارق بين أن يكون الخبر نكرة أو أن يكون معرفة، فكأنَّه خصَّص الإفادة في المعنى في الخبر النكرة، أمَّا في حال كون الخبر معرفة، فيكون إتمام الفائدة في مجموع المبتدأ والخبر اللذَين كلاهما معرفة.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٤.
(٢) لسان العرب (غنج): ٢/ ٢٣٧.
(٣) الأصول: ١/ ٦٦.

وورد هذا النوع من الخبر عند السيِّد حيدر الحِلِّيّ، في قوله:

هـــذه الأفنـــاءُ أفنـــاءُ الشـــرفْ
مُـنـتـدى الآدابِ فـيـهـا والـظـرفْ
لم يـــزلْ لـلـمـدحِ فـيـهـا مُـعـتـكـفْ[1]

نلاحظ في الشـطر الأوَّل أن المبتدأ هو (هذه) وهو اسـم إشارة، وجيء بـ(الأفناء) بدلًا منها، وكان يمكن للشـاعر أن يكتفي باسـم الإشـارة، ولكن لغاية دلاليَّة أتى بها حتَّى يأتي بالخبر من لفظ المبتدأ؛ ليعزِّز الصلة بين المسـند والمسـند إليه في أن يكونا بلفظ واحـد، والخـبر (أفناء) نكرة، ولكنَّه أكسـبها التعريف بإضافتهـا إلى (الشرف)، إضافة تمليك أو إضافة تشريف، كما هو معروف في معاني الإضافة عند النحويِّين[2]. وقد عرَّف الشـاعر الخبر بإزاء تعريف المبتدأ، فكان إتمام الفائدة في كِلَا المعرفتَين، ولم تختصُّ بالخبر كما في النكرة، كما يرى ابن السرَّاج[3].

٢. الخبر جملة اسميَّة:

الخـبر في الأصل هـو أن يكون مفردًا، ليحصـل التطابق مع المبتـدأ المفرد؛ ليحقِّق علاقـة التطابق بينهما، وهي علاقة (هو هو) التي أسـلفنا القول فيها، فالمبتدأ هو الخبر، والخـبر هو المبتـدأ، فخروجًا عن الأصل يـأتي الخبر جملة، لذلك يشـترط فيها أن يصحَّ تأويلها بالمفرد، فهي تقوم مقامه. وإذا جاءت الجملة خبرًا، فلا بدَّ لها من رابط، ويكون ضميرًا[4]. ومن ذلك قول الشاعر:

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٩.
(٢) شرح ابن عقيل: ٣/ ٤.
(٣) ينظر الأصول: ١/ ٦٥.
(٤) المفصَّل في صنعة الإعراب: ٤٤.

غـــــادةٌ أقتـلُـهـــا لـــي كـلُّـها
مـثـلـما أحـيـا لـقـلـبـي وصـلُـهـا[1]

الشـاعر هنا ابتـدأ بالنكرة خلاف الأصـل، فالأصل أنَّ هناك مسـوِّغات للابتداء بالنكـرة في الأعمِّ الأغلـب، ولكنَّ النحويِّين أجـازوا الابتداء بالنكرة من غير مسـوِّغ أحيانًا[2]. ولعلَّ للشاعر غاية في تنكير من يتغزَّل بها، حتَّى لا تُعرف، تحرُّجًا من ذِكرها، وتحفُّظًا لسمعتها، أمَّا الخبر فهو الجملة الاسميَّة (أقتلها لي كلُّها)، وهذه الجملة الاسميَّة ارتبطـت بضمير الهاء المؤنَّث في (كلّها) بالمبتدأ؛ إذ لا بدَّ للجملة الاسـميَّة عند وقوعها خـبرًا أن ترتبط بالمبتدأ، والرابط هنا هو الضمير، وهـذا الضمير الرابط شرطٌ في صحَّة وقوع الجملة خبرًا، وإلَّا صارت أجنبيَّة عن الخبر من دون وجود رابط[3].

٣. الخبر جملة فعليَّة:

الجملة الفعليَّة هي التي صدرها فعل، كـ(قام زيدٌ)، و(ضُرِبَ اللصُ)[4]، وهي إمَّا ذات فعلٍ ماضٍ، أو فعلٍ مضارع، وفي هذه الحالة يجب تأخير الخبر؛ لأنَّ فيه فعلًا رافعًا لضمير المبتدأ[5]. وورد الخبر جملة فعليَّة فعلها ماضٍ في قول الشاعر:

زهـــرُ مجـدٍ زهـــرَ المـجـدُ بِهـم
لا خـلـتْ أفـلاكُـهُ مـن شُـهْـبِـهـم
كـلَّـما خـفَّ الهـوى في صَـبِّـهِـم[6]

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٤.
(٢) ينظر شرح الكافية الشافية: ١/ ٣٦٣.
(٣) شرح ابن عقيل: ١/ ٣٠٢.
(٤) مغني اللبيب: ١/ ٤٩٢.
(٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٢٣٤.
(٦) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٧.

(زهُـر) مبتـدأ خبره الجملـة الفعليَّة (زَهَرَ الدهـرُ بهم)، ومعنى كلمـة (زهرُ) جمع (أزهـر)، وهـو المضيء، فالأزهـر: القمر، ويقال: زهـرت النارُ: أضاءت[1]، فالشـاعر أخذ لفظ المبتدأ من جذر الكلمة (زهر)، فجاء بالمبتدأ الاسـم المرفوع (زُهْرُ)، وهو جمع أزهـر، ثمَّ جاء بجملة فعليَّة فعلها ماضٍ من جذر الكلمة نفسـها، فقال (أزهرَ الدهرُ)؛ ليحقِّق أمرَين، أوَّلهما شـدَّة اتِّصاف المبتدأ بالخبر؛ لأنَّهما من جذر واحد، وثانيهما المجيء بالفعـل ماضيًـا، ليدلَّ أنَّ الدهـر أزهرَ بهم منذ زمن ماضٍ بعيـد، وليس في الحال فقط، فهو في الحال وصفهم بأنَّهم (زهرُ مجدٍ)؛ فحقَّق بالاسـميَّة اتِّصافهم الدائم بالإزهار، أي الإشراق، وزاد عليه إضافتهم إلى المجد، فحقَّق بالخبر الجملة الفعليَّة ذات الفعل الماضي بأنَّ المتَّصفين بالإزهار الآن لهم ماضٍ به.

وورد الخبر جملة فعليَّة فعلها مضارع، في قول الشاعر:

والـــغـــواني تـــدَّعـــي الـــسـحـــر ومـا
هـــو إلَّا تحـــتَ ذاك الـــبرقـــعِ[2]

المبتدأ في بيت الشـاعر هـو (الغواني)، وخبرهـا الجملة الفعليَّة (تدَّعي السـحر)، والفعل في خبر المبتدأ فعل مضارع (تدَّعي)، والرابط الذي يشترط وجوده في جملة الخبر ليربطهـا بالمبتدأ هـو الضمير (هو)، الذي يعـود على المبتدأ، والفعـل المضارع يدلُّ على الاسـتمرار في الحدث كما هو معروف في دلالة الفعل المضارع[3]. فالشـاعر أراد أن يخبر بحال الغواني أنَّها على حال مستمرَّة في ادِّعاء السحر بجمالها، فأراد أن يوضِّح أنَّ الغواني في حال تلبُّس بفعل الادِّعاء دائمًا، وعلى نحو الاستمرار.

(١) ينظر مقاييس اللغة: ٣/ ٣١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٣.
(٣) علل النحو: ١٤٤.

٤. الخبر شبه جملة:

مصطلح شبه الجملة يُقصد به الظرف، وحرف الجرِّ الأصليّ مع مجروره، والجامع بين الظرف والجار والمجرور، هو الدلالة على الزمان والمكان؛ لأنَّ الجارَّ والمجرور غالبًا ما يقيِّدان معنى الظرفيَّة المكانيَّة أو الزمانيَّة، فاطلق النحويُّون على الجار والمجرور مصطلح (الظرف) توسُّعًا، ثمَّ أُطلق عليهما معًا مصطلح (شبه الجملة)[١].

وورد شبه الجملة بنوعيه في موشَّحة السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وهنا نورد بيتًا فيه الخبر شبه جملة من الجار والمجرور، قوله:

في الهوى يُعبَدُ منها صنما
فهو في اللَّاهينَ لا في الرُّكَّعِ[٢]

ومحلُّ الشاهد وموضع الحديث هو جملة (فهو في اللاهين)، فالمبتدأ الضمير (هو)، وخبره شبه الجملة (في اللاهين)، والظرف والجار والمجرور، وهما إذا وقعا خبرًا فليس هما الخبر، وإنَّما هما متعلِّقان بالخبر، وعند حذفه قاما مقامه، ففي قولهم (زيدٌ عندك) يكون التقدير (زيدٌ استقرَّ عندك)، و(استقر) جملة هي الخبر، أو يقدِّرون (زيدٌ مستقر عندك)، فيكون الخبر هو (مستقر)، وليس (عندك)[٣]، لذلك معنى قول الشاعر (في اللاهين) إنَّه استقرَّ بينهم، أو هو مستقرٌّ بينهم.

وممَّا جاء في موشحة الشاعر كون الخبر ظرفًا، في قوله:[٤]

(١) ينظر اعراب الجمل وشبه الجمل: ٢٧١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٥.
(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٩٧.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٣.

والـــغـــواني تـــدَّعـــي الـــسِّـــحـــرَ ومـــا
هـــــو إلَّا تَحـــــتَ ذاكَ الـــبرقُـــعِ

فالمبتـدأ هنا (هو) المنفـي بـ(ما) النافية قبله، وبعده (إلَّا) الاسـتثنائيَّة الملغاة بالنفي السـابق لها، فالخبر هنا هو (تحت)، وما أضيفت لـه، وهذا الظرف متعلِّق بالخبر، وقائم مقامه.

وإنَّـما جعل النحويُّـون الظـرف متعلِّقًا بالخبر، وليـس هو الخبر؛ لأنَّهـم يرون أنَّ الخـبر يجب أن يكون هو المبتدأ في المعنى، ففي قولنا (زيدٌ منطلقٌ)، فإنَّ زيدٌ هو المنطلق، والمنطلق هو زيد[1]، وهذا غير ممكن مع الظرف، إذ لا يمكن أن يكون الظرف هو المبتدأ في المعنـى، ففي قولنا (فـوق الدار رجلٌ) لا يمكن أن يكون الظـرف (فوق الدار)، هو نفسـه في المعنى (رجلٌ)، لذلك قدَّر كلمة (مسـتقر) يتعلَّق بها الظرف ليصبح المعنى أنَّ (رجل) هو المستقر، و(مستقر) هو (رجلٌ).

ويـرى ابـن عقيل أنَّ حـذف العامل في الظـرف والجار والمجـرور واجب، فقال: «كلٌّ منهـما يتعلَّـق بمحـذوف واجـب الحذف.. ذلـك المحذوف اسـمًا أو فعـلًا نحو كائـن أو مسـتقر، فـإن قـدَّرت (كائنًا) كان مـن قبيل الخـبر المفرد، وإن قدَّرت اسـتقر كان مـن قبيـل الخبر بالجملـة». ونقل ابـن عقيل عن ابن الـسرَّاج رأيًا لو صـحَّ، لكان الظـرف والجـار والمجـرور همـا الخـبر، ولا حاجـة إلى تقدير محـذوف، وذلـك قوله: «وذهـب أبـو بكر بـن الـسرَّاج إلى أنَّ كلًّا من الظرف والجار والمجرور قسـم برأسـه، وليـس مـن قبيل المفـرد، ولا من قبيل الجملـة، نقل عن هـذا المذهب تلميـذه أبو عليّ الفارسيّ»[2].

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ١٢١.
(٢) شرح ابن عقيل: ١/ ٢١٤.

نلاحظ في قول الشاعر (ما هو إلَّا تحت ذاك) أنَّ (هو) الدال على السحر في البيت الشعريّ لا يمكن أن يكون معناه الظرف (تحت)، وإنَّما أراد أن يقول إنَّ الحسن مستقر (تحت ذاك البرقع)، فهنا يحصل التطابق الدلاليّ بين المبتدأ والخبر، ويشير الشاعر أنَّ الحسن منحصر تحت برقع حبيبته، ولا يرى حسنًا سواه عند امرأة أخرى.

٥. تقديم الخبر على المبتدأ:

لتقديم الخبر على المبتدأ أحوال، منها أن يتقدَّم وجوبًا، قال ابن الورَّاق: «وإنَّما لزم تقديم الخبر إذا كان ظرفًا أو حرف جر على النكرة، كقولك (له مالٌ)؛ لأنَّه لو أُخِّر لجاز أن يعتقد صفته، وأنَّ الخبر منتظر»[١]. ومن تقدُّم الخبر إذا كان ظرفًا، قول الشاعر:

غادةٌ قامتُها الغصنُ الوريقُ
فوقها ريحانةُ الفرعِ ترفُ

فالشاعر هنا يتحدَّث عن معشوقته التي قامتها جعلها غصنًا وريقًا، فحذف (كاف التشبيه) زيادةً في البلاغة، وكأنَّ المشبَّه به هو المشبَّه حقيقة عند حذف أداة الشَّبه، كما هو معروف في علم البلاغة[٢].

ثمَّ زيادةً في الوصف أنَّ في أعلى هذا الغصن (ريحانة) ترفُّ، فقدَّم الظرف (فوقها)، وهو متعلِّق بالخبر، ثمَّ جاء بالمبتدأ (ريحانة)، وذلك للاهتمام بظرف وجود هذه الريحانة، وهو أعلى الغصن (فوقها)، فأبدع في الوصول للمعنى بما يمتلك من تصرُّف في اللغة، وتمكُّن في البلاغة، ومن تقدُّم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ، قول الشاعر:

(١) اللباب في علل البناء والاعراب: ١/ ١٤٥
(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٣٨

يـا عـرانـينَ المـعـالي والـشرفْ
لكـم أهديتهـا أسـنى التحـفْ
ولكـم تجلـى عـروسـًا وتـزفْ
فـلـهـا الـبِـشْرُ بـكـم زهـوًا كـما
لـكـم الـبـشرُ بهـا في المـجـمـعِ[1]

فالشاعر قدَّم (الجار والمجرور)، وهو الخبر هنا، على (البشر)، وإن كان التقديم غير واجب، بيد أنَّه عمد إليه لغاية دلاليَّة بلاغيَّة، فهو يتحدَّث عن قصيدة صاغها لممدوحه العلَّامة محمَّد حسن كبَّه، فيرى أنَّ لهذه القصيدة (البشر)؛ لأنَّها كُتبت لهم فتشرَّفت به، فقدَّم الجار (لها) بلام الملك مضافة إلى (ها) الضمير العائدة على القصيدة، فأراد أن يُظهر تملُّكها للبشر قبل ذكرهم حتَّى يوضِّح أنَّ القصيدة محل التشرُّف بهم، لذلك قدَّم الخبر أو متعلِّقه على المبتدأ، ثمَّ عاد في عجز البيت ليقلب ما قاله في صدر البيت، فختمه بـ(كما) للتشبيه حتَّى يشبِّه ذلك ببشرهم بهذه القصيدة، فقال (لكم البشر بها في المجمع)، فقدَّم الجار والمجرور (لكم) على المبتدأ (البشر)؛ ليوازن ذلك مع صدر البيت في أن يكون البشر للقصيدة، إذ تكون في مدحهم، فهم كذلك لهم البشر بها في المجامع؛ لأنَّ المعروف أنَّ الشعر يخلِّد من يُقال فيه مدحًا، فنلاحظ حسن تصرُّف الشاعر في ترتيب الجمل، فقد أصاب في هندسة الكلام بأن بدأ صدر البيت بجملة اسميَّة قدَّم فيها الخبر، وكذلك فعل في عجز البيت بأن أتى بجملة اسميَّة قدَّم فيها الخبر، وجاء بلفظ المبتدأ نفسه، إلَّا أنه غيَّر الخبر بتغيير الضمير الذي دخل عليه حرف الجرِّ.

ومن حالات تقدُّم الخبر وجوبًا، هو أن يكون الخبر ممَّا له الصدارة في الكلام، مثل

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٦٠

أدوات الاستفهام[1]. وجاء ذلك في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلّيِّ، كما يأتي:

فـــفـــــــــداءٌ لمحـــيَّـاه الأغـــرْ
أوجـــهُ تُحسب قُـــدّتْ مـــن حجرْ
أيـــن هـــم مـــن ذي ســـماحٍ لـــو قـــدرْ
وعـــــلى قـــــدرِ عُـــــلاه وهـــبـــا
وهـــبَ المـــشرقَ فـــوق المـــغـــربِ[2]

وموضع الشـاهد هنا هو جملة (أين هـم)، فالمبتدأ هو (هم)، وهو ضمير، وهو من المعارف كما هو معروف في الضمائر، و(أينَ) ظرف مكان متعلِّق بالخبر، أو هو الخبر على رأي آخر. وقد تقدَّم الخبر على المبتدأ؛ وذلك لأنَّ أسماء الاستفهام من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام، وإن كانت رتبتها التأخُّر، و(أين) تُصدَّر؛ لأنَّها اسم استفهام[3]، ويؤتى باسم الاستفهام قبل ما يستفهم عنه، لذلك تصدَّر، أمَّا من حيث الرتبة، فحقُّه التأخير؛ لأنَّه خبر، وحقُّ الخبر رتبة التأخير. ودلالة هذا الأسلوب أنَّه قدَّم الاستفهام، وهو استفهام إنكاريّ، يستفهم (أين هم) من سماحة الممدوح الذي قصد مدحه، ودلَّ باستفهامه الإنكاريّ أنْ لا وجود لأولئك الذين يدانون الممدوح كرمًا وسماحة.

وكذلك ما ورد من تقديم الخبر هو قول الشاعر:

دارُ مجـــدِ المـصـطـفـى الـفـخـرُ بها
كـأبِـيـه حـلـمُـــهُ مـــن هضبها
فـالـورى فـــي شرقهـــا أو غربها

(١) شرح الأشمونيّ: ١/ ٢٠٣.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٧٧.
(٣) حاشية الصبَّان: ٢/ ١١٠.

كـلَّـما تـلـحـظُ مـنـه عـلـمًـا
شـامخًـا هـضـبـتـه لم تـطـلـعِ[1]

فموضع البحث هنا (كأبيه حلمُهُ) تقدَّم شبه الجملة (كأبيه)، وهي الخبر للمبتدأ (حلمُهُ)، وهذا التقديم جائز، وليس واجبًا؛ لأنَّه لا يوجد أحد موجبات التقديم الواجب في حال تقدُّم الظرف، وذلك أن يكون المبتدأ نكرة، والمبتدأ في الجملة معرفة؛ لأنَّ (حلم) مضاف إلى الضمير (الهاء) المضاف إلى المعرفة معرفة، وإنَّما فعل ذلك الشاعر هذا التقديم، وهو ليس بواجب، لمقصد دلاليّ أراده، وهو العناية والاهتمام، كما يرى سيبويه أنَّ هذا الأسلوب عربيّ جيِّد، فيقول: «وهو عربيّ جيِّد كثير، كأنَّهم إنَّما يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمَّانهم ويعنيانهم»[2]. فوفق هذا السلوك اللغويّ الدلاليّ، قدَّم الشاعر (كأبيه)، وهو التشبيه بالأب، وإن كان حقُّه التأخير؛ اهتمامًا وعنايةً بالأب، فكأنَّ الشاعر مدح الأب أوَّلًا ثمَّ الابن، ومعروف عن العرب أنَّها تفتخر بآبائها، فتوسَّل الشاعر بالتقديم الجائز لما أراد من هذه الدلالة.

٦. خبر واحد لأكثر من مبتدأ:

ممَّا جاء في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ تفنُّنًا في أساليب القول، هو أنَّه يأتي بخبر واحد لأكثر من مبتدأ، ولا غرو كما يرى الخليل أنَّ «الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنَّى شاؤوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم، من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده»[3]، فنجد الشاعر نحا نحو التفنُّن في القول؛ ولا يكون الشعر إلاَّ في هذا

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٦٠.
(٢) كتاب سيبويه: ١/ ٣٤.
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب: ٣/ ٦٨٧.

التفنُّن في اللغة، وإلَّا أصبح الشعر كلامًا مألوفًا لا إبداع فيه، ومن ذلك أنَّه جاء بأكثر من مبتدأ، ثمَّ جاء بخبر واحد لهذه المبتدآت، مثل قوله:

هي والظبيةُ من وادٍ كما
هي والبدرُ معًا من مطلعِ[1]

ففي صدر البيت جاء بـ(هي) مبتدأ، وعطف عليها (الظبية)، وكلٌّ منهما مستحقٌّ خبرًا، ولكنَّه جاء بخبر واحد لكلٍّ من الكلمَتَين اللتين هما في الحقيقة مبتدآن جمع بينهما العطف، وهنا أراد الشاعر أن يجمعهما في (وادٍ) واحد يدلُّ على أنَّ من تغزَّل بها لا تفترق في شيء عن الظبية، حتَّى كأنَّهما يعيشان في الوادي نفسه، ويقصد بالوادي أوسع من مسألة المكان، إنَّما يقصد الجمع في كلِّ شيء، وأصبحت دلالة الوادي الاتِّحاد في كلِّ شيء، حتَّى أنَّ علماء العربيَّة استعملوه للأبواب النحويَّة، فسيبويه يقول: «النسب والتصغير من وادٍ واحد»[2].

وكذلك فعل الشاعر في عجز البيت، إذ جمع بين حبيبته والبدر، وهما في الأصل كلُّ واحد منهما مبتدأ، فعطف بينهما بالواو، ثمَّ جاء بالحال متوسِّطة (معًا) أي مجتمعين، ثمَّ يأتي بالخبر أو متعلّقه، وهو الجار والمجرور (من مطلع)، فجعل حبيبته تطلع مع القمر من مطلع واحد؛ ليوحي باتِّحادهما بالجمال والنور والإشراق.

٧. أخبار منفيَّة لمبتدأ واحد في المعنى:

ممَّا تفنَّن فيه الشاعر، هو أن يأتي بمبتدأ وينفيه بجملة فعليَّة هي الخبر، وتكون منفيَّة بأحد أدوات النفي المعروفة، ثمَّ يأتي بالمبتدأ نفسه بإعادة الضمير عليه، ثمَّ يأتي بجملة الخبر جملة فعليَّة منفيَّة، فيكون نفي الخبر عن الاتِّصاف بالمبتدأ في صدر البيت، وكذلك

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٤.
(٢) كتاب سيبويه: ٣/ ٤١٧.

في عجزه، فيكون قد بالغ في نفيه بإعادة ذلك مرَّتَين، ومثال ذلك قول الشاعر:

هـل وصـلـنَ الـغـيـدُ قـبـلي مـغـرمًـا
وسـوى الـشـيـبِ لـه لم يـشـفـعِ
سُـنَّـةٌ مـا عـمـلـتْ فـيـهـا الـدمـى
وهـي في ديـنِ الهـوى لم تـشـرعِ[1]

فالشـاعر يتحدَّث على لسان مَن يتغزَّل بها، فهي تسأل سؤالًا استنكاريًّا، هل الغيد الحسان يواصلن المغرم إذا كان أشيبًا؟ ثمَّ يأتي في البيت الثاني المبتدأ (سنَّةٌ)، ويأتي بالخبر جملة فعليَّة منفيَّة بـ(ما) (سنَّة ما عملت فيها الدمى)، وهذا النفي ينصرف إلى الماضي، أي سـنَّة الوصل للأشـيب لم تعرفها الغيد من قبل، لذلك لن تفعلها مع الشاعر الذي صار في هذا الأوان من العمر، أي خالطه الشـيب، ثمَّ يعيد الشـاعر المبتدأ الذي أخبر عنه في صدر البيت (سـنَّة) يعيده في عجزه، ولكن بضمير (هي) التي تعود على (سنَّة)، بل هي نفسها (سنَّة)، ويعيد نفي الخبر بما نفاه في صدر البيت بالنفي للزمن الماضي، وذلك بـ(لم تـشرع)، ومعـروف أنَّ (لم) تنفي المضارع وتقلب زمنه إلى المـاضي[2]، وهنا تظهر براعة الشاعر في الاتيان بجملة قوامها نفي اتِّصاف المبتدأ بالخبر، بإيراد جملة فعليَّة منفيَّة خبرًا لمبتدأ أريد له نفي اتِّصاف المبتدأ بالخبر، أي نفي اتِّصاف الغيد الحسان بوصل الأشيب من الرجال، فجاء بأوكد حالات النفي، وهو تكراره على وجهَين في شطرَي البيت.

٨. اللف والنشر في إيراد الخبر:

اللـف والنشر أسـلوب بلاغـيّ، ولكـن أدواتـه أدوات لغويَّة وعنـاصر نحويَّة، فاستعمل الشاعر هذا الأسلوب بأدواته اللغويَّة.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٦.
(٢) ينظر: النحو الوافي: ٤/ ٤١٣.

و«اللف والنشر هي أن تلفَّ بين شيئَين في الذِّكر، ثمَّ تتبعهما كلامًا مشتملًا على متعلّق بواحد أو بآخر من غير تعيين، ثقةً بأنَّ السامع يردُّ كلًّا منهما على ما هو له»[1]، فواضح أنَّه تذكر أشياء مجتمعة ثمَّ تفصِّل، فالعرب تلفُّ الخبرَين المختلفة، ثمَّ ترمي بتفسيرها جملةً، ثقةً بأنَّ السامع يردُّ إلى كلٍّ خبره[2]. والشاعر أحسن في استعمال هذا الأسلوب، بما عُرِف عنه من امتلاك لمهارة اللغة والأدب، فممَّا جاء في هذا الأسلوب، قوله:

صدغُها والخدُّ آسٌ وشقيق
فتروَّح وإذا شئت اقتطفْ
خالها والريقُ مسكٌ ورحيق
فتنشَّق وكما تهوى ارتشفْ[3]

فقد جاء الشاعر بالمبتدأ (صدغها)، ولم يُخبر عنه، بل جاء بمبتدأ آخر فعطف على المبتدأ الأوَّل قبل الإخبار عنه، وهو (الريق)، فلفَّ المبتدأين كما يصطلح أهل البلاغة، ثمَّ جاء بتفسيرهما جملةً، أي جمع بين الخبرَين، وهما (آس) و(رحيق)، من دون أن يوضِّح أيُّ اللفظَين خبرًا للمبتدأ الأوَّل، وأيُّهما خبرًا للثاني، ثقةً بالسامع في معرفة أيِّ الخبرَين يكون لأوَّل المبتدأين، وأيُّهما خبرًا لثانيهما، وذلك أنَّ العارف بلغة العرب وآدابها يعرف أنَّ العرب تشبِّه (الصدغ) بـ(الآس)، فيكون الآس خبرًا عن الصدغ، وكذلك تصف الخدَّ بالشقيق، لذلك يكون واضحًا أنَّ (شقيق) هو خبر لـ(خد)، فلاحظنا تفنُّن الشاعر في الإتيان بخبرَين نشرًا لمبتدأ لفَّهما فأبدع في الصورة والصفة، وبرع في إيجاد طريقة شعريَّة في خصوصيَّة استعمال الخبر بالتعدُّد والعطف، وجماليَّة الرصف للألفاظ، وإتقان وشائج المعنى.

(١) مفتاح العلوم: ٤٥٥.
(٢) الكامل في اللغة والادب: ١/ ١٠٧.
(٣) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٦٢.

الخاتمة

في نهايـة البحـث في دلالات الخبر في موشَّـحات السـيِّد حيـدر الحِـلِّيّ، أوجز هنا ما توصَّلت إليه من نتائج أفصح عنها البحث، وهي على النحو الآتي:

١. الخـبر هو أحد جزئَي الجملة الاسـميَّة مـع المبتدأ، فهو جزؤهـا الثاني والمتمِّم للفائدة التي تعطيها الجملة، إذا اكتملت أركانها.

٢. جاء الخبر مفردًا كثيرًا في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وهو الأصل أن يكون الخـبر مفـردًا حتَّـى يتطابق مع المبتـدأ الذي يجـب أن يكون مفـردًا، أي ليس بجملـة، ويختلف الخبر المفـرد من حيث التعريف والتنكـير، فمرَّة يأتي نكرة، وأخرى يأتي معرفة، بحسب مقاصد الشاعر، وأغراضه الدلاليَّة.

٣. حلَّـت الجملة محلَّ الخبر، والجملـة لا يكون لها محلٌّ من الإعراب إلَّا إذا أمكن تأويلها بمفرد لكي يتحقَّق الإسناد بين طَرَفي الجملة المبتدأ والخبر، فالأصل أن تتحقَّق علاقة دلاليَّة بين المبتدأ والخبر، وهي ما تسمَّى بعلاقة (هو هو)، أي إنَّ المبتـدأ هو الخبر في المعنى، والخبر هو المبتدأ، وهذا لا يتحقَّق إلَّا بتأويل الجملة بالمفرد، والجملة التي لا تأوَّل بمفرد لا يمكن أن تكون خبرًا.

٤. ورد الخـبر جملة فعليَّة فعلها مـاضٍ لتدلَّ على مضيِّ زمن اتِّصاف المبتدأ بالخبر، وورد الخبر جملة فعليَّة فعلها مضارع ليدلَّ على اسـتمرار اتِّصاف المبتدأ بالخبر الذي هو جملة فعليَّة.

٥. جاء الخبر عند السيِّد حيدر الحِلِّيّ جملة اسميَّة؛ ليفيد ثبوت اتِّصاف المبتدأ بالخبر، وتنوَّعت الجملة الاسميَّة من حيث تركيب عناصرها من حيث التعريف والتنكير.

٦. ورد الخبر في موشَّحات السيِّد حيدر الحِلِّيّ شبه جملة بنوعيه (الظرف) و(الجار والمجرور)، وشبه الجملة تعلَّقت بمحذوف مقدَّر كما قرَّره النحويُّون في هذا المجال؛ لأنَّ شبه الجملة لا يمكن أن تحقِّق علاقه التطابق بين المبتدأ والخبر.

٧. جرى حذف الخبر في بعض أبيات السيِّد حيدر الحِلِّيّ، والخبر ركن رئيس في الإسناد، وعنصر مهم في الكلام، وإنَّما جاز حذفه؛ لأنَّه جرى في اللغة العربيَّة حذف الحرف أو الكلمة أو الجملة إذا انساق المعنى إلى السامع، وفهمه بدلائل من سياق الكلام، والحذف يعدُّ جانبًا جماليًّا في اللغة العربيَّة، إذ هو يُشرِك السامع في الوصول إلى الدلالة المنشودة.

٨. ورد استعمال خاص عن السيِّد حيدر الحِلِّيّ، هو أن يأتي بأكثر من مبتدأ، ثمَّ يجمع الإخبار عنها بخبر واحد، وذلك تعزيزًا الدلالة وتعميقها، وزيادةً في توضيح علاقة المسند بالمسند إليه.

٩. شاع لدى الشاعر الحليّ تعدُّد الأخبار لمبتدأ واحد في موشَّحاته، كذلك جاء بتعدُّد الأخبار ولكنَّه نفاها، فنفى اتِّصاف المبتدأ بهذه الأخبار مبالغةً بالنفي.

١٠. استعمل الشاعر أسلوبًا بلاغيًّا هو أسلوب الالتفات، وهو أن يأتي بأكثر من مبتدأ معًا من دون الإخبار عنها، ثمَّ يأتي بالأخبار مجتمعة، ويترك ردَّ الأخبار كلٍّ لما يستحقُّ من مبتدأ للسامع، ثقةً بالعارف بالعربيَّة لفهمه بأساليبها، فيحيل كلًّا لما وُضِع له، ولما أُسند إليه.

المصادر

١. الأصول في النحو، أبو بكر محمَّد ابن السرَّاج، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتليّ، مؤسَّسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩.

٢. إعراب الجمل وأشباه الجمل، الدكتور فخر الدين قباوة، دار الأوزاعيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦.

٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويِّين البصريِّين والكوفيِّين، عبد الرحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنصاريّ، أبو البركات، كمال الدين الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصريَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمَّد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف البقاعيّ، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت.

٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشميّ (ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميليّ، المكتبة العصريَّة، بيروت.

٦. حاشية الصبَّان على شرح الأشمونيّ على ألفيَّة ابن مالك، أبو العرفان محمَّد ابن عليّ الصبَّان الشافعيّ (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن عليّ بن تميم الأنصاريّ، أبو إسحاق الحُصريّ القيروانيّ (ت٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

٨. شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحَّار وشركاه، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩. شرح الأشمونيّ على ألفيَّة ابن مالك، عليّ بن محمَّد الأشمونيّ، دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠. شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة.

١١. شرح المفصَّل، موفَّق الدين ابن يعيش، تحقيق: أحمد السيِّد، المكتبة التوفيقيَّة، مصر، (د.ت).

١٢. شرح الكافية الشافية، محمَّد بن عبد الله، ابن مالك الطائيّ الجيانيّ، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أمّ القرى، مركز البحث العلميّ، الرياض، ١٩٨٢.

١٣. علل النحو، أبو الحسن محمَّد ابن الورَّاق، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٩.

١٤. الكامل في اللغة والأدب، محمَّد بن يزيد المبرَّد، أبو العبَّاس (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥. الكتاب كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦. اللباب في علل البناء و الإعراب، أبو البقاء العكبريّ، تحقيق: الدكتور عبد الإله النبهان، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥.

١٧. لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

١٨. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان ابن جنِّي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

١٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا القزوينيّ الرازيّ، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمَّد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمَّد عليّ حمد الله: دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥.

٢١. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن عليّ السكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ، أبو يعقوب (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢. المفصَّل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشريّ، تحقيق: الدكتور عليّ بن ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٢٣. المقرب، ابن عصفور الإشبيليّ، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الستَّار الجواريّ، والدكتور عبد الله الجبوريّ، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧١.

٢٤. نتائج الفكر، أبو القاسم عبد الرحمن السهيليّ، دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢.

٢٥. النحو الوافي، عبَّاس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة.

النقد اللغويّ في كتاب السرائر لابن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ)

أ.م.د. حيدر جبَّار دفتر
جامعة القادسيَّة/كليَّة التربية
أ.م.د. ابتهاج سماع عليّ
جامعة القادسيَّة/كليَّة الآثار

Linguistic Criticism in the Book of (Al-Saraeir) by Ibn Idris Al-Hilli (D.598 AH)

Asst. Prof. Dr. Haider Jabbar Daftar
Al-Qadisiyah University/College of Education
Asst. Prof. Dr Abtihaj Samae Ali
Al-Qadisiyah University/College of Archeology

ملخَّص البحث

قد يحتاج الحديث عن النقد اللغويّ إلى باحث متخصِّص في علم اللغة، ومطَّلع على أغلب النتاجات اللغويَّة للقدماء والمحدثين؛ من أجل الدقَّة في بيان المعنى والاستعمال، ويـزداد الأمر حظـوة إذا كان البحث مهتمًّا بإظهار جهد رجل عمـل بجدٍّ على الاهتمام بمسائل اللغة، لاسيما جانب النقد والتصحيح اللغويّ، فجاء البحث ليُترجِم كلَّ ذلك، بلحـاظ مجموعـة من المقاربات اللغويَّة، مـن أجل إبراز جهد ابن إدريـس الحِلِّيّ في هذا المجال. ونودُّ هنا أن نوضِّح أنَّنا لم نعرِّف بابن إدريس؛ لكثرة ما كُتِبَ في ذلك

الكلـمات المفتاحيَّـة: النقد، ابـن إدريس، السرائـر، التصحيح اللغـويّ، القدماء، المحدثين.

Abstract

A study of linguistic criticism may require a researcher specialized in linguistics and familiar with most of the linguistic productions of the ancients and moderns. For the sake of accuracy in stating the meaning and usage, it is more important if the research is interested in showing the effort of a man who worked hard to pay attention to language issues, especially the aspect of linguistic criticism and correction, so the research came to translate all of this by observing a group of linguistic approaches in order to highlight the effort of Ibn Idris Al-Hilli in this field. Here we would like to clarify that we have not mentioned the biography of Ibn Idris.

Keywords: Criticism, Ibn Idris, (Al-Saraeir), linguistic correction, ancients, moderns.

المقدِّمة

الحمـد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسـلام على أشرف الخلق محمَّـد النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبه ومَن والاه إلى يوم الدين. أمَّا بعدُ:

فالنقـد اللغـويّ واحـدٌ من الموضوعـات اللغويَّـة التـي تناولها العلـماء بالدرس والتأليـف، فقد كتبوا في هـذه الظاهرة كثيرًا، بـدءًا من القدماء ووصـولًا إلى المحدثين والمعاصريـن، والمؤلَّفـات التي حملت عنـوان (لحن العامَّـة)، أو جعلتـه موضوعا لها، نحـو: أغلاط اللغويِّين، وتقويم اللسـان، وأوهام الخواصِّ والعوام شـاهدة على ذلك، فكان أبو الحسـن الكسـائيّ في كتابه (ما تلحن فيه العامة) أوَّلهم، ثمَّ كان إصلاح المنطق لابن السـكِّيت، وأدب الكاتب لابـن قتيبة، والفصيح لثعلب، وغـير ذلك من الكتب التـي أحصاها الدكتـور رمضان عبد التـوَّاب في كتابه لحـن العامَّة والتطـوُّر اللغويّ، والدكتـور عبد العزيز مطر في كتابه لحن العامَّة في ضوء الدراسـات اللغويَّة الحديثة[1]. ذلك أنَّ النقد اللغويّ مهمَّته تهذيب العربيَّة من اللَّحن، والكشف عن صحَّة الاستعمال في الجانـب النحـويّ والـصرفيّ والـدلاليّ، فلغـةُ النـصِّ هـي أوَّلُ ما يصـادف الناقد، لذلـك هـو مضطرٌّ إلى دراسـة النـصِّ وتحليلـه في ضوء أساسـيَّات المعجـم والقواعد الصوتيَّـة، والصرفيَّـة، والنحويَّـة؛ لبيان مطابقة لغـة النصِّ لمراد المتكلِّـم مرَّة، وأخرى

(١) ينظـر: حركة التصحيح اللغويّ في العصر الحديث، د. محمَّـد ضاري حمَّادي: ٢٠، ومصنَّفات اللحـن والتثقيـف اللغويّ حتَّى نهاية القـرن العاشر الهجريّ، د. أحمد محمَّـد قدور: ٥٥، ولحن العامَّـة في ضوء الدراسـات اللغويَّـة الحديثة، د. عبد العزيـز مطر: ٦٥، ولحـن العامَّة والتطوُّر اللغويّ، د. رمضان عبد التوَّاب: ١٠٥.

في ضوء مطابقتها لمقاييس لغويَّة ذات طبيعة جماليَّة تناسب ضوابط اللغة ومنظومتها اللغويَّة.

ويبدو ممَّا وصل إلينا من مؤلَّفات، أنَّ أصحابها في ذلك الوقت قد انقسموا على قسمَين، أحدهما: متساهل، والآخر: متشدِّد، وهذا التساهل والتشدُّد جرى مع القدماء، ويستمرُّ مع المحدثين، ولكلِّ فئة من هؤلاء رأيه وحججه التي يستند إليها. وبسبب هذا الانقسام تعدَّدت المناهج واختلفت في المسائل المتعلِّقة بفصاحة اللغات، أو الأخذ بأفصح الألفاظ من اللهجات العربيَّة المختلفة التي كانت أساسًا للاستدلال والاستشهاد.

ولا بُدَّ من ملاحظة أنَّ اللغويِّين منذ أواخر القرن الخامس الهجريّ حتَّى يومنا هذا قد نفضوا أيديهم من إصلاح لغة العامَّة، واتَّجهوا إلى المثقَّفين وأرباب العلوم، يقوِّمون ما اعوجَّ من ألسنتهم، ويسدِّدون ما طاش من أقلامهم، فكتبهم يمكن أن تسمَّى لحن الخاصَّة.

وقد كان ابن إدريس الحِلِّيّ العِجليّ (ت٥٩٨هـ)[1]، صاحب كتاب (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي)، واحدًا ممَّن اعتنى بالنقد اللغويّ في مُؤَلَّفِه المذكور، فضلًا عن أنَّه فقيه وأصوليّ، وعالم جهبذ من علماء القرن السادس الهجريّ، فقد أولى التصويبات اللغويَّة في كتابه عناية كبيرة، وكان مرجعه في أكثر ما كتب أهل

(١) لم نعرِّف بابن إدريس الحِلِّيّ، ولم نضع سيرة علميَّة له؛ لشهرته، وكثرة الفضلاء والعلماء الذين كتبوا عنه، فهو أشهر من أن يُذكَر. يقول الخوانساريّ عنه: «الحبر الكامل، المحقِّق العلَّامة، فخر الملَّة والدين، أبو عبد الله بن إدريس..». روضات الجنَّات: ٦/ ٢٥٤. وشرَّفه نفر كبير من العلماء لا يسع المقام لذِكرهم، ولمن أراد الاستزادة والتفصيل، ينظر: لسان الميزان، ابن حجر: ٥/ ٦٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، الحافظ الذهبي: ٣١٤، وأعيان الشيعة، السيِّد الأمين: ٩/ ١٢٠.

اللغـة، بـل هـم عنـده الفيصـل في كلِّ مسـائل الخلاف؛ لـذا لا بُـدَّ مـن الوقوف على تلـك التصويبـات التـي بان فيهـا الوضوح والدقَّـة، ممَّا ترتَّـب عليها حكـمٌ لغويٌّ أو فقهيّ.

وعـصر ابن إدريـس هو عصر اللغويِّين الذين نبغوا في مجـال النقد اللغويّ وغيره، أمثال ابن مكِّيّ الصقلِّيّ (ت٥٠١هـ)، والحريريّ (ت٥١٠هـ)، وابن السـيِّد البطليوسيّ (ت٥٢١هـ)، وابن هشـام اللخميّ (ت٥٧٧هـ)، وغيرهم، وجلُّ تصويبات الشـيخ ابـن إدريـس قائمة، ومتمسِّـكة برأي أهـل اللغة، وهـو ممَّا يُعـدُّ مزيَّة علميَّة تسـتحقُّ الوقـوف عندهـا، على الرغم من أنَّ كتاب السرائر هو كتـاب في الفقه، وليس في اللغة، زد عـلى ذلك أنَّ آراء الشـيخ لم تُعـطَ أهميَّة، على الرغم من دقَّتهـا واختلافها وجدَّتها في بابها.

وبعـد صياغـة العنوان بهـذه الطريقة، بدا لنـا أن يكون عنوان المبحـث الأوَّل: في النقد اللغويّ مقاربات في المنهج، فالأعلام في القرن السادس الهجريّ لكلِّ واحدٍ منهم منهجه، وأسـلوبه، وربَّما قد اختلف معهم الشـيخ أو اتَّفق أو سـلك طريقًا وترًا؛ لينأى بنفسـه بعيدًا عن المشـاكلة والمشـابهة، واستعراض منهج الشـيخ لا بدَّ له من مصاديق، وموارد للوقوف عندها ومعالجتها. ثمَّ جاء المبحث الثاني ليُظهِر جهد الشـيخ في معالجة الأخطـاء، فـكان بعنوان: مظاهر النقـد اللغويّ عند ابن إدريس الحِلِّيّ، وشُـفِع البحث بخاتمة نتطلَّع أن تكون بمستوى نتاج ابن إدريس.

وأخيرًا لا بدَّ من القول بأنَّنا اسـتعنَّا بمصـادر كثيرة ومتنوِّعة في كتابة هذا البحث، اختلفـت بـين كتب اللغة، والمعجـم، ولحن العامَّـة والخاصَّة، وكتب الفقه والتفسـير، وغيرها ممَّا ينفع في مجال البحث، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

في النقد اللغويّ مقاربات في المنهج

لا يخرج مصطلح النقد اللغويّ عن مفهوم السلامة اللغويَّة، ومعيار الحكم على جودة النصِّ أو رداءته، بحسب المستويَّات اللغويَّة المعروفة وما يتبعها؛ لأنَّه يعالج قضيَّة جزئيَّة من قضايا اللغة. وقديمًا لم يكن هناك فرق بين اللغة والأدب، فالنقد الأدبيّ هو نقد لغويّ؛ لأنَّ الشاعر كان يتكلَّم على سليقته، ولم يكن يعرف اللحن، وكلامه هو واحد من مصادر اللغة، ثمَّ أصبح هذا المصطلح فرعًا من فروع اللغة، بعد اتِّساع دائرة الدين الإسلاميّ، وتفشِّي ظاهرة اللحن بعد دخول غير العرب في الاسلام، فقد أثَّر ذلك في فصاحة اللغة وسلامتها، وعانت العربيَّة من التغيِّر والانحراف والفساد في أصواتها أو أوزانها أو نحوها وأساليب تركيبها، بل لم يسلم النصّ القرآنيّ من التحريف واللحن، وحينها ظهرت تلك الدراسات التي تُعنى ببيان الصواب من الخطأ في القول والاستعمال، وتحليل النصوص في نواحيها ضبطًا وبنيةً وتركيبًا، وقد غالى بعضهم حتَّى عدَّ كلَّ كلام خالف كلام القبائل الفصيحة من باب الخطأ واللحن، أمثال الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، والأصمعيّ (ت٢١٠هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وثعلب (ت٢٩١هـ)، وغيرهم[1].

(١) ينظر: النقد اللغويّ في التراث العربيّ، د. ممدوح خسارة، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، عدد ٨٤، ج٤، ص: ٩٥٥، المدخل اللغويّ في النقد العربي التطبيقيّ (بحث)، د.خلف الله بن عليّ، المجلَّة الأكاديميَّة للدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، عدد ١٩، ٢٠١٨، ص١٥

وإذا كان القرن الرابع الهجريّ «من أزهى قرون النقد اللغويّ عند العرب؛ لِمَا حفل به هذا القرن من المعارك النقديَّة بين اللغويِّين المحافظين على السلامة اللغويَّة، والشعراء النقَّاد، وما نجم عنها من ظهور كتب المآخذ النقديَّة اللغويَّة»[1]، فإنَّ القرون التي تلته لم تخلُ من المؤلَّفات التي اهتمَّت بهذا الفن، فالقرن السادس كان زمان اللغويِّين الذين نبغوا في مجال النقد اللغويّ، نحو: ابن مكِّيّ الصقلِّيّ، والحريريّ، وابن السيِّد البطليوسيّ، وابن هشام اللخميّ، كما ذكرنا سابقًا.

وقد تجلَّت هذه الظاهرة اللغويَّة بوضوح عند شيخ من شيوخ العلم، وقد كان متضلِّعًا بعلم الفقه وأصوله، وله اهتمامات شاخصة بعلم التفسير ونكاته، فضلًا عن التعليقات والحواشي، إذ كان للشيخ اهتمام واضح وكبير بدلالة الألفاظ، ومرجعه في ذلك كتب المعجمات، وتوجيهات كبار اللغويِّين، والحقُّ أنَّ ذلك يُحسَب له، فقد امتلك الشيخ إصرار إمام همام عرفته القرون والقروم، وهو قمينٌ بالتأمُّل، حريٌّ أن تُنهَّد له دراسة تستجلي دقَّته، وتتقرَّى بأناة منهجه، وتتبُّعه لمظانِّ أهل اللغة، وكتاب السرائر شاخص كافل بما تحدَّثنا عنه، وجلُّ هذه المواضع في (السرائر) تستأهل الوقوف والعرض والنقد، فالفقهاء والأصوليُّون يعودون في معرفة الألفاظ إلى أهل اللغة، وقد سلك ابن إدريس في سرائره منهجًا خصبًا، يعرض المسالة الفقهيَّة، فيستوقفه فيها اللفظ أو التركيب الذي ينشأ منه الخلاف؛ بحسب دلالته، وكان غالبًا ما يستعرض رأي أساتذته في ذلك، ثمَّ يردُّهم أو يناقشهم أو يتَّفق معهم، وعلى رأس هؤلاء الأعلام الشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ) في كتبه الفقهيَّة والأصوليَّة المشهورة، وهي (المبسوط، والخلاف، والنهاية).

(١) النقد اللغويّ عند العرب في القرن الرابع الهجريّ (رسالة ماجستير)، محروس محمَّد إبراهيم، جامعة القاهرة، كليَّة الآداب، ١٩٩٦: ٦.

وبعد التعقُّب الدقيق لمسارات الشيخ الدلاليَّة واللغويَّة فيما يتعلَّق بدلالة الألفاظ، وجدته في كثير من الأحيان ينقل أقوال أهل اللغة، ويستشهد بنصوصهم، بل قد يحكم عليها أحيانًا بالأفصح أو الأشهر، ودائمًا يختتم عبارته أنَّ المرجع في ذلك أهل اللغة، والثابت أنَّه لا تكاد صفحة من صفحات كتابه تخلو من وقفة على دلالة المفردات، وسنقتصر في ذلك على ما كان له فيه توجيه أو متابعة.

والذي تحدَّثنا عنه آنفًا كان بيِّنًا وواضحًا عند محقِّق كتاب السرائر، وفي كتب الشيخ الأخرى، مثل: (المنتخب)، فقد ذكر المحقِّق أنَّ هناك نقودًا للشيخ في بعض الاستعمالات اللغويَّة، موجَّهة إلى الشيخ الطوسيّ، وقد ذكر بعضًا منها[1]، ثمَّ قال- أي المحقِّق- عنها: «وهي مهما كانت في وجاهتها، إلَّا أنَّها ليست بمستساغة ما دام احتمال التصحيف والتحريف من سهو القلم موجودًا»[2]. والثابت عندي أنَّها مستساغة ولافتة للنظر، ويبدو أنَّ المحقِّق لم يُحصِها عددًا، ولم يتذوَّقها دلالةً، وإن كان بعضها أقرب إلى التصحيف والتحريف، فبعضها الآخر متنوِّع، وفيه فرادة دلاليَّة ولفظيَّة قائمة على تغيير المعنى والحكم.

لقد تتبَّعنا الشيخ في كتاب السرائر، بحثًا عن المواضع التي ذَكَر فيها أهل اللغة، ولاسيما التي وقف عندها مصحِّحًا، ومصوبًا لدلالة الألفاظ فيما يتوافق بين دلالة هذه الألفاظ في نصوصها المتعدِّدة، وما يترتَّب على ذلك من معنى عند أهل اللغة، يمكن أن يوظِّفه الفقيه أو الأصوليّ في بيان الدلالة، وكان الشيخ في جلِّ هذه المواضع معترضًا ومدقِّقًا ومستفهمًا؛ من أجل بيان المراد، وتأكيد أنَّ اللغة هي الأصل المعوَّل عليه في بيان الألفاظ عند أهل كلِّ فنٍّ.

(١) ينظر: منتخب التبيان: ١/ ١١٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١١٧.

وقد كثرت عبارات الشيخ على نحو: «ما وجدت في كتب اللغة، قال أبو عليّ النحويّ الفارسيّ، قال الأصمعيّ، العامَّة تُخطىء فتقول، قال الجوهريّ في الصِّحاح، قال ابن السكِّيت، والصحيح ما قاله أهل اللغة، فالمرجع في ذلك إليهم، وهو قول جماعة اللغويِّين، بل عند أهل اللغة يُقال»، وغير ذلك من العبارات.

إنَّ كتاب السرائر، كما أسلفنا، هو كتاب في الفقه، وليس كتابًا في النقد اللغويّ، فقد شاعت كتب التصحيح والنقد في القرون المختلفة، ولا سيما القرن السادس الهجريّ، الذي عاش فيه ابن إدريس، وتقوم هذه الكتب «على إيراد كلمات أو صيغ، والحكم بأنَّها لحن، أو خطأ، أو غلط تقوله العامَّة، ولا يصحُّ استعماله، وتذكر الصواب الذي يجب إحلاله محلَّ الاستعمال الخاطئ»[1]، وهذا ما كان يعنيه كلُّ من ألَّف في لحن العامَّة من القدماء والمحدثين، ويظهر ذلك بوضوح من الأمثلة التي عالجوها في كتبهم، فاللحن الذي يظهر في الإعراب مثلًا كان من نصيب مصنَّفات النحويِّين، واللحن الذي يصيب بنية الكلمة كان من نصيب الصرفيِّين، «أمَّا اللحن الذي في الأصوات أو الصيغ أو في استعمال الكلمة أو نشأ عن التصحيف أو التحريف، فقد كان من نصيب اللغويِّين»[2].

وما شاع عن ابن إدريس الحِلِّيّ في النقد اللغويّ كان يتعلَّق بالصيغ، أو استعمال الكلمة، أو ما كان يعزوه إلى التصحيف أو التحريف، ولا يفوتني أن أزعم أنَّ ما دفع الشيخ في هذه المواضع اللغويَّة إلى بيان دلالة الألفاظ هو المعنى، فكثير من المصطلحات الفقهيَّة المستعملة في أبواب الفقه يجب عنده أن تتوافق مع الدلالة المعجميَّة واللغويَّة، فدراسة المعنى عند الأصوليِّين، وما شاع من تصوُّر لغويّ عندهم قائم على أهل اللغة على تفاوت يسير، قد ذُكر في محلِّه في مدوَّنات أهل هذا الفن.

(١) لحن العامَّة في ضوء الدراسات اللغويَّة: ٤٣.

(٢) أبو منصور الجواليقيّ وآثاره في اللغة: ٢٦٢.

ويمكن القول إنَّ ما كتبه ابن إدريس في هذا الباب يمكن أن يصنَّف ويوضع في باب غلط الضعفاء من الفقهاء، أو ما يلحن فيه الفقهاء، عن سهوٍ أو عمدٍ وعدم دقَّة، أو لعجمة أو لِلُكْنَة، وقد سبقه في ذلك جملة من العلماء قد وقفوا عند ذلك وشخَّصوه وتمثَّلوه، أمثال ابن مكِّيّ الصقلِّيّ في كتابه (تثقيف اللسان)، فقد وسم الصقلِّيّ أحد أبواب كتابه (باب غلط أهل الفقه)، وكذلك فعل ابن بري، فقد كتب (غلط الضعفاء من الفقهاء)، ولا يستبعد اطِّلاع الشيخ على مصنَّفات هؤلاء العلماء، والاهتمام بهم، وتأثُّره بتتبُّعهم لمظانِّ اللغة، على الرغم من عدم التصريح بهم، أو بالاستفادة منهم، ولعلَّ ما يدفع ذلك عنه سعة علمه وتبحُّره وتتبُّعه لكلِّ مفاصل المسائل الفقهيَّة، سواء كانت لغويَّة أم خلافيَّة أم منطقيَّة.

يزاد على ذلك أنَّ اللحن في القرون المتأخِّرة قد عمَّ كثيرًا من الخواص حتَّى صار لافتًا للنظر، وهذا ما دعا الصقلِّيّ وغيره إلى أن يعقد أبوابًا في كتابه تبعًا لهذه الطبقات من الخواص، تمييزًا لغلطهم، وتنبيهًا عليه.

وهذا واضح بيِّن عند الحِلِّيّ، فقد تابع شيخه الطوسيّ، كما أسلفنا، في جلِّ هذه المسائل، وخَطَّأه واستدرك عليه في كثير منها، على جلالة مقام الشيخ الطوسيّ في علم اللغة والفقه والتفسير.

ولعلَّ ذلك يعدُّ تفرُّدًا للشيخ ابن إدريس، وضربًا من لحن الخواصِّ بلا ريب، فقد جُمع هذا اللون من اللحن في هذه الموارد بعد أن وردت عند المتقدِّمين أشتاتًا في كتب اللحن المختلفة، وممَّا يُحسب لابن إدريس أيضًا أنَّ جميع المفردات التي تتبَّعها وصوَّبها ووجَّهها بما ينسجم مع السياق والمعنى في كتاب السرائر، لم تكن موجودة عند المتقدِّمين ممَّن كتبوا في التصويب اللغويّ ولحن العامَّة والخاصَّة إلَّا اللمم، وهذه فضيلة تُضاف إلى فضائله، ولعلَّ الذي يفسِّر ذلك أنَّها ألفاظ شاعت وترعرعت على ألسنة الفقهاء،

وهي اصطلاحات خاصَّة بهذا العلم، وواضح أنَّ الإشكال في اللغة إنَّما يقع «إذا اعتقد المرء أنَّ هذا الاستعمال صواب فاستعمله، وهو خطأ، أو إذا اعتقد أنَّ ذلك الاستعمال خطأ فتجنَّبه، وهو صواب، فذانك الأمران هما مادَّة التصحيح اللغويّ وميدانه»[1]، وأنَّ المستقصي إذا وجد شيئًا من هفوات العلماء لا يصحُّ أن يغضَّ الطَّرف عن إظهاره؛ لئلَّا يتعجَّل من يطَّلع على ما كتبوه، فيعمل على إفساده، ويُسيء في توظيفه.

وإذا كان ابن إدريس في قليلٍ من المواضع متساهلًا متسامحًا، يتَّخذ سبيل الاتِّساع في تجويزه لبعض ما أنكره العلماء، فإنَّه في سائر الألفاظ الأُخر على النقيض من هذا، فهو متزمِّت ومتشدِّد، ومقياس الصواب عنده هو ما تواتر عند أهل اللغة، وجاء على لسانهم.

واللافت للنظر عند ابن إدريس أنَّه لم يترك لفظًا غامضًا أو مشكلًا بلا بيان وتوضيح، وإن كان ظاهره قد شُرح على أيدي مَن تقدَّمه من العلماء، فحاله حال ابن هشام اللخميّ حينما قال وهو يشرح كتاب (الفصيح) لثعلب (ت٢٩١هـ): «إنَّ أكثر من تقدَّم إلى شرحه لم يُشفوا عليلًا، ولا برَّدوا غليلًا، ولا استوفوا غرضًا، ولا ميَّزوا من جوهره عرضًا، وإنَّما فسَّروا من كلٍّ بعضًا، وذكروا من فيضٍ غيضًا»[2].

ولعمري لقد أجاد وزاد في كلِّ المواضع التي استوقفته، فقد أظهر غامضًا، وأبان مشكلًا، وقد اتَّسم بهدوء العالم، وتمحيص الباحث، وصواب المنهج، وممَّا يُحسب له في ذلك كلِّه أنَّ كلامه وتوجيهه لم يخرج عمَّا ذهب إليه المعجميُّون واللغويُّون قبله، وفوق ذلك أنَّه كان واضح العبارة، مهذَّب الفكرة، لم يتهجَّم على من تقدَّمه، بل في كثير من الأحيان يبحث له عن عذر، فينسب ذلك الخطأ إلى النسَّاخ، أو إلى التصحيف

(١) حركة التصحيح اللغويّ في العصر الحديث: ٢٤.

(٢) شرح الفصيح: ٤٥.

والتحريف، وفي قليلٍ من المواضع، يقع الشيخ نفسه في وهم، فيُجانب الصواب من حيث لا يدري[١].

ويبدو ممَّا أورده من الاستعمالات التي حكم على أغلبها بالغلط، كثير التشدُّد، ينشد الأفصح في اللغة، ولا يعبأ بما دونه من وجوه أقلَّ فصاحة، أو هي ضعيفة جائزة، وهو بمذهبه هذا يُعدُّ واحدًا من أصحاب مبدأ تنقية اللغة المعروفين، فدلالة اللفظ من حيث الإفراد والتركيب عند أصحاب المعجمات وأهل اللغة، هي الحاكمة على صحَّة الاستعمال وعدمه، وهذا لا يتعارض عنده مع ما ينفتح من مسالك التعبير بالاستعمال المجازي سوى أنَّ الفن الذي يتحدَّث به، وهو (علم الفقه)، لا يحتمل- إلى حدٍّ ما- تعدُّد الدلالة لمصطلحاته، وأنَّ الخطأ ليقع في المستجدِّ المستحدث، أحيانًا وأخرى في دلالة اللفظ وما يحتمله، وما يمكن أن يُطلَق عليه بلحاظ ثقافة المستعمل للغة حين لا يوضع في موضعه الذي حدَّدته له اللغة، وقد يكون في الخافي من معناه ما لا يوافق الموضع الذي وضِع فيه، فيُستعمَل في غير وجهه. قال ابن جنِّيّ(ت٣٩٢هـ): «فربَّما استهواهم الشيء، فراغوا به عن القصد»[٢]، وربَّما يقع الوهم في استعمال الألفاظ بسبب التقارب في الدلالة، «وليس في التصحيح اللغويّ حجر أو تقييد أو إلزام، إذ إنَّ قوام ما يهدف إليه المصحِّحون أن ينبِّهوا على الاستعمال غير الصحيح، الذي لا ينهض على أصل في اللغة، ولا تقرُّه المعجمات»[٣].

وعلى الرغم من كلِّ ما تقدَّم، ينطوي التصحيح اللغويّ أو النقد على قدر كبير من المجازفة، فليس من اليسير أن يمنع مانع بناءً أو دلالةً للفظ، أو تركيبًا لغويًّا معتمدًا على

(١) ينظر في ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر: لفظة(نقد) في المبحث الثاني.
(٢) الخصائص: ٣/ ٣٧٣.
(٣) في التصحيح اللغويّ والكلام المباح، د. خليل بنيان الحسُّون: ١٧.

ما تناهى إليه من العلم، وما توافر لديه من الشواهد والدلائل، فاللغة باتِّساعها مكانًا وزمانًا، وبثراء تراثها، ليس من السهل الإحاطة بكلِّ دقائقها إحاطة تامَّة، فضلًا عن أنَّ المصحِّح قد يقع هو في وهم؛ فيُجانب الصواب، ومن هنا رافق جهد التصحيح جهدًا آخر، هو متابعة ما يقرِّره المصحِّحون، فالتصحيح مُحتاج إلى تصحيح.

ويجدر بنا أن نذكر مسألة مهمَّة قد عدَّها ابن إدريس المرجع عنده في الحكم على الألفاظ ودلالتها من حيث الصواب والخطأ، وهي الرجوع إلى أهل اللغة وأصحاب المعجمات. أقول: إنَّ الاحتكام إلى المعجمات فيما يصحُّ استعماله وما لا يصحُّ، لا يتحقَّق دائمًا، والدليل على ذلك أنَّ المعجمات كلَّها ابتداءً من العين للخليل، إلى تاج العروس للزَّبيديّ، لم تستوعب كلَّ المسموع، وكلَّ الوارد في النصوص الشعريَّة والنثريَّة، ولهذا استدرك عليها علماؤنا كثيرًا من الأبنية بدلالات أخلَّت بها، أمَّا إذا كان الرجوع إليها أو إلى أهل اللغة، كما فعل ابن إدريس في كثير من المواضع، بدافع تأييد المعنى، وبيان دلالة اللفظ إفرادًا وتركيبًا واستعمالًا، فلا بأس بذلك، بل يعدُّ حجَّة لا يمكن ردَّها أو إنكارها، وكان رجوعه إليها من هذا الباب، بعد التمحيص والتدقيق.

ولا بدَّ من القول إنَّ سعة علم الرجل، وإحاطته، وإلمامه، ووضوح منهجه، تجعل القارئ يرسم رؤى هادفة قائمة على حسن تطلُّعه، فهو من غير قصد تراه يعالج الغامض، ويستفهم عن المشكل، متسلسل الأفكار، واضح الرؤى، والتصويب عنده جزء من منهجه لا يعمل قاصدًا على تتبُّعه، ولا يرى ضرورة في بيان ذلك والرجوع إلى مصادره، فالسياق والاستعمال وضرورات المعنى هي الحاكمة عنده، وهو، فضلًا عن ذلك، يتَّسم بحسن النقل والأمانة، وهو خير خلف لخير سلف، يتذوَّق اللغة، ويعمل على فروقها، ويستدرك ما فات الأوائل من تلطُّف في صياغتها، وعبق في ظلالها.

المبحث الثاني

مظاهر النقد اللغويّ عند ابن إدريس الحِلِّيّ

تمثِّل ظاهرة النقد اللغويّ معيارًا من معايير سلامة اللغة وفصاحتها، فبها يمكن التمييز بين جمال اللغة وعذوبتها، ورهافة جرسها ووقعها، وبين قبحها ورداءتها، وبساطة ألفاظها، أو سوء معانيها، وهذا لا يتعارض بوجه مع ما سيق لتلك اللغة من تطوُّر وتبدُّل وعدول، فالنقد هو صفة لتثقيف اللسان وتلقيح الجنان، كما يقول ابن مكِّي الصقلِّيّ، ولغرض الدقَّة التي تتَّصف بها العربيَّة في بيان غرض الألفاظ، ودلالتها، وصياغتها، وحسن تفرُّدها، وصياغتها، لا بدَّ من عرض جهد الشيخ ابن إدريس في توجيهه لبعض الألفاظ التي رأى أنَّها مالت عن أصولها، ولا بدَّ من العمل على إعادة استقامتها؛ ليزداد نفعها، وكلُّ ذلك لا يقوم إلَّا بمعونة أهل اللغة، وسلاطين الدراية من اللغويِّين بعامَّة، والمعجميِّين خاصَّة. وأوَّل أمثلتنا[1] ما جاء في:

١. مادة (آصُع) (أصْوُعٌ) (أصْيع):

جاء في كتاب الإيمان، في أقسام الكفارات وأحكامها، قال ابن إدريس: «شيخنا أبو جعفر في نهايته جمع الصَّاع على أصع، فقال: كفارة من تزوَّج بامرأة في عدَّتها خمسة أصع

(١) لا بدَّ من الاشارة إلى أنَّ كتاب السرائر زاخر بالأمثلة، ينظر على سبيل التمثيل: التخفاف: ٣/ ٣٠٧، الأسكتان:٣/ ٣٩٢، حاضر لباد: ٢/ ٢٣٦-٢٣٧، الحبن: ١/ ٤٢٨، رأس: ٣/ ٤٧٠، عرق: ١/ ٣٩٠، فاره:١/ ٤٩٧، قرن المنازل: ١/ ٥٢٨، محماة: ٣/ ٢٣١، وغير ذلك الكثير.

مـن دقيق، وإنَّما جمع الصاع أصوع، قال الأصمعـيّ: العامَّة تُخطى، فتقول: ثلاثة أصع، وإنَّـما يُقال: ثلاث أصـوع، وقد يذكَّر الصاع ويؤنَّث، فمن أنَّثـه جمعه على أصوع، ومن ذكَّره جمعه على أصواع»[١].

والصـاعُ هـو مكيال يُكال به، يسـاوي أربع أمـداد، وجمعه أصْـوُعٌ. وقيل هو إناء يُشرب فيه، فالصُواع لغة في الصاع[٢]، وزاد ابن سـيده بأنَّ الصاع يذكَّر ويؤنَّث، وجمعه أصْـوُع، وأصْواعٌ وصيْعان[٣]، وهذا ما جعل ابن مكِّـي الصقلِّيّ يخطِّئ من يجمع صاع عـلى (آصُع)، والصواب في جمع صاع عنده أصْوُع، مثل دار وأدور، ونار وأنور، ويجوز همـز الواو فيها؛ لثقل الضمَّة عليها[٤]، وتبعه في ذلك ابن برِّي قائلاً: «ويقولون: في جمع صاعٍ (آصُعٌ)، وصوابه: أصْوُعٌ»[٥].

ولا شكَّ في أنَّ ابن إدريس قد تابع اللغويِّين والمعجميِّين في جمع هذه المادَّة اللغويَّة، وسار على خطاهم، وخطَّأ شيخه الطوسيّ في جمعها، مشيرًا إلى رأي الأصمعيّ في ذلك، بلحـاظ كونـه رأس اللغويِّين المأخوذ برأيه، والحقُّ أنَّ الكثـير من اللغويِّين قد ذهبوا إلى هذا المذهب، كما أشرنا.

ونقـل المطـرَّزيّ (ت٦١٠هـ) رأي أبي عـليّ الفـارسيّ قائـلا: «وجمعـه أصْـوُعٌ وصيعـان، وأمَّا آصُـعٌ فَقَلبُ أصْؤُعٍ بالهمزة لضمَّة الـواو كآدُر في أَدْؤُر جمع دار عند أبي عـليّ الفارسيّ»[٦]، وتوسَّـع الفيُّوميّ في عرض آراء القوم، فـزاد البيان وضوحًا، بقوله:

(١) السرائر: ٣/ ٧٧، وينظر: النهاية: ١/ ٤٥.
(٢) ينظر. تاج اللغة: ١/ ٤٠٠.
(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٣٠٩.
(٤) ينظر: تثقيف اللسان: ١٨٩.
(٥) غلط الضعفاء من الفقهاء: ٢٢، وأربعة كتب في التصحيح اللغويّ: ٢٢
(٦) المغرب في ترتيب المعرب: ٣/ ٢٩٤.

«قال الفرَّاء: أهل الحجاز يؤنِّثون الصاع، ويجمعونها في القلَّة على أَصْوُع، وفي الكثرة على صيعان، وبنو أسد وأهل نجد يُذكِّرون ويجمعون على أصواع.. ونقل المطرَّزيّ عن الفارسيّ أنَّه يجمع أيضًا على آصُعٍ بالقلب.. وهذا الذي نقله جعله أبو حاتم من خطأ العوام، وقال ابن الأنباريّ: وليس عندي بخطأ في القياس؛ لأنَّه وإن كان غير مسموع عن العرب، لكنَّه قياس ما نقل عنهم، وهو أنَّهم ينقلون الهمزة من موضع العين إلى موضع الفاء، فيقولون أَبْآرٍ وآبَارٌ»[1]. وهذا التعارض في صيغة الجمع لـ(صاع) بين أبي حاتم وابن الأنباريّ، بناءً على السماع والقياس، يمثل اختلافًا بين أهل اللغة، ويُعدُّ من خطأ العوام عند بعض اللغويِّين، الذي لا بدَّ له من صواب، وهذا ما جعل ابن إدريس أكثر ميلًا للأشهر من أقوال اللغويِّين.

وممَّا يلحظ على نصِّ ابن إدريس السابق أنَّ جمع صاع قد ذُكرت في نسخة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم، بلا حركات، وهي(اصع)، أمَّا نسخة مكتبة الروضة الحيدريَّة، وهي موسوعة ابن إدريس، فقد ذُكرت في النصِّ (أصيع)، وقد علَّق محقِّقها على ذلك قائلًا: «الموجود في النسخَتَين بإيران وبيروت- قديمًا وحديثًا-(ويقصد الموجود في كتاب النهاية) (أَصْوُع)، ولعلَّ ما نقله المصنِّف كان في نسخته»[2].

وسواء اعتمدنا على نسخة جماعة المدرِّسين، أو نسخة الموسوعة، فلم يُذكر فيما نقل عن ابن إدريس أنَّ (الصاع) قد جُمِع على (أصوع)، وربَّما يحمل ما موجود في نسخة جماعة المدرِّسين، وهو(اصع) على ما ذكره اللغويُّون، وهو(آصُع) الذي تعرَّض إلى القلب، وكذلك ما جاء في الموسوعة (أصْيع) يحمل على رأي أهل الحجاز الذين

(١) المصباح المنير: ٥/ ٢٨٦.
(٢) السرائر: ٥/ ١٢٢.

يؤنِّثون الصاع ويجمعونه في الكثرة على صيعان، وربَّما أصْيع، وهذا ما سعى ابن إدريس إلى تصويبه، وممَّا يؤخذ عليه أنَّه لم يذكر آراء اللغويِّين الآخرين، ولاسيما ما نُقل عن أبي عليّ الفارسيّ، وكذلك ما حمله ابن الأنباريّ على القياس، ولعلَّ الشيخ ابن إدريس قد حمل ذلك على الأشهر عند اللغويِّين، وما خالف ذلك جعله من خطأ العوام، فهو يأخذ بالسماع، ولا يستسيغ القياس، أو قُل: يعمل على تضعيفه، فمقياس الصواب عند المتشدِّدين هو الأفصح، وما عداه لحن، وعند المتساهلين كلُّ ما تكلَّمَت به العرب وما قيس على كلامهم، فهو صواب، لذا جاء على لسانهم «وصُعْتُ الغنم أصُوعها وأصِيعها: فرقتها»[1]، وهلَّم جرًّا.

٢. مادَّة (الجلاهق):

جاء في كتاب الصيد والذبائح على لسان ابن إدريس: «ولا يؤكل من الطير ما يُصاد بسائر أنواع آلات الصيد، إلَّا ما أدرك ذكاته، إلَّا ما يقتله السهم، ويكون مرسله قد سمَّى عند إرساله، أو ترك التسمية ساهيًا، مع اعتقاده لوجوبها.. أو صيد بالبندق، وهو الجلاهق، وهو الطين المدوَّر، يُرمى به عن القوس، فارسيّ، وأصلة بالفارسيَّة (جلاهة)، الواحدة جلاهقة وجلاهقتان، وليس الجلاهق، القسي، كما يظنُّه بعض النَّاس. وقال شيخنا المفيد في مقنعته، ورمي الجلاهق، وهي قسي البندق، حرام، والصحيح ما ذكرناه، فإنَّه قول اللغويِّين، ذكره ابن الجواليقيّ في المغرب، وذكره أيضًا الجوهريّ في كتاب الصِّحاح، والاعتماد على أهل اللغة في ذلك، فإنَّهم أقوم به»[2].

(١) المعجم الاشتقاقيّ المؤصِّل لألفاظ القرآن، د.محمَّد حسن جبل: ٣/ ١٢٢٣، وينظر: القاموس المقارن، د. خالد إسماعيل: ٣١٠.

(٢) السرائر: ٣/ ٩١.

ذَكر ابن إدريس أنَّ (الجلاهق) هي كرات الطين، أي هي الطين المدوَّر الذي يُرمى به عن القوس، ويُستخدم في الصيد، وهو فارسيّ، وأصله (جلاهة)، وليس الجلاهق عنده القسي، أي قوس الجلاهق، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء الذين بدا لهم أنَّ هذا اللفظ من المشترك اللفظيّ، وعزَّز ابن إدريس ما ذهب إليه بقول اللغويِّين أمثال الجواليقيّ والجوهريّ، وردَّ على شيخه المفيد، الذي يرى أنَّ الجلاهق هي نفسها قسي البندق، وذهب الخليل إلى أنَّ الجلاهق هي البندق الذي يُرمى به، وهو دخيل[1]، وكذلك قال ابن دريد: «والجلاهق الذي يرمي به الصبيان البندقَ»[2].

وشيخنا ابن إدريس قد نقل كلام الجواليقيّ القائل: «لم يجتمع الجيم والقاف في كلمة عربيَّة إلَّا بحاجز.. والجلاهق الذي يرمي به الصبيان، وهو الطين المدوَّر المدملق، يرمى به عن القوس»[3]، وقد سبق الجواليقيّ إلى ذلك الجوهريّ، قائلاً: «والجلاهق: البندق، ومنه قوس الجلاهق، وأصله بالفارسيَّة (جله)، وهي كبَّة غزل، والكثير جلهًا، بها سمِّي الحائك»[4].

ولعلَّ ابن إدريس قد قدَّم الجواليقيّ على الجوهريّ؛ لأنَّ الجلاهق كلمة فارسيَّة، والجواليقيّ أقرب وأكثر اهتمامًا بهذه الألفاظ من غيره، والثابت أنَّ الجوهري كان أكثر دقَّة وتخصيصًا لدلالة لفظ الجلاهق حينما خصَّصها بالبندق، ثمَّ قال: ومنه قوس الجلاهق، وكأنَّه يريد أن يقول: إنَّ قوس الجلاهق غير الجلاهق التي هي كرات الطين أو البندق.

(١) ينظر: العين: ٥/ ٢٤٣.
(٢) جمهرة اللغة: ٢/ ١٣٤، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباريّ: ١/ ٢٧٤.
(٣) المعرب من الكلام الأعجميّ: ١٤٤، وينظر: شفاء الغليل شهاب الدين الخفاجيّ: ٦٧، والألفاظ الفارسيَّة المعرَّبة، مجيد أنور عبَّاس: ٤٣.
(٤) تاج اللغة: ١/ ١٣٤

وذكر أحد الباحثين أنَّ الجواليقيّ كان «كثيرًا ما يقول: وقال بعض أهل اللغة، وهو يعني الجوهري أحيانًا، أو يقول: وقال ويريد ابن دريد.. ومعظم كتابه هذا ممَّا جمعه من هؤلاء الثقات، من غير أن يبيِّن صحَّة أقوالهم، أو مدى صحَّتها»[1].

ويبدو أنَّ الجواليقي قد اعتمد على علماء سبقوه في نقل مواد كتابه من كتبهم، أو من أقوالهم المرويَّة عنهم، وعلى الرغم من ذلك، وقع في أوهام عدَّة، ومنها أنَّه يغفل نسبة بعض النقول والروايات إلى أصحابها، فيبدو للقارئ أنَّها آراء الجواليقيّ نفسه[2]، وهذا ما أردنا الإشارة إليه، فقد سبقه الجوهريّ في معنى الجلاهق، ولم يختلف الجواليقيّ في نقله لمعنى الجلاهق عنه، غير أنَّه لم ينسبه إلى الجوهريّ، وهذا من العيوب التي نُسبت إليه كما أشرنا.

ولا يخرج عن هذا المعنى للجلاهق ما ذهب إليه ابن منظور والزَّبيديّ والطريحيّ[3]، وربَّما هذا التواتر في نقل هذا المعنى اللغويّ للفظة (الجلاهق) هو الذي جعل ابن إدريس يعمل على تصحيحها لغويًّا؛ من أجل أن تستقيم دلالتها، ويتحقَّق مراد الصيد ودلالته، ويصحِّح ما ذهب إليه الشيخ المفيد.

وما ذهب إليه الشيخ ابن إدريس هو إطلاق، قد ذهب العلماء إلى شبه اتِّفاق عليه (في معنى القوس ودلالته)، فقد ذكر الشيخ الطوسيّ ثلاثة أنواع من الأقواس: «قوس من قسي، وقوس نشَّاب، وهو قوس العجم، وقوس نبل، وهو قوس العرب.. ويكون له قوس جلاهق، وهو قوس

(١) المعرب والدخيل، د. محمَّد التونجيّ: ٤٤.

(٢) ينظر: أبو منصور الجواليقيّ وآثاره في اللغة، د. عبد المنعم أحمد صالح: ١٢٥-١٤٠، وأوهام الجواليقيّ في المعرب، د. صباح عبَّاس السالم: ١٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٣٧، وتاج العروس: ١/ ٦٢٣٣، ومجمع البحرين: ٥/ ٢٤٣، ومحيط المحيط، بطرس البستانيّ: ١/ ٣٩٠.

البندق»[١]، وهذا يعني أنَّ القوس عندهم يختلف عن البندق، أو كرات الطين، وقد زاد المحقِّق البحرانيّ معلِّقًا على كلام الشيخ الطوسيّ: «ولعلَّ الشيخ نقل عرفًا لغويًّا أو عاميًّا في أنَّ القوس إنَّما يُطلق حقيقة على الثلاثة السابقة»[٢]، قال العلَّامة الحِلِّيّ: «أو يكون له قوس جلاهق، وهي قوس البندق»[٣]، فالجلاهق يكاد يكون عليها شبه اتِّفاق على أنَّها أحد أسماء القوس، وهي التي تُضرَب بها كرات البندق.

هذا ما تشاكل عليه أهل اللغة وأرباب المعجمات، وشذَّ عن ذلك رأي لرينهارت دوزي، حيث قال: «ولا تعني كلمة بندق كرات من الطين أو الزجاج أو المعدن يرمى بها بالجلاهق فقط، بل تعني قوس البندق، وهو الجلاهق، أي قذَّافة البندق أيضًا.. وقد صارت كلمة بندق بمعنى الجلاهق»[٤].

ويبدو أنَّ الرجل قد ذهب إلى ذلك من باب توسُّع اللغة وتطوُّرها دلاليًّا، وكثرة استعمال بعض الألفاظ مكان بعضها الآخر استعمالًا فيه شيء من الاشتراك اللغويّ، وهذه طبيعة اللغة وطبيعة الاستعمال أيضًا، فمن يتساهل في ذلك يعمل على الاقتراب والتناوب، ومن يتشدَّد وينشد الدَّقة يعطي دلالة واحدة ودقيقة لكلِّ الألفاظ اللغويَّة، ويسعى إلى فرادة تعبيريَّة من أجل دقَّة المعنى وبيان المراد، وهذا ما كان ينشده كثير من أصحاب النقد اللغويّ في كتبهم ومؤلَّفاتهم، وحذا ابن إدريس حذوهم.

٣. مادَّة (الحارصة):

جاء في كتاب الديات والجنايات في أنواع الجراحات[٥]، قال ابن إدريس: «فعلى

(١) المبسوط: ٤/ ٢١.
(٢) الحدائق الناضرة: ٢٢/ ٤٨٩.
(٣) مختلف الشيعة: ٦/ ٢٣٧.
(٤) تكملة المعاجم العربية: ١/ ٤٥٠.
(٥) الجراحات عند ابن إدريس:=

ما حررناه، الجراحات عشرة، وقال شيخنا في نهايته: الجراحات ثمانية، أوَّلها الحارصة، وهي الدامية، ثمَّ الباضعة، ثمَّ المتلاحمة، ثمَّ السِّمحاق، والذي اخترناه مذهب الجلَّة من المشيخة من أصحابنا، مثل السيِّد المرتضى.. وإلى هذا يذهب شيخنا المفيد.. والفقيه سلَّار في رسالته، وهو قول جماعة اللغويِّين مثل الأصمعيّ، وأبي عبيد القاسم بن سلَّام.. وابن قتيبة.. وشيخنا أبي جعفر، جعل الحارصة هي الدامية، وجعل مكان الدامية الباضعة، وجعل مكان الباضعة المتلاحمة، وبعدها السمحاق، وجميع أصحابنا جعلوا الرابعة من الشجاج السمحاق بلا خلاف»[1].

وعلى نحو الإجمال، فالقول في عدد الجراحات وفي ترتيبها مختلف فيه عند الفقهاء[2]، وغرضنا في هذا الموضع بيان أنَّ الحارصة هي الدامية، على رأي الشيخ

=أوَّلها الحارصة، بالحاء غير المعجمة، والصاد غير المعجمة، وهي التي تحرص الجلد، يعني تشقُّه قليلًا.

ثمَّ الدامية، وهي التي تشقُّ اللحم بعد الجلد، ثمَّ المتلاحمة، وهي التي أخذت في اللحم، ولم تبلغ السمحاق.

ثمَّ السمحاق، بالسين غير المعجمة، وكسرها، وسكون الميم، والحاء غير المعجمة، وفتحها، والقاف، وهي التي بينها وبين العظم قشيرة رقيقة، وكلُّ قشرة رقيقة فهي سمحاق، ومنه قيل في السماء سماحيق من غيم.

ثمَّ الموضحة، وهي التي تبدي وضح العظم، وتقطع القشيرة الرقيقة التي سمِّيت سمحاقًا، ثمَّ الهاشمة، وهي التي تهشم العظم، ثمَّ المنقِلة بكسر القاف، وهي التي تخرج منها فَراش العظام، وفَراش الرأس بفتح الفاء، والراء غير المعجمة، المفتوحة، والشين المعجمة، وهي عظام رقاق تلي القحف، وتحوج إلى نقله من موضع إلى موضع، ثم الآمة وهي المأمومة بعبارة الفقهاء، وهي التي تبلغ أمّ الرأس، وأمّ الرأس، الخريطة التي فيها الدماغ، وهو المخ؛ لأنَّ الدماغ في خريطة من جلد رقيق، والدَّامغة تزيد على المأمومة، بأن تخرق الخريطة، وتصل إلى جوف الدماغ، فالواجب فيهما سواء، وهو ثلث الدية بلا خلاف. ينظر: السرائر: ٣/ ٤٠٦-٤٠٧.

(١) السرائر: ٣/ ٤٠٩، وينظر: النهاية، الشيخ الطوسيّ: ٩٥.

(٢) ينظر: نزهة الناظر: ١/ ١١٤، واللمعة الدمشقيَّة: ٧/ ٥٦، والأشباه والنظائر، يحيى بن سعد=

الطوسيّ، أم غيرها كما يرى ابن إدريس، وهذا أمر متعلِّق بمباحث اللغويِّين والمعجميِّين، قبل الفقهاء والأصوليِّين وهذا ما سار عليه ابن إدريس في نصِّه المتقدِّم.

ويبدو أنَّ الفقهاء والأصوليِّين قد اختلفوا في الحارصة والدامية والباضعة، وقد اتَّفقوا على غيرها من الجراحات، وهذا ما دفع الشيخ الطوسيّ وغيره من الأعلام إلى القول إنَّ الحارصة هي الدامية[١]، وأمَّا ابن إدريس فقد اختلف مع الشيخ الطوسيّ وغيره من الأعلام، بناءً على قول اللغويِّين، ويظهر أنَّ قول الأصمعي وغيره من اللغويِّين قد تناقله الفقهاء فيما بينهم، ويعدُّ حجَّة لديهم، فقد نقل الصدوق قوله: «قال الأصمعيّ: أوَّل الشِّجاج الحارصة، وهي التي تحرص الجلد، يعني تشققه.. ثمَّ الباضعة، ثمَّ المتلاحمة»[٢]، وقال ابن قتيبة: «أوَّل الشِّجاج الحارصة، وهي التي تقشر الجلد قليلًا»[٣].

أقول: قال الخليل الفراهيديّ: «والحارصة: شجَّة تشقُّ الجلد قليلًا، كما يحرص القصَّار الثوب.. والمطر يحرص الأرض يخرقها»[٤]، وقد نقل الهرويّ كلام الأصمعيّ قائلًا: «قال الأصمعي وغيره في الشجاج دخل كلام بعضهم في بعض: أوَّل الشجاج الحارصة، وهي التي تحرص الجلد، يعني التي تشقُّه.. ثمَّ الباضعة، وهي التي تشقُّ اللحم تبضعه بعد الجلد.. ثمَّ المتلاحمة.. والدامية هي التي تدمي من غير أن يسيل منها دم»[٥]، ونقل ذلك أبو بكر الأنباريّ، فالحارصة عنده غير الدامية..[٦].

=الحِلِّيّ: ١/ ١٦٢، وشرائع الإسلام: ٦/ ٢٣٩، والمختصر النافع، المحقِّق الحِلِّيّ: ١/ ٢٥٩.

(١) ينظر: ينظر: نزهة الناظر: ١/ ١١٤

(٢) من لا يحضره الفقه: ٤:٣٧١.

(٣) أدب الكاتب: ١١٣، وينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ابن السيِّد البطليوسّي: ١/ ٨٦.

(٤) العين: ١/ ٣٦٨.

(٥) غريب الحديث: ٣/ ٧٤-٧٧.

(٦) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٣٦٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن=

ويبدو أنَّ الخلاف في أنواع الشِّجاج والجراحات محتدم ودقيق عند اللغويِّين، غير أنَّهم قد وضعوا لكلِّ جرح وعلامة تسمية تختلف عن أختها، وهذا واضح بيِّن عندهم، وخاصَّة في الفرق بين الحارصة والدامية، على الرغم من تقاربهما، وجيء أحدهما تلو الآخر، قال الثعالبيّ: «فإذا بضعت اللحم ولم تسل الدم، فهي الباضعة، فإذا بضعت اللحم وأسالت الدم، فهي الدامية»[1]، فالاستطراد في متابعة دلالة الدامية واختلافها عن الحارصة عند اللغويِّين، وكذلك ترتيب أسماء هذه الجراحات ينبئ عن دقَّة ومعرفة لغويَّة تميَّز بها الشيخ ابن إدريس، وجعلها بمثابة منهج سار عليه في كلِّ مباحثه الفقهيَّة والأصوليَّة.. فالدامية مختلفة عن الحارصة عند اللغويِّين. قال الجوهري: «فإن سال الدم فهي الدامية»[2]، والأصح عند ابن فارس أيضًا أنَّ التي تسيل دمًا هي الدامية[3]، فالحارصة، كما أسلفنا، تختلف تمامًا عن الدامية، فالتي تحرص الجلد، أي تشقُّه قليلًا، لا شكَّ أنَّها تختلف عن الدامية التي تسيل دمًا، لذا يقول ابن منظور: «الحارصة وهي التي تقْشِّر الجلد ولا تدميه، والدامية، وهي التي تدميه»[4].

والثابت في كلِّ ما تقدم أنَّ تخطئة ابن إدريس للشيخ الطوسيّ في الفرق بين الدامية والحارصة قائم على كثرة الاستعمال اللغويّ، وهو منهج قد سار عليه الأوائل، على الرغم من أنَّ بعض اللغويّين لم يفرق بينهما، ممَّا دعا الشيخ الطوسيّ إلى القول بترادفهما، وعدم الفرق بينهما، وهذا ديدن بعض علماء الفقه والأصول، على الرغم من أنَّ الدلالة اللغويَّة للألفاظ سيترتَّب عليها حكم شرعيّ ودية ومقدار.

=الأثير: ١/ ٩٣٦.

(١) فقه اللغة: ١/ ٢٢.

(٢) تاج اللغة ١/ ٤٥، وينظر: المخصَّص: ١/ ٤٣٤، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣١٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٦، ولسان العرب: ٨/ ١٢، والمصباح المنير: ١/ ٣٢٢.

(٤) لسان العرب: ٢/ ٣٠٣، وينظر: تاج العروس: ١/ ١٤٤٠.

وممَّا يحسب على الشيخ ابن إدريس أنَّه لم يُشر إلى أنَّ هناك اختلافًا بين اللغويِّين، وإن كان نسبيًّا، بين دلالة هذه الألفاظ، وأنَّ الشيخ الطوسي لم يكن مدقِّقًا في هذه المسألة، بل ذهب إلى تخطئته بناءً على قول المشهور من اللغويِّين، بمعنى أنَّه الأفصح في الاستعمال، ومن هذا يتَّضح أنَّ الشيخ ابن إدريس قد ركب مركبًا صعبًا في مشايعة غيره في الحكم، على معظم هذه الاستعمالات بالغلط، وتشدَّد وأنكر ما فيها من وجوه الجواز.

٤. مادَّة (رقَل) (رخَل) (نَقَد):

ذكر ابن إدريس في كتاب الزكاة، في زكاة الغنم، قال: «وذكر شيخنا أبو جعفر الطوسيّ رحمه الله في الجزء الأوَّل من مسائل خلافه: مسألة المتولِّد بين الظباء والغنم، إن كان يسمَّى غنمًا أخرج منه، وإن كان لا يسمَّى غنمًا لا يخرج منه الزكاة، ثمَّ قال في استدلاله: وقد قيل: إنَّ الغنم المكِّيَّة آباؤها الظباء، وتسمية ما تولَّد بين الظباء، والغنم رَقَل وجمعه رِقال، لا يمتنع من تناول اسم الغنم له، فمن أسقط عنها الزكاة فعليه الدلالة»[1].

وقد ردَّ ابن إدريس قائلًا: «ما وجدت في كتب اللغة في الذي يبنى من الراء والقاف واللام، ولا الراء والفاء واللام، ولا الزاء والفاء واللام ما يقارب ما ذكره شيخنا، وأظنُّ هذه الصورة جرى فيها تصحيف أو طغيان قلم، أمَّا من الكتاب الذي نُقلت منه، أو من النساخ لخلل في نظام الكتابة وقصور فيها، فرأى الكاتب النون منفصلة من القاف، والدال كان فيها طول، فظنَّها لامًا، وظنَّ النون المنفصلة عن القاف راءً فكتبها رقل، وإنَّما هي نقد، محركة القاف، والنقد بالتحريك والدال غير المعجمة، جنس من الغنم، قصار الأرجل، قباح الوجوه، يكون بالبحرين، هكذا ذكره الجوهريّ، في

(١) السرائر: ١/ ٤٣٨-٤٣٩، والخلاف، الشيخ الطوسيّ: ٢/ ٣٠.

كتاب الصحاح وغيره من أهل اللغة»[1]، ثمَّ زاد ابن إدريس ناقلًا قول ابن دريد: «دقال الغنم، صغارها، يُقال شـاة دقلة، على وزن فعلة، إذا كانت صغيرة، بالدال غير المعجمة المفتوحـة، والقاف، وهذا أقرب إلى تصحيف الكلمـة، والأوَّل هو الذي يقتضيه ظاهر الـكلام، فعلى قول ابن دريد في الجمهرة، يكون الناسـخ، قد قصَّر مـدَّ الدال الفوقانيَّة، فظنَّها راءً، وهذا وجه التصحيف»[2].

ويترتَّب على قول الشيخَين مسائل عدَّة أحاول الوقوف عليها بشيء من التفصيل، وحينـما رجعت إلى كتاب الخلاف للشـيخ الطوسيّ، وجدت أنَّ الشـيخ ابن إدريس قد نقل المسـألة بأمانة ودقَّة عالية، غير أنَّه قد وقع في تصحيف لهذه المادَّة أيضًا، على الرغم مـن أنَّه قـد ظنَّ أنَّ النسَّـاخ هم الذيـن يتحمَّلون هـذا التصحيف الذي جـاء به ظاهر المعنى.

أقول: إنَّ الشـيخ الطوسي في كتابه (الخلاف) قد سـمَّى المتولِّد بـين الظباء والغنم بـ(الرَّخـل)، أي بحرف الخاء، وليـس القاف (رقل)، كما نقله ابـن إدريس في السرائر، ولا بـدَّ لي قبـل كلِّ شيء أن أفـرِّق بين (الرَّخـل)، و(الرَّقـل) اللتَين جاءتـا في النصَّين السابقَين على لسان الشيخَين.

فالرَّقـل في اللغـة ذكـره الخليـل، وهـو أنَّ الإرقـال يعنـي الإسراع[3]، والرَّقْـل عنـد ابـن دريـد يعنـي: النخـل، الواحـدة رِقْلـة[4]، وزاد الفيُّومـيّ قائـلاً: «وأرقلـت إرقـالًا طالـت، وأقلـت الناقـة إرقـالًا، وهـو ضرب سريـع مـن

(١) السرائـر: ١/ ٤٣٨-٤٣٩، وينظـر: المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث، أبو موسـى المدينيّ: ٢٢٠وغريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ١/ ١٤٩

(٢) السرائر: ١/ ٤٣٨، وينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٣٦٢، والصِّحاح: ١١٣٤، وأساس البلاغة: ٦٥.

(٣) العين: ١/ ٧٠٤ (رقل).

(٤) ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٤٠٦ (رقل).

السـير»[١]، فالرقلة هي النخلة التي فاتت اليد، وهي فوق الجبَّارة، وقد نقل ابن منظور كلام الأصمعـيّ في ذلك قائلًا: «إذا فاتت النخلة يد المتناول، فهي جبَّارة، فإذا ارتفعت عـن ذلك، فهـي الرَّقلة، وجمعها رقْـلٌ ورقالٌ.. والإرقـال هو ضرب مـن العَدْو فوق الخبـب»[٢]، فالرقل النخل الذي فات اليد، أي طا ونها، ويُلحظ في ذلك الإسراع الذي أشار إليه الخليل، ولا شك أنَّ بين الارتفاع والإطالة والإسراع وجه شبه كبير.

أمَّـا (الرَّخل) فالرُّخـال بالضمِّ لا غيره هـو الأنثى من أولاد الضـأن[٣]، والرِّخل بكـسر الخاء عند الجوهري الأنثى من أولاد الضأن أيضًـا[٤]، وزاد الأزهريّ أنَّ الرَّخل هو الأنثى من سِخال الضأن[٥].

أعـود إلى مـا ذهب إليه ابن إدريس رحمه الله فهو يرى أنَّ الكلمـة قد صُحِّفت، وما أراده الشـيخ الطوسيّ هو كلمة (نَقَد) التي بيَّن معناها سـابقًا، وهي جنس من الغنم، كما قال قصار الأرجل.

وأحسـب أنَّ في النصوص تعارضًـا وعدم ظهور، فإذا تنزَّلنا وقلنا بما قاله الشـيخ ابـن إدريس أنَّ هناك تصحيـف في كلمة (رَقَل)، وما أراده الشـيخ الطوسيّ هو (نَقَد)، وبعد بيان كلمة نقد على لسانه، نقول مستفهمين: ما علاقة (النَقَد) التي هي الغنم ذات الأرجـل القصيرة بأصل عنوان المسـألة المتعلِّقة بزكاة ما تولد بـين الظباء والغنم؟ فلم يبيِّن لنا ابن إدريس أنَّ ما تولَّد بين الظباء والغنم يسمَّى (نقد)، وإذا كان الذي يفهم من كلامـه هذا المعنى، فلا علاقة من حيـث الظاهر بين صفات هذه الغنم التي في البحرين

(١) المصباح المنير: ٣/ ٤٥٧ (رقل).
(٢) لسان العرب: ١١/ ٢٩٣ (رقل)، وينظر: تاج العروس، الزبيديّ: ١/ ٧١١٧ (رقل).
(٣) ينظر: العين: ١/ ٣٦٠ (رخل).
(٤) ينظر: ينظر: تاج اللغة: ١/ ٢٤٨ (رخل).
(٥) ينظر: ينظر: تهذيب اللغة: ٢/ ٤٨٠ (رخل)، والقاموس المحيط: ١/ ١٢٩٩.

وبـين ما تولَّد من الظبـاء والغنم، فلم يقل أحد من اللغويِّـين إنَّ الذي يتولَّد بين الظباء والغنم تكون صفاته كصفات (النقد) التي أشار إليها ابن إدريس، وحتَّى نص ابن دريد الذي تمَّم ابن إدريس به كلامه ووسمه بالتصحيف أيضًا، لم تكن فيه أدنى إشارة لما تولَّد بين الظباء والغنم.

أمَّا الكلمة الأصل التي أوردها الشيخ الطوسيّ، كما بينَّا، وهي(الرَّخل) التي تعني أنثى الضأن أو أنثى السخال، كما ذهب إلى ذلك أهل المعجمات، فربَّما ينطبق عليها أصل المسـألة بلحاظ أنَّ أنثى السـخال أو أنثـى الضأن هي المتولِّد بين الظبـاء والغنم، أو بين السـخال والغنم، وهي التي تقع عليها الزكاة، وهذا ما أشـار إليه الطوسيّ في استدلاله حينـما ذكـر «ورخل وجمعه رخال لا يمتنع من تناول اسـم الغنم لـه»، بخلاف الحَمَل، وهـو ولد الغنم الذَّكر، ويعزِّز هذا الاسـتدلال أيضًا قول الشـيخ الطـوسيّ: «إنَّ الغنم المكيَّة آباؤها الظباء، وتسـمية ما تولد بـين الظباء والغنم رخل»، فقد حدَّد أنَّ آباء الغنم المكيَّـة هي الظباء، وهـذا جنس غنم خاص بالمكيَّة، يسـمَّى(رخل)، والأنثى هي الغنم المكيَّـة، وما تولد من ذلك يدعى(رخل)، ولا يمتنع (الرخل) من تناول اسـم الغنم له، وإن كان أنثـى، على رأي اللغويِّين، وكان الشـيخ الطوسيّ أكثـر وضوحًا في بيان معنى (الرخـل) في تفسـيره التبيان، حيث قـال: «الرِّخَالُ أولاد الضـأن، واحدها رخل، وفي الأنثى رخلة»[1].

أمَّـا كلمة(رقـل) التي ظـنَّ ابن إدريـس أنَّها حلَّـت محلَّ كلمـة (نَقَـد) تصحيفًا، فلا وجود لها، وليس لها علاقة بأصل المسـألة، لا من قريب، ولا من بعيد، ولم يُشِـر ابن إدريـس حتَّى إلى معناها، وهي النخلـة الطويلة، ولعلَّه قد ترفَّع عـن ذِكر ذلك بلحاظ نسبتها إلى النسَّاخ، كما أشار.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٧٦.

أقول: وكيف فات ابن إدريس من أن يجعل (رقَل) مصحَّفة من (رَخَل)، فالتصحيف بين الكلمَتَين في حرف واحد فقط، وهذا أقرب إلى واقع الحال، وأخفُّ وطأة على النسَّاخ، وبه يلجم جريان القلم عن السهو، والخطأ من كلمة (نقد) التي تحتاج إلى تصحيف تام في أغلب حروفها، هذا فضلًا عن المعنى الذي سقناه فيما يتعلَّق بـ(رخل)، و(نقد)، وعلاقة ذلك بالمتولِّد بين الظباء والغنم، يزاد على ذلك أنَّ ابن فارس يعدُّ (النقد) بمعنى صغار الغنم، الذي ذهب إليه ابن إدريس، شذوذًا عن الباب، إذ قال: «وممَّا شذَّ عن الباب: النقد صغار الغنم»[1].

كل ذلك يمثل جملة من القرائن الحاليَّة والمقاميَّة التي تدفع باتِّجاه أن يكون الأقرب إلى مسألة المتولِّد بين الظباء والغنم هو (الرَّخل)، دون (الرقل)، و(النقد)، والشواهد على ذلك تصل حدَّ الاطمئنان، وقد زاد ذلك تاكيدًا أنَّ الشيخ الطوسيّ قد ذكر الرخل في كتابه الخلاف، وعزَّزه بذكره أيضًا في تفسيره التبيان، وبمراجعة دقيقة إلى أغلب كتب الفقه والحديث، تجدهم جميعًا يذكرون (الرَّخل) على أنَّه أنثى الضأن أو الغنم، دون أن يأتوا بشاهد واحد يمكن أن ينطبق على (الرقل) أو (النقد)، ومسألة التصحيف لم يبرأ منها كبار العلماء على مرِّ العصور، إذ وقع في التصحيف عدد منهم كـ«عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، والأخفش الكبير (ت١٥٨هـ)، والخليل (ت١٧٥هـ)، وأبي زيد (ت٢١٥هـ)، والأصمعيّ (ت٢١٦هـ).. وغيرهم»[2].

(١) مقاييس اللغة: ١٠٠٦ (نقد).

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة الأصفهانيّ: ١٢٤، ١٣١، ١٣٤، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو أحمد العسكريّ: ١١١، ١١٤، ١١٦.

نتائج البحث

١. النقد اللغويّ ظاهرة لغويَّة قديمة حديثة، إذ بدأت عند القدماء، واستمرَّت عند المحدثين والمعاصرين، ولا تزال ميدانًا خصبًا إلى يومنا هذا.

٢. اعتمد ابن إدريس في تصويب المسائل اللغويَّة وتصحيحها على أقوال أهل اللغة والمعجمات وآرائهم.

٣. لم يُظهر ابن إدريس في نقوده اللغويَّة اهتمامًا بما ورد في كتب لحن العامَّة، وتثقيف اللسان، وتلقيح الجنان، ولم يستعن بأصحاب هذا الفن، على الرغم من وجوده في عصره بشكلٍ لافت.

٤. سعى ابن إدريس في جلِّ الموارد التي ذكر فيها أخطاء لغويَّة إلى أن يختطَّ له منهجًا خاصًّا في معالجتها، معتمدًا على مقولات كبار اللغويِّين، أمثال الأصمعيّ والجوهريّ في الصِّحاح، وغيرهما.

٥. فات ابن إدريس توجيه بعض الألفاظ توجيهًا لغويًّا دقيقًا، فقد أغفل في بعضها الرجوع إلى أهل اللغة، ولم يُشِر إلى أهل المعجمات كذلك.

٦. ممَّا يحسب للشيخ ابن إدريس، ويعدُّ جهدًا واضحًا، أنَّه على الرغم من أنَّ كتابه في علم الفقه، وهو رسالة عمليَّة، كانت جهوده اللغويَّة واضحة جدًّا، بل كان يعدُّ أهل اللغة هم الأصل الذي لا بدَّ من الرجوع إليه.

٧. وممَّا يُحسب عليه أنَّه قد فاته أو توهَّم في دلالة بعض الألفاظ، وقد دفعه إلى ذلك فهم المسألة وتوجيهها وجهة مخالفة، أوقعته في التصحيف أو التحريف.

٨. وجدنا في بعض المسائل أنَّ الشيخ ابن إدريس قد خطَّأ الشيخ الطوسيّ، والثابت أنَّ رأي الشيخ الطوسيّ كان أقرب إلى الصواب، بلحاظ ما جاء على لسان أهل اللغة والمعجمات.

المصادر والمراجع

١. أبو منصور الجواليقيّ وآثاره في اللغة، د. عبد المنعم أحمد صالح، ط١، بغداد، ١٩٧٩م.

٢. أدب الكاتب، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، شرحه: عليّ فاعور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٩م.

٣. أربعة كتب في التصحيح اللغويّ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٤. أساس البلاغة، الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٥. الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ابن السيِّد البطليوسيّ (ت٥٢١هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٦. أوهام الجواليقيّ في المعرب: د. صباح السالم، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٤.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، السيِّد محمَّد مرتضى الحسينيّ الزَّبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستَّار أحمد فرَّاج وعليّ هلاليّ وعبد الكريم العزباويّ وآخرون، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٨. تاج اللغة وصحاح العربيَّة المسمَّى (الصِّحاح)، الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، مطابع دار الكتاب العربيّ، مصر، د.ت.

٩. التبيان في تفسير القرآن، الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد شوقي وأحمد حبيب، المطبعة العلميَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٧م.

١٠. تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكِّيّ الصقلِّيّ (ت٥١٠هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، القاهرة، ٢٠١٠م.

١١. تكملة المعاجم العربيَّة، رينهات دوزي، دار الرشيد للنشر، ٢٠٠٧م.

١٢. التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة الأصفهانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧م.

١٣. تهذيب اللغة، الأزهريّ، أبو منصور محمَّد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٤. التوقيف على مهمَّات التعاريف، معجم لغويّ مصطلحيّ، محمَّد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمَّد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

١٥. جمهرة اللغة، ابن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٦. حركة التصحيح اللغويّ في العصر الحديث، د. محمَّد ضاري حمَّادي، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٨م.

١٧. الخصائص، ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٣م.

١٨. الخلاف، الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٥، قم، ١٤٢١هـ.

١٩. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمَّد بن القاسم بن محمَّد بن بشَّار الأنباريّ (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٠. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابن إدريس الحِلِّيّ العجليّ (ت٥٩٨هـ)، تحقيق: محمَّد مهدي الخرسان، مكتبة الروضة الحيدريَّة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢١. شرح الفصيح، ابن هشام اللخميّ (ت٥٧٧هـ)، دراسة وتحقيق: د. مهدي عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٢. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو أحمد العسكريّ (ت٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٣. شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل شهاب الدين الخفاجيّ (ت١٠٦٩هـ)، قدَّم له وصحَّحه: د. محمَّد كشاش، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٢٤. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق:

د. مهدي المخزوميّ ود. إبراهيم السامرَّائيّ، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠.

٢٥. فقه اللغة وسرُّ العربيَّة، أبو منصور إسماعيل الثعالبيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٢٦. في التصحيح اللغويّ والكلام المباح، د. خليل بنيَّان الحسُّون، مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٧. ٢٨.القاموس المحيط، مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروز آباديّ (ت٨١٧هـ)، تحقيق: أبو الوفا نصر الهورينيّ، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٨. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، أ.د. خالد إسماعيل عليّ، ط١، دار المتَّقين، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٩. لحن العامَّة في ضوء الدراسات اللغويَّة الحديثة، د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨١م.

٣٠. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م.

٣١. لسان الميزان، ابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، اعتنى باخراجه: سلمان عبد الفتَّاح، مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة، د.ت.

٣٢. المبسوط في فقه الإمامية، الشيخ الطوسيّ، المكتبة المرتضويَّة، إيران، ١٣٨٧هـ.

٣٣. مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٤. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمَّد بن أبي بكر الأصفهانيّ، تحقيق: عبد الكريم العزباويّ، جامعة أمِّ القرى، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٥. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٦. محيط المحيط، بطرس البستانيّ، مكتبة لبنان، ٢٠٠٨م.

٣٧. المختصر النافع في فقه الإماميَّة، المحقِّق الحِلِّيّ (ت٦٧٦هـ)، مكتبة الأسد بطهران، ط١، ١٣٨٧هـ.

٣٨. المخصَّص، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفَّال، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

٣٩. المدخل اللغويّ في النقد العربيّ التطبيقيّ (بحث)، د.خلف الله بن عليّ، الأكاديميَّة للدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، ع١٩، ٢٠١٨.

٤٠. المصباح المنير في غريب الشرح، الفيُّوميّ، أحمد بن محمَّد بن عليّ (ت٧٧٠هـ)، نشر: مؤسَّسة دار الهجرة، قم، د.ت.

٤١. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور موهوب ابن أحمد بن محمَّد بن الخضر الجواليقيّ (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، ط٢، دار الكتب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٤٢. المعرب والدخيل في اللغة العربيَّة وآدابها، د. محمَّد التونجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٣. المغرب في ترتيب المعرب، ناصر الدين المطرزيّ (ت٦١٠هـ)، تحقيق: محمَّد فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، ١٣٩٩هـ.

٤٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشاميَّة، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٥. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسَّسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١.

٤٦. المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ابن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ)، مطبعة الروضة الحيدرية، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٧. النقد اللغويّ عند العرب في القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) محروس محمَّد ابراهيم، جامعة القاهرة، كلية الاداب، ١٩٩٦.

٤٨. النقد اللغويّ في التراث العربيّ، د. ممدوح خسارة، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ع٨٤، ج٤، ٢٠١٧.

٤٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاويّ ومحمود محمَّد الطنجيّ، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط١، ١٩٦٣م.

٥٠. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، الشيخ الطوسيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٣٢٤هـ.

جانب من التصويب اللغويّ عند العراقيّ (ت ٥٦١هـ) في كتابه (نزهة الأنفس وروضة المجلس) أنماطُهُ وأنواعُهُ

م.د. نبراس حسين أيُّوب الموسويّ
المديريَّة العامَّة للتربية في بابل

Aspects of Linguistic Correction according to Al-Iraqi (D. 561 AH) In his book (Nizhat Al-Anfos wa Rawdat Al-Majlis) Its Patterns and Types

Lect. Dr. Nibras Hussein Ayoub Al-Moussawi
General Directorate of Education in Babylon

ملخَّص

هـذه الدراسـة هي في تصويـب بعض الأمثـال في كتاب (نزهـة الأنفس وروضة المجلس)، لأبي سـعيد محمَّد بن عليّ بـن عبد الله العراقيّ الحِـلِّيّ (ت٥٦١هـ)، وهو من كتـب الأمثال العربيَّة، وهي تـأتي في إطار عناية الباحث بهذه الدراسـة التي تُعدُّ بمثابة الدراسـة التركيبيَّة والدلاليَّة للأمثال الفصحى والأمثـال العاميَّة، وتهدف إلى الوقوف على مدى الاختلاف بين الأمثال الفصحى والأمثال العاميَّة، والموضوعات التي يتناولها أصحاب البيئة التي قيلت الأمثال فيها وذاعت.

ويُعـدُّ المثل مصدرًا خصبًـا لمن يُريد أن يفهم الشـخصيَّة العربيَّة ومذهبها الفطريّ في التفكـير، وفي معالجة أمور الحياة بصفة عامَّة، بحكمةٍ وتروٍّ؛ إذ الأمثال تعكسُ جانبًا مهمًّا من حياة الأمم، ومن ثمَّ فرصدُ الخصائص الدلاليَّة للأمثال إنَّما هو رصدٌ لخصائص الشـعب الذي ذاع فيه المثل وانتشر، ورصدٌ للغتهـم، وصلته باللغة العربيَّة صلة وثيقة، وعندما دبَّ الفسـادُ واللحنُ والتصحيـفُ والتحريفُ في اللغة العربيَّة، أصاب الأمثالَ سهمٌ منه، الأمرُ الذي دعا العلماء إلى معالجة ذلك، وإيقاف هذا التيَّار الجارف، بالركون إلى التصويـب اللغـويّ لكلِّ مـا تسرَّب إليه الخطـأ بنيـةً أو تركيبًا أسـلوبيًّا أو دلالةً أو لتصويب الحادثة التي قيل فيها المثل، عن طريق تأليف مصنَّفات اختصَّت بهذا الجانب، وكان لأصحـاب كتب الأمثال أيضًا الأثـر البارز في محاربة هذه الظاهـرة، ومنهم (أبو سـعيد العراقيّ) في مصنَّفه هـذا، إذ عالج بعض الأمثال لغويًّـا، أو لحادثتها التي قيلت فيه.

وجاءت هذه الدراسة مقسمَّة على مقدِّمة، بيَّن فيها أهميَّة المثل، وعناية أبي سعيد العراقي به، ومبحثَين، تناول الأوَّل حدَّ التصويب في اللغة والاصطلاح، وجاء بعد ذلك التصويب على المستوى اللفظيّ، والذي ضمَّ المستوى الصوتيّ واللفظيّ التشكيليّ والصيغة والمعنى، وجاء المبحث الثاني ليعالج قضية التصويب للحادثة التي قيل فيها المثل، وانتهت الدراسة بخاتمةٍ ضمَّت بعض النتائج المهمَّة، ومنها:

١. عناية أبي سعيد العراقيّ بجوانب التصويب اللغويّ، وما لذلك من أثر في تصحيح ما ورد عن العامَّة.

٢. عناية أبي سعيد العراقيّ ببعض الظواهر الصوتيَّة، وبعض المسائل المهمَّة، والتي أُطلق على بعضها حديثًا بالقواعد التحويليَّة التي تُعنى بالجانب اللفظيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الأمثال الفصحى والعاميَّة، الخصائص الدلاليَّة، التصويب اللغويّ، تصحيح الحادثة.

Abstract

This study is to correct some proverbs in the book ((Nizhat Al-Anfous and Rawdat Al-Majlis) by (Abu Saeed Muhammad bin Ali bin Abdullah Al-Iraqi Al-Hilli (D. 561 AH), who is one of the books of Arabic proverbs. It comes within the framework of the researcher's interest in this study, which is considered a study. The structure and semantics of classical proverbs and colloquial proverbs, and aims to determine the extent of the difference between classical proverbs and colloquial proverbs and the topics dealt with by people of the environment in which the proverbs were spoken and broadcast. The proverb is a fertile source for those who want to understand the Arab personality and its innate doctrine of thinking and in dealing with life matters in general with wisdom and deliberation. Proverbs reflect an important aspect of the life of nations, and therefore monitoring the semantic characteristics of proverbs is merely monitoring the characteristics of the people in whom the proverb became popular and widespread, and monitoring their language, and

its close connection to the Arabic language. When corruption and distortion spread in the Arabic language, part of it affected proverbs, which called on scholars to address this and stop this sweeping trend by relying on linguistic correction of everything that error has seeped into with structure, stylistic composition, or connotation, or to correct the incident in which the proverb was said, by writing specialized works. On this side The authors of proverbs books also had a prominent impact in combating this phenomenon, including Abu Saeed al-Iraqi in his work, as he treated some proverbs linguistically or because of the incident in which they were said. This study was divided into an introduction in which the importance of the proverb and Abu Saeed al-Iraqi's attention to it was explained, and two sections, the first of which dealt with the extent of correction in language and terminology, and after that came the correction at the verbal level, which included the phonetic, verbal, formative, form, and meaning levels. The second section came to address the issue of correction of the incident that The proverb was told, and the study ended with a conclusion that included some important results, including:

1. Abu Saeed Al-Iraqi's attention to aspects of linguistic

correction and his role in correcting what was reported by the public.

2. Abu Saeed Al-Iraqi's attention to some phonetic phenomena and some important issues, some of which were recently called transformational rules that deal with the verbal aspect.

Keywords: Classical and colloquial proverbs, semantic characteristics, linguistic correction and incident correction

مقدِّمة

الأمثـالُ العربيَّة جزءٌ حيٌّ من اللغـة العربيَّة التي شَرُفت بالقـرآن الكريم[١]، وقد حفظـت لنـا الأمثال جـزءًا من الـتراث العـربيّ، وكانت محـور عناية العلـماء وموطن كلامهـم وتعليقاتهـم؛ ولأنَّها على حدِّ قـول أبي عبيد، كما نقلَ ذلك السـيوطيّ: حكمة العـرب في الجاهليَّـة والإسـلام[٢]، فهـي غنيَّـةٌ بجواهر الألفـاظ، انتقتها العـربُ من أفضـل كلامهـم، واعتُّدوا بهـا، وهي باقيـة في كلِّ زمـانٍ ومكان، تسري بـين الناس؛ لبلاغتهـا وقصرهـا، قـال الزمخـشريّ (ت٥٣٨هـ): «هي قُصـارى فصاحـة العرب العربـاء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمتها، وبيضـة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التـي أعربت عن القرائـح السـليمة والرُّكن البديع إلى ذرابة اللسـان وغرابة اللسـن، حيـث أوجـزت اللفظ، فأشـبعت المعنـى، وقـصَّرت العبـارة، فأطالت المغـزى»[٣]، وهـي تُـبرز الـكلام والمعـاني الدلاليَّـة المـرادة، وتكسـوها طـلاوةً وجمـالًا، وتصوِّر المعنـى في الذهـن، وتعكـس عـادات العـرب وتقاليدهـم، وتوضِّـح المبهـم، وتفتح المنغلق[٤].

وقد ارتضى العامَّـة والخاصَّة جمل الأمثال بلفظها ومعناهـا، وابتذلوها فيما بينهم،

(١) ينظر: موسوعة أمثال العرب: ١/ ٣٣.
(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٧٤.
(٣) المستقصى في أمثال العرب: ٢.
(٤) ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٣٤، ومجمع الأمثال للميدانيّ دراسة لغويَّة دلاليَّة: ١٧-١٨.

وفاهوا بها في السرَّاء والضرَّاء[1]، من غير تغيير يلحق لفظها ليصحَّ قصدها، لذا فالحفاظ عليها وحمايتها من التغيير والتبديل أمرٌ مهمٌّ؛ لأنَّها على حدِّ قول ابن عبد ربَّه: «أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسرِ شيءٌ مسيرها، ولا عمَّ عمومها»[2].

أمَّا (أبو سعيد العراقيّ) فقد عُني بالأمثال التي أوردها في كتابه (نزهة الأنفس وروضة المجلس)، وقد بالغ في ذلك؛ لأنَّه يشعر بأهميَّتها وما لها من أثرٍ في المحافظة على تراث اللغة العربيَّة، وقد انماز شرحه بعظم المادَّة العلميَّة الكامنة فيه، إذ اعتنى بشرح المثل وتفسيره وإيضاحه وبيانه، متوخِّيًا الدقَّة المتناهية التي ظهرت عنده عندما ينقل ويوثِّق، وكان يُبدع ويصوِّب ويُصحِّح، فانماز بالنباهة، وكلُّ من طالع الكتاب يجد القيمة العلميَّة التي أودعها فيه، فجمعَ كمًّا لا يُستهان به من الأمثال العربيَّة القديمة، وقد رجع فيه لعددٍ من الكتب اللغويَّة المهمَّة، ممَّا يدلُّ على سعة اطِّلاعه، ومدى تمكُّنه من المادَّة العلميَّة التي أدرجها في كتابه.

ونجدُ في كتابه هذا التصويب والتصحيح اللغويّ للألفاظ، وكذلك فيما يتَّصلُ بتصحيح الحادثة التي قيل فيها المثل، وانتهج في ذلك منهجًا قديمًا متعارَفًا في عرضه المثل، ثمَّ بعد ذلك يذكر التصويب.

وسيقوم البحث بالوقوف على هذه الجوانب، ومدى عناية (العراقيّ) في كتابه (نزهة الأنفس وروضة المجلس)، وطريقة عرضه لتلك الأغلاط، ومعالجته إيَّاها، ومقارنة التصويبات التي أوردها بما ذكره أهل اللغة في كتبهم، أو أصحاب كتب الأمثال التي وضعوها في هذا المجال.

(١) ينظر: المزهر: ١/ ٤٨٦.

(٢) ينظر: العقد الفريد: ٣/ ٣.

المبحث الأوَّل

التصويب اللغويّ

التصويب في اللغة والاصطلاح

التصويب في اللغة مأخوذٌ من مادة (ص و ب) ذات الأصل الواحد الصحيح، الدالَّة على الثبوت والاستقرار، يقولُ ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بهذا الصدد: «(صَوَبَ) الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نُزُولِ شَيْءٍ وَاسْتِقْرَارِهِ قَرَارَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصَّوَابُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ نَازِلٌ مُسْتَقِرٌّ قَرَارَهُ. وَهُوَ خِلَافُ الْخَطَأِ»[1].

أمَّا التصويب في الاصطلاح، فقد ذكر السيِّد عليّ الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) ما نصُّه: «الصواب: لغة السداد، واصطلاحًا: هو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وقيل: الصواب: إصابة الحقِّ»[2].

فالنسبة بين المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ، هي الثبوت، والاستقرار، وتنزيل الأمر مكانه الصحيح.

أمَّا التصويب اللفظيّ، فأعني به أحد أفراد التصويب اللغويّ الذي عُرِّف بأنَّه الرقيب على الاستعمال اللغويّ فيما يتخلَّله من الانحراف والفساد، أو ما ينشأ في بنية

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣١٧.
(٢) التعريفات: ١٣٥.

اللفظ أو التركيب اللغويّ السليم من لحنٍ وخطأ[١].

وأمَّا تصحيح الحادثة التي قيل فيها المثل، فهو أيضًا نوعٌ من الرقابة، ولكن على الجانب المعنويّ بمساعدة الألفاظ.

التصويب في المستوى الصوتيّ (الإبدال)

تُعدُّ الأصوات العنصر الأساسيّ لكلِّ لغةٍ، ودراستها لها من الأهمية في علم اللغة ما لا ينكرها أيُّ لغويّ[٢]، وقد لمس الباحث عناية (العراقيّ) بالظاهرة الصوتيَّة من دون أن يُصرِّح بذلك، وأكبر الظنِّ لديَّ أنَّ سبب عدم التصريح فنِّيّ؛ لأنَّ الكتاب يُعنى بالأمثال بما هي هي، دون النظر في بعض الأحيان إلى بعض الجزئيَّات اللغويَّة، حتَّى لا يتنافى مع الغرض الذي من أجله صُنِّف الكتاب، وممَّا يتعلَّق بهذا الجانب ظاهرة (الإبدال) الصوتيّ، التي تُعدُّ من سنن العرب المشهورة في كلامهم، من إقامتهم بعض الأصوات مقام بعضها الآخر[٣]، وأعني به هنا (الإبدال اللغويّ)، أي إبدال حرف من حرف في موضعه، من غير اضطرارٍ إليه في التصريف؛ لعلاقةٍ صوتيَّة بين الحرفَين[٤]، ويبدو أنَّ هذا النوع من الإبدال سماعيّ غير مطرد في كلام العرب، ويختلف باختلاف القبائل، ولا يُعدُّ مخالفُهُ مجانبًا للصواب اللغويّ، ويقع هذا النوع من الإبدال في جميع الأصوات في المعجم[٥].

(١) ينظر: النحاة العرب ومظاهر التصويب اللغويّ: ١١٥.

(٢) ينظر: اللغة وعلم اللغة: ١/ ٨٨.

(٣) ينظر: الشافية في علم التصريف: ١/ ١٠٩.

(٤) ينظر: من ذخائر ابن مالك في اللغة، مسألة من كلام الامام ابن مالك في الاشتقاق: ٣١٧.

(٥) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٣/ ٤٦٧.

الإبدال بين (الغين والخاء):

هـذان الصوتـان همـا من الأصـوات المتَّحـدة مخرجًـا، إلَّا أنَّهما يختلفـان في الجهر والهمـس، إذ يرى ابن جنِّـي أنَّ ممَّا فوق الحلق مع أوَّل الفم، مخرج الغين والخاء. والغين صوت رخو، مجهور، مسـتعلٍ منفتح، والخاء صوت رخو، مهموس، مستعلٍ منفتح[1]، ولم يختلف المحدثون عنه، فعبَّر عنهما الدكتور كمال بشر بأنَّهما أصوات أقصى الحنك؛ لأنَّه عنـد النطق بها يقترب اللسـان من هذا الجزء من الحنـك، ومخرجهما من فوق الحلق مع أول الفم[2]. نظرًا لهذا القرب في المخرج، لا ضير أنَّ الإبدال بينهما واردٌ، ولا نجد غرابة في ذلك، ولاسيَّما عند العامَّة.

وممَّـا أورده (العراقيّ) في هذا المجال مثلًا، لما لحنت فيه العامَّة، وأبدلت الخاء غينًا، قـال في الباب الثامن، حرف الدال ما نصُّـه: «دخلَ في غُمارِ الناس، إنَّما الصواب: دخلَ في خمارِ الناس، أي فيما يواريه ويستره منهم، حتَّى لا يتبيَّن، وغِمار خطأ من العوام؛ لأنَّ خمـارًا مأخوذ من خَمَر الـوادي، وهو ما واراه من جُرُف أو حَجـر أو غيره، يُقال: مكان خمر، إذا كان ذا خمر.

قـال مؤلِّف هـذا الكتاب: وكان هـذا موضوعًا عن الأصمعيّ؛ لأنَّـه أجلُّ من أن يُخطِّـىء من قـال: في غمار الناس بالغـين معجمة، فيكـون المراد به: دخـل في جماعتهم وكثرتهـم، ويكـون المـرادُ بغـمار النـاس المجامـع منهـم، وإن كان اللفـظ ورد بالخاء أيضًا»[3].

هـذا المثل هـو من الأمثال القديمة التـي رواها المفضَّل بن سـلمة (ت٢٩٠هـ) في

(١) ينظر: سرُّ صناعة الإعراب: ١/ ٦٠.
(٢) ينظر: علم الأصوات: ١٨٤-١٨٥.
(٣) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ١٨٩-١٩٠.

كتابه[1]، وذكرها جملة من الأعلام واللغويِّين، وناقش فيه (العراقيّ)، وذكر نصًّا للأصمعيّ، وكأنَّه يرتضي فيه قول العامَّة كما هو مذكور آنفًا.

ومعالجة (العراقيّ) في تصويبه لما لحن فيه العامَّة لهذا المثل، يبدو أنَّها غير سديدة؛ لأنَّه لم يذكر الفرق بين (خمار)، و(غمار)، واكتفى بذِكر مادَّة (خمار)، هذا أوَّلًا، وثانيًا هناك أمور أخذها الباحث على (العراقيّ)، وهي:

١. إنَّه لا فرق بين مادَّتي (خمر)، و(غمر)، وفي أنَّهما يدلَّان على الستر والتغطية، وهذا ما أكَّده ابن فارس بقوله: «(خَمَرَ) الْخَاءُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى التَّغْطِيَةِ»[2]، وقوله: «(غَمَرَ) الْغَيْنُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةٍ وَسَتْرٍ»[3].

٢. ما نقله ابن الأنباريّ عن ابن السكِّيت من اشتقاق (غمار) من (خمر) بقوله: «وقالَ ابن السِّكِّيت: من الخَمَر قولهم: قد دخل في غُمار النَّاس، أَي في جماعتهم وما يستره منهم. وقد يُقال أَيْضًا: دخل في خُمار النَّاس»[4].

٣. وحدة المخرج لكلٍّ من الخاء والغين؛ لقرب الإبدال بينهما، أو في الأقل يُمكن القول بأنَّ (غمار) لغة في (خمار)، على النقل الذي أورده الدكتور أحمد مختار عمر بتعليقته على كلمة (غمار) بقوله: «جاءت الكلمة في المعاجم القديمة والحديثة (غمار الناس) بضمِّ الغين وفتحها، أي زحمتهم وكثرتهم. ومنه حديث أويس:

(١) ينظر: الفاخر: ٢٤٦، رقم المثل ٣٧٧، وتصحيح الفصيح وشرحه: ٤٣٩، والأضداد لابن الأنباريّ: ٥٣، والزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٤٠٨، و تهذيب اللغة: ٨/ ١٢٨، ومقاييس اللغة: ٤/ ٣٩٣، ومعجم الصواب اللغويّ: ١/ ٥٦٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٢/ ٢١٥، وينظر: تهذيب اللغة: ٨/ ١٢٨.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٩٢، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٤٠٨.

(٤) الأضداد: ٥٣.

(أكون في غُمار الناس)، وذكر اللسان أنَّه يقال: خُمار الناس وخِمَارهم، لغة في غُمار الناس وغِمارهم»[1].

وبقطع النظر عمَّا ذكرنا، فأنَّه، أي (العراقيّ)، ذكر أنَّ الأصمعيّ أورد بأنَّ لفظ (غمار) يرد بالخاء أيضًا، وعليه لا حجَّة له بعد ذلك أن يخطِّئ العامة؛ لأنَّ الأصمعيّ ممَّن لا غبار على وثاقة نقله وروايته عن العرب الأقحاح، فهو أحد أئمَّة العلم والمعرفة، وقد جالس اللغويِّين وسمع عنهم، لذا يبدو للباحث أنَّ ما ذكره (العراقيّ) غير سديد، وأنَّ (غمار) و(خمار) يشتركان في دلالة مادَّتَيهما على الستر والتغطية، ممَّا يجعل التبادل الصوتيّ بينهما في الاستعمال سهلًا؛ لاتِّحادهما في المخرج.

التصويب فيما يخصُّ الجانب اللفظيّ

قال (العراقيّ) في الباب الخامس، حرف الجيم ما نصُّه: «جرت ملء فُرُوجها، والعامَّة تقول: مِلء فرجه، وهو خطأ؛ إنَّما هو فُروج، وهو ما بين القوائم. وفروجها مرفوع بالمبتدأ والخبر، والمرادُ به: من شدَّة الإسراع في الجري امتلأ ما بين قوائمها بالغبار، ويسمَّى ما بين القوائم جوّا أيضًا»[2].

اعتنى النحويُّون قدماء ومحدِّثون بالأمثال؛ لأنَّها موطنٌ من مواطن اللغة تحوي على أبعاد دلاليَّة، واستشهدوا به في كثير من المسائل النحويَّة لتأييد آرائهم النحويَّة، وأخضعه علماء اللغة المحدثون لمسائل اللغة الحديثة، كمسألة التحويل[3]، ويبدو أنَّ

(١) معجم الصواب اللغويّ: ١/ ٥٦٥.
(٢) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ١٥٩.
(٣) التحويل هو جزء من النظام اللغويّ، ويتألَّف من قواعد لها القدرة على الحذف والإضافة، وتحريك العنصر من مكانه، أو تعويضه بعنصر آخر. ينظر: مفهوم التحويل في النحو العربيّ، قاسمي الحسنيّ عواطف، مجلَّة الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، ٢٠٠٩م.

المثـل كان أكثر عرضـة لعناصر التحويـل، ويُبيِّن أحـد الباحثين العلَّـة في ذلك بقوله: «لحاجتهـا للاختصار، وتكثيف الدلالة، ومحاولة إيصال المعنى بأقصر الطرق»[1]، ومن هـذه الأمثال هذا المثل الذي أخضعه (العراقيّ) إلى قاعدة من القواعد التحويليَّة، وهي قاعـدة المطابقة بين الفعل والفاعل، أو بين المبتدأ والخبر، ويبدو لي أنَّ (العراقيّ) تلمَّس حقيقة هذه القاعدة التحويليَّة؛ ليحكم بأنَّ المثل يكون بصيغة الجمع (فروج)، لا بصيغة المفرد (فرج)؛ لأنَّه علَّل ذلك بقوله: ما يكون بين القوائم، والقوائمُ جمعٌ، فلا بُدَّ أن يأتي اللفـظ الذي يحقِّق هذا المعنى جمعًا أيضًا لتتحقَّـق المطابقة بين الدال والمدلول، والمطابقة أيضًـا بين (فروج)، والفعل (جـرت)، فتاء التأنيث لا تثبت مع المفـرد المذكَّر (فرجه)، وهذا ممَّا استقام عليه كلام العرب الأقحاح[2]. ومن ثمَّ انتقل (العراقيّ) بتفكيره الحاذق إلى الحكم عليها بأنَّها، أي فروجها، مرفوعة إمَّا بالإبتداء أو بالإخبار، وبذلك يتمُّ نسـق المطابقة، وتكتمل عناصر المطابقة لفظًا ومعنًى وإعرابًا، ثمَّ يأتي بعد ذلك ليذكر المراد من المثل؛ لتكتمل الصورة لدى القارئ له.

التصويب على مستوى التشكيل

قـال (العراقيّ) في الباب الحادي عشر، حرف الزاي: «زاحِـم بعَودِ أو دَعْ، يقول: لا تسـتعن على أمورك إلَّا بأهل المعرفة والسـنِّ والتجربة، وأصل العَود في الإبل الذي جاوز في السـنِّ البازل والمُخلِف، فهو أقوى على الحمل، وتحمُّل المشـاق، والعامَّة تضمُّ العين، تعتقد أنَّ المراد به العُود: الخشب، وذلك خطأ منهم»[3].

(١) عناصر التحويل في المثل العربيّ في ضوء علم اللغة المعاصر: ١٠.

(٢) ينظـر: الزاهـر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٣١٣، وتهذيب اللغـة: ١١/ ٣٤، والمحكم والمحيط الأعظم: ٧/ ٣٩٨، وتاج العروس من جواهر القاموس: ٦/ ١٤٨، ولسان العرب: ٢/ ٣٢٤.

(٣) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ٢٠٩.

هـذا المثل من الأمثال التي تـردَّدت كثيرًا في كتب اللغويِّـين وغيرهم[١]، وكلُّ من أورده بيَّن أنَّ المراد من (بعَود) هو بفتح العين، ومعناه (السن)، وهكذا نُطِق، ولم يذكروا أنَّـه نُطِق بضـمِّ العين، بل لم يذكروا أنَّ العامَّة تُخطئ به بضمِّـه، و(العراقيّ) بعد أن تابع ما ذكره مَن سبقه، حكم أيضًا بأنَّ النطق الصحيح هو بالفتح لا بالضمِّ، وأنَّ العامَّة تُخطئ في نطقها (بعُود) بالضمِّ، والذي يعني الخشب، والذي يبدو للباحث أنَّ نطق العامَّة مردُّه إلى السـهولة في النطق؛ لأنَّ الحرف الذي يسـبق الواو يكون مضمومًا؛ لمجانسـته إيَّاها، فينتج من ذلك مدٌّ للواو، والفتحُ يولِّد نوعا من صعوبة النطق، وتغيُّرًا في المعنى؛ بسبب مـا تكوَّن مـن حركة مركَّبة من الفتحة والواو، وهو ما يُسـمَّى عنـد المحدثين بالمزدوج الصـوتيّ[٢]، كما في كلمة (سـوء)، فتأتي بفتح السـين وضمِّها في بعض الآيـات القرآنيَّة كما في سـورة التوبة، الآية الثامنة بعد التسـعين، وسورة الفتح، الآية السادسة[٣]، إلَّا أنَّ عُـرف العامَّة عدم الاكتراث بذلك؛ بسـبب تفشِّي اللحـن، أو لأنَّ الأمثال يُتصرَّف بها ما لم يُتصرَّف في غيرها، والأمر هيِّن بعد أن تكون القرينة التي ينصبها المسـتعمل للمثل هـي الحاكمة ولا خطأ في البين، وقد ذكر الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) بيتًا من الشِّـعر لبشـير ابـن النكث الكلبيّ[٤]، ورد فيه كلمة (عود) مكـرَّرة مرَّتَين، وفي كلتَيهما مفتوحة العين،

(١) ينظـر: الأمثـال: ١٠٧، والعقـد الفريد: ٣/ ٣٠، والأمـالي للقالي: ٢/ ٥١، وجمهـرة الأمثال: ١/ ٥٠٢، والأمثال للهاشـميّ: ١٤٢، ومجمع الأمثال: ١/ ٣٢٠، والمسـتقصى في أمثال العرب: ٢/ ١٠٩، وزهر الأكم في الأمثال والحكم: ٣/ ١٣٧.

(٢) ينظـر: الحـركات المزدوجة وتحوُّلاتهـا في العربيَّة، رانيا شـحادة، مج٢، عـدد٣٥، حوليَّة كليَّة الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بالإسكندريَّة.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ١/ ٤٤٩، وجامع البيان في تأويل القرآن: ١٤/ ٤٣١.

(٤) شـاعر إسـلاميّ يعود نسبهُ إلى بني كلب بن وبرة، وتنتسـب قبيلة (كلب) إلى كلب بن وبرة بن تغلـب من بني قضاعة بن معدّ بـن عدنان. وهي إحدى جماجم العرب. ينظر: معجم الشـعراء العرب: ١٠٠٢.

إلَّا أنَّ معناهمـا مختلف، فقـال: «وقال: عَوْدٌ عـلى عَوْدٍ لأقوامٍ أوَلْ، أي بعيرٌ مسـنٌّ على طريق قديم»[1]، وبذلك يتبيَّـن للباحث أنَّ نسبة الخطأ للعامَّة غير صائبة.

التصويب على مستوى الصيغة والمعنى

قـال (العراقـيّ) في الباب العشريـن، حرف الفاء: «في رأسـه خُطَّـةٌ، أي جاءَ وفي نفسِـهِ حاجة قد عزمَ عليها، قال الأصمعي: الخطَّـة، الخصلة والأمر، والعامَّة تقول: في رأسـه خيوط، ويريدون به حمقـة، والأصلُ ما ذكرنا، فأمَّا ما يذهبـون إليه فلم تلفظ به العربُ»[2].

ورد في هـذا المثل كلمة (خُطَّـة)، ويبدو أنَّها من ألفاظ المشـترك اللفظيّ، ولها عدَّة معانٍ، منها:

١. الجهل، قال ابن سـيده المرسيّ (ت ٤٥٨هـ): «الخُطَّةُ:.. وَقيل: فِي رَأسه خُطَّةٌ، أَي جهل وإقدام على الأُمُور»[3].

٢. الأمـرُ العظيمُ أو الحاجـةُ، قال الميدانيّ (ت٥١٨هـ): «في رَأْسِـهِ خُطَّةٌ، الخطَّة: الأمـر العظيم. يُضرب لمن في نفسـه حاجة قد عزم عليهـا، والعامَّة تقول: في رأسه خطية»[4].

٣. شِـبْهُ القِصَّةِ، قال السـيِّد مرتضى الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ): «والخُطَّةُ: بالضَّمِّ: شِبْهُ القِصَّةِ»[5].

(١) الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٢/ ٥١٤.
(٢) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ٢٨٢.
(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٥٠٣. وينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٩٠.
(٤) مجمع الأمثال: ٢/ ٦٩، رقم المثل: ٢٧٢٧.
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس: ١٩/ ٢٥١.

٤. الحالُ والخَطبُ، ذكر السـيِّد مرتضى الزبيديّ بأنَّ هذا المعنى زاده غير صاحب الصِّحـاح، بقوله: «وَفِي الصِّحاح: الخُطَّة: الأَمْـرُ والقِصَّةُ، وزادَ غيرُه: والحالُ والخَطبُ»[١].

ويبدو أنَّ كلام (العراقيّ) مستنده كلام العرب الأقحاح الموثوق بعربيَّتهم، ويُؤيِّده مـا ذكره راويـة العرب، وأحد أئمَّة العلم باللغة والشـعر، وهو الأصمعيّ، على ما نقله ابن منظور، بقوله: «الأَصمعيّ: مِنْ أَمْثالهم فِي الاعْتزام عَلَى الْحَاجَةِ: جاءَ فُلَانٌ وَفِي رأْسه خُطَّةٌ، إِذا جاءَ وَفِي نَفْسِـهِ حاجةٌ وَقَدْ عزَم عَلَيْهَا، والعامَّةُ تَقُولُ: فِي رأْسـه خُطْيَةٌ، وَكَلَامُ الْعَـرَبِ هُـوَ الأَول»[٢]، فذكر الأصمعـيّ أنَّ كلام العرب هـو الأوَّل؛ لشرافته، فيكون مقدَّمًـا على كلام العامَّـة، وأنَّ المراد من (خُطَّة) الحاجة والأمـر العظيم، الذي عبَّر عنه (العراقـيّ) بأنَّـه الأصل، أمَّـا أنَّ العامَّة يقولون (في رأسـه خيـوط)، ويعنون بالخيوط الحمقـة، فيبدو أنَّ العامة، وليومنا هذا، تسـتعمل هذه الكلمة لهـذا المعنى، الذي يعني قلَّـة العقل، قال الـرازيّ (ت٦٦٦هـ): «ح م ق: (الْحُمْقُ) بِسُـكُونِ الْـمِيمِ وَضَمِّهَا، قِلَّةُ الْعَقْلِ»[٣].

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: ١٩/ ٢٥١.
(٢) لسان العرب: ٧/ ٢٩٠.
(٣) مختار الصِّحاح: ٨١.

المبحث الثاني

التصويب للحادثة التي قيل فيها المثل[1]

قال (العراقيّ) في الباب السابع، حرف الخاء: «خُذ من جِذعِ ما أعطاك، العوامُ يعتقدون في هذا أنَّ المرادَ به الاغتنام لأخذ الشيء، وأنَّه جذع النخلة، وليس كذلك، والمرادُ به غير ما ذهبوا إليه، وسبب ذلك أنَّ غسَّان كانت تؤدِّي إلى ملوك سليح دينارَين عن كلِّ رجلٍ في كلِّ سنة، وكان يلي ذلك سبطة بن المنذر السحليّ، فجاء سبطة إلى جذع ابن عمرو الغسَّانيّ، فسأله الدينارَين، فدخل جذع منزله، ثمَّ خرج مشتملًا سيفَهُ، فضرب به سبطة حتَّى بردَ، ثمَّ قال: خُذ من جذع ما أعطاك، وامتنعت عند ذلك غسَّان من أداء الدينارَين عن كلِّ رجلٍ منهم إلى أحد من الملوك، وهلمَّ جرًّا»[2].

يبدو أنَّ هذا المثل من الأمثال التي اختلفت فيها كلمات العلماء على ما يأتي:

١. ذهب بعض العلماء ومَن صنَّف في الأمثال، إلى أنَّ المراد من هذا المثل هو باب الاغتنام لأخذ الشيء من البخيل، وإن كان نزرًا، وليس المراد منه اسم رجل يُدعى بـ(جذع)[3]، وذكر أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم (ت٢٢٤هـ) أنَّ ذلك المراد هو حملُ أكثر الناس عليه، فقال: «وأمَّا قولهم: خُذ من جذع

(١) أعني به الإتيان بالمعنى الصحيح للمثل، بمعنى الحادثة الواقعيَّة التي قيل فيها المثل.
(٢) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ١٨٣-١٨٤.
(٣) ينظر: العقد الفريد: ٣/ ٦١، وجمهرة الأمثال: ١/ ٤٢١.

مـا أعطاك، فإنَّ أكثر النـاس يحمله على هذا المعنى مـن الاغتنام لأخذ الشيء أيضًـا»[١]، ويبدو للباحث أنَّ هذا الرأي يذهبُ إلى سـعة دائرة المثل وإطلاقه، ومنع تقييده باسم رجل، أو غير ذلك.

٢. مَن يذهب إلى تقييده باسـم رجلٍ، ومنهم المفضَّل الضبِّيّ (ت١٦٨هـ)، وابن الكلبيّ (ت٢٠٤هـ)، والصاحب بن عبَّاد (ت٣٨٥هـ)، قال ابن سـلَّام بعدما ذكـر رأيه مـا نصُّه: «وكان المفضَّـل يذهب به إلى غير ذلـك، ويقول: كان من حديثه أنَّ غسَّان كانت تؤدِّي إلى ملوك المسيح دينارَين كلّ سنة من كلِّ رجل، وكان الـذي يلي ذلك سـبطة بـن المنذر السـليحيّ، فجاء سـبطة إلى جذع بن عمرو الغسَّـانيّ يسـأله الدينارَين، فدخل جذع منزله، ثمَّ خرج متشـملًا على سـيفه، فضرب به سـبطة حتَّى سـكت، ثمَّ قال: «خُذ من جـذع ما أعطاك»، فذهبـت مثلًا، وامتنعت غسَّـان من الدينارَيـن بعد ذلـك»[٢]، فذكر المفضَّل اسـم المأتي والمأتي إليه معًا، وتابعـه (العراقيّ) في ذلك كما تقدَّم، وقد تردَّد ابن دريد الأزديّ (ت٣٢١هـ) في تسـمية ذلك الرجل، المـأتي إليه، ولم يذكر المأتي مَـن هو، فقـال: «وَمن أمثالهم: خُذ من جـذع مَا أَعْطَاك، وَهُوَ اسْـم رجل لَهُ حَدِيث. وَقد سـموا جذيعًا وجذعًا»[٣]، وتابعه في ذلك الصاحب بن عبَّاد[٤]، وذكر أبو هلال العسـكريّ (ت٣٩٥هـ) أنَّ المأتي هـو مصدق، والمأتي إليه هو ثعلبة، إلَّا أنَّه بعثه لأخيه جذع، فقال: «وَأَصله أَنَّ مُصدقًا جَاءَ ثَعْلَبَة رجلًا من أهل الْيمن، فسـامه أَكثر مِمَّا يلْزمه، فَقَالَ هذاك جذع أخي فَاذْهَبْ إليه يعطيك

(١) الأمثال لابن سلَّام: ٣١١.
(٢) الأمثال: ٣١١، وينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٤٥٤، والعقد الفريد: ٣/ ٦١.
(٣) جمهرة اللغة: ١/ ٤٥٤.
(٤) ينظر: المحيط في اللغة: ١/ ٣٦.

مَا تسْـأَل. فَذهب إِلَيْهِ فسـلَّ جذع سَـيْفه وضربه ضَرْبَة قَتله بهَا، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ ثَعْلَبَة (خُذ من جذع مَا أَعْطَاك)؛ فَذَهَبت مثلا»[1].

٣. وعندما تتبَّعنا كلمات العلماء، لم نجد أنَّهم نسبوا الإطلاق في مراد هذا المثل إلى عقيدة العوام به، أو أنَّهم يعتقدون أنَّ المراد بـ(جذع) هو جذع النخلة، سـوى (العراقيّ)، فإنَّه أوَّل من نسـب ذلك المـراد إلى العوام ونبَّه عليه، وخطَّأهم في ذلـك، وقـال إنَّه ليس كذلك، وذهب إلى تقييد المراد بالمثل باسـم رجل، وهو (جذع الغسَّانيّ).

ويبـدو للباحث أنَّ تقييد المـراد الذي ذهب إليه (العراقـيّ) يُوجِب الالتزام بالمثل لفظًـا ومعنـى، والحـال أنَّـه وإن كان نصًّا لغويًّـا، إلَّا أنَّـه لا يصل رتبة النـصِّ المقدَّس حتَّـى نتقيَّـد بلفظـه، على أنَّه لا ضير في توسـعة دائرة المـراد من المثل؛ لأنَّـه نصٌّ لغويٌّ متحـرِّكٌ يُستشـهدُ بـه في كلِّ الأزمنـة والأمكنة، ويُضرب لـكلِّ حادثةٍ مشـابهةٍ لحادثة ولادته.

قـال (العراقيّ): «خيرُ مالِك ما نفعَـكَ، العامَّةُ يريدون به خيرَ مالك ما أنفقته على نفسـك، ولم تخلِّفه لورثتك، وإنَّما المراد به خيرُ مالِك ما صرفته في اكتسـاب أدبٍ وعقلٍ تُصلح به أمر دنياك وآخرتك، كما قال أكثم بن صيفيّ: خيرُ مالِك ما وعظك»[2].

كلمةُ (نَفَعَ) من الكلمات ذات الأصل الواحد غير المتعدِّد، قال ابن فارس: «النُّونُ وَالْفَـاءُ وَالْعَـيْنُ: كَلِمَةٌ تَـدُلُّ عَلَى خِلَافِ الـضَّرِّ. وَنَفَعَهُ يَنْفَعُـهُ نَفْعًا وَمَنْفَعَـةً»[3]، ولكنَّ الخلاف بين العامَّة والعلماء في ماهيَّة المنتفع به على رأيين:

(١) جمهرة الأمثال: ١/ ٤٢١.

(٢) نزهة الأنفس وروضة المجلس: ١٨٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٦٣.

١. ذهب أبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى التيميّ (ت٢٠٩هـ) إلى أنَّ المنتفع به هو (اكتساب الأدب والعقل الذي يُصلح به دينه ودنياه)، وتابعه ابن سلَّام[١]، و(العراقيّ) في ذلك.

٢. ذهب الهاشميّ إلى أنَّ (النفع) هو الإنفاق في وجهه، فقال: «خير مالك ما نفعك، أي أنفقته في وجهه»[٢].

٣. ذهب العامَّة إلى أنَّ (النفع) هو الإنفاق على النفس في حياة الشخص، وعدم تركه للورثة، وذكر أبو عبيد ذلك من أنَّ العامَّة تذهب بهذا المثل إلى أنَّ خير المال ما أنفقه صاحبه في حياته، ولم يخلِّفه بعده[٣]، وتابعه من نسبة ذلك المعنى للعامَّة (العراقيّ)، كما ذكرنا أنفًا.

ويبدو للباحث أنَّه لا ترجيح لمراد العامَّة على مراد أبي عبيدة ومَن تابعه، أو مراد الهاشميّ، إلَّا بعد بيان معنى (المال)، ثمَّ نسبته إلى (النفع)؛ لينتج بعدها المراد ثمَّ الحكم بأن ذلك خيرٌ، وأمَّا المال في اللغة فهو مأخوذ من الجذر (مول)[٤]، وفي الاصطلاح فهو ما يمتلكه من جميع الأشياء، فيشمل الذهب والفضَّة والنقد والضِّياع والإبل، ويُقال: خرج إلى ضياعه أو إبِلِه[٥]. وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في موارد عديدة، قرابة الستِّ والثمانين آية، وفي جلِّها يدلُّ على امتلاكه لتلك الأشياء، أو حيازته لها[٦]، والمتأمِّل في تلك الآيات الوارد فيها لفظ المال صراحةً أو تأويلًا، يجد أنَّه يقترنُ إمَّا بالأنفس أو

(١) ينظر: الأمثال: ١٩٤.
(٢) الأمثال للهاشميّ: ١/ ١٢٣، رقم المثل: ٦٠٧.
(٣) ينظر: الأمثال لابن سلَّام: ١٩٤، ومجمع الأمثال: ١/ ٢٤١.
(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٨٥.
(٥) ينظر: ينظر: لسان العرب: ١١/ ٦٣٥، مادة (مول)، وأساس البلاغة: ٧٢٤.
(٦) ومنها (سورة الفجر: ٢٠) و(سورة النور: ٣٣).

الأولاد أو البنين أو نفر أو أهلين، ويكون له الصدارة على تلك الالفاظ، ممَّا يدلُّ على حبِّ الإنسان للمال وشدَّة تعلُّقه به[1].

أمَّا نسبة (المال) إلى (النفع)، فليس كلُّ مالٍ يُنفقهُ الإنسان على نفسه يكون غيرَ نافعٍ له، وليس كلُّ ما يُنفقهُ في تحصيل أدبٍ أو كسب عقلٍ يستمرُّ به الحال إلى نهاية أجله ما لم يكن هناك إخلاصٌ وتوفيقٌ لديمومة الأدب والعقل؛ لينال بهما رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، وبذلك يكون إنفاقه إيَّاه منفعةً له، وعليه لا يترجَّح لدى الباحث مذهب العامَّة، ولا مذهب (العراقيّ) الذي وافق فيه أبا عبيدة، ويُؤيِّده ما ذكره الميدانيّ (ت٥١٨هـ) من تأويل للمَثَل لأبي عبيدة بقوله: «وكان أبو عبيدة يتأوَّله في المال يَضِيعُ للرجل، فيكسِبُ به عَقْلًا يتأدَّب به في حفظ ماله فيما يستقبل، كما قالوا: لم يَضِعْ من مالك ما وَعَظَك»[2]، فذكر (فيما يستقبل)، والمراد به استمرار النفع مستقبلًا، والله أعلم بالصَّواب.

(١) ينظر: ألفاظ المال في القرآن، م.م. كاظم جواد عبد الشمَّريّ، بحث منشور في مجلَّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيَّة، مج١٧، العدد٧، ٢٠١٠م.

(٢) ع الأمثال: ١/ ٢٤١.

الخاتمة

١. أبرز البحث بعض تصويبات عَلَم من أعلام الحِلَّة الفيحاء في القرن السادس الهجريّ، في أحد مصنَّفاته القيِّمة، ورافدًا من روافد المكتبة اللغويَّة التي تُعنى بالأمثال العربيَّة فيما يخصُّ الجانب اللغويّ فيه.

٢. أوضح البحث عناية (العراقيّ) بالتصويب اللفظيّ، وتصويب الحادثة التي قيل فيها المثل، وما لهما من أثر في تصحيح ما ورد عن العامَّة في إيرادهم لبعض الأمثال الشائعة في ذلك القرن.

٣. أظهر البحث محاولة (العراقيّ) مناقشة بعض بالظواهر الصوتيَّة في بعض الأمثال، كالإبدال اللغويّ، ورفضه لما ورد عن العامَّة بخصوص هذه الظاهرة في بعضٍ منها، مستعينًا بآراء اللغويِّين الأفذاذ في هذا المجال.

٤. ألمعَ البحث إلى أنَّ عناية (العراقيّ) ببعض المسائل المهمَّة أطلق على بعضها المحدثون بـ(القاعدة التحويليَّة) التي تُعنى بالجانب اللفظي، فتلمَّس (العراقيّ) حقيقة ذلك؛ لتحقيق المطابقة بين الدالِّ والمدلول.

٥. بيَّن البحث إسهام (العراقيّ) بتصحيح بعض الأمثال نحويًّا، وذكر خطأ العامَّة في ذلك، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على عنايته بعلم النحو، وما له من دور في المحافظة على الألسن من اللحن، والحالة نفسها في اسهامه الفعَّال في تصويب بعضٍ منها صيغةً ومعنًى، مُستندًا في ذلك على كلام العرب الأقحاح.

٦. كشـف البحث عن عناية (العراقيّ) بالتصحيـح للحادثة التي قيل فيها المثل، ممَّـا يُؤكِّد ضرورة الالتزام بالمثل، لكونه يُمثِّـل جزءًا من التراث اللغويّ الذي يجب المحافظة عليه.

ثبت المصادر والمراجع

١. الأضداد، أبو بكر محمَّد بن القاسم بن محمَّد بن بشَّار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباريّ (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢. الأمالي، أبو عليّ القاليّ (ت٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمَّد عبد الجواد الأصمعيّ، دار الكتب المصريَّة، ط٢، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م.

٣. الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهرويّ البغداديّ (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤. الأمثال، زيد بن عبد الله الهاشميّ (ت بعد ٤٠٠هـ)، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية.

٦. تصحيح الفصيح وشرحه، أبو محمَّد عبد الله بن جعفر بن محمَّد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمَّد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧. تهذيب اللغة، أبو منصور محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمَّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٩. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبرهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلِّيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، تقديم: الدكتور عبد الحكيم راضي، الهيأة المصريَّة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٦م.

١١. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباريّ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٢. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمَّد، أبو عليّ، نور الدين اليوسيّ (ت١١٠٢هـ)، تحقيق: د. محمَّد حجِّي، د. محمَّد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٣. سرُّ صناعة الإعراب، ابن جنِّي، دار الكتب العلميَّة بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٤. الشافية في علمَي التصريف والخطِّ، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب

الكرديّ المالكيّ (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٥. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٦. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمَّد بن عبد ربَّه بن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربَّه الأندلسيّ (ت٣٢٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٧. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٨. الفاخر، أبو طالب المفضَّل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاويّ، مراجعة: محمَّد عليّ النجَّار، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ، ط١، ١٣٨٠هـ.

١٩. كتاب التعريفات، عليّ بن محمَّد بن عليّ الزين الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، ضبطه وصحَّحه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلميَّة بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٠. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢١. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

٢٢. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الميدانيّ النيسابوريّ (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمَّد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٣. مجمع الأمثال للميدانيّ دراسة لغويَّة دلاليَّة، أحمد حاسر عبد الله عبد الله، دار زهدي للنشر والتوزيع، الأردن، عمَّان، ٢٠١٦م.

٢٤. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥. المحيط في اللغة، الصاحب بن عبَّاد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، المملكة العربيَّة السعوديَّة، الرياض، ط١، ١٩٩٤م.

٢٦. مختار الصِّحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ أبو بكر الرازيّ (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، الدار النموذجيَّة، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٨. المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشريّ جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٩. معاني القرآن، أبو زكريَّا الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتيّ، محمَّد عليّ النجَّار، عبد الفتَّاح إسماعيل الشلبيّ، دار المصريَّة للتأليف والترجمة، مصر، ط١.

٣٠. معجم الشعراء العرب، مكتبة القدسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣١. معجم الصواب اللغويّ دليل المثقَّف العربيّ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازيّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٣. من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، ابن مالك الطائي الجيانيّ جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمَّد المهدي عبد الحي عمَّار، الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة.

٣٤. موسوعة أمثال العرب، د. أميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقيَّة، مصر، السنة التاسعة والعشرون، العدد السابع بعد المائة، ١٤١٨-١٤١٩هـ/ ١٩٩٨-١٩٩٩م.

الرسائل والأطاريح والبحوث:

٣٦. ألفاظ المال في القرآن الكريم دراسة دلاليَّة، م.م. كاظم جواد عبد الشمَّريّ، معهد إعداد معلِّمات الدجيل، بحث منشور في مجلَّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيَّة، مجلَّد١٧، عدد٧، تموز، ٢٠١٠م.

٣٧. عناصر التحويل التركيبيّ في المثل العربيّ في ضوء علم اللغة المعاصر، أريج حامد الترك، رسالة ماجستير في النحو واللغة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤م.

٣٨. نُحاة العرب ومظاهر التصويب اللغويّ، مجلَّة الممارسات اللغويَّة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغويَّة، كريمة مبدوعة، عدد٢٢، الجزائر، ٢٠١٤.

مصنَّفاتُ فَخْرِ المحقِّقِينَ محمَّد بنُ الحسن الحِلِّيّ

(ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

الباحث عليّ عبيِّس حسين عليّ المعموريّ

Works of Fakhr Al-Muhaqqiqin Muhammad bin Al-Hasan Al-Hilli

(D. 771 AH/1369 AD)

Researcher Ali Aobis Hussein Ali Al-Mamouri

ملخَّص البحث

مثلَّت مدرسة الحِلَّة، لاسيما في بداية القرن السابع الهجريّ، حتَّى نهاية القرن الثامن الهجريّ، وباتِّجاهاتها الفكريَّة المختلفة تحوُّلًا بارزًا في مسار الفكر الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ، والمذهب الإماميّ بشكلٍ خاصٍّ، وقد ظهر عدد كبير من العلماء في هذه المدرسة، منهم: هبة الله بن نما الحِلِّيّ (حيًّا ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، ومحمَّد بن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ/ ١١٩٣م)، ويحيى بن البطريق الحِلِّيّ (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، والسيِّد رضي الدين عليّ بن طاووس (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، والمحقِّق الحِلِّيّ (ت٧٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وغيرهم، وقد أحدثوا من نقلة نوعيَّة على مستوى الدراسات العقائديَّة والكلاميَّة للمذهب الإماميّ فكان لهذه المدرسة سماتها وخصائصها الواضحة التي جعلتها تختلف عن غيرها من المدارس، ويمكن القول إنَّ الجهد الذي بذله العلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، وولده فخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، كان له الأثر الأكبر في ترسيخ هويَّة هذه المدرسة، ذلك أنَّ أثر العلَّامة الحِلِّيّ لا يتمثَّل فقط بزعامته للمرجعيَّة الدينيَّة الشيعيَّة في عصره، بل في توجُّهاته العقائديَّة، وما أحدثه من تحوُّل منهجيّ في دراسة عقائد الشيعة الإماميَّة، ممَّا جعله يشكِّل ظاهرة لها توجُّهاتها، وحركة لها أتباعها ومؤيِّدوها، والذين واصلوا من بعده عمليَّة البناء والتأسيس والتأصيل للمنطلقات والأسس التي بنى عليها العلَّامة الحِلِّيّ منظومته الأصوليَّة والفقهيَّة والعقائديَّة، ومن بين أهم مَن كان لهم الأثر في حفظ التراث الفكريّ والعقائديّ لمدرسة الحِلَّة، ممثَّلة بإسهامات العلَّامة الحِلِّيّ هو ابنه محمَّد ابن الحسن الحِلِّيّ الملقَّب بـ(فخر المحقِّقين).

Abstract

Hillah School, especially at the beginning of the seventh century A.H until the end of the eighth century A.H, and with its various intellectual trends, represented a prominent shift in the path of Islamic thought in general, and the Imami school of thought in particular. This was due to the emergence of a large number of scholars in this school, including: Hibat Allah bin Nama Al-Hilli (who lived in 565 AH/1170 AD), Muhammad bin Idris Al-Hilli (D. 598 AH/1193 AD), Yahya bin Al-Batriq Al-Hilli (D. 600 AH/1203 AD), Sayyid Radhi Al-Din Ali bin Tawoos (D. 664 A.H/1265 AD) and Muhaqqiq Al-Hilli (D. 776 AH/1277 AD) And others, and the qualitative transfer they made at the level of doctrinal and theological studies of the Imami school of thought played a major role in making this school have its clear features and characteristics that made it different from other schools, and it can be said that the role played by Al-Allama Al-Hilli (D. 726 AH / 1325 AD) and his son Fakhr al-Muhaqqiqin (D. 771 AH/1369 AD) had the greatest impact in consolidating the

dimensions and identity of this school This is because the impact of Al-Allama Al-Hilli is not only represented by his leadership of the Shiite religious authority in his time, but rather his doctrinal orientations, and the methodological transformation he brought about in the study of the doctrines and principles of the Imami Shiites, made him constitute a phenomenon with its own orientations, and a movement with its followers and supporters, and those who after him continued the process of establishing and consolidating the principles. The foundations upon which Al-Allama Al-Hilli laid down his fundamentalist, jurisprudential, and ideological system, and among the most important people who had a role in preserving and enriching the intellectual and doctrinal heritage of the Hilla School, represented by the contributions of Al-Allama Al-Hilli, is his son, Muhammad bin Al-Hassan Al-Hilli, nicknamed (Fakhr Al-Muhaqqiqin).

المقدِّمة

ولـد الشـيخ فخـر المحقِّقـين وترعـرع في حجر أعلـم رجـال زمانه من الشـيعة الإماميَّـة، فهـو ابـن المرجع الدينيّ الأعلى للشـيعة آنـذاك، وهو العلَّامة الحِلِّيّ الحسـن ابن يوسـف بن المطهَّر، وكانت ولادة الشـيخ فخر المحقِّقين في مدينـة الحِلَّة التي كانت يومـذاك مركز الإشـعاع الفكريّ الإماميّ الاثنـي عشريّ في العالم أجمـع، كانت مدينة الحِلَّـة مركز اسـتقطاب رجـال الفكر، ليـس من طلَّاب العلـم على المذهـب الإماميّ وحسـب، بل من جميـع الطوائف الإسـلاميَّة، وهذا دليل على التسـامح الفكريّ الذي كانـت تدعـو الى تطبيقـه مدرسـة الحِلَّـة بشـكلٍ خـاصٍّ، والمدرسـة الإماميَّة بشـكلٍ عام.

نشأ فخر المحقِّقين في هذا الوسط العلمي المتميِّز، وكان أستاذه والده العلَّامة الحِلِّيّ الـذي أبدع بالتأليف في علومٍ شـتَّى من العلوم الإسـلاميَّة، الفقهيَّة منهـا، والكلاميَّة، والفلسـفيَّة، وغيرهـا، كذلك الحال مع أسرتـه التي عاش فيها، فقد بـرز من آل المطهَّر الكثـير من العلماء الذين ألَّفوا بمختلف العلوم الإسـلاميَّة، ورفدوا المكتبة الإسـلاميَّة بالمؤلَّفـات المهمَّـة التي لا تزال تدرَّس في المـدارس الدينيَّة حتَّى عصرنـا المعاش، ومن ثـمَّ فإنَّ نتيجة حتميَّة أن يتبع الشـيخ فخر المحقِّقين خطى والـده بالتأليف والتصنيف، لاسيما وأنَّه تسـنَّم زعامة المدرسة الإماميَّة بعد والده العلَّامة، ونتاج فكره أن عمل على استكمال ما كان والده قد سعى إلى تأليفه، إلَّا أنَّه لم يكتمل، وزاد على ذلك بأن عمل فخر المحقِّقـين على التأليف في علوم مختلفة، كان أبرزهـا العلوم الدينيَّة الفقهيَّة بالخصوص،

وفي هـذا البحث نتناول مؤلَّفات فخر المحقِّقـين، ونتتبَّع تلك المؤلَّفات، وأماكن وجود نسخ مخطوطاتها، وتتبُّع المطبوع منها؛ لأهميَّته في المكتبة الإسلاميَّة، وندعو الله أن يوفِّقنا لما فيه الخير والصلاح لخدمة العلم وطلَّابه، إنَّه نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

التمهيد

حياته الاجتماعيَّة

أوَّلًا: اسمه ومولدهُ ونسبهُ

هو محمَّد بن الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطَّهر الحِلِّيّ الأسديّ[١]، ولِد في مدينة الحِلَّة، سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، وقد اختلف المؤرِّخون في تحديد يوم ولادته، وكذا الشهر، إذ حدَّد البحرانيّ[٢] ليلة الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة تاريخًا لولادته، في حين اختلف معه الأفنديّ[٣] في الشهر، واتَّفق معه في تحديد الليلة، فقال: «مولده ثاني وعشرين من جمادى الآخرة سنه ٦٨٢هـ»، أمَّا الخوانساريّ[٤] فإنَّه اختلف معهم في اليوم والشهر الذي حدَّده بقوله: «ولِد ليلة الاثنين نصف الليل

(١) ينظر ترجمته: ابن الفوطيّ، مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٣/ ١٣٤-١٣٥، التستريّ، مجالس المؤمنين: ٢/ ٣٦٢، الأردبيليّ، جامع الرواة: ٢/ ٩٦، الحرُّ العامليّ، أمل الآمل، ١/ ١٨٢، ٢/ ١٦، ٨٠، ١٠٧-١٠٨، ١٩٢، ٢١١، ٢٦١، التفريشيّ، نقد الرجال: ٣٠٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٥/ ٦٠، ١٠٤/ ٣٨٣، ٤٠٠-٤٠١، ٣٩٨، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ١٠٧/ ٣٠٤-٣٠٦، الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٧٧-٧٩، البحرانيّ، لؤلؤة البحرين: ١٩٠-١٩٤، إعجاز حسين، كشف الحجب والأستار: ٣٩، الخوانساريّ، روضات الجنَّات، ٦/ ٣٣٠-٣٣٩، المازندرانيّ، منتهى المقال في أحوال الرجال: ٦/ ٢٦، البغداديّ، هديَّة العارفين: ٣/ ٣٣٠، القمِّيّ، الكنى والألقاب: ٣/ ١٦.

(٢) لؤلؤة البحرين: ١٩١.

(٣) رياض العلماء: ٥/ ٧٧.

(٤) روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٠.

تقريبًا ليلة عشرين من جمادى الأولى سنة ٦٨٢هـ»، وليس الثاني والعشرين من جمادى الآخرة.

وهناك مصادر أخرى لم تحدِّد تاريخ ولادته، مع أنَّها ذكرته وترجمت له، وحدَّدت تاريخ وفاته، من دون ذكر تاريخ ولادته، مثل ابن الفُوَطِيّ(ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، والتَّستريّ (ت١٠١٩هـ/ ١٦١١م)، والأردبيليّ (ت١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)[١]، إلَّا أنَّ القول الفصل بالتأكيد لوالده العلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) الذي وافق قول الخوانساريّ المذكور سابقًا بخصوص ولادة فخر المحقِّقين، لما ذكره العلَّامة الحِلِّيّ في كتابه المسائل المهنَّائيَّة[٢] الذي دعا فيه لولده بإطالة العمر الرغيد، محدِّدًا تاريخ ولادته باليوم والشهر، فقال: «وأمَّا مولد عبده محمَّد فكان قريب من نصف الليل ليلة العشرين من جُمَادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة، أطال الله عمره، ورزقه الله تعالى العيش الرغيد، والعمر المزيد المديد بمحمَّد وآله أجمعين، وفَّقه اللهُ تعالى وإيَّانا للقيام بما يجب عليه وعلينا من نشر صالح الدعاء، إنَّه قريبٌ مجيب»[٣].

نشأ فخر المحقِّقين وترعرع في مدينة الحِلَّة التي أصبحت مركزًا علميًّا مهمًّا،

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٣/ ١٣٤-١٣٥، مجالس المؤمنين: ٢/ ٣٦٢، جامع الرواة: ٢/ ٩٦.

(٢) المسائل المهنَّائيَّة: وهي ثلاثة مسائل سأله عنها السيِّد (مهنَّا بن سنان بن عبد الوهاب الحسينيّ)، وسأل المسائل الأولى والثانية والثالثة للعلَّامة الحِلِّيّ في داره في الحِلَّة سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧)، ونهاية أجوبة العلَّامة الحِلِّيّ للمسائل الثالثة سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وأجاب أيضًا فخر المحقِّقين عن مسائل سُئِل عنها من قِبَل مهنَّا بن سنان العبيدليّ الحسينيّ، وأكثر المسائل في الفقة والعقائد، وعددها (٢٧) مسألة، وطُبعت هذه الأسئلة في مطبعة الخيام بقم، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. يُنظَر: العلَّامة الحِلِّيّ، أجوبة المسائل المهنَّائيَّة: ١٨، ١١١، ١٣٨، ١٦٢، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٣١٢.

(٣) العلاَّمة الحِلِّيّ، المسائل المهنَّائيَّة: ١٣٩.

تصدَّرت به المدن الإسلاميَّة جميعها التي ينتشر فيها المذهب الإماميّ الاثني عشريّ، ولاسيَّما بعد سلامتها من الاحتلال المغوليّ[١] (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الذي عاث فسادًا في المناطق التي دخلها، ومنها بغداد[٢]، في حين سَلِمَتْ مدينةُ الحِلَّة من بطش المغول؛ نتيجةً لما قام به عدد من علماء الحِلَّة، بعد أن غادرها أهلها إلى (البطائح)[٣]، ومناطق الجنوب، وتمكَّن الوفد الذي توجَّه إلى هولاكو[٤] من استحصال الأمان لمدينة الحِلَّة والمدن المقدَّسة المجاورة لها[٥]، وكان أن أُسِّست معاهد في الحِلَّة بعد أن فرَّ علماء

(١) المغول: وهم أقوام من الرعاة سكنوا في الهضبة الغربيَّة الآسيويَّة الفسيحة التي تسمَّى باسم هضبة منغوليا، وظهر اسم المغول في بدايته في عهد جنكيزخان؛ لتصبح من الإمبراطوريَّات الكبرى لهذه الأقوام، ومعناها مشتقٌّ من لفظة (مونگ Mong) الصينيَّة، ومعناها الباسل الشجاع، وهم من سكَّان منغوليا. ابن العبريّ، تاريخ مختصر الدول: ٤٨٢، ابن الطقطقيّ، الفخريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة: ١٩، ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: ٢٧، العزَّاويّ، العراق بين احتلالَين: ١/ ٥٨، بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى: ٥٤-٥٥، ستانلي، الدول الإسلاميَّة: ٢/ ٤٩٧، الدهوكي، جهاد الأيوبيِّين والمماليك ضدَّ الصليبيِّين والمغول: ١٦٨.

(٢) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة: ٣٦٠، القمِّي، الكنى والألقاب: ١/ ١٩٨، العزَّاويّ، تاريخ العراق: ١/ ٣٩، نعمة، فلاسفة الشيعة: ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) البطائح: جمع بَطِيحة، بالفتح، ثمَّ الكسر، وجمعها البطائح، وقيل بطحاء الوادي، وإنَّما سمِّيت البطائح؛ لأنَّها تجتمع فيها المياه، ولأنَّ المياه تبطَّحت فيها وسالت واتَّسعت في الأرض، وهي أرض واسعة في جنوب العراق بين واسط والبصرة. اليعقوبيّ، البلدان: ١/ ٣٦، الأصطخريّ، المسالك والممالك: ٥٨، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ١/ ٤٥٠، ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ٤١٢.

(٤) هولاكو: هو بن طولوخان، الابن الأكبر لجنكيزخان، مؤسِّس الدولة الأيلخانيَّة في إيران، كان داهية وخبرة في الحروب، قاد المغول جنوب البلاد الإسلاميَّة، وقضى على الخلافة العبَّاسيَّة والإسماعيليَّة، واستولى على الشام، ومدَّة حكمة سبع سنوات. الهمذانيّ، جامع التواريخ، ١/ ٤٣١، الغيثانيّ، التاريخ الغيثاني: ٤٢.

(٥) الهمذانيّ، جامع التواريخ: ١/ ٢٩٥، ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة: ٣٣٠، مير خواند،=

الشيعة من بغداد حين دخول السلاجقة إليها عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م[١]، ومارست تلك المعاهد نشاطها، حتَّى بعد احتلال المغول لبغداد[٢]، وبعد بروز مدرسة الحِلَّة الإماميَّة تمكَّنت المدينة من احتلال الصدارة في الفكر الإماميّ الاثني عشريّ، ونشأ فيها عدد كبير من العلماء البارزين، الذين أصبحوا قِبلة أنظار طلَّاب العلم من معتنقي المذهب الإماميّ وغيره من المذاهب الأخرى، فقد وصفها الخوانساريّ: «هي من مشاهير مدن العراق، واقعة بين النجف الأشرف والحائر المقدَّس على مشرِّفهما السلام... وقد كانت قديمة التشيُّع، وخرج منها من علمائنا كثير من الفحول، ومزاراتهم هناك مشهورة»[٣].

وقيل أيضًا: «وقد نبعَ في الحِلَّة فريق عظيم من العلماء والفقهاء والأطبَّاء والفلاسفة والأدباء والشعراء ما لا يُحصَون عدًّا لكثرتهم، فطبَّقت شهرتهم الذائعة الآفاق، وخدموا العلوم الإسلاميَّة والفنون والآداب العربيَّة خدمات جليَّة»[٤].

وأشار فخرُ المحقِّقين إلى مراحل دراسته الأولى ونشأته العلميَّة المبكِّرة وعلاقته العلميَّة بأبيه العلَّامة، في شرح كتاب القواعد، فقال: «إنِّي اشتغلتُ عند والدي بتحصيل العلوم من المعقول والمنقول، وقرأت عليه كثير من كتب أصحابنا، والتمستُ

=تاريخ روضه الصفا: ٥/ ٢٤٣، المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٧/ ٦٤، كركوش، تاريخ الحِلَّة: ٢/ ٦٧، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٧/ ٣١٥، الشاكريّ، تدوين الحديث وتاريخ الفقه: ٨٤. وسنأتي على تفاصيل هذا الحدث التاريخيّ المهم في تاريخ مدينه الحِلَّة والعراق في محور أسرته، ولاسيَّما في ترجمة جدِّه سديد الدين يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ، الذي كان قد تزعَّم الوفد الذي أجرى التفاوض مع المغول.

(١) دونالدسن، عقيدة الشيعة: ٢٩٥.

(٢) العلاَّمة الحِلِّيّ، مناهج اليقين: ٣٠، مقدِّمة المحقِّق.

(٣) روضات الجنَّات: ٢/ ٢٧٠.

(٤) الدجيليّ، أعلام العرب: ٢/ ٩٨.

منه تصنيف كتاب القواعد»[١].

وذكر أيضًا أنَّ فخر المحقِّقين تمكَّن من حفظ القرآن الكريم، وله من العمر إحدى عشرة سنة[٢]، وله طرق في رواية الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، تزيد على المئة[٣].

وفي مؤلَّفاته، وعند اطِّلاعنا على خطوط العلَّامة الحِلِّيّ وخطّ فخر المحقِّقين، وجدنا أنَّ خطَّ العلَّامة أوضح من خطِّ فخر المحقِّقين بكثير[٤]، أمَّا بالنسبة إلى تأليف فخر المحقِّقين، فمؤلَّفاته أكثر من أربعين عنوانًا. ولا بدَّ لنا من الإشارة إلى أنَّ مؤلَّفات فخر المحقِّقين كثيرة، وأن ما اطَّلعت عليه من المؤلَّفات المطبوعة والمخطوط، هو أقل من العدد الهائل لأسماء الكتب التي ألَّفها أو شرحها، ويُعزى سبب ذلك إلى أنَّ معظمها مفقود، أو لاتزال غير محقَّقة، وسوف يذكر الباحث المخطوط الذي يعرف مكانه، وسيحاول في هذه الدراسة أن يذكر بعض مؤلَّفات فخر المحقِّقين التي عثر عليها أو حصل على نسخة منها من المكتبات داخل العراق وخارجه، إذ سافرت إلى الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة، واطَّلعت على مجموعة من فهارس المكتبات، وتصنيفها بحسب موضوعاتها، وركَّز الباحث في هذا البحث على المؤلَّفات، وقسَّمها إلى مبحثين، الأوَّل: المخطوط، وتناول مؤلَّفاته غير المطبوعة، وتمَّ تقسيمها على العلوم، وأماكن حفظها، واسم الناسخ، ورقمها، والمدينة، وسنة النسخ، أمَّا المبحث الثاني، فعنوانه: المؤلَّفات المطبوعة والمفقودة، وأماكن طبعها.

(١) العلَّامة الحِلِّيّ، قواعد الأحكام: ١/ ١٦٠، التستريّ، مجالس المؤمنين: ٢/ ٣٦٣، الحرُّ العامليّ، آمل الامل: ٢/ ٢٦١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٢٢، البروجرديّ، طرائف المقال: ٢/ ٢٦١.

(٢) البروجرديّ، طرائف المقال: ٢/ ٤٣١. وانظر أيضًا: الحائريّ، دائرة المعارف الشيعيَّة العامَّة: ١٤/ ٧٨.

(٣) العلَّامة الحِلِّيّ، الألفين: ٦٢، الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة: ٣٠/ ١٧٧.

(٤) الملحق (٥): خطُّ العلَّامة الحِلِّيّ.

المبحث الأوَّل

مصنَّفاته المخطوطة (غير المحقَّقة)

أوَّلًا: مصنَّفاته في التفسير

١. حاشية قرآن فخر المحقِّقين:

وهذا التفسير لمفسِّر مجهول من علماء القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ، اعتمد فيه المفسِّر على حاشية مكتوبة على نسخة قرآن فخر المحقِّقين، قد كتبها على نسخه من قرآنه الشريف، لوجود عبارة في المخطوط «أنَّها وجدت حاشية على قرآنه الشريف».

بدايتها: تفسير قولة تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[١].

ونهايتها: بتفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾[٢].

مكان المخطوط: طهران.

عدد الصفحات: ثلاثمائة صفحة، وفُقِد من أوَّلها صفحات عدَّة، ومن آخرها صفحات[٣].

(١) سورة الفاتحة، آية (٤).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٦).

(٣) النسخة محفوظه في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. ينظر: الملحق (٦).

ثانيًا: مصنَّفاته في الفقه والأصول

١. اثنا عشر إمامًا:

هذه رسالة صغيرة في الدعاء، ورد ذِكرها في بعض في بعض فهارس المخطوطات على أنَّها لفخر المحقِّقين.

بدايتها المقدِّمة: اللَّهمَّ صلِّ على المصطفى محمَّد، والمرتضى عليّ، والبتول فاطمة، والسِّبطَين الحسن والحسين، وصلِّ على زين العباد علي والباقر محمَّد والصادق جعفر والكاظم موسى والرضا عليّ والتقيّ محمَّد والنقي عليّ والزكي العسكريّ، وَصَّلِ عَلَى الحُجَّةِ...[١].

اسم الناسخ: محمَّد زمان القمِّي، نَسَخها في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ.

مكان النسخة: مكتبة الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ١٨/ ١٩٤٨٥[٢]، وهي ضمن مجموعة أدعية لعدد من العلماء والفقهاء، وتبدأ مِنْ الورقة ٦٩ إلى الورقة ٧٣، ولون الورق أصفر، والخط النسخ، وعدد الأسطر ٨ أسطر، وهي بحالة جيدة، وعناوين الأدعية بالون الأحمر[٣].

٢. أَجوبةُ المسائل الآمُليَّات، أو المسائل الأمليَّات[٤]:

هي ثلاثَ عشرةَ مسألة فقهيَّة، سَأَلَها السيِّدُ حيدر بن عليّ بن حيدر بن عليّ العبيدليّ العلويّ الحسينيّ الآمليّ، فأجابَ عنها فخرُ المحقِّقين بأجوبةٍ على شكل فتاوى.

(١) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٧)
(٢) ينظر: النوري، مستدرك الوسائل: ٥/ ٣٥٦، درايتي، مصطفى، فهرس فنخا: ١٤/ ٨١٥.
(٣) مكتبة حرم الإمام الرضا عليه السلام في مشهد، بالرقم ١٨/ ١٩٤٨٥.
(٤) الآمليّ، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٤٥، بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ: ١٢/ ٣٦.

الأسئلةُ بخطِّ السيِّد الآمليّ، والأجوبةُ بخطِّ الشيخ فَخرِ المحقِّقين، باستثناء جواب المسألة الأُولى، فهي بخطِّ الآمليِّ، وصادق عليها فخر المحقِّقين بخطِّه. وقال النوري: «وجدت بخطِّ فخر المحقِّقين جوابات لمسائل السيِّد حيدر الآمليّ»[1].

أوَّل هذه المسائلِ في سَلخِ رجب سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨، بالحِلَّة السيفيَّة.

أوَّلها: الحمدُ لله ربِّ العالَمين والصلاة على خير خلقه محمَّد وآله الطاهرين. هذه مسائلُ سألتُها عن جَناب الشيخ الأَعظَم، سلطان العلماءِ في العالَم، مَفخَرِ العَرَبِ والعَجَم، قدوة المحقِّقين، مقتدى الخلائق أجمعين، أفضل المتأخِّرين والمتقدِّمين، المخصوص بعناية ربِّ العالمين...

وآخِرُها: ... ولو اعتمد هذا الذي يريد أن يحجَّ على متابعة فقيهٍ في جميع أفعاله من غير أن يعرفها قبل أن يشرع في الفعل كما ذكرت، لم ينعقد إحرامه، ولا يَصِحُّ حَجُّهُ، ولا عُمرَتُهُ، وإنْ كانَ الفَقيهُ جامعَ الشرائط، واللهُ أعلَم بالصواب[2].

ومِن أَشهَرِ نُسَخِها الموجودة، ومكان تواجدها:

- مكتبة جامعة طهران، طهران، رقمها: ٢/ ١٠٢٢، الأَسئِلَةُ بخطِّ السيِّدِ حيدر الآمليّ، والأَجوِبَةُ بخطِّ فَخرِ المحقِّقين، كُتِبت في سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م[3].
- مكتبة جامعة طهران، طهران، رقمها: ٢/ ٢١٤٤، نسخها تاج الدين حسين

(١) ينظر: النوري، مستدرك الوسائل: ٥/ ٣٥٦.

(٢) ينظر: النوري، خاتمة المستدرك: ٢/ ٤٠٢، الأمين، أعيان الشيعة: ٩/ ٣٩٨، الطهرانيّ، الذريعة: ٢٠/ ٣٤٥، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ١٩٨، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٧٩٣.

(٣) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة منها. ينظر: الملحق (٨).

صاعد بن شمس الدين الطوسيّ، في القرن العاشر الهجريّ [السادس عشر ميلادي][1].

- مركز إحياء التراث في قُم المقدَّسة، رقمها٤/ ٧٥٢، الناسخ مجهول، تاريخ النسخ في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلادي، وعدد أوراقها ١٣٠ ورقة، ١٤سطر[2].
- مكتبة النوَّاب في مشهد المقدَّسة، رقمها، ٤/ ١٨٨، الناسخ مجهول[3].
- جامعة طهران، طهران، رقمها: ١/ ٥٣٦٩، وناسخها مجهول، ونسخة القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلادي[4].

٣. أَجوِبَةُ المسائلِ الفقهيَّة[5]:

وتضمُّ اجوبة على مسائلَ فقهيَّة، وعدد من الفتاوى في الفقة والعقيدة، كتبها فخر المحقِّقين بعد وفاه والده العلَّامة الحِلِّيّ[6].

أوَّلها: «في الحقيقَةِ والهوِيَّة، بل المساواة فيما عَدا نبوَّة محمَّد، والنبيُّ أَفضَلُ مِن سائرِ الأَنبياءِ المتقدِّمين»[7].

(١) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٧٩٣-٧٩٤، السلطاني، الحُلَّةُ في تصانيف علماء الحِلَّة: ١٣.
(٢) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٩).
(٣) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٧٩٣-٧٩٤، السلطاني، الحُلَّة في تصانيف علماء الحِلَّة: ١٣.
(٤) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٩٦.
(٥) الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٢٨٠، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٨٧٥.
(٦) فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ١٤/ ٣٥٩، رقمها ١/ ٥٥٩٤.
(٤) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٨٧٥.
(٧) فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة، ١٤/ ٣٥٩، رقمها ١/ ٥٥٩٤. ينظر: الملحق (١٠).

آخرها: «فَإِن كان مَوضِعُ الصلاةِ مُستَقِرًا بالجذعِ المغصوبِ، ولو بَعُدَ، لَم يَصُحَّ، وإِلَّا صَحَّ»[1].

ومِن أَشهَرِ نُسخِها الموجودةِ في مكتبة آية الله المرعشيّ في قم المقدَّسة، رقمها: ١/ ٥٥٩٤. نَسَخَها عمادُ الدين بن يونس بنجهزاري، كُتِبت في سنة ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م، والسائل مجهول، وعددها سبعة أوراق، نقص الصحيفة الأولى، وهي مخرومة الآخر.

٤. أَجوبَةُ مَسائلِ بَعض الأَجِلَّة:

وهذه الأسئلة أكثرها فقهيَّة، وبعضُها في العقيدة والتفسير، أَملاها فخر المحقِّقين على السائل مُشافَهةً في أثناء تواجده بالحلَّةِ في شهر ربيع الأوَّل سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، وكتبها وجمعها من بدايتها إلى نهاية المسائل، وعدد المسائل ٣٠٧ مسألة.

أوَّلها: هذه المسائِلُ المبارَكَةُ الشريفَةُ سَأَلتُ مولانا الشيخَ الأَعظَمَ، الإِمامَ العَلَّامةَ المعظَّم، رئيسَ المجتهدين، فَخرَ المِلَّةِ والحقِّ والدين ابن المطهَّر دام ظله لـمَّا كنت في خدمته في الحِلَّة، فأجابني عنها مشافهةً منه إليَّ، وأملاه من لفظه عليَّ في شهر ربيع الأوَّل سنة ستٍّ وخمسين وسبعمائة...[2].

آخِرُها: الجواب: القرآنُ ناطِقٌ بعدَمِ الأَرضِ والسَّماواتِ، ويوجِدُ القادِرُ المختار بَدَلَهما، وأَمَّا ذلك الموجودُ وماهِيَّته، فلا يَعلَمهُ إِلَّا اللهُ تعالى[3].

ومِن أَشهَرِ نُسَخِها الموجودة، هي:

(١) الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٢٨٠.

(٢) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٨٧٥.

(٣) ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ٢/ ٥٩ رقم ٤٥٧، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٨٧٥.

- مكتبة الإمام الحكيم ﷺ العامَّة في النجف الأشرف، المسائل الأولى عددها (١١٢) مسألة، والثانية (٦٩) مسألة، والثالثة (١٢٦)مسألة، في الرقم: (٥٤٨/ ٥)، اسم الناسخ: محمَّد هاشم بن زين الدين العابدين الموسويّ، في يوم السبت ٢٥ جُمَادى الأولى سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، وقد اطَّلع الباحث على النسخة الخطِّيَّة، وحصل على نسخة من المخطوط[١].
- مكتبة آية الله المرعشيّ في قم المقدَّسة، رقمها: ٤٥٢، نُسِخت في القرن العاشر الهجريّ/ الخامس عشر الميلاديّ.
- مكتبة جامعة طهران، طهران، رقمها: ٥/ ١٤٧٤، ناسخها مجهول، في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ.
- مصوَّرَةٌ في مركز إحياء التراث في قم المقدَّسة، رقمها: ٦/ ٢٠٩[٢].

٥. حاشية إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان[٣]:

حاشية على كتاب أبيه العلَّامة الحِلِّيّ (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان)، في هذا المخطوط حاشية استدلاليَّة فيها نَقَل بعضَ الآراء، خصوصًا آراء فخر المحقِّقين، لعليّ بن يوسف بن عبد الجليل ظهيرُ الدين (كان حيًّا حدود سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م)، من إملاء شيخه فخر المحقِّقين، استظهر بعضُ المفهرسين أنَّها أُلِّفت بعد سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، التي تمَّ فيها تأليف (إيضاح الفوائد)، وفي هذا الكتاب أكثر النقل من كتابه إيضاح

(١) ينظر: الملحق (١١).
(٢) مصطفى درايتي، فهرس دنا: ١/ ٢٧٨.
(٣) ينظر: البحرانيّ، لؤلؤة البحرين: ١٩٢، المازندرانيّ، منتهى المقال: ٦/ ٢٦، الطهرانيّ، الذريعة: ٦/ ١٧، الدجيليّ، أعلام العرب: ٢/ ١٨٥، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٤/ ٢٠٦، القمِّيّ، الكنى والألقاب: ٨٥، الخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٦/ ٢١٢، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١١/ ٣٣٥-٣٣٦.

الفوائد، ونسبها بعضهم إلى فخر المحقِّقين، فيما نَسَبَها البعض الآخر إلى الشيخ عليّ ابن يوسف بن عبد الجليل النيليّ، تلميذ فخر المحقِّقين[1]، وقال الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ[2]: «إنَّ هذه الحاشيةَ هي مِن إملاء فخر المحقِّقين، وتقرير تلميذه ظهير الدين المذكور»، وقال الأفنديّ: «ورأيته عند الفاضل الهنديّ، وهو من أحسن الشروح، والنسخة عتيقة، ومنها شرح فخر الإسلام»[3].

أوَّلها: بسملة، الحمد لله العظيم الشأن، القديم الإحسان، والصلاة على رسوله سيِّدنا محمَّد المبعوث بأشرف الأديان، وآله المخصَّصون بالكرامة من الرحمن. وبعد، فهذه حواشٍ على كتاب إرشاد الأذهان في أحكام الإيمان...

آخِرُها: قوله: وتُستوفى الدِّية في الخطأ وشبهه، وليس العفو عنها، وقال ابن إدريس: العفو عنها، ومنع الشيخ وابن الجنيد وابن البرَّاج من ذلك، وهو مشهور بين الأصحاب، والحمد لله وحدَه، وصلواته على سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين[4].

ومن أشهر نُسخها الموجودة:

- مكتبة جامعة طهران، رقمها: ٧٦٨، نسخها حسين بن حسن السبعيّ الإسترآباديّ، وتاريخها الأحد ١ محرَّم سنة ٧٨٧هـ [١٣٨٦م].
- مُصَوَّرة في مركز إحياء التراث، في قم المقدَّسة، ورقمها: ٩٥٣، ونسخة الأصل في مكتبة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، نوربخش بروجرد ٢٥١، ونسخها

(١) الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧.
(٢) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٥١١، ٦/ ١٦-١٧، ١٣/ ٧٥.
(٣) رياض العلماء: ١/ ٤١٧.
(٤) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١١/ ٣٣٦.

حسين بن محمَّد بن حسن جوشاني، وتاريخها في يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م.

- مكتبة مجلس الشورى في طهران، رقمها: ١/ ١٤٨٨١، نسَخَها حسن بن محمَّد ابن حسن الحويانيّ العامليّ، بتاريخ الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، الخط: النسخ.
- مكتبة جامعة طهران، رقمها: ٦٩٢٩، ناسخها مجهول، ويوجد عليه اسم مالكها، وهو محمَّد جعفر حسينيّ، كُتِبت بتاريخ الخميس ٦ محرَّم سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م.
- في مشهد المقدَّسة، مكتبة الأستانة الرضويَّة، رقمها: ٢٣٧٧، ناسخها مجهول، كُتَبت بتاريخ يوم الجُمُعة ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م.
- مكتبة الإمام أمير المؤمنين، النجف الأشرف، رقمها: ٢٦٢، اسم الناسخ: نعمة الله بن ضياء الحسينيّ، تاريخ النسخ: ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م[١].
- مكتبة أمير المؤمنين، النجف الأشرف، رقمها: ٥٨١، اسم الناسخ مجهول، كُتبت بتاريخ ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م[٢].
- مكتبة الإمام الحكيم عليه السلام العامَّة، النجف الأشرف رقمها: ٢٦٧، نسخها تقي ابن شمس الدين عليّ الحسينيّ الاستراباديّ في ٢ شعبان سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م[٣].

(١) معجم المخطوطات النجفيَّة: ٣/ ١٥٧.

(٢) معجم المخطوطات النجفيَّة: ٣/ ١١٦، وقد اطَّلع الباحث على النسخة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وحصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط، ورقمها في الدليل الإلكترونيّ: ٧٦٧. ينظر: الملحق (١٢).

(٣) معجم المخطوطات النجفيَّة: ٣/ ١٥٦، ورقمها في مكتبة الإمام الحكيم: ٤٦٧، وحصل=

- مكتبة مجلس الشورى، طهران، رقمها: ٤٤٥٢، نسخها فضل بن محمَّد بن فضل عبَّاس الجزائريّ، كتبها على نُسخة حسين بن حسن السبعيّ الإسترآباديّ متقدِّمة الذِّكر، بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م.
- مكتبة الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، رقمها: ١٧٠٩٤، اسم الناسخ مجهول، تعود إلى القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ، اسم الخط: النسخ[١].

٦. حاشية أنوار الملكوت في شرح الياقوت:

وهو من الكتب الكلاميَّة العقائديَّة، لأبي إسحاق إبراهيم النُّوبختيّ الذي تمَّ شرحه من قِبل العلَّامة الحِلِّيّ، بعنوان (قال، أقول)، والحاشية لفخر المحقِّقين في حياة ابية العلَّامة الحِلِّيّ؛ لوجود عبارة (دام ظله). وهي كبيرة في ضعفَي المتن، نسخة منها قديمة كتبت في عصره، توجد في مكتبة مدرسة خيرات خان في مشهد[٢].

أوَّلها: «الحمد لله المتقدِّس عن الأمثال والأشكال والنظراء، المنزَّه عن... التعالي عن الأضداد والأنداد والشركاء... المتفرِّد بالأزليَّة والأبديَّة والبقاء...»[٣].

آخِرُها: «... وأمَّا المخالفون في الفروع، كالمسائل الشرعيَّة، كنجاسة الماء القليل بمجرد ملاقاة النجاسة، وثبوت الشفقة مع الكثرة...»[٤]

=الباحث على نسخة منها، وفيها بعض الحواشي، وختم مربَّع، وعليها ختم (أدركني يا مُحسِن) ١١٦١، وغلافها جلد أحمر. ينظر: الملحق (١٣).

(١) مصطفى درايتي، فنخا: ١١/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: الطباطبائي، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٥٨.

(٣) ينظر: الملحق (١٤).

(٤) حصل الباحث على نسخة من المخطوط، نوع الخطِّ النسخ، النسخة المصوَّرة في مركز إحياء التراث في قم، وعدد ورقات المخطوط ٣٨٠ ورقة، ولون الورق أبيض.

٧. حاشية تحرير الأحكام الشرعيَّة[١]:

كتبها على كتاب (تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة) لوالده العلَّامة الحِلِّيّ الحسن بن يوسف.

أمَّا نسختها الفريدة، فهي موجودة، في مكتبة مجلس الشورى في طهران، رقمها: ٢/ ١١٤٠٠، وناسخها مجهول، وكُتبت في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ، بخطِّ النسخ[٢].

٨. سؤال لفخر المحقِّقين الحِلِّيّ وجوابُه[٣]:

وهذا السؤال ورقة واحدة فقط، محتواها جوابٌ عن سؤالٍ سأله أحد الأصدقاء المقرَّبين، عن استعمال العلَّامة الحِلِّيّ في أحد كتبه، وهو (قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام)، والأسئلة على شكل: «على إشكال، وفيه إشكال، فيه إشكال على رأي، والأقرب كذا، كان وجهًا، على قولَين، فيه قول، على قول، والأقوى كذا»[٤].

أشهر النسخ الموجودة:

- مكتبة جامعة طهران، رقمها: ١/ ٦٣٦٩، وناسخها مجهول، نوع الجِلد: تيماج، صحيفة واحدة، (٢٠) سطرًا، كُتبت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلادي.
- مكتبة جامعة طهران، رقمها: ٢/ ٦٣٤٠، ناسخها مجهول، ورقة واحدة،

(١) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٤/ ٤٩، فهرس فنخا: ١١/ ٤٢٠.
(٢) ينظر: فهرس فنخا: ١١/ ٤٢٠.
(٣) ينظر: مصطفى، درايتي، فهرس فنخا: ١٨/ ٤٤٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٨/ ٤٤٠.

(١٧) سطرًا، كُتِبت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ، جلد تيماج قهواي[١].

- مكتبة مجلس الشورى، رقمها: ٢/ ٩٧٦٣، ناسخها مجهول، كُتِبت في القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلادي، بخطِّ النسخ[٢].

٩. المسائل الفخريَّة[٣]:

هي جملة من الأسئلة وأجوبتها كتبها فخر المحقِّقين على كتابه (إيضاح الفوائد).

ومِن أشهر نسخها الموجودة:

- مكتبة جامعة طهران. رقمها: ١/ ١١٩٢، اسم الناسخ: مجهول، كُتِبت بتاريخ ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، و٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م.
- مكتبة نوربخش في طهران، رقمها: ٦/ ٤٨٥، نسخها قطب الدين بن ملَّا تاج الدين حسن، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م[٤].

١٠. المسائل الفقهيَّة[٥]:

وهي رسالة في جواب جملة من الأسئلة الفقهيَّة التي وردت لفخر المحقِّقين.

(١) ينظر: مصطفى، درايتي، فهرس فنخا: ١٨/ ٤٤٠.
(٢) ينظر: الملحق(١٥).
(٣) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٨٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٢٩/ ٢٨٤.
(٥) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٨٩.

ومِن أشهر نُسخِها الموجودة في: مكتبةِ جامعة طهران، ورقمها: ١٨٠٤، أجوبتها بخطِّ الشيخ فخر المحقِّقين نفسِه، وغلافها سمرقنديّ، وخطُّها النسخ، وفي كلِّ ورقة ١٩ سطرًا[١].

١١. المسائِل المتفرِّقة[٢]:

تضمُّ هذه المسائلُ موضوعات كثيرة، وأجوبة متعدِّدة في الفقه والأصول والحديث وعلم الكلام واللغة، منقولة من خطِّ أحمد بن فهد الحِلِّيّ (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، وعددها ٤٣ مسألة، منها: «الاستطاعة، والنجاسة، والحكم بين ذميِّين، وتحريم قراءة سورة السجدة في الفرائض، والطلاق، وأقسام الدم، والطهارة، والتيمُّم، والطواف، والصيام، والنذر، والغسل، والأذان، وغيرها...»[٣]، أجابَ عنها فخرُ المحقِّقين، وهي من إملائه.

ونسخة أخرى: **أوَّلها**: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الأجوبة هذه مسائل... فخر الملَّة... فيمَن لا يفرِّق بين النبيّ والإمام...

وفي آخرها: ...قد ذَكَر والدي قدَّس الله روحه على هذا المطلب. مجهولة الناسخ والتاريخ.

أوَّلُها: بسملة، وبه نستعين، مسائلُ متفرِّقة من إملاء شيخنا فخر الدين قدَّسَ اللهُ روحَه ونوَّرَ ضريحَه. مسألة: استطاعَة الوجوب هي الشرائط المذكورة، واستطاعة الاستقرار هي بقايها إلى مضي أشهر الحجج مع الترك والاستطاعة الثالثة، وهي ما بعد الاستقرار...[٤].

(١) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٨٧.
(٢) ينظر: الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٤/ ٤٤٠.
(٣) ينظر: مصطفى، درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٩٤.
(٤) ينظر: فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٩٨.

ومن أشهَر نُسخِها الموجودة:

- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ٣/ ٥٣٩٦، مجهولة الناسِخ، كُتِبت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ[١].
- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة في النجف الأشرف، ورقمها: ٩٠٣-٢، نَسَخها حمزة بن محمود الحِلِّيّ، متولِّي مسجد الشمس في الحِلَّة، مُعَنوَنه بـ(مسائل فقهيَّة)، كُتِبت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ.

بدايتها: «هذه مسائل متفرِّقة، أظنُّها من خطِّ الشيخ أحمد بن فهد رحمه الله، ووجدت في صدرها مسائل متفرِّقة من إملاء شيخنا فخر الدين قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه...»[٢].

نهايتها: «تمَّت المسائل، محذوف منها حشوات، ومسائل، ومبدَّل فيها كلمات تركتها، بحمد الله وعونه»[٣].

- نسخة مصوَّرة مكتبة مركز إحياء التراث الإسلاميّ، في قم المقدَّسة، ورقمها: ٣/ ٥٩٨. عدد الاوراق: أربعين ورقة، خطُّ النسخ، القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلادي، وفيها تعليقاتٍ وحواشٍ باسم عليّ، وحصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط[٤].

(١) ينظر: مصطفى، درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٩٤.
(٢) يُنظر: معجم المخطوطات النجفيَّة: ١٠/ ٢٦٥.
(٣) وقد اطَّلع الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط مكتبة الحكيم العامَّة، وهذه النسخة تحمل الرقم ٩٠٣/ ٢، كتبها الشيخ محمود الحِلِّيّ النجفيّ الطريحيّ، متولِّي مسجد الشمس في الحِلَّة سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م). ينظر: الملحق (١٦).
(٤) يُنظر: الملحق (١٧).

بدايتها: «مسائل متفرِّقة من إملاء شيخنا فخر الدين قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه»[١].

نهايتها: «وقيل: إنَّ هذة المسائل بخطِّ الشيخ الإمام الأَعظم الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد قدَّس الله روحه، وهي من مسائل لفخر الدين»[٢].

١٢. المسائل المظاهريَّة = الحواشي الفخريَّة = جواب مسائل ابن مظاهر[٣]:

سمِّيت في النسخ الموجودة (المسائل المظاهريَّة)، أو(المسائل الفخريَّة)، وهذه المسائل ليست كتاب (إيضاح الفوائد)، ويوجد في كتاب (الحدود) تاريخ سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، ويرى الحسينيّ أنَّه تاريخ المتن، وليس الحاشية[٤]. وهذه المسائل الفقهيَّة جمعها عليّ بن حسن بن مظاهر، كان حيًّا (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، من أستاذة فخر المحقِّقين، وهي أجوبةٌ مختصَرة، وفيها عدَد من الحواشي، نُقلت من خطِّ فخر المحقِّقين، والأخرى من إملائه أو سُمِعت منه مشافهةً، دوَّنها تلميذه عليّ بن حسن بن مظاهر[٥].

وأشهر النسخ الموجودة:

- في قم المقدَّسة، مكتبة السيِّد المرعشيّ، ورقمها: ٣/ ١٥٥٤٠، خطُّ النسخ، جلد تيماج مذَّهب، ٢٤ سطرًا، ترجع إلى القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ، الناسِخ مجهول.

(١) مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٩٤.
(٢).ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٨٨.
(٣) الصدر، تكملة أمل الآمل، ١/ ٣١٠، الطهرانيّ، الذريعة: ٧/ ١٠٢، ٢٠/ ٣٦٧ رقم ٣٤٤٩.
(٤) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٣٠٧.
(٥) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٧٩، التراث العربيّ المخطوط: ٤/ ٤٤٠.

أوَّلها: مسألة: يصحُّ نذر التيمُّم حال وجوبه أو ندبه، ويصحُّ أيضًا مع وجود الماء معلَّقًا على شرطِهِ، بأن يقول: إذا عُدِمَ الماءُ وحَصَلَ سببُ إباحةِ التيمُّم[1].

آخرُها: مسألة: يُكرَه الوطء في الدبر، وهو كالقُبُل في جميع الأحكام، مِن تحريم المساهرة، وتقرير المسمَّى، ومهر المِثل، إلَّا التحليل والإحصان، واستنطاقها في النكاح على غرَّة؛ لأنَّها بِكر، فَلَو حَلَفَ ألَّا يطأ بِكرًا، حَنَثَ بوطئها[2].

١٣. المسائل الناصريَّات[3]:

هي مجموعة من الأسئلة في الفقه والعقيدة، وجَّهها السيِّد ناصرُ الدين حمزة بن حمزة ابن محمَّد العلويّ الحسينيّ لشيخِه فخر المحقِّقين، فأجابه عنها، وأجازَهُ بروايتها.

أوَّلها: البسملة، بعدَ حَمدِ الله تعالى على نعمائه، وصلواته على محمَّد النبيّ وآله، هذه مسائلُ سألَهَا السيِّدُ المعظَّم، الحسيبُ النسيبُ، الفقيهُ العالِم..[4].

آخرها: مسألة: مَن كان في ذمَّتِه صلاة ركعة، أو صوم يوم، فَهَل قضاؤهما أفضل، أو صلاة ألف ركعة وصوم الدَّهر؟ بل قضاؤهما أفضل، وكتبَ محمَّد بن المطهَّر[5].

- في طهران: توجد نسخة واضحة ونفيسة ومهمَّة ووحيدة في مكتبة مَلِك، ورقمها: ٦٤٩، وكُتِبت بخطِّ النسخ، وعدد أوراقها (١٢)، وعدد الأسطر

(١) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٦/ ١٧٢، و٧/ ١٠٢، و٢٠/ ٣٦٧ رقم ٣٤٤٩.
(٢) ينظر: الصدر، تكملة أمل الآمل: ٤/ ٤٦٣، الطهرانيّ، الذريعة: ٦/ ١٧٢-٧/ ١٠٢-٢٠/ ٣٦٧ رقم ٣٤٤٩.
(٣) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٣/ ٣٩٨.
(٤) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٣١٢.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩/ ٣٠٧.

١٢ سطرًا، وكُتبت هذه النسخة في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ، الأسئلة بخطِّ صاحب الأسئلة السيِّد ناصر الدين حمزة، أمَّا الجواب فهو بخطِّ الشيخ فخر المحقِّقين فقط، وفي بدايتها إعطاء إجازة مختصرة مِن فخر المحقِّقين للسيِّد ناصر الدين برواية هذه الأجوبة عن الفخر، في ٢٧ رجب ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م، في النجف الأشرف[١].

- في قم المقدَّسة: نسخة مصوَّرة عن النسخة الأولى، موجودة في مركز إحياء التراث، ورقمها: ١٠٩٧[٢].

١٤. مسائل سُئلَ عنها في علم الكلام:

سُمِّيت هذه أيضًا بـ(مسائل بعض الفضلاء)[٣].

أوَّلُها: بسمَلَة. حمدَلَة. وبعدُ، فهذه مسائلُ سألَ عنها بعضُ الفضلاء الشيخ العالم فخر الدين محمَّد بن الحسن المطهَّر... مسألة: قولُه: وخُصَّ رسولُ الله بأنَّهُ مبعوثٌ إلى الكافَّة.

آخرُها: مسألة: لو كان مع إنسانٍ شاةٌ مثلًا... مع قصد الذبح.

- توجد منها نُسخة فريدة في مكتبة كليَّة الإلهيَّات في جامعة طهران، تحمل الرقم: ٥/ ١٠٦، نَسَخَها الدبنون إدريس بن يوسف، بتاريخ ١٠٥٤هـ [/ ١٦٤٤م][٤].

(١) ينظر: الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٣١٦. ينظر: الملحق (١٨)، النسخة الأولى من المخطوط، وصورة ضوئية من الإجازة.
(٢) ينظر: فهرس النُّسَخ المصوَّرة في مركز إحياء التراث: ٣/ ٣٧٧.
(٣) المدرِّسيّ، مقدمه اى بر فقه شيعه (فارسيّ): ١٣٣.
(٤) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٧٢.

١٥. مسائل متفرِّقة[١]:

وأكثرها مسائل فقهيَّة، وشرح لفتوى العلَّامة الحِلِّيّ، والمحقّق الحِلِّيّ، ومسائل أخرى، منها معرفة الرياح الأربعة، وأركان الصلاة المعنويَّة.

المخطوطة الوحيدة موجوده في البرلمان الإيرانيّ، رقمها(٩٧٢٢)، من ورقة (١٤٦أ إلى ١٥٦ب)، والدليل على أنَّها تعود لفخر المحقِّقين، يقول كاتبها في **البداية**: «من فؤاد الشيخ الأعظم والأمام المعظم، حجَّة الزمان وفريد العصر والأوان، شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، رأس العلماء والمتكلِّمين، فخر الملَّة والحقِّ والدين، أنموذج الخلف الصالح، جمال الدنيا والدين، نجل السعيد المرحوم يوسف بن المطهَّر، قدَّس الله أرواحهما بمحمَّد وآله الطاهرين.

آخِرُها: تمَّ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، بقلم أضعف خلقه محمَّد بن عليّ البطل، غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ وسمع ونظر فيها ودعا لكاتبها بالمغفرة ولجميع المؤمنين، وقع الفراغ من تعليقها نهار يوم الاثنين خامس يوم من شهر المحرَّم من شهور سنة اثنين وخمسين وثمانمائة[٢].

وصِفَتها: عدد أسطر الصحيفة ١٧ سطرًا، المخطوطة بحالة جيِّدة، الورق أصفر.

١٦. المسائل والأجوبة[٣]:

هي مجموعة من الأجوبة لمسائل وُجِّهت لفخر المحقِّقين، في العقيدة والفقه.

أوَّلها: بسملة، فهذه مسائل وأجوبة.. مسألة: ما يقول في مَن لا يفرِّقُ بين النبيّ والأمِّيّ(الإمام)...

(١) ينظر: مصطفى دارايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٩٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩/ ٢٩٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩/ ٣١٤.

وآخرها: الجواب: أمَّا الغسل بالماء القليل فيجبُ.. فإنَّها يظهر..[١].

ومِن أشهر نُسخِها الموجودة مكتبةِ مجلس الشورى في طهران، رقمها: ٥/ ١٠١٨١، والسائل مجهول، واسم الناسخ محمَّد عليّ بن محمّد الموسويّ اللاريجانيّ المازندرانيّ، بتاريخ ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م، وعليها تصحيحات، وغلافها جلد تيماج، وخطُّها النسخ، في كلِّ ورقة ٢١ سطرًا[٢].

ونسخة اخرى: **أوَّلها:** بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الأجوبة هذه مسائل... فخر الملَّة... فيمن لا يفرِّق بين النبيّ والإمام...

وفي آخرها: ... قد ذكر والدي قدَّس الله روحه على هذا المطلب.

مجهولة الناسخ والتاريخ[٣].

١٧. واجبات الصلاة الثمانية[٤]:

هي رسالة مختصَرة في واجبات الصلاة.

أوَّلُها: واجبات الصلاة ثمانية، الأوَّل: القيام، وواجباتُه أربعة: الانتصاب، والاستقلال، والاستقرار، والاستقبال، ثمَّ النيّة، وواجباتها ستَّة...[٥].

وآخِرُها: وجعل المخرجة ما تقدَّم من العبادَتَين، وتأخيره عن التشهُّد..[٦].

(١) ينظر: مصطفى دارايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٣١٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩/ ٣١٥.
(٣) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر الملحق (١٩).
(٤) ينظر: القائينيّ النجفيّ، معجم مؤلِّفي الشيعة: ١٤٦.
(٥) ينظر: مصطفى دارايتي، فهرس فنخا: ٣٤/ ٥٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩/ ٤٩٩.

ومِن أشـهَر نُسـخِها الموجودة نُسـخةُ مكتبةِ آية الله السـيِّد المرعشـيّ العامَّة في قم المقدَّسـة، تحمل الرقم: ٦/ ١٤١١٧، جاء في فهرس المكتبة أنَّها كُتِبت في القرن التاسـع الهجريّ/ الخامس عشر الميلادي[١].

وقال الطهرانيّ: «النسـخة موجودة بخطِّ عليّ بن فضل بن هيكل الحِلِّيّ، تلميذ ابن فهد، في مكتبة الصدر»[٢].

(١) ينظر: فهرس مكتبة المرعشيّ العامَّة، ٣٥/ ٦٦٧، مصطفى دارايتي، فهرس فنخا: ٣٤/ ٥٥.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣.

المبحث الثاني

مصنَّفاته المطبوعة، والمفقودة

في هذا المبحث سنتحدَّث عن كتب فخر المحقِّقين التي طُبِعت، وسنرتِّبها بحسب الموضوعات.

أوَّلًا: الكتب المطبوعة

أ. مصنَّفاته في علم الحديث:

الحديث لغةً: الجديد من الأشياء، والحديث الخبر الذي يأتي على القليل والكثير[١]، وعُرِّف أيضًا: الكلام الذي يتكلَّم به المتكلِّم سواء كثير أو قليل[٢].

أمَّا اصطلاحًا، فهو «ما جاء عن المعصوم من النبيّ والإمام، والخبر ما جاء عن غيره»[٣].

ومن متابعتنا للنتاج الفكريّ لفخر المحقِّقين وما تمَّ تحقيقه وطبعه من قِبَل الباحثين والمهتمِّين بالعلم، وجدنا أنَّ لفخر المحقِّقين كتب كثيره تمَّ طبعها، توزَّعت في جوانب عديدة من العلوم الدينية، منها في الحديث، ومنها في الفقه، وأخرى في علم الكلام.

(١) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: ١/ ١٦٤.
(٢) الطريحيّ، جامع المقال في ما يتعلَّق بأحوال الحديث والرجال: ١.
(٣) جديدي، معجم مصطلحات الرجال والدراية: ٥٤.

١. ثلاثة وأربعون حديثًا نبويًّا[١]:

وهي رسالة مختصرة، كتب فيها فخر المحقِّقين ثلاثة وأربعين حديثًا عن النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وكانت موضوعاتها في (القبلة، كراهة الكلام في الخلاء، وكيفيه الوضوء، والتسمية عند الوضوء، وعدم جواز المسح على الخفَّين، وصلاة الليل، واستحباب التسبيحات الأربع، وغيرها من المواضيع في الطهارة والصلاة)، إذ ذَكَرَ فيها أحاديث، بعضها في فضائلها، والأخرى في أحكامها.

أوَّلها: «ربِّ يسِّر وأعِن، بعد حمد واجبِ الوجودِ، مفيضِ الخيرِ والجودِ، وصلَّى الله على أشرف كلِّ موجود، محمَّد النبيِّ وآله المعصومين. يقول أضعف عباد الله تعالى محمَّد ابن الحسن بن المطهَّر: هذه ثلاثةٌ وأربعون حديثًا عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أثبتُّها في هذه الأوراق تقرُّبًا إلى الله[٢].

وذكر في اخرها: «تمَّت الأحاديث بحمد الله يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين وسبعمائة، على يد العبد الفقير الراجي من الله المنَّان التجاوز والغفران، عليّ بن يوسف بن عبد الجليل - عرَّف الله عيوبه نفسه، وجعل يومه خيرًا من أمسه.. وآله وسلَّم»[٣].

وقد حُقِّقت الرسالة مرَّتَين:

التحقيق الأوَّل: مجلَّة علوم الحديث في إيران، تحقيق: السيَّد حسن الموسويّ

(١) اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/ ١٦٤.

(٢) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٧١٢، الجنابي، ثلاثة واربعون حديثا نبويا، مجلة تراث الحِلَّة، (السنة الاولى، المجلد الاول العدد الثاني، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م)، ٣٧٥-٣٩٥.

(٣) فهرس مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، ١٤/ ٥٨٨٩ رقم ٤٩٥٣/ ٥، مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٣/ ٥٠٣، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٧١٢.

البروجرديّ، **والتحقيق الثاني**: في مركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، حيث ضمَّ: (حُكْم المَذي، عدم جواز استقبال القبلة واستدبارها، كراهة الكلام على الخلاء، كراهة الاستنجاء باليمين...)، من الصحيفة ١٥٩ إلى الصحيفة ٤٣٣[1]. وتوجد نسختان من المخطوطة، نسخة الأصل، وهي الوحيدة، ونسخة مصوَّرة.

- مكتبة مجلس الشورى الإيراني، طهران، ضمن مجموعة تضمُّ رسائلَ ثمانية، وهي الثالثة. ورقمها ضمن مجموعة: ٥/ ٤٩٥٣، ناسخها الشيخ ظهير الدين عليّ بن يوسف بن عبد الجليل النيليّ (كان حيًّا حدود سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٥٤م)، وتاريخ نسخها يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م، على الورقة الأولى منها إجازة كتبها فخرُ المحقِّقين بخطِّه لتلميذه أبي سعيد بن عماد الدين يحيى بن أحمد الكاشيّ (ت٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م)، ونصُّها:

«قَرأَ عَلَيَّ مَولانَا الإمامُ المعَظَّمُ، أفضَلُ العُلماءِ، وأَعلَمُ الفُضَلاءِ، المُؤيَّدُ بالقُوَّةِ القُدسيَّةِ، والأَخلاقِ النَّبويَّةِ، جَامِعُ الفَضَائِلِ النَّفسَانِيَّةِ، المُطَّلِعُ على الأسرَارِ الروحانِيَّةِ، مولانَا تاجُ الحَقِّ والدِّينِ، أبو سعيد بنُ الإمامِ السَّعِيدِ عِمادِ بنِ يَحيَى بنِ الإمامِ السَّعِيدِ فَخرِ الدِّينِ أحمدَ الكاشيّ- أعَزَّ اللهُ أنصارَهُ، وضاعَفَ اقتِدارَهُ، وأسبَغَ ظِلَّهُ على المسلِمينَ، وأدامَ إفاضَتَهُ على المُستَعِدِّينَ- جَميعَ هذهِ الأحاديثِ، ورَوَيتُها لَهُ مُناوَلَةً بِالأسانِيدِ المذكورَةِ، وأجزتُ له روايتَها عنِّي، عن والدي، بالأسانيد المذكورة، فَليَروِ ذلك لِمَنْ شاء وأحَبَّ. وكَتَبَ العَبدُ محمَّدُ بنُ الحسنِ بن يوسُف بن عليٍّ بن المطهَّرِ، والحمدُ لله وحدَهُ، وصلواتُهُ على

(١) الجنابيّ، ثلاثة وأربعون حديثًا، مجلَّة تراث الحِلَّة، السنة الأولى، المجلَّد الأوَّل، العدد ٢: ٢٦١-٤٣٨.

سـيِّدِنا محمَّدٍ النَّبيِّ وآلِهِ، وذلك في سَلخِ شَعبانَ سَـنَةَ تِسعٍ وخمسينَ وسبعِمائةٍ، بالحِلَّةِ»[1].

وفي آخرها: إنهاء قراءة كتبه فخرُ المحقِّقين لمن قرأ عليه هذه الرسـالة، ونعتقد أنَّـه كتبه لناسـخها عـليّ بن يوسـف بن عبـد الجليل النيـليّ. جـاء في الإنهاء ما نصُّه:

«أنهاه أدامَ اللهُ فضائله قراءةً في سـلخ شـعبان سـنة تسعٍ وخمسـين وسبعمائة، والحمـد لله وحده، وصلَّى الله على سـيِّدنا محمَّد النبيّ وآلـه الطاهرين، وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر»[2].

- مكتبة جامعه طهران، ورقمها:٣/ ٢٩٩٢[3].

ب. مصنَّفاته في العقيدة وعلم الكلام:

١. إرشاد المسترشدين وهداية الطالبين في أصول الدين[4]:

وهذه الرسالة تحمل أربعة عناوين (إرشاد المسترشدين في أصول الدين)، و(إرشاد المسترشـدين وهداية الطالبين)، و(إرشـاد المسترشـدين)، و(شرح إرشاد المسترشدين وهدايـة الطالبين لفخر المحقِّقين) وهذه الرسـالة مختصرة إذ قـام فخر المحقِّقين بعرض

(١) الطباطبائيّ، مكتبة العلاَّمة الحِلِّيّ: ٧٢.

(٢) وحصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط، عدد أوراقها عشرة، وعدد الأسطر في الورقة الواحدة (٢١) سطرًا. ينظر: الملحق (٢٠).

(٣) الطهرانـيّ، الذريعـة: ٢٦/ ٢٤٤ رقـم ١٢٣٦، فهـرس مخطوطـات مكتبـة مجلس الشـورى الإسلاميّ: ٧/ ٥٨٨٩ رقم ٤٩٥٣/ ٥، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٧١٢.

(٤) الفاضـل التـونّي، الوافيـة في أصـول الفقـه: ٣٠٠، الأفنـدي، ريـاض العلـماء: ٥/ ٧٧، أعجاز حسـين، كشـف الحجـب والأسـتار: ٣٩، اللجنة العلميَّة، موسـوعة طبقـات الفقهاء: ٨/ ١٩٢.

وجه نظرة فقط دون ذكر أقوال الأخرين بقوله:(واقتصرت على هذا القدر طلبا للاختصار وتسهيلا على المكلفين في الاستحضار واقتصرت...ولم اذكر العبادات السمعية...) وهي ذات أصول خمسة وهي(معرفه الله و العدل الالهي و الوعد والوعيد و النبوة و الإمامة) [١].

أوَّلها: «الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّد المرسلين محمَّد النبيِّ الصادق الأمين وعلى آله المعصومين. أمَّا بعد.. يقول محمَّد بن الحسن: إنِّي أمليتُ هذه الرسالة لإرشاد المسترشدين وهداية الطالبين، وبيَّنتُ فيها ما يجب على المكلَّفين من الاعتقاد في أصول الدين... أعمالهم ويعاقَبون على تركهم وإهمالهم...»[٢].

آخِرُها: «لأنَّ والدي لما ذكرنا أنَّ الميت لا يقلَّد، فقال: إنَّني أثبتُ لكم ما اتَّفقت عليه كلُّ الأئمَّة عليهم السلام لا يحتاج إلى تقليد أحد بعد معرفة واجب الاعتقاد، ومَن عَدَلَ عنه إلى غيره، فقد عَدَلَ عن يقينٍ إلى ظنٍّ، وعن قولِ معصومٍ إلى قولِ مجتهدٍ، فأيُّها المؤمنون تمسَّكوا به واعتمدوا عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على محمَّد وآله أجمعين»[٣].

وقد عُثِرَ على أربعين نسخة في المكتبات الإيرانيَّة[٤].

طُبِع عدَّة مرَّات:

الطبعه الأولى: في مجلَّة (كلام) الفارسيَّة، تحقيق: يعقوب جعفري، العدد ١،

(١) دانش بزوة، فهرست كتابخانة دانشكاه تهران: ١٦/ ١٧٣.
(٢) ضميرى، كتابخانة ملىَ: ١٤/ ١٦١، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣/ ١٣٠.
(٣) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٥٢١ رقم ٢٥٣٩، فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ٦/ ٢٣٢ رقم ٣/ ٢٢٤٧.
(٤) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣/ ١٣٠.

السنة الثانية، ١٣٧٢هـ.ش، رقم التسلسل (٥)، وهي من إصدارات مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام الثقافيَّة في قم المشرَّفة[١].

الطبعة الثانية: وطُبِعَ في كتاب(عقيدة الشيعة)، بتحقيق الشيخ محمَّد رضا الأنصاريّ، بطبعتها الأولى سنة ١٤٣٦هـ في مجلَّدين، وبطبعتها الثانية سنة ١٤٣٧هـ في مجلَّد واحد، الصادرة عن انتشارات دار التفسير في قُم المقدَّسة[٢].

أمَّا الطبعة الأخيرة: في الحِلَّة، في مجلَّة (المحقِّق) الصادرة عن مركز العلَّامة الحِلِّيّ التابع للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة[٣].

وللكتاب عدَّة نسخ مخطوطة، من أشهرها:

- مكتبة مِلِّي، طهران، ورقمها: ٦/ ٣٠٤٤، نَسَخها الكاتب جعفر بن حسن الأستر آباديّ بتاريخ ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، في قرية لاملبنگي، إيران، وحصل الباحث على نسخة منها، ولكنَّها في نسختها الأولى غير واضحة، وعليها حواشٍ كثيرة، وعدد الصحائف ١١١ صحيفة، ولون الأوراق إبيض[٤].
- مكتبة مِلِّي، طهران، ورقمها: ٣/ ٤٥٧٢، وناسخها حيدر الحسينيّ، بتاريخ ٨٦٩هـ، وهي نسخة مصحَّحة وعليها حواشي[٥].
- مجلس الشورى، في طهران، ورقمها: ٦/ ١٠٧٠٦، مجهولةُ الناسِخ، قُرئت

(١) مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، مجلَّة تراثنا: ٣٧/ ١٩٦.

(٢) الأنصاريّ، عقيدة الشيعة: ٢/ ٦٦٥.

(٣) تحقيق: مصطفى أحمدي، في السنة الثانية، المجلَّد الثاني، العدد الثالث (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م)، ٣٥١-٣٩٣.

(٤) ينظر: الملحق (٢١).

(٥) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣/ ١٣٠.

على المولى عليّ بن الحسن بن محمَّد الاسترآباديّ النجفيّ (تُوفِّي في حدود ٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م) بتاريخ ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م، وهي من أقدم النسخ الموجودة.

- مكتبة الفاضل في خوانسار، ١/ ١١٢، وناسخها محمَّد بن مهنَّا بن فيَّاض، بتاريخ يوم الجمعة ٢٢ جمادى ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م.
- مكتبة آية الله المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ٣/ ٢٢٤٧، مجهولةُ الناسخ، بتاريخ ٨٩٨هـ، وهذه النسخة مصحَّحة، ناقصة الآخر.
- مكتبة آية الله المرعشيّ، ، قم المقدَّسة، ورقمها:١/ ١٣٧٣٢، وناسخها محمَّد ابن إبراهيم الأواليّ (البحرانيّ)، بتاريخ ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، وهذه النسخة مصحَّحة، وعليها حواشي.
- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ٢/ ٣٤٥٩، وناسخها محمَّد شريف بن بابا جان الحسينيّ، بتاريخ يوم الأربعاء ٣ ربيع الثاني سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م.
- مكتبة كوهر شاد في طهران، ورقمها: ٦/ ١٥٦٤، ونسخها عليّ شاه بن كمال ابن مرتضى علي، بتاريخ شعبان ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م.
- مكتبة مجلس الشورى، طهران، ورقمها: ٣/ ٨٩٠٠، ناسخها مجهول، بتاريخ ١٥ شعبان سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م.
- جامعة برنستون، أمريكا، ورقمها: ٣٥٢، وناسخها مجهول، ونُسِخت في مشهد سنة ٨٢١هـ[1].

(١) محمَّد عايش، فهرس المخطوطات العربيَّة، (جامعة برنستون)، المجلَّد التاسع، القسم الأوَّل: ١٤٠.

- مكتبة مَلِك، طهران، ورقمها: ٢/ ٥٨١٦، وناسخها رضيّ بن محمَّد أمين الحسينيّ، سنة ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م[١].

٢. تحصيل النجاة[٢]:

وهو من المؤلَّفات في علم الكلام التي ألَّفها فخرُ المحقِّقين استجابةً لطلبِ تلميذه السيِّد ناصر الدين حمزة بن حمزة بن محمَّد العلويّ الحسينيّ، ويحتوي الكتاب على مقدِّمة من فصلَين، وعلى خمسة أصول، أمَّا فصل المقدِّمة فيختصُّ في (المباحث المتعلِّقة بالنظر، وتقسيم الوجود إلى الممكن والواجب، وحدوث العالم، وإبطال الدور والتسلسل). أمَّا الأصول (التوحيد، العدل، النبوَّة، الإمامة، الوعد والوعيد)، وركَّز فخر المحقِّقين على الأصل الرابع، وهو بحث الإمامة، معتمدًا في إثبات ذلك على الروايات الدالَّة على إمامة أهل البيت عليهم السلام، وهو من الكتب المهمَّة في علم الكلام، وهو خلاصه آراء علماء الكلام في مَدرسة الحِلَّة في ذلك الوقت، وقد طُبع هذا الكتابُ طبعَتَين:

الأولى: في الحِلَّة، في مركز العلَّامة الحِلِّيّ لأحياء تراث حوزة الحِلَّة التابع للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة[٣].

والثانية: في إيران، في قمٍّ المقدَّسة، في مجمع الذخائر الإسلاميّ[٤].

وتوجد نسخة مخطوطة واحدة فقط، في مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ١٧٧١، وناسخها السيِّد غياث الدين عبد الكريم بن محمَّد بن الأعرج الحسينيّ (ت ٧٧٠هـ)،

(١) ينظر: الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٥٢١، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣/ ١٣٠.
(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ٦/ ٢٤١، الأفنديّ، تعليقة أمل الآمل: ٢٦٣، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٩٣.
(٣) تحقيق: حامد فيَّاضي، (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)، عدد صحائف الكتاب (٢٤٦) صحيفة، وطُبع في مطبعة الكفيل، كربلاء المقدَّسة.
(٤) تحقيق: مصطفى أحمدي، (١٣٩٦ش/ ٢٠١٨م)، عدد صحائف الكتاب (٢٠٠) صحيفة.

في الحضرة الغرويَّة الشريفة في النجف الأشرف، ونُسِخت في ٢٤ رجب سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، وعليها في بدايتها إجازة فخر المحقِّقين بخطِّه الشريف للسيِّد ناصر الدين حمزة بتاريخ ٢٧ رجب سنة ٧٣٦هـ، وفي نهايتها: «فرغ من نسخها أضعف عباد الله تعالى غياث الدين عبد الكريم بن محمَّد بن عليّ بن محمَّد الأعرج الحسينيّ في الحضرة الغرويَّة الشريفة صلوات الله على مشرِّفها، في آخر نهار السبت، رابع عشرين رجب المبارك من سنة ستٍّ وثلاثين وسبعمئة، والحمد لله وحده»[١].

٣. العقائد الفخريَّة = الاعتقادات = عقائد فخر الدين[٢]:

وهذه الرسالة لها ثلاثة تسميات، وهي رسالة في بيان أصول العقيدة عند الشيعة الأماميَّة.

بدايتها: «بسملة، أمَّا بعد حمدِ الله على آلائه، والصلاة على أفضل أنبيائه، وأشرف أوليائه، فقد شاعَ وذاعَ قولُ النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ستُفرَق أمَّتي ثلاثًا وسبعين فِرقَةً، فِرقَةٌ ناجيةٌ، والباقون في الهاوية**». وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقلَين ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا...**»، وقد تمسَّكنا معاشِرَ الشيعة الإماميَّة بكتاب الله وعترة رسول الله عليهم السلام، وأخذنا معالمَ ديننا عنهم (سلام الله عليهم)، كما أخذ غيرُنا معالم دينِه من غيرهم.. واعتقادنا أنَّ جميعَ ما سوى الله سبحانه حادثٌ عن العَدَم جوهرًا كان أو عَرَضًا.. وأنَّه لا قديم إلَّا هو».

آخرها: «ونرى البسملةَ جزءًا من الفاتحة، ومِن كلِّ سورة سوى البراءة، ولا نكفِّرُ أحَدًا مِن أهلِ القِبلَةِ، إلَّا أن أنكَرَ شيئًا مِن ضروريَّات الدِّين، أو نَصَبَ العداوةَ لأحدِ

(١) ينظر: الأفندي، رياض العلماء: ٢/ ١٩٩، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٥ رقم ١٢٣٥، و٢/ ٧٤ رقم ٢٩٤، و٣/ ٣٩٨ رقم ١٤٢٩، المدرِّس، ريحانه الأدب: ٤/ ٣٠٩، دانش، بزوه، فهرس كتابخانه مركزي دانشكاه طهران: ٨/ ٣٠٥، مصطفى، درايتي، فهرس فنخا: ٧/ ٢٤٧. وقد حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٢٢).

(٢) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣٠٢، مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٧/ ٥٣٣.

المعصومينَ، أو غلا في أحدِهِم، سلام الله عليهم أجمعين. تمَّت العقائد»[1].

وللكتاب عدَّة نسخ مخطوطة، من أشهرها:

- مكتبة مجلس الشورى في طهران، ورقمها: ٥/ ٤٦٢ طباطبائيّ، وناسخها محمَّد مؤمن الحسينيّ، في سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م.
- مكتبة السيِّد المرعشي، قم المقدَّسة، ورقمها: ٢٢/ ١٤٧٠٩، وناسخها إسحاق بن نوروز الشولستانيّ، في سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م[2].
- مكتبة جليلي في كرمانشاه، ورقمها: ٢/ ٢٩٩، وناسخها مجهول، كُتِبت بتاريخ محرَّم سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٨م.
- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ١٢/ ٨٥٩٦، وناسخها عطاء الله بن محمَّد زكي الأصفهانيّ، ونُسخت في سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧٢م.
- مكتبة مَلِك في طهران، ورقمها: ٢٠/ ٦٠٧٥، وتاريخ النسخ واسم الناسخ مجهولان[3].

طُبعت هذه الرسالة في إيران، في مجلَّة ميراث إسلامي[4].

٤. معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين[5].

وهذا الكتاب شرح لتوضيح كتاب والدِه العلَّامة الحِلِّيّ (نهج المسترشدين في

(١) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣٠٣، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٢/ ٧٢٠.
(٢) ينظر: مهدي ولالي، فهرست كتب خطى كتابخانه مركزي آستان قدس رضوى: ٣٧/ ٢٥٠.
(٣) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٢/ ٧٢٠.
(٤) ينظر: تحقيق: الشيخ رسول جعفريان، العدد ٣، السنة ١٣٧٥ش، من الصحيفة ٣٧٩-٣٨٠.
(٥) الطهرانيّ، الذريعة: ١٣/ ٣٨٥.

أصـول الدين)، كتبَه بصيغـه (قال دام ظله- أقول)، وفيه مناقشـات كلاميَّة لبعض الفِرَق الإسلاميَّة وردَّ عليهم، تمَّ تأليفه في ٦ ربيع الآخر سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، في السلطانيَّة، **المقدِّمة**: «الحمد لله المنقذ من الحيرة بحسـن توفيقه، المخلِّص من الضلال بهداية طريقه، المرشِد إلى سبيل الصواب في المعاش والمآل بإلهام الحقِّ بتحقيقه»[١].

والخاتمة: وهو في الشـرع: «إظهار الإيمان وإبطال الكفر، ولذلك يُسـمَّى مَن فعلَ ذلك منافقًا»[٢].

طُبِعَ كتـابُ (معـراج اليقـين في شرح نهـج المسترشـدين) في العتبـة العبَّاسـيَّة المقدَّسة[٣].

وللكتاب عدَّة نسخ مخطوطة، من أشهرها:

- مكتبة السـيِّد المرعشـيّ العامَّة، قم المقدَّسـة، بالرقم: ٨٤٥٧، كتبها معاذ بن جعفر بن عيسـى بـن مبارك الحـدَّاد بتاريـخ ٣ جمادى الأولى سـنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م[٤].
- مكتبة مجلس الشـورى طهران، نسخها عبد الله بن حسن بن محمَّد بن النجَّار، بتاريـخ يوم الأربعاء ١٥ ذي القعدة سـنة ٧٧٦هـ/ ١٣٦٧م، وذكر في نهايتها:

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ١٤/ ٢٣٧.

(٢) ينظـر: الطهرانـيّ، الذريعـة: ١٤/ ١٦٣ رقـم ١٤٤٢، كحالـة، معجـم المؤلِّفـين: ٩/ ٢٢٨، الحسـينيّ، فهرس مخطوطات مكتبة المرعشـيّ العامَّة: ٢٢/ ٤٦ رقم ٨٤٥٧، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣٠/ ٣٩١، معجم المخطوطات النجفيَّة: ١١/ ٨٤.

(٣) تحقيـق: الشـيخ طاهـر السـلاميّ، في سـنة (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، وعـدد الصحائف (٤٦) صحيفة.

(٤) ينظـر: الحسـينيّ، فهـرس مكتبـة المرعشـيّ: ٢٢/ ٤٧، ، مصطفـى درايتـي، فهـرس فنخا: ٣٠/ ٣٩٢.

«فـرغَ من تعليقـه العبد الفقير إلى رحمة ربِّه العزيز عبد الله بن حسـن بن محمَّد ابن النجَّار، عصرَ يوم الأربعاء خامس عشر ذي القعدة الحرام من سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة»[1].

- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة في النجف الأشرف، وهي ناقصة الأوَّل، نسـخها نعمـة الله بـن محمَّد الحسـينيّ، بتاريـخ آخر يوم الأحـد ١٠ ذي الحجَّة سـنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م، في العدد: ١٠٨١/ ٢[2].

٥. النكت الاعتقاديَّة = الرسالة الجوابيَّة = المسائل والجوابات = الفخريَّة في العقائد[3]:

وهذه رسـالة تتضمَّـن ما على المكلَّـف معرفتُه من الأمـور الاعتقاديَّـة، وقد نُظِّم بأسـلوب السـؤال والجواب المـؤدَّى بـ(إن قيـل: فالجواب)، نُسِـبت إلى الشـيخ فخر المحقِّقين اعتمادًا على جُملةٍ من القرائن والمؤيِّدات، إلَّا أنَّ بعضهم نسـبها خطأً إلى الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، فأكَّد الشيخ محمَّد رضا الأنصاريّ القمِّيّ بأن كاتبها فخر المحقِّقين، ولم تكن هذه الرسـالة من مؤلَّفات الشـيخ المفيد لعدَّة أدلَّة، منها: عَدم ورود اسمها في المراجع القديمة ضمن مؤلَّفات المفيد، كما ينسبها إليه المفهرسون. وأمَّا الدليل الآخر، فلتباين سياقها والمصطلحات والألفاظ ونمط الاستدلال المذكور فيها مع سياق مؤلَّفات الشيخ المفيد، إذ ذُكِرت باسم (الفخريَّة في العقائد)[4].

(١) ذَكَرَ هذه النسخةَ الشيخُ طاهر السلاميّ عند ذِكرِه النُّسَخَ المعتمدة في تحقيقه هذا الكتاب. ينظر: معراج اليقين: ٢١، مقدِّمة التحقيق.

(٢) الطهرانـيّ، الذريعة: ٢١/ ٢٣٧، فهرسـت التراث، الحسـينيّ الجلالـيّ: ١/ ٧٣٣، وحصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٢٣).

(٣) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣٠٤، فهرس مكتبة المرعشـيّ: ٢٨/ ١٣٢، التبريزيّ، ريحانة الأدب: ٤/ ٣٠٤، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣٣/ ٧١٤.

(٤) ينظر: عقيدة الشيعة: ٢/ ٦٨٢. وطُبِعت هذه الرسالة مع سبعين رسالة اعتقاديَّة في مجموعة في=

وللشيخ أبي الفضل حافظيان بحثٌ في إثبات نسبتها لفخر المحقِّقين، نُشِر في مجلَّة (كتاب شيعة).

أوَّلها: «الحمد لله ربِّ العالَمين.. أمَّا بعدُ، فهذه عقيدتي قادني الدليلُ إليها، وقَوِيَ اعتمادي عليها، جعلتُها بعد التوضيح والتبيين تُحفةً لإخواني المؤمنين»[1].

آخِرُها: «وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذه المقدِّمة، ولنختمها لآية من كتاب الله العزيز، وهي: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، تمَّت المقدِّمة بعون الله الملك الوهَّاب»[3]. وطبع باسم النكت في مقدِّمات الأصول في بغداد ١٣٤٣هـ، بتصحيح هبة الدين الشهرستانيّ في المطبعة العصريَّة، بغداد سنة ١٣٤٣هـ، بعنوان (النكت الاعتقاديَّة)، تقديم السيِّد محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ في المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام سنة ١٤١٣هـ، وأعادت طبعه المدرسة الحرَّة في شيكاغو سنة ١٤١٣هـ[4]، خمسة فصول[5].

وطبعت في إيران في كتاب شيعة في سنة ١٣٨٩هـ، بتحقيق الشيخ رضا مختاري، من الصحيفة (١٤٥-١٤٩) في سنة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، بعناوين (فإن قيل؛ فالجواب)، وتضمُّ خمسة فصول[6]:

=دار التفسير في قُم المقدَّسة، تحقيق: الشيخ محمَّد رضا الأنصاريّ القمِّيّ.

(١) أبو الفضل حافظيان، الفخريَّة في العقائد، مجلَّة كتاب شيعة، في العدد١: ٢٣١.

(٢) سورة الصَّافات: آية (١٨٠-١٨٢).

(٣) فهرست نسخة هاى خطى كتابخانه بزرك مرعشي: ٣٠/ ٣٥٧، مراغي، فهرس نسخة هاى خطى كتابخانة مجلس شورى اسلامي: ١٥٠.

(٤) الحسينيّ الجلاليّ، فهرس التراث: ١/ ٤٨٠.

(٥) الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣٠٢، وتقديم السيِّد محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ في المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام سنة ١٤١٣هـ، وأعادت طبعه المدرسة الحرَّة في شيكاغو سنة ١٤١٣هـ.

(٦) اطَّلع الباحث على النسخة المطبوعة.

الفصل الأوَل: في معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتيَّة والسلبيَّة.

الفصل الثاني: في العدل.

الفصل الثالث: في النبوَّة.

الفصل الرابع: في الإمامة.

الفصل الخامس: في المعاد.

وأيضًا طُبِعت باسم (النكت في مقدِّمات الأصول)، تحقيق السيِّد محمَّد رضا الحسينيّ الجلاليّ[1]. وله ترجمة فارسيَّة بطهران سنة ١٣٢٤هـ.ش، كانت منه نسخة مخطوطة بمكتبة السَّماويّ، ومنه الآن نسخة أخرى مخطوطة بجامعة طهران[2].

ومِن أشهر نُسخها الموجودة[3]:

- مكتبة السيِّد المرعشيّ العامّة، قم المقدَّسة، رقمها: ٣/ ٥١٤، نسخها، جمال الدين عليّ بن مجد الدين سديد المنصوريّ الإسترآباديّ، في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م.
- مكتبة السيِّد المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، رقمها: ١/ ١٢٠١٢، نسخها شمس الدين بن نصير بالوكلاتي، بتاريخ ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨م.
- مكتبة السيِّد المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، رقمها ٣/ ٥٧٩٧، نسخها عزّ الدين بن نجم الدين الإسترآباديّ، بتاريخ السبت أواخر شعبان سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م.

(١) الحسينيّ الجلاليّ، فهرس التراث: ١/ ٤٤٧.
(٢) الأمين، مستدركات أعيان الشيعه: ٧/ ٣٠٠.
(٣) ينظر: فهرس مكتبة المرعشيّ: ٢٨/ ١٣٢.

- مكتبة السيِّد المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، رقمها ٣/ ١٦٠٥٣، نَسَخها إمام قلي بن ملَّا محمَّد بن ملَّا إسكندر بن ملَّا جمال الدين، في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ.
- مكتبة المدرسة الجعفريَّة، في زهان، رقمها: ١/ ٨٤، نسخها عبد الله الجرجانيّ، في غُرَّة محرَّم الحرام سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م[١].
- مكتبة جامعة طهران، رقمها: ٦/ ٧٦٩٣، نَسَخها حسام الدين بن حسين الكلاريّ الإسترآباديّ، في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ.
- مكتبة السيِّد المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، رقمها: ١/ ١١٢٦، نَسَخها عليّ ابن حسين بن عليّ بن حسين بن الصائم الحسينيّ العنقانيّ، بتاريخ السبت ١ جمادى الثانية سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٤م[٢].
- مكتبة مَلِك في طهران، رقمها: ١/ ٢٦٠٢، نسَخَها آدم بن عليّ بن حُسَين ابن غنايم، في جزيرة سلادر، بتاريخ الأربعاء ١٣ جمادى الأولى سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٣م[٣].
- مكتبة مركز إحياء التراث، قم المقدِّسة، رقمها ٤٢٣٩، نَسَخها أسد الله الأصفهانيّ، بتاريخ ٢٣ شوَّال سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٣م، وهي نُسخة مصحَّحة[٤].

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣٣/ ٧١٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٣/ ٧١٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣٣/ ٧١٤.
(٤) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٢/ ١٧٨، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٢/ ١٠٣، النوريّ، النجم الثاقب: ١/ ٦٠، الأمين، أعيان الشيعة: ٧/ ١٦٧، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ١٨٣،=

ج. مصنَّفاته في الفقه وأصوله:

١. إجاباتُ مَسائِلِ السيِّدِ علاء الدين عليّ بن زهرة[١]:

هي مَسَائلُ وجَّهَها السيِّدُ عليّ بن زهرة للعلَّامة الحِلِّيّ ولِوَلَدِه فَخرِ المحقِّقين، فَأَجابَ عنها، أو أَجابَ عنها أحدُهما، ورَتَّبَ المسائلَ والجواباتِ على ثلاثةِ أَنواع: منها ما أَجابَ عنه كلٌّ مِن العلَّامة وولدُه فَخر المحقِّقين معًا، ومِنها مَا أَجابَ عنه العلَّامةُ، ومِنها ما أَجابَ عنه الفَخرُ، والجامِعُ لها بهذا الترتيب هو ابنُ أَخ السيِّد علاء الدين ابن زهرة، أَخَذَ الجميعَ عن خَطِّ السائلِ والمجيب، ولم تُذكَر هذه المسائلُ في المصادر التي ذَكَرَت مؤلَّفاتِ العلَّامة الحِلِّيّ[٢].

أَوَّلُها: «بَسمَلَة، وبِهِ نستعينُ، الحمدُ لله على سَوَابغِ نِعَمِهِ التَّوامِّ، وصلواتُهُ على سيِّدنا المبعوثِ إلى كافَّةِ الخاصِّ والعامِّ، بالآياتِ البيِّناتِ وتفاصيلِ الأَحكام، محمَّدٍ المصطفى وعترتِهِ النجَباءِ الأَعلام، وبعد، فَهذهِ مسائلُ نقلتُها مِن خطِّ السائلِ عنها، وهو مَولانا العمُّ الشيخُ السعيد علاء الدين أبو الحسن عليّ بن زهرة الحسينيّ- قَدَّسَ اللهُ نفسَهُ، وتغمَّدَهُ بالرحمةِ والرضوان- ومِن خطِّ المجيبِ عنها، وهُما: سيِّدُنا ومولانا الشيخ الإمام العَلَّامة، إمامُ المجتهدين، قدوةُ المسلمين وعُمدَةُ المؤمنين، أَفضَلُ المتأَخِّرينَ وأَكمَلُ المحقِّقين، مُكَمِّلُ علوم المتقدِّمين، وارثُ علوم الأنبياءِ والمرسَلين، خليفةُ أَميرِ المؤمنين، سيِّدُ أهل الشامِ والعراق، شيخُ مَشايخِ المسلمين على الإطلاق،

=موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلميَّة: ١٣/ ١٣٣، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣٣/ ٧١٤.

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ٢/ ٧٤، مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٩٧.

(٢) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٠/ ٣٦٠-٣٦١، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، ٢٥٣، مقدمه اى بر فقه شيعه (فارسيّ)، المدرِّسيّ: ١١٠، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٤٦، ٢٧٣.

جمالُ المِلَّةِ والحقِّ والدين، أَبو منصور الحسن ابن سيِّدنا ومولانا الشيخ الإمام القدوة العلَّامة سديد الدين أَبي المظفَّر يوسف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ (قدَّس اللهُ سِرَّه)، وولده سيِّدُنا ومولانا الشيخ الإمامُ القدوة العلَّامة، أَوحَدُ العَصرِ، وفَريدُ الدَّهرِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الكرام، عُمدَةُ العلماء الأعلام، خاتمةُ المجتهدين، أفضلُ فُضَلاءِ العالَم، خُلاصَةُ نَوعِ بَنِي آدم، فَخرُ المِلَّةِ والحَقِّ والدين، أبو طالب محمَّد، أدامَ اللهُ تعالى أَيَّامَهُ، وعَضَدَ المِلَّةَ الإسلاميَّةَ وكافَّةَ المؤمنينَ بطولِ بقائهِ، وضاعَفَ ثوابَه وأَجرَهُ، وخَصَّنَا ببركَتِهِ ومنايحِهِ وفوائدِهِ، إن شاءَ اللهُ تعالى»[1].

فَمِنَ المسائلِ ما أجابَ عنها كُلُّ واحِدٍ مِن الشيخَينِ مَعًا، ومنها ما أجابَ عنها أحدُهما منفَرِدًا، فَمِنَ الذي أَجابا عنهُ معًا هو مسأَلة..

آخِرُها: «الجوابُ: لا زَكاةَ على مَالِ اليتيمِ، بل تَجِبُ عليه مِن حِين البلوغِ، وإذا جَهِلَ أَخرَجَ ما يَظنُّ براءةَ ذِمَّتِهِ به. تَمَّ ذلك. والحمدُ لله رَبِّ العالَمين، وصَلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وآلِهِ الطاهرين»[2].

وللكتاب نسخ مخطوطة موزَّعة على المكتبات المختلفة، وسنذكرها للدلالة على أماكن وجودها، وزيادة في التعريف بها:

- مكتبةِ جامعة طهران، ورقمها: ٣/ ١٤٧٤، ناسخها مجهول، في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ.
- مكتبةِ الحقوق، في طهران، رقمها: ١/ ١٧٨، وهذه النسخَةُ مجهولةُ الناسخ، تعود إلى القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ[3].

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٤٦، ٢٧٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٩/ ٢٤٦، ٢٧٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩/ ٤٧٥.

- نسخة مُصوَّرَة في مكتبةِ آية الله السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ٣/ ١٥٣١.
- مكتبةِ دائرة المعارف، في طهران، ورقمها: ٢/ ١٠٨٢، ناسخها مجهول، ونُسِخت في ربيع الثاني ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م[١].

وقد تمَّ تسميتها في (فهرس فنخا)بعنوان (مَسائل السيِّد علاء الدين)[٢].

طُبِعَت هذه المسائلُ والأَجوبةُ في الأستانة الرضويَّة في إيران سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م[٣].

٢. أَجوبَةُ المسائلِ المهنَّائيَّة المدَنِيَّات:

وهي مسائل فقهيَّة، عددها أربع وعشرون مسألة في الفقه وأصولِه، وغيرهما، أَجابَ عليها فَخرُ المحقِّقين للسائل مهنَّا بن سنان المدنيّ، في منتصف محرَّم سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، في الحِلَّة[٤].

وقال النوري: «الرسائل الثلاث كان في مجموعة عند المصنِّف، كلُّها بخطِّ السيد الجليل السيِّد حيدر الآمليّ، وقرأها على فخر المحقِّقين وأجازها بخطِّ نفسه، وقد استنسخته بخطِّ يدي لنفسي، وهي حاضرة عندي بحمد الله»[٥].

أوَّلها: الحَمدُ لله ربِّ العالمين... تَأَمَّلَ العبدُ الفقيرُ... المسائلَ التي أَفادَها مولانا

(١) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٧٣.
(٢) ٢٩ / ٢٧٣.
(٣) تحقيق: محمَّد غريبي، القسم الأوَّل أسئلة للعلَّامة الحِلِّيّ من الصحيفة ٤-١٣٣، والقسم الثاني أسئلة لفخر المحقِّقين من الصحيفة ١٣٤-٢٧٠.
(٤) بحر العلوم، الفوائد الرجاليَّة: ٢/ ٢٧٩، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٢٢.
(٥) خاتمة المستدرك: ٢/ ٣٤٤.

السـيِّدُ المعظَّمُ العلَّامةُ الأَعظَم، أَشـرَفُ الطالبيِّـين، فَخرُ العَلَويِّين.. نجـمُ المِلَّةِ والحقِّ والدين، مهنَّا بن سنان الحسينيّ.. ما يقول سيِّدنا الإمام العلَّامةُ أحسَنَ اللهُ إليه، وأسبَغَ نعَمَهُ عليه، في شخص غَرَسَ في أرضٍ شَجَرًا أو نخلًا بإذن صاحب الأرض...[١].

آخِرُهـا: ... فيكـون ثوابهم أكثـر، فيلزم أفضليَّتهـم، وهو المطلـوب، وههنا أدلَّة أعرضنا عن ذِكرها خوفَ الإطالة، وكتبَ محمَّد بن الحسن بن المطهَّر في منتصف المحرَّم سنة عشرين وسبعمائة[٢].

ومن أشهر نُسَخِها الموجودة:

- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف[٣].
- جامعة برنستُون، أمريكا، ورقمها: ٢٢[٤].
- مكتبة خوانسـار، ورقمها: ٢/ ١٩٩، نسـخها أحمد بن قاضي أحسن، بتاريخ يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأوَّل سـنة ١٠٣٠هـ، وهذه النسخة مصحَّحة وعليها تعليقات كثيرة.
- مكتبة آران كاشـان، إمام زاده محمَّد هلال، ورقمها: ٤/ ١٩٦، اسـم الناسـخ مجهول، وتاريخ نسخهافي أواخر محرَّم ٩٨٤هـ/ ١٥٧٧م[٥].

(١) مصطفى، درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٩٣٣.
(٢) العلَّامة الحِلِّيّ، أجوبة المسائل المهنَّائيَّة: ٧٣.
(٣) وقـد اطَّلـع الباحث على المخطوط، وحصل على نسـخة منه، رقم ١١٠٧/ ٢، اسـم الناسـخ شريف ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين، في ليلة الجمعه ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩هـ، وعليها أختام.
(٤) محمَّد عايش، فهرس المخطوطات العربيَّة (جامعة برنسـتُون)، المجلَّد التاسـع، القسـم الأوَّل: ١٩.
(٥) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٩٣٣.

- مكتبة الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٢٣٣٢، نسخها أحمد ابن عليّ بن عطاء الله الحسينيّ الجزائريّ، بتاريخ يوم الأحد ٩ ربيع الثاني سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٨م.
- مجلس الشورى طهران، ورقمها: ٤/ ٧١٣٤، نسخها عبد العليّ بن عبد الرضا الطرفيّ، بتاريخ ٥ رجب سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م.
- نُسخة مصوَّرة في مركز إحياء التراث، قم المقدَّسة، ورقمها: ٤/ ١٥٢٠.
- مكتبة آية الله المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ١١/ ١٤٠٩، اسم ناسخها مجهول، ونُسخت في ربيع الثاني ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م[١].
- مكتبة مجلس الشورى طهران، ورقمها: ٥/ ٣٨٦، اسم ناسخها مجهول، وتاريخ نسخها في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ.
- مكتبة خوانسار، ورقمها: ٤/ ٢٠٣، مجهولة الناسخ والتاريخ، والأوراق الأخيرة كتبها محمَّد إبراهيم بن الحسين العلائيّ العراقيّ، في سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٢٩م[٢].

وقد طُبعت هذه المسائل مع أجوبة والده العلَّامة الحِلِّيّ باسم (المسائل المهنَّائيَّة)[٣].

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٩٣٤.
(٢) ينظر: الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٣٠، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٣١٢، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١/ ٩٣٣.
(٣) طُبِع في مطبعة الخيام في قُم المقدَّسة، سنة ١٤٠١هـ، وتبدأ أجوبة الفخر على المسائل التي وُجِّهت له من صحيفة ١٥٩ إلى آخر الكتاب صحيفة ١٧٣. ينظر: العلَّامة الحِلِّيّ، أجوبة المسائل المهنَّائيَّة: ١٨، ١١١، ١٣٨، ١٦٢، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ١/ ٣١٢.

٣. إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد = إيضاح القلوب = إيضاح القواعد = إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد[١]:

الكتاب شرح استدلاليّ مفصَل جاء باسلوب (المناظرة المتخيَّلة)، (قال، أقول)، وتعني كلمة قال (العلَّامة)، وأقول (الفخر)، وهو كتاب مختصر لحلِّ مشكلات كتاب (قواعد الأحكام) لوالده العلَّامة الحِلِّيّ، إذ أمره والده بالعمل به، على أثر طَلَبِ بعض الإخوان شَرْحَ الكتاب من العلَّامة نفسه، فعمل عليه فخر المحقِّقين وقسَّم كتابه على أبواب الفقه المتعارَف عليها، فبدأ أوَّلًا بأحكام الطهارة، وسمَّاه كتاب الطهارة، ثمَّ كتاب الصلاة والزكاة، والخمس والصوم، والحجّ والجهاد، ثمَّ أنهاه بكتاب المتاجر، وجاء في المجلَّد الثاني كتاب الدين وتوابعه، ووصل إلى المجلد الثالث، فبدأ في (كتاب النكاح)، وبعد وفاة العلَّامة أكمل البقيَّة، وبالفعلْ أكمل كتابَ الوصيَّة يوم عيد الفطر سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، في الحِلَّة، وكتابَ الميراث غُرَّة رمضان ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، كما في بعض النُّسخ، وأتمَّ الشرحَ كلَّه في ذي الحجَّة سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م[٢]. وأوضح التبريزيّ بقولة: «أكمله في حياة والده، فاتني نقل أوَّل الكتاب لذهاب أوَّل النسخة التي وقفت عليها»[٣]، أمَّا الشيخ البهائيّ، فقال: «لم يصنَّف في الكتب الاستدلاليَّة الفقهيَّة مثله»[٤].

(١) ينظر: البحرانيّ، لؤلؤة البحرين، ١٩٢، التبريزيّ، مرآه الكتب: ٦/ ٢٩٧، الطهراني، الذريعة: ٢/ ٤٩٧ رقم ١٩٥٠، مركز بزوهشي دائرة المعارف علوم عقلي إسلامي وبهسته به، فرهنك اعلام علوم عقلي اسلامي: ٣/ ٦٥٨، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٢/ ٣٧٧، الحكيم حسين، أوراق عتيق: ١/ ٢٢٧، الحِلِّيّ أحمد، فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الخوئي: ٢٤٨، رقم ١٤٤، وقد حصل الباحث على نسخة من المخطوط.

(٢) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢/ ٤٩٧.

(٣) ينظر: مرآه الكتب: ٦/ ٢٩٧.

(٤) توضيح المقاصد: ١٥، الطهرانيّ، الذريعة: ٣/ ٣٩٥.

وشرحَ فخرُ المحقِّقين (خطبة القواعِد) بشرحٍ مستقلٍّ أسماه (جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد)، وكُتِب هذا الشرحُ في أوَّل بعض نُسخ الإيضاح، وأُفرِد في جُملة من النُّسَخ.

أوَّله: «الحمدُ لله ذي العزِّة والبقاء، والقدرة والعلاء، والمجد والكبرياء، والسلطان القاهر، والعزِّ الباهر، المتنزِّه عن إدراك النواظر، المتقدِّسُ عن تمثيل الخواطر... أمَّا بعد، فلمَّا كان كتاب شيخنا الأعظم، وإمامنا المعظَّم، أفضل المتقدِّمين والمتأخِّرين، لسان الحكماء... الحسن... ابن المطهَّر- أدامَ اللهُ أيَّامَه- الموسوم بـ(قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام)، وهو مِن أشرف الكتب الفقهيَّة، وأسناها وأرفعها وأعلاها... عملتُ هذا الكتابَ وسمَّيتُه (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد)...»[1].

وذَكَر في آخره: «الحمدُ لله على حسن التوفيق، وهداية الطريق، وصلَّى الله على سيِّد الأنبياء والمرسلين، المبعوث بالدين المبين، وعلى آله المعصومين، وعترته الطاهرين»[2].

وطُبِعَ (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد) في أربعة مجلَّدات في العاصمة الإيرانيَّة طهران، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، في مؤسَّسة محمَّد حسين كوشانبور، بتعليق السيِّد حسين الموسويّ الكرمانيّ، والشيخ عليّ پناه الاشتهارديّ، والشيخ عبد الرحيم البروجرديّ.

(١) مهدي ولالي، فهرست كتب خَّطى كتابخانه مركزي آستان قدس رضوى: ٥/ ٤١٧-٤١٨، دليل مخطوطات كاشف الغطاء العامَّة: ٢/ ٩٣.

(٢) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٥/ ٤٨٠، زوين وآخرون، معجم المخطوطات النجفيَّة، ١/ ٧٧، دليل مخطوطات كاشف الغطاء العامَّة: ٢/ ٩٣. وقد اطَّلع الباحث على النسخة الخطيَّة من المخطوط، وحصل على نسخة منه.

وللكتاب عدَّة نسخ مخطوطة ذكرتها المصادر التي اهتمَّت بجمع مصنَّفات العلماء وفهرستها، ومنهم فخر المحقِّقين، وسنذكرها زيادةً للفائدة العلميَّة، وبيان الفوارق بين هذه النسخ من حيث عدد صحائفها، وترتيبها، ونوع الخطِّ الذي استُخدِم في كتابتها.

- مكتبة أمير المُؤمنَين عليه السلام العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ٣٦٩٤، لا يوجد عليها اسم ناسخها، وعليها حواشي وتعليقات، وعدد صحائفها ١١٧ صحيفة، وعليها اسم مالك النسخة، وفي مقدِّمتها لغة فارسيَّة[١].
- مكتبة الوزيريّ (يزد) في إيران، ورقمها: ١٨٢٣٢، ٥٥٩ق، ناسخها مجهول، وتاريخ نسخها سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م.
- مكتبة الوزيريّ (يزد) في إيران، ورقمها: ٢٠٠ق، اسم ناسخها مجهول، وتاريخ نسخها سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م[٢].
- مكتبة الإمام الخوئيّ، النجف الأشرف، ورقمها: ١٤٤، اسم ناسخها منصور ابن ناصر اكهجري، بتاريخ يوم الأربعاء في ١٦ شعبان في أحد قرى خراسان، وخطُّها نسخ[٣].
- مكتبة الإمام الخوئيّ، النجف الأشرف، ورقمها: ٢٧٢، اسم ناسخها وتاريخها مجهول، وخطُّها نسخ[٤].

(١) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط، ورقمها في الدليل الإلكترونيّ: ٢٣٥٨. ينظر: الملحق (٢٤).
(٢) الطريحيّ، فهرس مكتبة الوزيريّ (يزد): ٤٦.
(٣) أحمد الحِلِّيّ، فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الخوئيّ: ١/ ٢٤٢-٢٤٣.
(٤) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الرقم: ٧٠٠.

- مكتبة الإمام الخوئيّ، النجف الأشرف، ورقمها: ٤٤٨، اسم ناسخها وتاريخها مجهول، وخطُّها نسخ، وأورقها ممزَّقة[١].
- مكتبة الإمام الحكيم، النجف الأشرف، وتضمُّ (الطهارة- النكاح)، فقه جعفريّ، ورقمها: ١٣٥٩[٢].
- مكتبة مجلس الشورى، طهران، ورقمها: ١٤٢٣٣، وناسخها محمَّد بن الحسن ابن محمَّد بن محمَّد الإسترآباديّ، بتاريخ يوم الأربعاء ١٩ شوال ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، وهي نُسخة مصحَّحة، وفي أوَّلها فوائد بخطِّ حسين بن محمَّد القمِّيّ الإسترآباديّ.
- مكتبة آية الله المرعشيّ، قم المقدَّسة، ناقصة الآخر، ورقمها: ٦٧٢٨، واسم ناسخها مجهول، ونسخت بتاريخ ١٠ ربيع الأوَّل سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م[٣].
- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ٥٢٣٧، ونسخها عليّ بن فخر الدين أبي طالب الآمليّ المازندرانيّ الطبريّ، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م، وهذه النسخة عليها حواشٍ وبلاغات قراءة[٤].
- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ٦١٦٧، ونسخها محمَّد بن عليّ بن أحمد سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م[٥].

(١) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر الرقم: ٧٠١.
(٢) زوين وآخرون، معجم المخطوطات النجفيَّة: ١/ ٧٧. وقد حصل الباحث على نسخة منها.
(٣) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٥/ ٤٨٠.
(٤) مصطفى درايتي، دنا: ٢/ ٣٣٧.
(٥) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٢٥).

- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ١٠٨٠، ونسخها محمَّد ابن سليمان بن عليّ بن حسين الفارس البحرانيّ، بتاريخ السابع عشر من شهر صفر سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، وفي هذه النسخة حواشي وطلاسم[١].
- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ١٣٥٩، ونسخها عماد الدين بن خسرو الاسترابادي، سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م[٢].
- مكتبة الشيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء، النجف الأشرف، ورقمها: ٢/ ٩٨، ونسخها قاسم بن السيِّد شريف الحسن، في سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧٢م[٣].
- المدرسة الفيضيَّة، قُم، ورقمها (٥٢٢)، ٣٠٩ق، والناسخ مجهول، ونُسِخت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ[٤].
- جامعة برنستُون، أمريكا، ورقمها: ٣٢٤، وناسخها حسن بن جمعة بن عليّ، ونُسخت في ٣شعبان سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨٢م، وهذه النسخة ناقصة أوراقها من البداية[٥].
- مكتبة الشيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء، النجف الأشرف، ورقمها: ٢/ ٩٩، وناسخها إبراهيم الجامعيّ العامليّ، سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٩م[٦].

(١) ينظر: الملحق (٢٦).
(٢) معجم المخطوطات النجفيَّة: ١/ ٣٤٩.
(٣) معجم المخطوطات النجفية: ١/ ٣٥٠.
(٤) الطريحيّ، المخطوطات العربيَّة في المدرسة الفيضيَّة (قم)، مجلَّة الموسم، العدد ٣٧-٣٨، ١١٢. وحصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر الملحق(٢٧).
(٥) محمَّد عايش، فهرس المخطوطات العربيَّة (جامعة برنستُون)، المجلَّد التاسع، القسم الأوَّل، ١٢٩.
(٦) معجم المخطوطات النجفيَّة: ١/ ٣٥٠.

- مؤسَّسة كاشف الغطاء العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ٥٩٧٧، وناسخها فرج الله بن محمَّد التبريزيّ في النجف الأشرف، سنة١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م[١].
- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ١٦٠٨، مجهولة اسم الناسخ، وتاريخ النسخ[٢].
- مكتبة الإمام الحكيم، النجف الأشرف، ورقمها: ٦١٦٨، مجهولة اسم الناسخ، وتاريخ النسخ[٣].
- كتابخابة ملى، طهران، ورقمها، ٢٧٠٤/ع، وناسخها محمَّد اسماعيل خوانساريّ[٤].
- كتابخابة ملى، طهران ورقمها: ٢٧٠٧/ع، وناسخها مجهول، وهي النسخة السابقة نفسها[٥].
- المكتبة المركزيَّة لجامعة أصفهان، ورقمها: ١٠٨٦، مجهولة اسم الناسخ، وتاريخ النسخ، وعدد الصحائف ١١٠[٦].
- مكتبة جامعة أصفهان، ورقمها: ١٠٤٩، مجهولة الناسخ، وسنة النسخ، عدد الصحائف ٢٤٣، جلد أحمر[٧].

(١) دليل مخطوطات مؤسَّسة كاشف الغطاء العامَّة: ١/ ٥٦. حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة منه. ينظر: الملحق(٢٨)

(٢) معجم المخطوطات النجفيَّة: ١/ ٣٤٩.

(٣) معجم المخطوطات النجفيَّة: ١/ ١٦٣.

(٤) عظيمي، كتابخانه ملى: ١٣/ ١٦٤-١٦٥، ١٦٧-١٦٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٣/ ١٦٧-١٦٨.

(٦) حصل الباحث على نسخة مصوَّرة منها. ينظر الملحق (٢٩).

(٧) حصل الباحث على نسخة مصوَّرة منها. ينظر الملحق (٣٠).

- مكتبة ابن مسكويه، أصفهان، ورقمها: ٣٨٧٥، ناسخها أحمد بن إبراهيم بن برهان بن كمال، غلافها جلد أحمر، عدد الصحائف ٥٠٠ صحيفة[١].
- مكتبة الزَّهراء، أصفهان، ورقمها: ٩١، الغلاف جلد أحمر[٢].
- مكتبة جامعة طهران، طهران، ورقمها: ٧٠٦، ناسخها شمس الدين الشهيدُ الأوَّل أبو عبد الله محمَّد بن مكِّي، تمَّ الانتهاء من نسخها في ٦ شوَّال سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، في الحِلَّة[٣].
- كتابخابة ملى، طهران، ورقمها: ٢٧، كتبها تقي الدين إبراهيم العامليّ الكفعميّ، تاريخ نسخها سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، عدد صحائفها ٦١٥ صحيفة، عليها حواشي وأختام مرقَّمة بالترقيم الفارسيّ[٤].

وقال الطهرانيّ: «رأيت منها نسخًا عديدة، جملة منها بخطوط العلماء، منها نسخة من كتاب الطلاق إلى آخر الكتاب بخطِّ الشيخ عبد السميع بن فيَّاض الأسدي الحِلِّيّ، تلميذ الشيخ أبي العبَّاس أحمد بن فهد الحِلِّيّ، فرغ من الكتابة سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧٦م، رأيتها بالمشهد الرضويّ»[٥]

(١) اطَّلع الباحث على المخطوط، وحصل على نسخة ضوئيَّة منه. ينظر الملحق (٣١).
(٢) اطَّلع الباحث على النسخة، وحصل على نسخة ضوئيَّة منها. ينظر الملحق (٣٢)
(٣) كتابخانه دانشگاه، تهران: ٥/ ١٧٨٥-١٧٨٦، أبو الفضل حافظيان، فهرست نسخه هاى خطى كتابخانه مجلس شوراى اسلامى: ٤٤/ ٩٧-٩٨.
(٤) اطَّلع الباحث على النسخ، وحصل على نسخة ضوئيَّة. مركز الفقية العامليّ لأحياء التراث، حاريص، جبل عامل، لبنان.
(٥) الذريعة: ٣/ ٣٩٥.

٤. جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد[١]:

هـذا الكتابُ شرح على خطبة (قواعد الأحكام في معرفه مسـائل الحلال والحرام) لأبيه العلَّامة، إذ كتبه بطلب أحد الإخوة، بعد شرحه كتاب (القواعد)، وسمَّاه (إيضاح الفوائد)، ولم يشرح الخطبة فيه.

أوَّلها: «بسـملة، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمَّد النبيّ وعلى آله المعصومين، أمَّا بعد، فقد سألني أجلُّ الخلَّان، وأفضل الإخوان، أن أملي عليه شرحَ خُطبة القواعد، سمَّيتُها بـ(جامع الفوائد)...».

وآخرها: «مسـائل الفقه أن تحدث جنسًـا، وقـد جعل لها الكتـاب، أو نوعًا، وقد جعل لها المقاصدَ، أو صِنفًا، وقد جعل لها الفصول»[٢].

ومن أشهر نُسخِها الموجودة:

- جامعة برنستُون، أمريكا، ورقمها: ٣٩٩، مجهولة الناسخ وسنة النسخ[٣].
- جامعة برنستُون، أمريكا، ورقمها: ١٥٦٥، مجهولة الناسخ وسنة النسخ[٤].
- مسجد مراغه، مراغه، ورقمها: ٢/ ١٦[٥].

(١) ينظـر: الأفنـدي، ريـاض العلـماء: ٥/ ٧٧، المازندرانيّ، منتهـى المقـال: ٦/ ٢٦، الطهرانيّ، الذريعـة: ٥/ ٦٧ رقـم ٢٦٢، الحسـينيّ، الـتراث العربيّ المخطـوط: ٤/ ٥٠، كتابخانـه آية الله گلپايگاني، فهرسـت نسـخه هـاى خطى: ٣/ ٦٠، كحالـة، معجم المؤلِّفـين: ٩/ ٢٢٩، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ١١/ ١٦٩، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٩٣١.

(٢) كتابخانة بزرگ حضرت آيت الله العظمى مرعشـى نجفى: ٣٩/ ٤٧، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٤/ ٥٠، كتابخانه آية الله گلپايگاني، فهرسـت نسـخه هاى خطى: ٣/ ٦٠، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٩٣١.

(٣) محمَّد عايش، فهرس المخطوطات العربيَّة في جامعة برنسـتون (مجموعة يُهودَا)، المجلَّد الرابع، القسم الثاني: ١٥٩.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٦.

(٥) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٩٣١.

- مجلس الشورى، طهران، ورقمها: ١/ ٢٧٤٨، ناسخها عليّ بن حسين بن عبد الله بن محمَّد الطوسيّ، وتاريخها ١ شوَّال سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وكُتبت بخطِّ النسخ، وعدد صحائفها ١٩٠، ١٩ سطرًا في الصحيفة[١].
- الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٦٠٣٧، ونُسِخت في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ، بخطِّ النسخ[٢].
- مجلس الشورى، طهران، ورقمها: ٢/ ١٥٨٥١، اسم الناسخ مجهول، كُتب في صفر سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، بخطِّ النسخ، وعليها علامات بلاغٍ، وحاشية[٣].
- الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ض ٢٥٢٩، وناسخها عليّ بن فلاح النجفيّ، سنة ٩٩٢هـ، عليها وقفٌ باسم أمير جبرئيل بتاريخ ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م، بخطِّ النسخ، وعدد الصحائف ٤، ٢١ سطرًا[٤].
- مكتبة آية الله المرعشيّ، قم المقدَّسة، رقمها: ٧/ ١٥٠٦٦، نسخها محمَّد صالح حاجي سرور، مؤرَّخة في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ، فيها ختم دائريّ، بخطِّ النسخ[٥].
- مكتبة كليَّة الحقوق في طهران، ورقمها: ١/ ٣٤٦ ج، وناسخها مجهول، ونُسخت سنة ١٠٢٩هـ، عليها تملُّك محمَّد تقي بن محمَّد كاظم بتاريخ

(١) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٥٠.
(٢) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٩٣١.
(٣) المصدر نفسه: ٩/ ٩٣١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩/ ٩٣١.
(٥) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٩/ ٩٣١.

١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م، وعليها وقفيَّة بتاريخ ٢٣ محرَّم سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م[١].

- مكتبة نمازي، مدينة خوي في إيران، ورقمها: ١/ ٢٣٧، وناسخها محمَّد محسن بن محمَّد مؤمن الإسترآباديّ، ونُسخت بتاريخ ١٠٤٠هـ، وعليها حاشية[٢].
- مكتبة الآستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٢٥١٤، وناسخها عبد الله ابن دوستم ورمزياري، في سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م، وهي ممَّا أَوقَفَه نادر شاه بتاريخ ١١٤٥هـ/ ١٧٣٣م[٣].

٥. الحجُّ المتمتَّع به وواجباته[٤]:

هذه الرسالة في الحجِّ المتمتَّع به وواجباتِه، تاريخ تأليفها سنه ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، في الحِلَّة، بمدرسةِ صاحبِ الزمان، وهي فصلَينِ، والتي كتبها فخر المحقِّقين لأحد الفضلاء، حسب قوله.

بدايتها: هذه رسالةٌ في الحجِّ المتمتَّع به وواجباته، للشيخ العلَّامة فخر الدين محمَّد ابن مطهَّر الحِلِّيّ طاب ثراه. الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على سيِّد المرسَلين محمَّدٍ وآله الطاهرين، وبعدُ، فهذه رسالةٌ تشتمِلُ على الواجِبات في الحجِّ المتمتَّع به، عملتُها التماسًا لبعض الفضلاءِ، مُتَقرِّبًا إلى الله تعالى[٥].

آخِرُها: وإنَّما يجوزُ النفرُ الأوَّلُ بعدَ الزوال لا قَبلَه. والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ

(١) اطَّلع الباحث على النسخة الضوئيَّة.
(٢) اطَّلع الباحث على النسخة الضوئيَّة.
(٣) المصدر نفسه: ٩/ ٩٣١.
(٤) الأمين، أعيان الشيعة: ٣/ ٤٠٠.
(٥) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١٢/ ٥٨٧-٦٢٥.

والسلامُ على خَيرِ خَلقِهِ محمَّدٍ وآله الطاهرين، وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا دائمًا جسيمًا. ووقَعَ الفراغُ منه بمدينة الحِلَّةِ، بمدرسةِ صاحبِ الزمان عليه السلام سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م[١].

وقد طُبِعت هذه الرسالة في الحِلَّة في مجلَّة المحقِّق الصادرة عن مركز العلَّامة الحِلِّيّ التابع للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة، وهذه الرسالة تضمُّ فصلَين: أحدهما في عمرة التمتُّع، والثاني: في الحجِّ، والفصل الأوَّل يضمُّ أربعة أبحاث، أوَّلها: في كيفيَّة الإحرام ومكانه وزمانه، وثانيها: في الطواف ووجباته الاثني عشر، وثالثها: في السعي ووجباته، ورابعها: في التقصير، والفصل الثاني يشتمل على ثمانية مباحث، أوَّلها: في الإحرام ووجباته، وثانيها: في الوقوف بعرفة، وثالثها: في الوقوف بالمشعر ووجباته، ورابعها: في مناسك منى، وخامسها: في طواف الحجِّ، وسابعها: في طواف النساء، وثامنها: في العود إلى منى[٢]. للكتاب عدَّة نسخ مخطوطة على مكتبات متفرِّقة في العالم، منها:

- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ٣/ ١٠٣٣، وهي ضمن مجموعة من الصحيفة ٧٨-٨٥، وكلُّ صحيفة ١٦ سطر، وتنتهي على شكل مثلَّث، نَسَخَها السيِّدُ حيدر الآمليّ تلميذُ المصنِّف. وآخرها: «وقع الفراغُ منه بمدينة الحِلَّة بمدرسة صاحب الزمان عليه السلام ٧٥٥هـ»، بخطِّ النسخ[٣].
- مكتبة مدرسة نوَّاب، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٦/ ١٨٨، واسم الناسخ وتاريخ النسخ مجهولان، وهي سبعة أوراق، تشتمل الصحيفة الأولى على (٢٩سطرًا)، ولم يذكر تاريخ كتابتها[٤].

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١٢/ ٥٨٧-٦٢٥.
(٢) تحقيق: الشيخ حميد رمح الحِلِّيّ، السنة الثالثة، المجلَّد الثالث، العدد الرابع، (١٤٣٩/ ٢٠١٩م)، ٢٥٥-٢٩٦.
(٣) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ١٢/ ٥٨٧.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢/ ٦٢٥

٦. غاية السؤول في شرح تهذيب الوصول إلى علم الأصول[١]:

وهـذا الكتـاب ألَّفـه فخَر المحقِّقـين لشرح كتـاب والـده (تهذيـب الوصول إلى علـم الأصـول) في أصول الفقـه، عندما صعب عـلى كثير من الطلَّاب، وبسـط شرح وكشـف أسـتار كتاب أبيـه العلَّامـة، بقوله: (قـال، أقول)، بحيـث انتهى مـن كتابته وتأليفـه في حيـاة والده العلَّامـة الحِلِّيّ، وكان الفخر في شـبابه وعمرة ٢٠ سـنة، في (٦ جمـادى الثاني سـنة ٧٠٣هـ)، وتطـرَّق الأفندي إلى هـذا الكتاب بقولـه: «رأيته في بلدة ساري»[٢].

أوَّلها: وفيها «بسملة. وثقتي. الحمد لله كاشف الأستار لأوليائه عن كبرياء جلاله، ورافع الشـبه عن أفـكار العارفين الناظرين في ذاته وأفعاله، الـذي أبدع الموادَّ الناقصة، وأفاض عليها من الصور بحسب قبولها لآثار كماله، ورتَّب طبقات الموجودات بحسب كمالها ونقصانها، وأعطى كُلًّا منها ما يستحُّقه من القوى... وصلَّى الله على سيِّد المرسَلين وإمام المتَّقين محمَّد النبيّ وعترته الطاهرين. أمَّا بعدُ، فإنَّه لـمَّا كان معرفة أصول الفقه من المهمَّات، وتحصيله من الواجبـات؛ لتوقُّف معرفة شرع الله عليه، واحتياجه إليه، وجبَ علينا الخوضُ بقدر الإمكان، وتحقُّق ما يُحتاج إليه في كلِّ زمان، ولـمَّا كان كتاب شـيخنا الإمـام الأعظـم العلَّامة... خليفـة الوجود الروحـانيّ، قطب العالم الإنسـانيّ، والدي جمـال الملَّة والحقِّ والدين، الحسـن بن المطهَّـر أدام الله إفاضته على كافَّـة العالمين، وأقام أياديه بإكمال الناقصين، الموسـوم بـ(تهذيب الوصول إلى علم الأصول)، قد اشتمل من

(١) ينظر: الخوانسـاريّ، روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧، الطهرانـيّ، الذريعة: ٤/ ٥١٤ رقم٢٢٨٠، و١٣/ ١٦٩، و١٦/ ١٣، القمِّـيّ، الكنـى والألقـاب: ٨٥، القائيتـيّ النجفـيّ، معجـم مؤلِّفي الشـيعة: ١٤٦، اللجنة العلميَّة، موسـوعة طبقات الفقهاء: ١/ ٤٣٣، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٢٩٩.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٧٨.

علـم أصول الفقه ما لا بدَّ منه، واحتوى على ما لا يسـتغني عنـه، لكنَّه قد باغ في إيجازه الغاية...»[١].

آخرهـا: وذكر فيهـا «فمن نظر في كتابي هذا بعين الإنصـاف.. عرف رجحانه على كثـيرٍ من الكتب المبسـوطة.. فهـذا كتابي حرام عليـه، والله الوكيل عليـه.. فرغتُ من تصنيفه في سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعمائة، وهي نهاية العشـرين من عمرنا، وفَّقنا الله لبلوغ أملنا إنَّه يسمع ويُجيب. فرغ من تحريره أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى غفرانه إسـحق بن محمـود بن محمود بن عبد المنعم... في... ربيع الأوَّل سـنة تسـع عشرة وسبعمائة»[٢].

طُبع هـذا الكتاب في العتبة الحسـينيَّة المقدَّسـة، في مركز العلَّامـة الحِلِّيّ قدس سره لإحياء تراث حوزة الحِلَّة العلميَّة في الحِلَّة[٣]. وأشهر نسخ المخطوط:

- مكتبة جامعة طهران، ورقمها: ١/ ٨٧٩٠، وناسـخها إسـحاق بن محمود بن محمَّد بن محمود بن عبد المنعم، بتاريخ ربيع الأوَّل سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، وفي النسخة حواشٍ[٤].

٧. الفخريَّة في معرفة النيَّة[٥]:

رسـالةٌ في لفظ النيَّة، وصِيَـغ ما يُقالُ عند النيَّة للعبادات الشـرعيَّة من الألفاظ في (الطهارة، والصـلاة، الزَّكاة، والخمس، والصوم، والحجّ، والعمـرة)، وفيه عرف النيَّة

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٢٩٩.
(٢) ينظـر: الطهرانـيّ، الذريعـة: ٤/ ٥١٤ رقـم ٢٢٨٠، و١٣/ ١٦٩، و١٦/ ١٣، القمِّيّ، الكنى والألقاب، ٨٥، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٢٩٩.
(٣) تحقيق: الشيخ حميد رمح الحِلِّيّ.
(٤) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٣٠٠.
(٥) الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧.

(لغةً واصطلاحًا)، وشروطها ونواهيها، وكتبها فخر المحقِّقين بالتماس فخر الحقِّ والملَّة والدين حيدر بن شرف الدين عليّ بن أبي الحسين بن عليّ بن محمَّد بن إبراهيم البيهقيّ، وهذه الرسالة تحتوي على ثلاثة فصول، هي[1]:

الفصل الأوَّل: في حقيقة النيَّة.

الفصل الثاني: في وجوبها.

الفصل الثالث: في النيَّات، من كتاب الطهارة إلى فصل في أشياء متفرِّقة، منها نيَّة طلب العلم، ونيَّة السلام على المؤمن، ونيَّة النظر لوجه العالم، ونيَّة وقضاء حاجة المؤمن، ونيَّة السعي في حاجته...

أوَّلها: بسملة، الحمد لله على هدايتنا بسيِّد المرسَلين، وإرشادنا إلى الدين المتين، وتكليفنا بالأحكام الشرعيَّة لتحصيل السعادة الأخرويَّة، وصلَّى الله على أشرف البريَّة محمَّد النبيّ وعترته الطاهرة الزكيَّة. أمَّا بعد، فيقول محمَّد بن الحسن بن المطهَّر: هذه الرسالة الفخريَّة في معرفة النيَّة، حرَّرتها بالتماس أعزِّ الناس عليَّ، وأكرمهم لديَّ، هو الصاحب... حيدر بن سعيد...ورتَّبتها على فصول...[2].

آخرها: ونيَّة تلاوة القران: أتلو القرآن قربةً إلى الله، وكذا نيَّة استماعه وكتابته، وكذا

(١) ينظر: الحرُّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٨٢، الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٧٧، المازندرانيّ، منتهى المقال: ٦/ ٢٦، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧، التبريزيّ، مرآة الكتب: ٦/ ١٨١، البغداديّ، إيضاح المكنون: ٢/ ١٨٢، الطهرانيّ، الذريعة: ١١/ ٢٢٠ رقم ١٣٤٢١، فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ٦/ ٢٣٢ رقم ٢/ ٢٢٤٧، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٩/ ٣٠٤، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٦٧٦، دليل مخطوطات كاشف الغطاء العامَّة، ٢/ ٩٣، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، مجلَّة تراثنا: ١٩/ ٢٣٠.

(٢) ينظر: الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٩/ ٣٠٤، دليل مخطوطات كاشف الغطاء العامَّة، ٢/ ٩٣، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، مجلَّة تراثنا،:١٩/ ٢٣٠.

الأحاديث المنقولة عن النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، فينوي عندَ كلِّ فِعلٍ الاستحبابَ والقُربةَ. وهذا آخر ما أمليناه في هذه الرسالة[١].

وقد تمَّ طباعتها عدَّة مرَّات، منها:

الطبعة الأولى: حجريَّة بحجم وزيريّ في طهران سنة ١٣١٥هـ.

الطبعة الثانية: طبعة مجمع البحوث الإسلاميَّة في مشهد (ايران)[٢].

الطبعة الثالثة: طبعة دار الكتب والوثائق في بغداد، في العدد (٧٧٨)[٣].

وللرسالة عدَّة نسخ مخطوطة، منها:

- مكتبة ومؤسَّسة كاشف الغطاء العامَّة في النجف الأشرف، ورقمها: ١٥٤٣، واسم ناسخها وتاريخ النسخ مجهولان[٤].
- مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، النجف الأشرف، ورقمها: ٢/٩٠٩، وناسخها السيِّد أسفنديار بن سلام الله الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ، ونُسخت بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م، أمَّا غلافها قماش أحمر[٥].
- جامعة برنستُون، أمريكا، ورقمها: ٩٤٢، وناسخها محمَّد بن الحسن الإستراباديّ، بتاريخ ٥ شوَّال سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م[٦].

(١) ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ٣٢/ ٧٧٦ رقم ٨٥٦، مهدي ولالي، فهرست كتب خطى كتابخانه مركزى آستان قدس رضى: ٥/ ٥٢٥، مصطفى درايتي، فنخا: ٢٣/ ٦٧٦.

(٢) تحقيق: صفاء الدين البصريّ سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، في مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة للعتبة الرضويَّة، وعدد صحائف الكتاب ٩٤ صحيفة.

(٣) تحقيق: عليّ عبد الرضا عوض في سنة (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

(٤) قسم الذخائر للمخطوطات، دليل مخطوطات مؤسَّسة كاشف الغطاء العامّة: ١/ ٣٠٥.

(٥) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٣٣)

(٦) محمَّد عايش، فهرس المخطوطات العربيَّة في جامعة برنستون (السلسلة الجديدة): ١٠/ ٦.

- مكتبة الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٢٧٤٨، نوع الجلد، تيماجي، عليها اسم الواقف للمخطوط في سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، وخطُّها النسخ[١].
- مكتبة الأستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٢٤٣٢، اسم الناسخ وتاريخ النسخ مجهولان، عدد صحائفها: ٧٦ صحيفة، كلُّ صحيفة فيها سبعة أسطر، ذات إطار ذهبيّ، فيها حواشٍ باللغة الفارسيَّة[٢].
- مكتبة الآستانة الرضويَّة، مشهد المقدَّسة، ورقمها: ٢٥١٠، عدد صحائفها ٣٠ صحيفة، عدد الأسطر في كلِّ صحيفة ١٤ سطرًا، كتبها محمَّد زمان، وموقوفة باسم موسى الكيلاني، بتاريخ الجمعة خامس عشر ربيع الآخر سنة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م[٣].
- مكتبة إمام العصر، شيراز، ورقمها: ٤٥، ونُسخت في القرن الحادي عشر الهجريّ/ السابع عشر الميلاديّ.
- مكتبه إمام عصر، شيراز، ورقمها: ٥/ ٣٩٣[٤].
- مكتبة كوشهراد، مشهد، ورقمها: ٩٢٥، وناسخها وتاريخ النسخ مجهول، عدد صحائفها ٥٩ صحيفة، عدد الأسطر ١١ سطرًا، بخطِّ النسخ[٥].

(١) ينظر: مهدي ولائي، فهرست كتب خطى كتابخانه مركزى آستان قدس رضى: ٥/ ٥٢٥.
(٢) ينظر: مصطفى درايتي، فنخا: ٢٣/ ٦٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣/ ٦٧٦.
(٤) ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة المرعشيّ العامَّة: ٣٩/ ٦٤٢-٦٤٣ رقم ٧٤٠، الحسينيّ، التراث العربيّ المخطوط: ٩/ ٣٠٤، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٦٧٦، دليل مخطوطات كاشف الغطاء العامَّة: ٢/ ٩٣، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، مجلَّة تراثنا: ١٩/ ٢٣٠.
(٥) اطَّلع الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط.

- مكتبة ملي، طهران، ورقمها: ٣٥١٥، عدد صحائفها ٢٤ صحيفة، وعدد أسطرها ١٢ سطرًا[١].
- مكتبة مجلس الشورى طهران، ورقمها: ٧/ ٤٩٥٣، ناسخها أبو سعيد بن يحيى بن محمَّد بن أحمد الكاشيّ، بتاريخ عصر يوم السبت ٤ شهر رمضان سنة ٧٥٩هـ، وفي آخر النُّسخة إنهاء قراءة بخطِّ فخر المحقِّقين للكاشيّ، مؤرَّخ في ٥ رمضان سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م[٢].
- مركز إحياء التراث، قم المقدَّسة، ورقمها: ٣/ ٣٢٧٤[٣].
- مكتبة جامعة أصفهان، أصفهان، ورقمها: ٢/ ٨٧، ناسخها قاسم بن عليّ ابن محمَّد بن فخر الكاشفيّ، بتاريخ في العاشر من ذي القعدة في سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م[٤].
- مكتبة كليَّة الآداب، أصفهان، ورقمها: ٢/ ٣٣، وهي النسخة السابقة نفسها[٥].
- مدرسة الصدر، أصفهان، ورقمها: ١/ ٧٧٤[٦].
- مكتبه السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، رقمها: ٤٤/ ١٢٩٢٣[٧].
- مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ٥/ ٥٧٩٧، ناسخها

(١) ينظر: عظيمي، كتابخانه ملي: ١٢/ ٤١٩-٤٢٠، مصطفى درايتي، فنخا: ٢٣/ ٦٧٧.
(٢) ينظر: الطهرانيّ، طبقات أعلام الشيعة: ٥/ ٨٦-٨٧، وفهرس مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ: ٧/ ٥٨٨٩ رقم ٤٩٥٣/ ٦.
(٣) اطَّلع الباحث على النسخة الضوئيَّة في مركز إحياء التراث، قم المقدَّسة.
(٤) ينظر: مصطفى درايتي، فنخا: ٢٣/ ٦٧٦.
(٥) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٣٤).
(٦) مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٧/ ٨٨٦.
(٧) المصدر نفسه: ٧/ ٨٨٦.

عزّ الدين ابن نجم الدين الاسترآباديّ، بتاريخ يوم السبت أواخر شعبان سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م[١].

- مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ٣/ ٢٠٧٤، وناسخها محمَّد بن أحمد الرضويّ.
- كتبت بتاريخ غرَّة ذي الحجّة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، وهي مصحَّحة ومحشَّى عليها.
- مكتبة آية الله المرعشيّ العامَّة، قم المقدَّسة، ورقمها: ٥/ ١٤١١٧، وناسخها فخر الدين عليّ بن فضل بن هيكل الحِلِّيّ، ونُسخت بتاريخ أوائل القرن التاسع الهجريّ/ الخامس عشر الميلاديّ، وهي مصحَّحة، وعليها إنهاء قراءة[٢].
- مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ٥/ ٣٣٠٧، نَسَخها محمَّد بن حسن بن أحمد بن فرج بن أحمد بن حسن بن مبارك الأواليّ السهلاويّ، بتاريخ ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، وعليها تصحيحات[٣].
- مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ١٧/ ١٣٧٣٢، وناسخها محمَّد ابن إبراهيم بن عيسى الأوليّ البحرانيّ، بتاريخ ذي القعدة سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، وهي مصحَّحة، ومحشَّى عليها[٤].
- مكتبة الكلبايكانيّ، قم المقدَّسة، ورقمها: ١/ ٦٩٠-١٦٠/ ٤، وناسخها سليمان بن بدر الدين، بتاريخ ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[٥].

(١) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٣/ ٦٧٦.
(٢) ينظر: فهرس مكتبة السيِّد المرعشيّ: ٣٥/ ٦٦٦ تسلسل ٦٤٧.
(٣) مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٧/ ٨٨٧.
(٤) المصدر نفسه: ٧/ ٨٨٧.
(٥) مصطفى درايتي، فنخا: ٢٣/ ٦٧٧.

- مكتبة صدر بازار، والنسخة الضوئيَّة في مكتبة إحياء التراث في قم، في العدد ٢٢١٣، عدد الصحائف ١٩٢ صحيفة، مجهولة الناسخ والتاريخ، عليها حواشي وتعليقات[١].
- في جامع النجف الدينيَّة في النجف الأشرف، تحمل الرقم: ٥-٢٣٥، وتمَّ كتابتها في شهر ذي الحجَّة الحرام في سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م[٢].

٨. نهاية المأمول في شرح مبادئ الوصول[٣]:

وهذا الكتاب جاء بناءً على طلب جماعة من الأعيان، بحسب قول فخر المحقِّقين في مقدِّمة المخطوط، وهو شرح لكتاب والدةُ العلَّامة الحِلِّيّ (مبادئ الوصول إلى علم الأصول)، وهو في أصول الفقه، وهو مختصر، وبدون الإكثار من الاستدلالات الفقهيَّة.

المقدِّمة: «بسلمة، الحمدُ لله المقدَّس عن نَيلِ الأوهام والخواطر، المنزَّه عن إدراك الحواس والنواظر، المتعالي.. محمَّد المصطفى وآله الأنجم الزواهر. أمَّا بعدُ، فإنَّ جماعة من الأعيان أمدَّهم الله تعالى بالتوفيق والإحسان، لـمَّا وقفوا على كتاب (مبادئ الوصول إلى علم الأصول) مِن تصانيف والدي الإمام العلَّامة، أفضل العلماء وأعلم الفضلاء.. الجواد، جمال المِلَّة والدين، حسن بن المطهَّر.. فوجدوهُ قد اشتَمَلَ على جميع قواعد هذا الفنِّ مع إيجازٍ واختصار.. سألوني أن أشرحَهُ شرحًا شافيًا، وأوضِّحه إيضاحًا كافيًا، فأجَبتُهُم إلى ذلك مستعينًا بالله ومتوكِّلًا عليه، وهو حسبي ونِعمَ الوكيل، وقد سمَّيتُهُ (نهاية المأمول).

(١) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٣٥).
(٢) حصل الباحث على نسخة ضوئية من المخطوط. ينظر: الملحق (٣٦).
(٣) الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧.

وقال- مُدَّ ظِلُّـهُ-: الحمدُ لله المتفرِّدِ بالأزليَّة والـدوام، المتوحِّد بالجلال والاكرام، المتفضِّـل... أقول: هذا العِلـمُ يُبحَث فيه عن طُرُق الفقه، وأكثرهـا ألفاظ، فأحتاج إلى البحث عن أحكام اللغات الكليَّة»[1].

طُبع هـذا الكتاب في العتبة الحسـينيَّة المقدَّسـة، في مركز العلَّامـة الحِلي ﵀ لإحياء تراث حوزة الحِلَّة العلميَّة في الحِلَّة[2].

وللكتاب عدَّة نسخ مخطوطة، منها[3]:

- مكتبة مجلس الشـورى، طهران، ورقمها: ٢/ ١١٨٦- طباطبائيّ، وناسـخها رسـتم بن حسين بن عبد الله الإسـترآباديّ، ونُسـخت بتاريخ سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م.
- مكتبة مجلس الشـورى، طهران، ورقمها: ١٥٦٣٤، عليها تملُّك السيِّد محسن ابن عبد الله الحسينيّ، بتاريخ ١٠ شوَّال سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م.
- مكتبة السـيِّد محمَّد عـليّ الروضاتيّ (ت١٤٣٣هـ)، غَـير مُرقَّمة، في أصفهان، وناسخها تاج الدين بن محمود الطريحيّ، بتاريخ ٩ ربيع الأوَّل سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م.

(١) ينظر: ابن الفوطيّ، مجمع الآدب: ٣/ ١٣٤، البغداديّ، إيضاح المكنون: ٢/ ١٣٨، الطهرانيّ: الذريعـة: ١٤/ ٥٤ رقـم١٧١٣، و٢٤/ ٤٠٦ رقـم ٢١٥٠، مصطفـى درايتي، فهـرس فنخا: ٣٣/ ٩٢٢.

(٢) تحقيق وتعليق: الشـيخ حميد رمح الحِلِّيّ، وراجعه وضبطه المركز، في سنه ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ. عـدد صحائف الكتاب ٤٠٣ صحيفة، إذ ضمَّ اثنا عشر فصلًا، وهي: (اللغات، في الأحكام، في الأوامر والنواهي، في العامِّ والخاصِّ، في المجمل والمبَّين، في الأفعال، في النسـخ، في الإجماع، في الأخبار، في القياس، في الترجيح، في الاجتهاد)، وهو كتاب ذو تحقيقٍ رائع.

(٣) مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٣٣/ ٩٢٢.

- المكتبة المركزيَّة لجامعة أصفهان، ورقمها: ضمن مجموعة كتب (١٠٩٥)، وناسخها الشيخ محمود تاج الدين، ونُسخت بتاريخ التاسع من شهر ربيع المبارك ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م[١].

ثانيًا: المخطوطات المفقودة

وهي التي تمَّ الإشارة إليها في المصادر التاريخيَّة، أو كتب التراجم أو كتب الفهارس.

١. تعليقة على بحث الحيض من الشرائع أو المختصر النافع للمحقِّق الحِلِّيّ:

قال الأفنديّ: «ورأيت في مجموعة بخطِّ فضلاء جبل عامل ببلدة أردبيل، بخطِّ الشيخ محمَّد بن عليّ بن الحسن الجباعيّ، تعليقات من هذا الشيخ على بحث الحيض من الشرائع أو المختصر النافع للمحقِّق، وفي آخره هكذا: أملاها فخر الدين محمَّد ابن المطهَّر في عاشر رمضان من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة في مدينة الحِلَّة»[٢].

٢. الخلاصة في أصول الدين والعقائد:

قال الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ: «الخلاصة في أصول الدين والعقائد، لفخر المحقِّقين ابن العلَّامة الحِلِّيّ محمَّد بن الحسن... ذكَرَ السيِّدُ شهاب الدين نزيل قم أنَّ عنده نسخة منه بخطِّ محمَّد بن عزِّ الدين بن نجم الدين الجرجانيّ، فرغ من كتابتها سنة ٨٩٢هـ»[٣].

(١) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر: الملحق (٣٧).
(٢) رياض العلماء: ٥/ ٤٦.
(٣) الطهرانيّ، الذريعة: ٧/ ٢٠٩ رقم ١٠٢٥.

٣. رسالة مختصرة في تفسير قول الأصحاب في باب الزكاة:

«إن شرط الزمان فيها إمكان الأداء والاسلام»، ألَّفها لولده يحيى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ثامن شهر المحرَّم[١].

٤. رساله اللمعة:

وصرح الأفنديّ بقوله: «ونسب إليه أيضًا الرسالة الفخريَّة، ورسالة اللمعة، والظاهر أنَّ الرسالة الفخريَّة هي بعينها رسالة واجب الاعتقاد الكبير، ورسالة اللمعة هي بعينها رسالة اللمعة في النيَّة المذكورة في المتن بالفخريَّة، ويحتمل المغايرة»[٢]، وهي ضمن المخطوطات المفقودة.

رساله كتبها إلى الوزير رشيد الدين فضل الله: في معنى الجزء الذي لا يتجزَّأ، فكتب له رسالة في ذلك، فإنَّه سأله هل الحقُّ هو قول الحكماء المنكرين للجزء الذي لا يتجزَّأ، أو قول المتكلِّمين... وغيرهما من القائلين بكون الجسم مركَّبًا من الأجزاء التي لا تتجزَّأ؟ فاختار المؤلِّف أخيرًا قول المتكلِّمين[٣].

٥. شرح الفصول النصيريَّة.

وهذا الشرح كلاميّ، قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهرانيُّ: «شرحُ الفصول، لفخر المحقِّقين ابن العلَّامة الحِلِّيّ أبي طالب محمَّد بن الحسن بن يوسف المتوفَّى سنة ٧٧١هـ، ذَكَرَه في(التكملة)، واسمُه(معراج اليقين)»[٤].وذكرة أيضًا بقوله: «أنَّ (معراج اليقين) هو نفسُهُ (شرح الفصول) لفخر المحقِّقين، ويبدو أنَّه مِن زلَّة القَلَم، وغَلَبَة الوَهم؛ لأنَّ

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٣٧٢.
(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٧٨.
(٣) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٥/ ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه: ١٣/ ٣٨٥ رقم ١٤٤٢.

المرادَ بالفصول هو (الفصول النصيريَّة)، للخواجة نصير الدين الطوسيّ، بينما (معراج اليقين) هو شرحٌ لكتاب (نهج المسترشدين) لوالده العلَّامة، والسيِّد الصدر ذكر أنَّ لفخر المحقِّقين شرحًا على فصول المحقِّق نصير الدين الطوسيّ فقط، كما لم يذكُر أحدٌ إلى الآن وجودًا لهذا الشرح»[١]، وذكره أيضًا السيِّدُ حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ)، بقولِه: «له شرحٌ على فصول المحقِّق نصير الدين الطوسيّ»[٢].

٦. الكافية الوافية (في الكلام)[٣]:

وهذه الرسالة في بيان الواجب معرفته من عقائد الشيعة الاثنا عشريَّة، وذكرها الخوانساريّ[٤]، وأيضا ذكرها السيِّدُ حسن الصدر رسالةً لفخر المحقِّقين، بقوله: «عندي له رسالة في أصول الدين، قالَ فيها: .. إنِّي أمليتُ هذه الرسالة لإرشاد المسترشدين وهداية الطالبين..»[٥]، وهي رسالة (إرشاد المسترشدين) نفسُها، كما هو واضحٌ، ولَم يَذكُر السيِّدُ في جملةِ مصنَّفاتِ الفخر رسالةً بعنوان (الكافية الوافية)، إلَّا أنَّ هذه الرسالة ذُكِرت بالتسمية نفسها عند العلماء[٦]، ولا يوجد إشكال في نسبتها إلى فخر المحقِّقين، ووجدنا رسالة (الكافية في الكلام)، وهي الوحيدة فقط ضمن مجموعة

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ٤/ ٤٦٣.
(٢) تكملة أمل الآمل: ٤/ ٤٦٣.
(٣) ينظر: الحرُّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٢٦١، الكنتوريّ، كشف الحُجُب والأستار: ٤٢٠ رقم ٢٣٠٧، العلياريّ، بهجه الآمال: ٦/ ٣٨٠، الأمين، أعيان الشيعة: ١/ ١٣٦، الطهرانيّ، الذريعة: ١٧/ ٢٥٠، الخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٦/ ٢١٢، فهرس دنا: ٨/ ٤٣٢، وفهرس فنخا: ٢٥/ ٨٢٨.
(٤) روضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٧.
(٥) تكملة أمل الآمل: ٤/ ٤٦٣.
(٦) الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٧٨، الكنتوري، كشف الحُجُب والأستار: ٤٢٠ رقم ٢٣٠٧، الطهرانيّ، الذريعة: ١٧/ ٢٥٠.

برقم ١٩٧١٢(١-٦ق) في مكتبة وزيري يزد، وليس فيها ذِكرٌ لناسخِها، ولا تاريخ نَسخِها[١]، وعند الاطِّلاع على النسخة تبيَّن أنهَّا ناقصة الأوراق في البداية، وفي نهاية الكتاب من المجلَّد الأوَّل، تمَّ التطرُّق إلى عنوان رسالتَين تمَّ نسخهما، الأولى هو (الكافية الوافية)، وتبدأ بعبارة: «عرفت ذلك فلنشرع في المقصود، فنقول الموجودات منحصرة في الواجب والممكن...»، وتنتهي هكذا «فأيُّها المؤمنون تمسَّكوا واعتمدوا عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلَّى الله على سيِّدنا ونبيِّنا وآله وأولاده أجمعين الطيِّبين الطاهرين لله ربِّ العالمين». ولكن عند الاطِّلاع عليها، تبيَّن أنَّ هذه الرسالة هي (إرشاد المسترشدين وهداية الطَّالبين)، ورسالة (الكافية في الكلام) في عِلم الكلام، هي رسالة مستقلَّة، وهي في عِداد الرسائل المفقودة.

٧. المسائل الفخريَّة، ولعلَّها بعينها المسائل المهنَّائيَّة[٢].

٨. منابع أسرار[٣].

٩. نهاية الحال = الحقائق الراهنة في أصول الفقه.

ذَكَرُهُ الشيخُ الطهرانيّ بقولِه: «نهاية الحال في أصول الفقه، لفخر المحقِّقين محمَّد ابن الحسن بن يوسف بن مطهَّر الحِلِّيّ.. ذكَرَ الشيخ محمَّد بن يونس الشويهيّ (كان حيًّا سنة ١٢٣٠هـ) هذا الكتابَ في أوَّل (براهين العقول)، واعتبره مِن الكتب الأصوليَّة الموجودة عندَه»[٤].

(١) ينظر: الطريحيّ، فهرس مكتبة الوزيري (يزد): ٢٢٥، مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٨/ ٤٣٢.
(٢) ينظر: مصطفى درايتي، فهرس دنا: ٩/ ٤٨٨، مصطفى درايتي، فهرس فنخا: ٢٩/ ٢٨٤.
(٣) الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٧٨، دشتي، معارف ومعاريف (دائرة المعارف جامع اسلامي): ٧/ ٧٤٧.
(٤) الطهرانيّ، الذريعة: ٢٤/ ٣٩٩ رقم ٢١٢٥.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوَّلًا: المخطوطات

الآمليّ، حيدر بن عليّ بن حيدر (كان حيًّا قبل ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م).

- المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، مخطوطة في مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم، ايران، بالرقم: ٣٠١.
- متفرِّقة، مخطوط، مخطوط من مقتنيات مكتبة الإمام الحكيم العامَّة في النجف الأشرف، رقمها: ٩٠٣-٢.
- دليل مخطوطات مؤسَّسة كاشف الغطاء العامَّة، قسم الذخائر للمخطوطات، إعداد ونشر: مؤسَّسة كاشف الغطاء العامَّة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٣٤هـ.

العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهَّر (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

- تبصرة المتعلِّمين في أحكام الدين، مخطوط من مقتنيات في مكتبة البرلمان الإيرانيّ السابق، معروضة في معارضها، رقم ٤٩٥٣.
- قواعد الأَحكام، مخطوط من مقتنيات المكتبة الرضويَّة المقدَّسة، رقم (٦١٩٦).
- مبادى الوصول إلى علم الأصول، مخطوط من مقتنيات مكتبة الإمام أمير

المؤمنين العامَّة في النجف الاشرف، تحت الرقم (٢٨٣٢).

- المسائل المهنَّائيَّة، مخطوطة مكتوبة بخطِّ الآمليّ محفوظة ضمن مجموعة في كتابخانة دانشكاة تهران، رقم ١٠٢٢.

فخر المحقِّقين، محمَّد بن الحسن (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).

- مسائل سُئلَ عنها في علم الكلام، مخطوط، مكتبة كليَّة الإلهيَّات في جامعة طهران، تحمل الرقم: ٥/ ١٠٦.

- إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد، مخطوط من مقتنيات مكتبة مؤسَّسة كاشف الغطاء، قسم الذخائر للمخطوطات، النجف الأشرف تحت رقم (٣٧٢٦).

- إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد، مخطوط من مقتنيات مكتبة مؤسَّسة كاشف الغطاء، قسم الذخائر للمخطوطات، النجف الأشرف، تحت رقم (٥٩٧٧).

- إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد، مخطوط من مقتنيات مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامَّة في النجف الأشرف، تحت الرقم (٣٦٩٤).

- حاشية على إرشاد الأذهان، مخطوط من مقتنيات مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامَّة في النجف الأشرف، تحت الرقم (٥٨١).

- اثنا عشر إمام، مخطوط من مقتنيات مكتبة الأستانة الرضويَّة في مشهد المقدَّسة، رقمها: ١٨/ ١٩٤٨٥.

- مسائل متفرِّقة، مخطوط من مقتنيات مكتبة البرلمان الإيرانيّ، رقمها ٩٧٢٢.

الرضي، السيِّد الشريف.

- نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قم، إيران، بالرقم: ٣٥٩.

ابن مظاهر، زين الدين عليّ بن حسن بن أحمد الحِلِّيّ (كان حيًّا ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م).

- المسائل الظاهريَّة، مخطوطة من مقتنيات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ العامَّة بمدينة قم، تحت رقم (٣/ ١٥٥٤٠).

ثانيًا: المصادر

ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، مكتبة أهل البيت، د.ت.

الإدريسيّ (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م).

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الأردبيليّ، أحمد بن محمَّد (ت ٩٩٣ هـ/ ١٥٨٥م).

- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، إشراف: مجتبى العراقي، والحاج شيخ عليّ پناه الإشتهارديّ، والحاج آقا حسين اليزديّ الإصفهانيّ، قم المقدَّسة، د.ت.

الأردبيليّ، محمَّد بن عليّ الغرويّ الحائريّ (ت١١٠١هـ/ ١٦٩٠م).

- جامع الرواة، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ١٤٠٣هـ.ق.

الاصطخريّ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد الفارسيّ (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

- مسالك الممالك، تحقيق: محمَّد جابر عبد العال الحسيني، مطبعه دار العلم، القاهرة، ١٩٦١م.

الخـزَّاز القمِّيّ، أبو القاسـم عليّ بن محمَّد بن عـليّ الخزَّاز القمِّيّ الـرازي (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).

- كفاية الأثر، تحقيق: السـيِّد عبد اللطيف الحسـينيّ الكوهكمريّ الخوئيّ، مطبع الخيام، قم، ١٤٠١هـ.

الداماد، محمَّد باقر بن محمَّد الحسينيّ الإسترآباديّ (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

- الرواشـح السماويَّة، تحقيق: غلام حسين قيصريَّه ها، نعمة الله الجليليّ، ط١، دار الحديث، قم، ١٤٢٢-١٣٨٠ش.

الأصفهانيّ، محمَّد باقر الموحد الأبطحيّ.

- معجـم رواه الحديث وثقاته وأعلام الرواة، ط١، مؤسَّسـة الامام المهدي، قم، ١٤٣٠هـ.

الأفندي، عبد الله الأصفهانيّ (كان حيًّا سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٨م).

- رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ١٩٨٢م.

الآمليّ، حيدر (كان حيًّا قبل ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م).

- أسرار الشريعـة وأطـوار الطريقـة وأنـوار الحقيقـة، تحقيق: محسـن الموسـويّ التبريزيّ، طهران، وزارة الثقافة، ١٣٧٥ش.

- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق: السيِّد محسن الموسويّ التبريزيّ، ط٤، مطبعة الأُسوة، قم، ١٤٢٨هـ.

- جامع الأسرار ومنبع الأنـوار، تحقيق: با تصحيحات و دو مقدمه هنرى كربين وعثمان اسماعيل يحيى وترجمهء فارسي مقدمه ها از سيد جواد طباطبائي، ط٢،

المطبعة: شركت انتشارات علمى و فرهنگى، ١٣٨٦هـ.

- نصُّ النصوص في شرح الفصوص (المقدِّمات)، تحقيق: هنري كوربان وعثمان يحيى، ط٢، طهران، ١٩٨٨م.

ابن أبي جمهور الأحسائيّ (كان حيًّا ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م).

- عوالي اللآلي، تحقيق وتقديم: السيِّد شهاب الدين النجفيّ المرعشيّ، والحاج آقا مجتبى العراقيّ، سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

البحرانيّ، ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (ت ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م).

- قواعد المرام في علم الكلام، تحقيق: أحمد الحسنيّ، منشورات المرعشيّ، قم، ١٤٠٦هـ.

البحرانيّ، يوسف بن إبراهيم بن أحمد (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م).

- كشكول البحرانيّ، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الآداب الشرقيَّة، النجف، د.ت.

- لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الحديث، تحقيق: السيِّد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف، د.ت.

البرسيّ، رضيّ الدين رجب بن محمَّد بن رَبَعِيّ (ت ٨١٣هـ/ ١٤١٠م).

- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٢هـ.

البهائيّ، بهاء الدين محمَّد بن الحسين الحاثي العامليّ (ت ١٠٣٠م/ ١٦٢٠م).

- الحديقة الهلاليَّة، تحقيق: عليّ الموسويّ، مؤسَّسة آل البيت، قم، ١٤١٠هـ.

- توضيح المقاصد، مطبعة الصدر، قم المقدَّسة، ١٤٠٦هـ.

ابن بطُّوطة، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتيّ (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

- رحلة ابن بطُّوطة (تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار الشرق، بيروت، د.ت.

التبريزيّ، عليّ بن موسى بن محمَّد بن شفيع (ت ١٣٣٠/ ١٢٧٧هـ.ق).

- مرآة الكتب، تحقيق: محمَّد عليّ الحائري، الناشر: مكتبة ومطبعة حافظ المرعشيّ، قم، ط١، ١٣٧٦هـ.ش/ ١٤١٨هـ.ق.

التونيّ، المولى عبد الله بن محمَّد البشرويّ (١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م).

- الوافية في أصول الفقه، تحقيق: محمَّد حسين، مطبعة مؤسَّسة إسماعليان، قم، ١٤١٢هـ).

التستريّ، عبد الله الموسويّ.

- الإجازة الكبيرة، تحقيق: أحمد السحاميّ الحائريّ، مطبعة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم، ١٩٨٨م.

التستريّ، نور الله.

- أحقاق الحقِّ وأزهاق الباطل، تحقيق: شهاب الدين النجفيّ، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم، د.ت.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة، د.ت.

التفريشيّ، مصطفى بن الحسين الحسينيّ (ت١١هـ/ ١٧م).

- نقد الرجال، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم، ١٤١٨هـ.

ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).

- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٣٦م).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمَّد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق ومراقبة: محمَّد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، بلا.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٥٩٥م).

- أمل الآمل، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ، دار الكتاب الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٣٦٢ش.

- تفضيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: رضا الحسينيّ الهلاليّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.

ابن حزم الأندلسي، عليّ (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

- الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الحِلِّيّ، صفيّ الدين الحِلِّيّ (ت ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م).

- ديوان صفيّ الدين الحِلِّيّ، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

العلَّامة الحِلِّيّ، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر الأسديّ (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

- أجوبة المسائل الهنائيَّة، الخيام، قم، ١٤٠١هـ.

نقباء آل طباطبائي الحِلِّيِّين وأثرهم العلميّ في العصر المغوليّ الأيلخانيّ (٦٥٦-٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٧م)

د. رنا رسمي هاشم

Nuqabaa Al-Tabatabai Family and their Scientific Influence in the Mongol Ilkhanid Era (656-738 AH/1258-1337 AD)

Dr. Rana Rasmi Hashem

ملخَّص البحث

تميَّزت مدينة الحِلَّة بظهور العديد من الأسر التي تركت بصماتها الواضحة في تاريخ العراق، منها أُسرة آل طباطبائيّ العلويَّة، وسمُّوا بذلك حينما خيَّر أحد أجدادهم، وهو إسماعيل الديباج ابنه إبراهيم الشهيد بأن يشتري له ثوبًا أو قِباءً، فقال: طبا طبا بدلًا من قبا قبا؛ لوجود لثغة بلسانه، فاشتُهر إبراهيم بهذه التسمية، ولُقِّبَ بها أفراد الأسرة من بعده. وكان لرجال تلك الأسرة مكانة اجتماعيَّة وعلميَّة مرموقة تؤهلِّهم لاستلام مناصب إداريَّة، ولاسيما في العهد المغوليّ الأيلخانيّ للعراق (٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٧م).

Abstract

The city of Hilla was distinguished by the emergence of many families that left clear traces in the history of Iraq, including the Tabatabai family. They were given this name when Ismail gave his son Ibrahim the choice to buy him a dress or a cloak, so he said Tabatabai instead of clogs because of a lisp in his tongue. They became famous for this name.

The men of that family had a distinguished social and academic standing that qualified them to hold administrative positions, especially during the Mongol Ilkhanid era in Iraq (656-738 AH/1258-1337 AD).

المقدِّمة

النقابة إحدى مؤسَّسات الخلافة العبَّاسيَّة التي شملت الفرعَين الرئيسَين (العبَّاسيّ والطالبيّ)، فهي: «موضُوعة على صيانة ذوي الْأَنسابِ الشريفة عن ولَاية من لَا يكافئهم في النسبِ، ولَا يُساويهم في الشرف؛ ليكون عليهم أَحبى، وأَمره فيهم أَمضى»[1]، ثمَّ انفصلت نقابة الطالبيِّين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ، الأمر الذي جعل هذه المؤسَّسة ومَن تمثِّلهم محطَّ أنظار الخلفاء، ومن بعدهم السلاطين الأيلخانيِّين المتعاقبين على العرش، بدءًا من الأيلخان هولاكو (٦٥٤-٦٦٣هـ/ ١٢٥٦-١٢٦٤م)، حتَّى نهاية حكم الأيلخانيِّين في العراق (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، فلم تكن مهامها تشتمل الحفاظ على النسب العلويّ من الدخلاء، ورعاية آل أبي طالب فحسب، بل اضطلعت النقابة بمهمَّة حيويَّة؛ لما تتمتَّع به من سلطانٍ روحيٍّ على كلِّ الطالبيِّين في أرجاء المعمورة، بتحقيق الكثير من المكاسب لجميع أبناء المجتمع الذين نهلوا من فيض إنجازاتهم، فكان لهم مواهبهم وكفاءتهم في تقديم خدمات جليلة في مناحي الحياة الاجتماعيَّة والعلميَّة والدينيَّة والسياسيَّة والإداريَّة، لذا تولَّى عدد من الأسر الحِلِّيَّة هذا المنصب، ومنها أسرة آل طباطبائيّ.

(١) الماورديّ، الأحكام السلطانيَّة، ص٩٦.

آل طباطبائيّ

وهم أسرة حِلِّيَّة يرجع نسبهم إلى الفرع العلويّ الحسنيّ، إذ ينتهي إلى القاسم الرسِّيّ إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغَمر بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكانت أمُّ إبراهيم الغَمر، وهي فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام مدفونة في الكوفة، لذا فهي أَسرة حسنيَّة من طرف الأب، وحسينيَّة من طرف الأم[١]، أمَّا لقب طباطبا، فقد جاء عندما خيَّر إسماعيل الديباج ابنه إبراهيم الشهيد بأن يشتري له ثوبًا أو قِباءً، فقال: طبا طبا بدلًا من قبا قبا؛ لوجود لثغة بلسانه[٢]، فاشتهروا بهذه التسمية، ومن أبرز من تولَّى منصب النقابة، منهم:

* **تاج الدين علي بن شمس الدين علي بن الحسن بن رمضان بن علي بن عبد الله المعروف ابن الطُقطُقا**[٣] **(ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) أو طباطبائيّ**: وعرف هذا البيت ببيت رمضان؛ نسبةً إلى جدِّه رمضان[٤]، فكانت له مكانه مرموقة لدى السلطة الأيلخانية، إذ تولَّى نقابة الحِلَّة سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م، في عهد السلطان أباقا[٥]

(١) أبو نصر البخاريّ، سرُّ السلسلة العلويَّة، ص١٥، الرازي، الشجرة المباركة، ص٢٣-٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦، مجهول، بحر الأنساب، ص٢٣.
(٣) عُرف بالبيت الطقطقا نسبةً إلى أمِّ حسن بن رمضان، واسمها أميرة بنت الطقطقا، عاميَّة. ينظر: ابن الطقطقا، الأصيليّ، ص١١٨.
(٤) الواسطيّ، بحر الأنساب، ج٢، ص١٠٥.
(٥) هو أباقا أو أبغا بن هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان، ولِد في منغوليا سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٢م، قاد حروب مع هولاكو في الحملات على المشرق، وعندما توفِّي والده، تولى حكم الدولة الأيلخانيَّة ٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م، وانماز برأي وحزم وخبرة في الحرب، فأصبحت=

(٦٦٣-٦٨١هـ/ ١٢٦٤-١٢٨١م)، فضلًا عن التصدِّي للأعمال الحلِّية، وساعدته بعض الظروف في الحصول على الأموال والعقار والضياع ما لا يحصى، إذ زرع في أراضي تابعة إلى أملاك الديوان، وأخذ يجمع المحصول في بيته، وبعدها باعه، وأعطى أمواله إلى الديوان، وقد بقي عنده جزء من تلك الغلات[١]، وبذلك ازداد نفوذه وقوَّته في الحلَّة إثرَ هذا الاحتكار، وأصبح يمتلك ثروة كبيرة، فطمح في الحصول على منصب صاحب الديوان، فأرسل كتابًا إلى السلطان أباقا خان سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، عند زيارته لبغداد[٢]، وطلب منه أن يعيِّنه صاحب الديوان بدلًا من عطا الملك الجوينيّ[٣] (٦٥٧-٦٨١هـ/ ١٢٥٩-١٢٨٣م)، ووعده بأموال وهدايا نفيسة، إلاَّ أنَّ الكتاب وقع بيد الوزير شمس الدين الجوينيّ[٤]، وهو أخو عطا ملك الجويني، فقام شمس الدين

=مملكته متَّسعة، وعساكره جمَّة، وأمواله غزيرة. ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٠٠، الغيَّاثيّ، التاريخ الغيَّاثيّ، ص٤٤-٤٥.

(١) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة، ص٢٥٨، ص٢٦٧.

(٢) في هذه الفترة أصاب الناس القحط، فأخذ يغالي بالأسعار، حتَّى قال الناس: غلاء ابن الطقطقا، وقام بتنقيب بعض حيطان الدار مقدار ما يخرج منه الغلَّة، فنزل ذات ليلة في حسابه، فإذا هو قد باع أضعاف ما ادَّخر، فأمر بكشف شقوقها، فوجد الغلات قائمة الحبِّ ينتثر منها، فعالج في تغطيتها فلم يقدر، ونفدت بعد بيع قليل. ينظر: ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٨١.

(٣) هو عطا ملك بن محمَّد بن محمَّد، أخو شمس الدين صاحب ديوان المماليك في دولة المغوليَّة، فكان لهذه الأسرة مكانتهم العلميَّة والأدبيَّة والسياسيَّة، فهو موضع ثقة الحكَّام والملوك الذين عملوا معهم منذ أيَّام السلجوقيِّين، ثمَّ في عهد الخوارزميِّين، فالمغول، ، وقد أصبح من أبرز صنَّاع الكتابة والتحرير في الديوان الأمير أرغوان، وبعدها تولَّى منصب صاحب الديوان، وبقي حتَّى عُزِل سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، واشتهر الجوينيّ بتأليف كتاب تاريخ جهانكشاى. ينظر: الجوينيّ، جهانكشاى، ص١٤ (مقدِّمة المحقِّق)، الصقاعيّ، تالي وفيات الأعيان، ص١١٢-١١٣، خواندمير، دستور الوزراء، ص٣٣٨.

(٤) هو شمس الدين الجوينيّ صاحب ديوان الممالك، قُتل في عهد السلطان أرغون عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، ونُقِل إلى تبريز حيث دُفِن إلى جانب أخيه علاء الدين. ينظر: الكتبي، فوات=

بإرسال رُسُله إلى أخيه، قال له فيها[١]:

كَـمْ لِي أنـه مِـنـك مُـقـلَـة نـائـمٌ
يُـبـدْي سُـبـاتًـا كُـلـمَّا نَـبَّـهْـتُـه
فـكـأنَّـك الـطـفـلُ الـصـغـيُر بـمِـهْـدِه
يـزدادُ نـومًـا كُـلـمَّا حَـرَّكْـتُـه

وفي داخلها كتاب ابن الطُقطُقا، فعندما علم بذلك، قرَّر قتله، فبعث له جماعة ليقتلوه ليلًا، ففتكوا به بظاهر سور بغداد، وهربوا إلى مكان أعدَّه لهم صاحب الديوان، لكنَّه في الوقت نفسه توجَّه إلى مكانهم، وقبض على أولئك الجماعة وأمر بقتلهم[٢]، فأراد بهذا العمل أن يُبعِد نفسه من تهمة قتل النقيب، ويجعل التهمة موجَّهة إلى الناس؛ لما أصابهم من جوع بسبب استغلال النقيب لذها الظرف الصعب؛ للحصول على مكاسب وأموال كثيرة، ثمَّ أُخِذت أملاكه لقاء ما بقي عليه من ضمان أعمال الحِلَّة[٣].

*** جلال الدين محمَّد بن تاج الدين عليّ بن عليّ (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م):** تولى نقابة الحِلَّة والمشاهد المشرَّفة (النجف وكربلاء)، بعد قَتْل أبيه سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م[٤].

*** صفيّ الدين محمَّد بن تاج الدين عليّ بن عليّ (حيًّا ٧١٢هـ/ ١٣١٣م):** ولِد

=الوفيات، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٣، الغياثيّ، التاريخ الغياثيّ، ص٤٤-٤٥، ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٢.

(١) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٨١.

(٢) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة، ص٢٦٧، الطهرانيّ، الذريعة إلى تصنيف الشيعة، ج١٦، ص ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٧، كمُّونة، موارد الإتحاف، ج١، ص١٩٣.

(٤) ابن الطقطقا، الأصيليّ، ص١١٩.

في الحِلَّة سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٦م[١]، وقد تتلمذ على يد علماء عصره، وروى عنهم في مصنَّفاته، وأبرزهم عليّ بن عيسى الإِربِلِّيّ[٢]، وأصيل الدين الطوسيّ[٣]، والنقيب غياث الدين عبد الكريم بن طاووس، وتاج الدين عليّ بن محمَّد[٤]، وشمس الدين محمَّد بن عبد الحميد، وقُلِّد نقيبًا على الحِلَّة والنجف وكربلاء[٥]، وسافر إلى مناطق عدَّة، إذ سافر إلى مراغة[٦] سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م؛ لزيارة السلطان محمود غازان،

(١) ابن الطقطقا يذكر أنَّه رأى السيِّد شمس الدين فخار بن معد الموسويّ (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣١م)، فيقول: «شمس الدين فخار بن معد.. رأيته وقد طعن في السنِّ بالحِلَّة وبغداد..». ينظر: الأصيليّ، ص١٨٥. بينما نجد المؤرِّخين يشيرون إلى أنَّه توفِّي حدود سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج١، ص٣٤٣، سركيس، معجم المطبوعات العربيَّة، ج١، ص١٤٦، الجلاليّ، فهرس التراث، ج١، ص٦٩٦، الزركليّ، الأعلام، ج٦، ص٢٨٣.

(٢) هو الشيخ بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن عيسى فخر الدين أبي الفتح الأربلِّيّ (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، ويعرف أيضًا بابن الفخر الأربلِّيّ، عالم جليل ذو فضائل ومحاسن، محدِّثًا ثقةً، يروي عن السيِّد جلال الدين عبد الحميد بن فخار والسيِّد رضي الدين عليّ بن طاووس، ومن أشهر مؤلَّفاته كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة. ينظر: الأفندي، رياض العلماء، ج٤، ص١٦٦، الخوانساريّ، روضات الجنَّات، ج٤، ص٣٢٨-٣٣١، مدرس، ريحانة الأدب، ج١، ص١٠١-١٠٢.

(٣) هو الحسن بن نصر الدين محمَّد بن محمَّد الطوسيّ، تولَّى ناظر الأوقاف، ومنجِّمًا عند ملوك التتار بعد والده، وله جامكية كبيرة. ينظر: الصفديّ، أعيان العصر، ج١، ص٥٤١.

(٤) هو تاج الدين عليّ بن محمَّد بن عبد الحميد (حيًّا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، أحد وجهاء الطالبيِّين في الكوفة، كان في صباه يتولَّى ما أحدثه عطاء الملك الجوينيّ من العمارات والأربطة، وشقِّ القنى في الكوفة والمشهد الغرويّ، ثمَّ عيِّن نقيبًا عليه. ينظر: ابن الطقطقا، الأصيلي، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٥) الزركليّ، الأعلام، ج٦، ص٢٨٣، الجلاليّ، فهرس التراث، ج١، ص٦٩٦.

(٦) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، كانت المراغة تدعى أفراز هروذ، فعسكر مروان بن محمَّد بن مروان بن الحكم، وهو والي أرمينية وأذربيجان منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها، وكان فيها سرجين كثير، فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرَّغ فيها، فجعلوا يقولون: ابنوا قرية المراغة، فحذف الناس القرية، وقالوا مراغة، ينظر:=

ولـمَّـا رجـع النقيـب إلى بغداد، عـاد معه السـلطان[١]، وفي سـنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م قـرَّر التوجُّـه إلى تبريـز[٢]، التـي كانت عاصمـة الدولـة الأيلخانيَّة، وقـد تكون دعوة مـن السـلطان محمود غـازان لزيارته، أو مـن أصيل الديـن الطوسيّ، وربَّـما هو توجَّه إليهـما لزيارتهما، للعلاقـة المتينة التي تربطه بهـما، ثمَّ خرج إلى مدينة شـيراز، ونزل عند حاكمهـا عزّ الدين عبد العزيز الطيبيّ[٣]، ولم تُبَيِّنِ المصادر سـبب تلك الزيارات، لكنَّها تـدلُّ عـلى المكانة والنفـوذ التي وصل إليهـا النقباء في عهـد المغـوليّ، وأصبحوا حكَّام البلاد.

أمَّا سـنة وفاته، فالمعروف والمتداوَل بين المؤرِّخين أنَّه توفِّي سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، إلَّا أنَّ هنـاك مـا ينفي هذا، إذ ظهرت لـه كتب قد ألفِّت بعد هذه السـنة، ومنها كتاب: (المختصر في أخبار مشـاهير الطالبيَّة) الذي صنَّفه سـنة ٧١٢هـ/ ١٣١٣م، وهذا أوَّل دليل[٤].

والدليـل الثاني أنَّ المؤرِّخين الذين حدَّدوا سـنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م تاريخًا لوفاته، لم يكونـوا مـن المتأخِّرين، بل هم معاصرون، واعتمدوا على الأب شـيخو في كتابه (مجاني الأدب)، ومنهـم سركيس، الذي قال: «نقلنـا تاريخ وفاة ابن الطُقطُقا عن مجاني الأدب لـلأب لويس شـيخو، لكـن الأب شـيخو لم يذكر مصدر مـن روايته، وقد شـكَّ فيها بعـض الأفاضل من علـماء المشرقيَّات»[٥]، والدليـل الثالث أنَّ ابـن الفوطيّ، المعاصر

=ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٥، ص٩٣.

(١) ابن الطقطقا، الأصيليّ، ص٣٤٣.

(٢) تبريز: من أشهر مدن أذربيجان، ذات أسوار محكمة، تحيط بها البساتين، وتجري فيها عدَّة أنهار. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

(٣) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٤) ابن الطقطقا، المختصر في أخبار مشاهير الطالبيَّة، ص٤٩٢.

(٥) معجم المطبوعات العربيَّة، ج١، ص١٤٦.

لـه، لم يذكر وفاته في كتابـه (مجمع الآداب)، حينما ذكره في مواطـن من كتابه عند ترجمة الشخصيَّات.

الأثر العلميّ لنقباء آل الطباطبائي الحِلِّيِّين

كان لنقبـاء آل طباطبائـيّ أثـرٌ واضـحٌ ومهـمٌّ في رفـد وتطوير الجانـب العلميّ؛ لِـمَا يتمتَّعـون به مـن إمكانيَّـة ثقافيَّة وعلميَّـة وأدبيَّة، فضـلًا عن بيوتهم التـي تعدُّ من مراكـز العلـم والثقافة، فقد جعل صفـيّ الدين بن الطقطقا داره مجمعًـا للعلماء، الذين أخـذوا عنـه علومًا ومعـارف شـتَّى، كالتاريخ والنسـب، ومنهم ابن الفوطـيّ، وكان يحـضر داره، ويأخـذ منـه العلـوم، ويطلعه عـلى كتب النسَّـابة التي كانـت في حوزته، فأطلعـه على كتاب عَلَـمَ الدين عليّ بن عبـد الحميد بن فخار، فقـرأه[1]، وعند تواجده في دار النقيـب، التقـى بعـدد مـن العلماء الذيـن يـتردَّدون إلى مجلس النقيـب، ومنهم عزّ الدين الحسـن الجـسراويّ[2]، والمقـرئ عزّ الدين الحسـين الحِلِّـيّ[3]، الذي حضر دار النقيـب سـنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م[4]، وزار عـزّ الديـن عبـد العزيز القـوَّاس[5] دار

(١) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٢) هـو أبو جعفر الحسـن بن أحمد بن أبي منصور الجسراويّ، الأديـب. من فضلاء العصر، وأدباء العـراق، له معرفـة تامَّة بالنحـو والتصريف، وله فيهـا تعليق وتصنيف، وهـو جميل المعاشرة، حسن، ممتع المحاضرة. ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص١١٥.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمَّد بن حابس الحِلِّيّ، المقري، وهو سبط سديد الدين عبد الواحد الشفاتي، وله اخلاق حميدة. ينظر: ابن الفوطيّ، تلخيص مجمع الآداب، ج٤، ق١، ص١٢٩.

(٤) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص١٦٧-١٦٨.

(٥) هو أبو الفضل عبد العزيز بن جمعة بن زيد بن عزيز القوَّاس الموصلِّيّ، قدِم بغداد واستوطنها، وكان يعمـل صنعة القسيّ، ثمَّ درس على شـيوخ عصره، ولـمَّا قدِم نصـير الدين الطوسيّ بغداد، لازمه وبقي معه إلى أنْ توفِّي، وقد عُيِّن عميد الطائفة المالكيَّة بالمسـتنصريَّة، وشرح كتاب الدرَّة، الألفيَّـة وكتاب الأنمـوذج. ينظر: ابن الفوطيّ، تلخيص مجمـع الآداب، ج٤، ق١، ص٢١٠-٢١١، السيوطيّ، بغية الوعاة، ج٢، ص٩٩.

النقيب[١]، وتتردَّد إلى بيت النقيب عزّ الدين يونس[٢] النيليّ[٣]، ويمكن القول في ضوء ما ذكره ابن الفوطيّ إنَّه كثير التردُّد إلى دار النقيب ابن الطُقطُقا؛ للاستفادة من علومه، ومن العلماء الذين يحضرون درسه، فضلًا عن إبداعهم ببعض العلوم، ومنها:

الأدب

كان النقباء الطالبيُّون بارعين ومبدعين بالشعر والأدب، وتتَّضح إمكاناتهم الأدبيَّة في أشعارهم التي انمازت بحسن الألفاظ ودقَّة المعاني، فقد كان النقيب صفي الدين بن الطقطقا من الشعراء والأدباء الماهرين في فنونها، إذ أنشد قصائد في مواقف كثيرة، منها: أبيات قالها من باب الطرف مع عفيف الدين محمَّد الغطاوي[٤] الحلي[٥].

ألا ما أقلَّ وفاء العفيف
وأكرهَ هجرانَه والصُّدودا!
لقدْ كان في الودِّ خلًّا وَدُودًا
فصارَ وحاشاهُ خَلًّا وَدُودا

(١) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٢٢٨.
(٢) هو أبو الفضل يونس بن يحيى بن عبدالله النيليّ، الخطيب، كان شيخا عالماً حسن الأخلاق، وقد استوطن بغداد، وسكن بمسجد المجاور لدار القرآن بالمستنصرية، وتوفِّي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م. ينظر: ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٣٧٣-٣٧٤.
(٣) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٣٧٣-٣٧٤.
(٤) هو أبو المعالي محمَّد بن حسَّان، النديم الصوفيّ من أعيان الحِلَّة، كان موضع احترام وتقدير من لدن الأعيان والأمراء والأكابر، وكان حيًّا سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م. ينظر: ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٤٦٩.
(٥) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص٤٦٩، كمُّونه، موارد الإتحاف، ج١، ص١٩٤.

وكـــنَّـــا نَـــــرى أنْ لَـقـيـانَـه
قـــريـــبٌ فَـــصِرنـــا نـــــراهُ بـعـيـدا
وأصـــبـــحَ حَـــبـــلُ مَـــوَدَاتـــه
ضـعـيـفًـا وكـــان شـــديـــدًا وكـيـدا

ونجـد ابـن الطقطقا قد ذكـر تلك الأبيات بعـد اعتزال عفيف الديـن عن الناس وتصـوَّف، إذ كان يجالس الأعيـان والأمراء والأكابر، فقَّرر الزهـد والتعُّبد وترك تلك المجالـس[1]، ورثـا النقيب ابـن الطقطقا النحـويّ عز الديـن عبد العزيز بـن القوَّاس قائلا[2]:

لـــمَّا قَـــضَى عـبـدُ الـعـزيـز وقـد قَـضى
حـــــــقُ الـــــبَـــــيَـــــان
وشَـــهـــدَتُ يـــومَ وفـــاتـــهِ فَـنَـظـرتُ
كـــــيـــــفَ الـــــطَـــــود
ورأيـــــتُ حـــامـــلَ نَـعْـشِـه لـلـمجدِ
والـــــعـــــلـــــيـــــاءِ حـــا

إذ كانـت تربطـه علاقة وطيدة معـه، ويـتردَّد إلى دار النقيب، وذكر ابـن الفوطيّ أنَّ عـز الديـن كان يتنقل مِـن مذهب إلى آخر، فعنـد وصول نصير الديـن الطوسيّ إلى بغـداد، تقرَّب منه عزّ الدين وبقي يلازمه حتَّـى وفاته، لكن بعد وفاته انتقل إلى مذهب المالكيَّة، وُعيِّن معيدًا لهذا المذهب بالمستنصريَّة[3]، ونعتقد أنَّ عزّ الدين كان على المذهب المالكيّ قبل أن يسـتقرَّ في بغداد، وهذا لا يمنع الاستفادة من علماء عصره، حتَّى لو كان

(١) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج١، ص ٢٢٨-٢٢٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

من مذهب آخر، لذلك ظنَّ ابن الفوطي أنَّه انتقل إلى المذهب المالكيّ، ولاسيما أنَّ المغول كانوا يمنحون الحريَّة في المعتقدات الدينيَّة، وهي الحريَّة التي مُنِحت للمذهب الإماميّ الاثني عشري أيضًا، فهي لا تجبر أحدًا على الانتقال إلى مذهب آخر للتقرُّب من السلطة، ونلاحظ أنَّ محسن الأمين ذكر هذه الشخصيَّة، بقوله: «من السادات الفضلاء والزَّهاد العلماء، روى لنا عنه ولده شيخنا نصير الدين أبو جعفر محمَّد بن عزِّ الدين»[١]، ويبدو أنَّه تَوهَّم به، وإنَّما ما ذكره هو لعزِّ الدين الحسن بن عليّ بن محمَّد بن الأبرز العلويّ الحِلِّيّ، الفقيه الزَّاهد[٢].

الأنساب

اهتمَّ نقباء هذه الأسرة بعلم الأنساب، حيث صنَّف نقيب النقباء تاج الدين عليّ ابن الطقطقا (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) مشجَّرًا في النسب[٣]، وكان ابنه النقيب صفيّ الدين ابن الطقطقا (حيًّا ٧١٢هـ/ ١٣١٣م) أكثر اهتمامًا وتصنيفًا، فألَّف كتابًا سمَّاه (الأصيليّ أنساب الطالبيِّين)؛ نسبةً إلى أصيل الدين الحسن الطوسيّ (ت٧١٥هـ/ ١٣١٥م) الذي زار بغداد بصحبة السلطان محمود غازان، وطلب منه تأليف كتابٍ في النسب العلويّ، حتَّى يقف على بيوت العلويِّين، وحضر مجلسه واستفاد من علومه، وقد أشار ابن الطقطقا إلى ذلك قائلًا: «ورأيت المولى الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظَّم، ملك أفاضل الحكماء.. أبو محمَّد الحسن ابن مولانا الإمام الأعظم، إمام العلماء وقدوة الفضلاء.. فقال لي في أثناء المفاوضة: أريد أنْ تضع لي كتابًا في النسب العلويّ، يشتمل على أنساب بني عليّ؛ لأقف منه على بيوت العلويِّين، فأجبته بالسمع والطاعة»[٤]، وبدأ

(١) أعيان الشيعة، ج٨، ص٢٧.
(٢) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص١٣٣.
(٣) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٨٠، ابن كمُّونه، منيه الراغبين، ص٣٤٢.
(٤) الأصيليّ، ص٤٨-٥١.

بتأليفه زهاء ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، وقد أشار إليه في أعقاب موسى الجون[١]، ولكن ثمَّة دوافع لطلب أصيل الدين الطوسيّ تأليف كتاب في الأنساب، على الرغم من وجود كتب في الأنساب، فربَّما أراد أن يُظهر النسب العلويّ، ويتعرَّف إلى تلك البيوت التي ظهرت في عهده، والتأكُّد من نسبهم، هذه من جهة، أو أراد أصيل الدين الطوسيّ أن يحدِّد لهم مخصَّصات ماليَّة؛ لأنهَّ كان مسؤولًا عن الأوقاف، ونجد ابن الطقطقا قد أخذ بالتأكد من أنساب الطالبيِّين، ويتحقَّق من صحَّتها، وهذا ما حدث حينما بَيَّن نسب عبد القادر الكيلاني[٢]، وقال: لم يثبت بأنَّهم ينتمون إلى بني الحسن، فقال: «وإلى هذا التاريخ، وهو شهر رمضان المبارك سنة ثمانٍ وستمائة، لم تقم البيِّنة الشرعيَّة بصحَّته، فلذلك لم يُلحق»[٣].

ويقف عند القضايا التي تثير الشكَّ، ومنها قبر عبد الله الباهر[٤]، الذي زعم بعض الناس أنَّه دُفِن في بغداد، فكذَّب ذلك، وقال: إنَّ عبد الله الباهر مات بالمدينة ودُفِن فيها، فقال: «ظهر ببغداد في سنة خمس وسبعين وستمائة بتلِّ الزبيبة.. قبر زعم جماعة أنَّه قبر عبد الله الباهر هذا، وبنوا عليه الأبنية الجليلة، ووضعوا عليه ضريحًا مفضَّضًا، وعلَّقوا فيه قناديل من الصِّفر.. وليس بصحيح ما زعموه، فإنَّ عبد الله الباهر مات بالمدينة

(١) الأصيليّ، ص٩٦.

(٢) هو عبد القادر بن محمَّد بن جنكي دوست ابن عبد الله. ولم يدع الشيخ عبد القادر هذا النسب ولا أحد من أولاده، وإنَّما ابتدأ بها ولد ولده القاضي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد القادر، ولم يقم عليها بيِّنة ولا عرفها له أحد. ينظر: ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٣٠.

(٣) الأصيليّ، ص ٩٦.

(٤) عبد الله الباهر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو شقيق الإمام الباقر عليه السلام لأمِّه وأبيه، لقِّب بالباهر؛ لجماله وحسنه، كان من العلماء وفقهاء أهل البيت عليهم السلام، وروى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبارًا كثيرة، تولَّى عبد الله بالنيابة عن إخوانه، بتوزيع صدقات، وتوفِّي وعمره سبع وخمسون سنة. ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣١١، ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٥٢.

ودُفِـن بها»[١]. نجد النقيب ابن الطقطقا ينقل المعلومة بدقَّة وحرص، فهو يتحدَّث بكلِّ ما يحيط بحياة الشـخص بحريَّة دون خوف، ولعلَّـه أراد التأكُّد والموازنة بين المصنَّفات التي سـبقت كتاب الأصيليّ في الأنساب الطالبيَّة، وعلى سبيل المثال (المجدي في أنساب الطالبيين)[٢]، وكتاب (الشـجرة المباركة في أنساب الطالبيَّة)[٣]، وتلك الكتب ألَّفت في زمن الخلفاء العبَّاسيِّين.

التاريخ

صنَّف ابن الطقطقا كتابه (الفخريّ في الآداب السلطانيَّة)[٤] سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، إلى حاكـم الموصل فخـر الدين عيسـى[٥]، الذي مكث عنـده بصورة مفاجئـة، عندما أراد التوجُّـه إلى تبريز، غـير أنَّ الظروف المناخيَّة دفعته إلى البقـاء في الموصل حتَّى إنهاء كتابـه، وإهداه إليـه، وقد مدحه قائلًا: «غـزارة فضل صاحبها الأعظـم المولى المخدوم

(١) الأصيليّ، ص٢٢٣.

(٢) المجدي في أنسـاب الطالبيِّين: ألَّف هذا الكتاب أبو الحسن عليّ بن أبي الغنائم محمَّد العمريّ، المعروف ابن الصوفيِّ، كان عالـمًا، فاضلًا، جليلًا، ثقة، انته إليه علم النسب في زمانه، وصار قوله حجَّة، سكن البصرة، وألَّف هذا الكتاب للنقيب مجد الدولة أبي الحسن أحمد بن أبي يعلى حمزة، ثمَّ انتقل إلى الموصل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م. ينظر: ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٣٦٨.

(٣) الشـجرة المباركـة في أنسـاب الطالبيَّـة: ألَّفه فخر الدين محمَّد بن عمر بن الحسـن بن الحسـين الـرازي، كان أوحـد زمانـه في المعقـول والمنقـول وعلوم الأوائـل، ولد في الري، ثـمَّ رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسـان، وتوفِّي في هراة سـنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، ومن اثاره: مفاتيح الغيب في تفسـير القرآن الكريم، ومعالم أصول الدين. ينظر: ابن خلِّكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٩، السـبكيّ، طبقات الشـافعيَّة، ج٨، ص٨٢-٩٣، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعيَّة، ج٢، ص٦٥-٦٧.

(٤) ابن الفوطيّ، مجمع الآداب، ج٣، ص١٠٤.

(٥) هو عيسـى بن هبة الله النصرانـيّ، حكم الموصل في عهد السـلطان محمود غـازان، وكان كريمًا سخيًّا، قصده العلماء والأدباء، فأحسن إليهم وأنعم عليهم، وقد قتله نجم الدين غازي بن ارتق صاحب ماردين. ينظر: ابن الفوطيّ، تلخيص مجمع الآداب، مج٤، ق٣، ص٢٧٧.

الملـك المعظَّم، أفضل الملـوك وأعظمهم، وأكرم الحكماء وأحلمهـم، فخر الملَّة والدين، الممنـوح بخصائص لو كانت للدهر لما شـكا صرفه حرّ ولما مسَّ أحـدًا منه ضـرّ..»[1].

وهنا نتسـاءل: هـل كان مدح ابن الطقطقـا مبالغًا فيه من أجل الحصـول على هدف أو منصب معين؟ فنجد ابن الطقطقا نفسـه قد أجاب عن هذا السـؤال حينما قال: «وكأنَّي بـك أيُّها الناظـر في هذا الكتاب، قد اسـتعظمت ما سـمعت، فإن عرض لك الشـكَّ، فانظـر أعيان هذا العصر، تجدهم يناقشـون عـلى الذرَّة..»[2]، وهذا ما شـاهده من كرمٍ وسـخاء. الرأي نفسـه عند ابن الفوطيّ المعاصر للمدَّة التي نحن بصددها، فقد وصفه بالكـرم والسـخاء حتَّـى مدحـه العلماء والأدبـاء، وقد شـمل هذا الكتاب على سـيرة الدول الإسـلاميَّة من وفاة الرسـول محمَّدﷺ حتَّـى زوال الخلافة العبَّاسـيَّة، وتحدَّث عـن سـيرة الوزراء الذين تولـوا المناصب في عهد الدولة العبَّاسـيَّة، وقـد أوضح ذلك قائلًا: «وهذا كتاب تكلَّمتُ فيه على أحوال الدول والملوك، وذكرت فيه ما اسـتظرفت مـن أحوال الملوك الفضلاء، واسـتقريته من سـير الخلفاء والـوزراء»[3]، كما ذكر أهميَّة العلـم والصفات التي يجب أن يتحلَّى فيها من يتولَّى السـلطة قبـل أن يتكلَّم عن الدول الإسلاميَّة[4].

وإنَّ أهـم مـا في هـذا الكتاب المـدَّة التي نحـن بصددهـا، إذ ذكر دخـول المغول ومـا أصـاب بغداد من دمـار وخراب، وبيان سـبب دخولهم إلى العـراق، وذلك يعود لضعف المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م)، واهتمامه بالملذَّات حتى في آخـر لحظة عند محاصرة المغول بغداد، وليس خيانة ابن العلقميّ، فقد كان ابن العلقميّ

(١) الفخريّ في الآداب السلطانيَّة، ص١٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٥، ١٠.

يطلعه ويحذرِّه وينبِّهه على أخذ الاحتياط، والاستعداد لمواجهة العدو، لكن ذلك لم يُجدِ نفعًا تجاه المستعصم بالله[١].

يَتَبيَّن لنا ممَّا ذُكِر آنفًا في كتاب ابن الطقطقا حريَّة تأليف الكتاب، في العصر العبَّاسيّ مع الضعف والتفكُّك الذي أصاب الدولة.

وكان لابن الطقطقا كتاب يجمع بين التاريخ والتراجم والأنساب، وهو كتاب: (المختصر في أخبار مشاهير الطالبية والائمة الاثنى عشر)، الذي ألَّفه برغبة من السيِّد محمَّد بن علاء الدين محمَّد، الذي تولَّى النقابة في أصفهان حينما قال له: «هل صنف أحد كتابا مشتملًا على ذكر السادات المشاهير الذين كانوا مرشحين للإمامة كالنفس الزكيَّة واضرابه؟ فلو صنَّف في ذلك كتاب لكان حسنًا»[٢]، فأسرع ابن الطقطقا بتأليف هذا الكتاب في أسبوع[٣]، وهذا يدلُّ على أنَّ ابن الطقطقا كان جامعًا لمادَّة الكتاب، فهو يشبه كتاب الأصيليّ، لكنَّه يذكر فيه الطالبيِّين الذين خرجوا على السلطة، واستطاع بعضهم إقامة دولة لهم، ومنهم: يحيى الهادي[٤]، والحسين صاحب فخ[٥]، والداعي

(١) الفخريّ في الآداب السلطانيَّة، ص٣٣٥.

(٢) المختصر في أخبار مشاهير، ص١٨٦

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٤) وهو يحيى بن الحسن بن القاسم بن طباطبا الملقَّب بالهادي إلى الحقِّ، الذي سيطر على اليمن في أيَّام المعتضد، فملك صعدة، ودعا الرضا من آل محمَّدﷺ سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، وعندما توفِّي سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، تولَّى أبناءه الحكم من بعده. ينظر: المسعوديّ، مروج الذهب، ج٤، ص١٧٨، ابن النديم، فهرست، ص٢٤٤، العمريّ، المجدي في أنساب الطالبيِّين، ص٧٨، اليافعيّ، مرآة الجنان، ج٢، ص٢٠٥.

(٥) هو الحسين بن عليّ بن الحسن المثنَّى، الذي خرج أيَّام موسى الهادي؛ بسبب سياسة التنكيل والاضطهاد، ممَّا دفعه إلى قيام بثورة ضدَّ السلطة، لكنَّه قتل بفخ سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. ينظر:=

صاحب الديلم[1]، وبذكر هذه الشخصيَّات والثورات التي قاموا بها، يظهر مقدار الظلم والاضطهاد الذي كان يعيشه العلويُّون الطالبيُّون، ممَّا دفع بعضهم إلى الخروج على السلطة العبَّاسيَّة؛ لبيان موقفهم ضَّد الظلم والطغيان، وأنَّ ذنبهم عند السلطة هو انتسابهم إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وهناك كتاب آخر لابن الطقطقا، وهو (منية الفضلاء في تواريخ الخلفاء والوزراء)، الذي صنَّفه بعد كتاب الفخريّ، وأهداه إلى جلال الدين زنكي شاه بن حسن، وهو يشبه كتاب الفخريّ، فأخذه هندوشاه[2]، وترجمه إلى الفارسيَّة، وأكمله سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م وسَّماه (تجارب السَّلَف)، وقد صرَّح هندوشاه في مقدِّمة الكتاب، وأوضح أنَّ هذا الكتاب من تأليف ابن الطقطقا، واسمه (منية الفضلاء في تاريخ الخلفاء والوزراء)، ثمَّ أهداه هندوشاه إلى الأمير نصرة الدين أحمد بن يوسف[3].

وكذا يوجد كتاب في التاريخ، صنَّفه ابن الطقطقا أيضًا إلى حاكم شيراز عزّ الدين عبد العزيز بن جمال الدين إبراهيم الطيبيّ، وقد أشاد ابن الفوطيّ بهذا الكتاب وصاحبه، وأكَّد أهمِّيته بقوله: «كيِّس الأخلاق قَدِم مدينة السَّلام في غرَّة سنة إحدى

=الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤١٨، أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين، ص٢٨٥-٢٩٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ٢٨٢.

(١) ابن الطقطقا، ص٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٤.

(٢) هندوشاه: هو هندوشاه بن سنجر بن عبد الله الصاحبيّ النخجوانيّ، نسبة إلى بلد بأقصى أذربيجان، له الكثير من المصنَّفات، منها: كتاب الرجال، وتجارب السلف، وصحاح المعجم في اللغة، توفِّي سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م. ينظر، البغداديّ، إيضاح المكنون، ج٢، ص٥٩٨، هديَّة العارفين، ج٢، ص٥١١، كحالة، معجم المؤلِّفين، ج١٣، ص١٥٥.

(٣) تجارب السَّلَف، ص٢-٣.

وسبعمائة، وخرج الصدور والنوَّاب لاستقباله. وجدته بواسط في أبَّهة جليلة وهيئة جميلة، وهو الآن الحاكم بشيراز وبلاد فارس، وإليه توجَّه مولانا صفيّ الدين أبو عبد الله ابن طباطبا الحسنيّ المعروف بابن الطقطقا، وهو عنده مقيم، وقد صنَّف لخزانة كتبه كتابًا في التاريخ»[1].

(١) مجمع الآداب، ج١، ص٢٢٦.

الخاتمة

كان لأسرة آل طباطبائيّ أَثرٌ واضحٌ في حكم الدولة المغوليَّة الأيلخانيَّة (٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٧م)، إذ أصبح رجالها من الشخصيَّات المهمَّة، ونالوا مكانة مرموقة عند السلاطين، وتولِّيهم نقابة الطالبيِّين، فضلًا عن صدر الأعمال الحِلِّيَّة، وليس هذا فحسب، بل أصبح لهم مكانةً مهمَّةً في النتاجات العلميَّة التي شملت العلوم الإنسانيَّة والأدبيَّة.

أسرة آل طباطبائي[١]

الإمام الحسن

⇓

الحسن المثنَّى

⇓

إبراهيم الغمر

⇓

إبراهيم طباطبا

⇓

القاسم الرسيّ

⇓

أبو عبد الله محمَّد

⇓

القاسم

⇓

عليّ

⇓

(١) الواسطيّ، بحر الأنساب، ج٢، ص١٠٥، ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٨٠.

موسى

⇓

مفرج

⇓

عبد الله

⇓

عليّ

⇓

رمضان

⇓

محمَّد

⇓

النقيب تاج الدين عليّ

⇓ ⇓

النقيب صفي الدين محمَّد النقيب صفي الدين محمَّد

المصادر والمراجع

أوَّلًا: المخطوطات

مجهول.

- بحر الأنساب، مخطوطة في مركز إحياء ميراث اسلامى في قم، برقم ١١٠٧.

ثانيا: المصادر

الجوينيّ، عطاء ملك بن بهاءالدين بن محمَّد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٣م).

- تاريخ فاتح العالم (جهانكشـاي)، تحقيق: محمَّد عبد الوهاب، ترجمة: السـباعيّ محمَّد السباعيّ، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

ابن خلِّكان، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسينيّ (ت٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م).

- دستور الوزراء، تصحيح: سعد نفيسي، طهران، ١٣١٧هـ.ش.

الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨٧م.

الرازي، فخر الدين محمَّد بن عمر (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

- الشجرة المباركة في أنساب الطالبيَّة، تحقيق: مهدي الرجائيّ، سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٩هـ.

السبكيّ، تاج الدين بن عليّ بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م).

- طبقات الشافعيَّة الكبرى، تحقيق: محمود محمَّد الطناحي، وعبد الفتَّاح محمَّد، ط٢، دار إحياء الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٦٤م.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥ م).

- بغية الوعاة في طبقات اللغويِّين والنُّحاة، تحقيق: محمَّد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

ابن شهر آشوب، أبوعبد الله محمَّد عليّ (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

- مناقب آل أبي طالب، مطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٥٦م.

الصفديّ، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: فالح أحمد البكور، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٠م.

الصقاعيّ، فضل الله بن أبي الفخر (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

- تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق: جاكلين سويله، دمشق، ١٩٧٤م.

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلَّاء، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، د.ت

ابن الطقطقا، محمَّد بن عليّ بن طباطبا (حيًّا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

- الأصيليّ في أنساب الطالبيِّين، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة حافظ، قم، ١٣٧٦هـ.ش

- الفخريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، تحقيق: عبد القادر محمَّد، مايو، دار القلم العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م.

- المختصر في أخبار مشاهير الطالبيَّة والأئمَّة الاثنى عشر، تحقيق: السيِّد علاء الموسويّ، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م.

ابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

العمريّ، عليّ بن محمَّد بن عليّ (من أعلام القرن الخامس الهجريّ/ العاشر الميلاديّ).

- المجدي في أنساب الطالبيِّين، تحقيق: أحمد المهدويّ الدامغانيّ، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٩هـ.

ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن عليّ الحسينيّ (ت٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م).

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عنى بتصحيحه: محمَّد حسن آل الطالقانيّ، ط٢، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦١م.

الغياثيّ، عبد الله بن فتح الله (حيًّا ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م).

- تاريخ الدول الإسلاميَّة في الشرق، المعروف بالتاريخ الغياثيّ، تحقيق: طارق نافع الحمدانيّ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥م.

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

- مقاتل الطالبيِّين، تحقيق: كاظم المظفَّر، ط٢، دار الكتاب، قم، ١٩٦٥م.

ابن الفوطيّ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزَّاق (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمَّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٦هـ.

- الحوادث الجامعة أو التجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي نجم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٣م.

- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمَّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٦هـ.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد (ت٨٥١هـ/ ١٤٥٢م).

- طبقات الشافعيَّة، اعتنى بتصحيحه: الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة، بيروت، ١٩٨٧م.

الماورديّ، عليّ بن محمَّد (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

- الأحكام السلطانيَّة والولايات الدينيَّة، مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٩٦٦م.

نخجواني، محمَّد بن هندوشاه (ت٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م).

- تجارب السلف، تصحيح واهتمام: عبَّاس إقبال، تهران، د.ت.

أبو نصر البخاريّ، سهل بن عبدالله بن داوود (من أعلام القرن الرابع الهجريّ/ التاسع الميلاديّ).

- سرُّ السلسلة العلويَّة، تقديم: محمَّد صادق بحر العلوم، د.مط، ١٩٦٢م.

الواسطيّ، أبو النظام مؤيَّد الدين عبيد الله (ت٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م).

- بحر الأنساب المسمَّى بـ: الثبت المصان بذكر سلالة سيِّد ولد عدنان، تحقيق: السيِّد حسين أبو سعيد، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، ٢٠١٢م.

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م.

اليافعيّ، أبو محمَّد عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٧م.

اليونينيّ، موسى بن محمَّد (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

- ذيل مرآة الزمان، بعناية: وزارة التحقيقات الحكميَّة والأمور الثقافيَّة للحكومة الهنديَّة، ط٢، د.مط، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الأفنديّ، الميرزا عبدالله (ت١١٣٠هـ/ ١٧١٨م).

- رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيِّد أحمد الحسين، د.مط، قم، ١٤٠٣هـ.

الأمين، محسن.

- أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

البغداديّ، إسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م).

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

الجلاليّ، محمَّد حسين الحسينيّ.

- فهرس التراث، تحقيق: محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ، مطبعة نگارش، قم، ١٣٨٠ش.

الخوانساريّ، محمَّد باقر بن زين العابدين.

- روضات الجنَّات فى أحوال العلماء والسادات، إسماعيليان، قم، د.ت.

الزركليّ، خير الدين.

- الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

سركيس، اليان.

- معجم المطبوعات العربيَّة، مطبعة بهمن، قم، ١٤١٠هـ.

الطهرانيّ، آغا بزرك.

- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣.

القمِّيّ، عبّاس (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)

- الكنى والألقاب، د.مط، طهران، د.ت.

كحالة، عمر.

- معجم المؤلِّفين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

كمُّونة، عبد الرزَّاق.

- موارد الإتحاف في نقباء الأشراف، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٨م.

- منية الراغبين في طبقات النسَّابين، مطبعة النعمان، النجف، د.ت.

مدرس، محمَّد عليّ.

- ريحانـه الأدب فى تراجم المعروفين بالكنية أو اللقـب، جابخانه حيدري، د.م، ١٣٧٤.

قلعة الخلفة (البو سلطان)
دراسة آثاريَّة ميدانيَّة

أ.م.د. رجوان فيصل الميَّالي
جامعة القادسية/كلية الآثار

Al-Khilafa Castle, (Albusultan) Field, Archaeological Study

Asst. Prof. Dr Rajwan Faisal Al-Mayali
Al-Qadisiyah University/College of Archeology

الملخَّص

يُعنى هذا البحث بدراسة قلعة الخلفة الكائنة في محافظة بابل، قضاء المدحتيَّة، وهي من القلاع التراثيَّة التي بُنيت في بدايات القرن العشرين المنصرم، وما زال زمن بنائها محلّ نقاش، وسوف نحاول مناقشة هذا الأمر؛ لأنَّ هذا البحث يسلِّط الضوء على هذه القلعة وجميع تفاصيلها التاريخيَّة، وطرزها المعماريَّة، المواد البنائيَّة التي شُيِّدت بها، والوسائل الدفاعيَّة والحربيَّة التي زُوِّدت بها القلعة؛ لغرض تحقيق الهدف الرئيس، وهو إيجاد توازن سياسيٍّ وعسكريّ في المنطقة؛ لأنَّها من المناطق المأهولة والمزدحمة بالسكن العشائريّ، والتي دائمًا ما كانت تشهد الكثير من الحروب والنزاعات، وفضلًا عن الجانب التاريخيّ، فإنَّنا قمنا بدراسة القلعة دراسة آثاريَّة ميدانيَّة؛ بالمسح الأثريّ وتقنيَّاته وأدواته، وكذلك قمنا بعمل مقارنات لهذه القلعة مع مثيلاتها من القلاع المجاورة لها.

الكلمات المفتاحيَّة: البو سلطان، المدحتيَّة، عمارة القلاع، العناصر الدفاعيَّة والحربيَّة.

Abstract

This article is concerned with studying and documenting Al-Khilafa Castle located in the province of Babylon, Al-Medhatiyah district, and it is one of the historical castles that was built the beginning of the last twentieth century. The castle was provided for the purpose of achieving the main goal, which is to find an economic and military balance in the region because it is one of the areas inhabited by clan dwellings and which are always ready for fighting and wars. The article also aims to analyze the essence of the building and compare it with some of the nearby castles.

Keywords: Albusultan, Medhatiyah, architecture of castles, defensive and military elements.

المقدِّمة

للقلاع والحصون أثر كبير في حماية الأوساط المجتمعيَّة، الحضريَّة أو الريفيَّة، في السهل أو الجبل، في الصحراء أو الوادي، سواء كانت قلاعًا بنتها زعامات عشائريَّة، أو قلاع بنتها الحكومة، فإنَّ وجودها يعدُّ ضمانًا حقيقيًّا لأصحابها في الحفاظ على حقوقهم، وعدم التجاوز عليهم، بما تقدِّمه تلك الأبنية ذات الطابع العسكريّ والحربيّ، من خدمات جليلة لأصحابها، فهي الحصن المنيع الذي يدرأ الأخطار والاعتداءات الخارجيَّة، لذلك حظيَ هذا النوع من المباني باهتمام الخلفاء والولاة والأمراء والسلاطين بمختلف العصور، ومن تلك القلاع قلعة الخلفة موضوع بحثنا، وهي نموذج للقلاع التي بُنِيت في العصر الملكيّ في العراق، أواسط العقد الرابع من القرن المنصرم، في منطقة جغرافيَّة مهمَّة في قلب العراق، وقلب الفرات الأوسط، منطقة محتدمة ومتصارعة سياسيًّا؛ لذلك بُنيت الكثير من هذه القلاع قريبًا من القلعة موضوعة البحث؛ لأيجاد نوع من التوازن في القوى.

تتميَّز قلعة الخلفة بطراز معماريّ جميل وفريد من نوعه، ولأهميَّة الحفاظ على هذا النوع من العمائر من الضياع والاندثار والتخريب، جاءت هذه الورقة البحثيَّة لتبيِّن أهميَّة هذا الصرح المعماريّ المميَّز، وطرق ومعالجات المعمار البنائيَّة، فقد قُسِّم البحث على ملخَّص ومقدِّمة ومبحثَين، تناولنا في الأوَّل موقع القلعة وتاريخ بنائها، والأحداث التي دارت بالقرب منها، مع الاشارة إلى الأنهار المحيطة بها. أمَّا المبحث الثاني فخصَّصناه للحديث عن تخطيط القلعة وعمارتها، مع الإيضاحات الموضوعة في الملحق الخاص

بالصور والمخطط، مع ذِكر أهم السُّبل والمعالجات المعماريَّة والمناخيَّة والعسكريَّة التي نفَّذها المعمار فيها، ممَّا له الأثر الأكبر في جعل هذه القلعة تحفة معماريَّة شامخة وصامدة متحدِّيةً الزمن وغيره من العوامل الأخرى، وخلصت دراستنا إلى مجموعة من النتائج.

المبحث الأوَّل

الموقع والتاريخ

تقـع القلعة في محافظة بابل، ضمن الحدود الإداريَّة المشـتركة بين قضاء الهاشـميَّة، ناحيـة الحمزة الغـربيّ (المدحتية)[1]، وأطراف قضاء المحاويـل[2]، وهي إلى مركز ناحية الحمزة الغربيّ أقرب، وذلك وفق الإحداثيّ (38S 471369 3588689) (الشكل ١)، القلعة شاخصة في قرية الباشيَّة التي سمِّيت نسبةً إلى نهر قامت بشقِّه عشائر البو سلطان يُدعى نهر الباشـيَّة، وتبعد عن شـمال شرق مدينة المدحتيَّة مسافة (٥ كم)، وعن شرقي مركز محافظة بابل (٣١كم)، بدأ العمل ببناء القلعة وحفر النهر عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م،

(١) تقـع قصبـة مدينة الحمزة الغربـيّ (المدحتيَّة) في الجنـوب الشرقيّ لمدينة الحِلَّة، وسـمِّيت بهذا الاسم نسبةً لمؤسِّسـها الوالي مدحت باشا عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وتبعد عنها (٣٠كم)، وهي قريبـة من دائرة العـرض (٣٣)، وخط الطول (٤٦)، وتعدُّ المدحتيَّة محطَّة تجاريَّة مهمَّة، ويمرُّ بها الطريق الذي يقسم البلاد من شرقه إلى غربه، وفيها مرقد الإمام الحمزة من ذريَّة العبَّاس بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام الملقَّب بـ(أبي يعلى)، ونسـبةً له سـمِّيت المدينة باسـم (الحمزة الغربيّ). للمزيد مـن التفصيـل، ينظر: عوض، عبد الرضا، الـدرَّة البهيَّة في تاريخ المدحتيَّـة، ص٢١-٢٢، ٥٠، ٢٠٢، وينظر: الخفاجيّ، المراقد والمقامات البهيَّة في الحِلَّة السيفيَّة، ص٧٦-٧٧.

(٢) يقـع قضاء المحاويل شـمال مدينة الحِلَّة بمسـافة (٢٠كم)، بدأت قصبة المحاويل بشـكل قرية صغيرة يرجع تاريخ نشـأتها إلى العصر العثمانيّ، ومن ثمَّ توسَّـعت وتطوَّرت، وفي عام ١٩٢١م اسـتُحدِثت كناحية ومركزها قريـة الصبَّاغيَّة، ترتبـط أداريًّا بمركز قضاء الحِلَّـة، وبعد مدَّة من الزمـن انتقل مركز الناحيـة من الصبَّاغيَّة إلى قصبة المحاويل. للمزيد مـن التفصيل عنها، ينظر: الطرفيّ، الشيخ عزيز جفَّات، مدن عراقيَّة على ضفاف الفرات، ج٢، ص١٤٨. وينظر: الحسنيّ، عبد الرزَّاق، العراق قديمًا وحديثًا، ص١٤٥.

من قبل الشيخ خلفة حسن الصيَّاد السلطانيّ[1]، وانتهى من بنائها وحفر النهر وجريان المياه فيه عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

البيئة التي تجاور القلعة والمناطق المحيطة بها ذات مساحات زراعيَّة واسعة، تعود أغلبها لعشائر البو سلطان وعشائر أخرى[2]، وحُفِرت فيها الكثير من الأنهر، وهذا يزيد من حصانة القلعة موضوع بحثنا، فضلًا عن بقيَّة القلاع الأخرى من الناحية الطوبوغرافيَّة والتحصينيَّة، إذ ورد بهذا الشأن ما يأتي: «الجداول التي تتفرَّع من ضفة نهر الحِلَّة اليسرى، هي: حصن البيكات، المحاويل، وخنفارة بتة، خاتونيَّة، فنديَّة، النيل، الجدول، الورديَّة، بنشَّة، دولاب، غنية، أبو حسان، فنهرة، بيرمانة، مشيمش (بالتصغير)، نهر السيِّد، حجاب، روبيانة، البو عبد الله[3]، باشيَّة، كدس، البزل، عوادل، زبار، عثمانيَّة، شوملي، ظلميَّة، أبو جماغ»[4]، وتتوزَّع مجموعة من القلاع في المناطق القريبة من القلعة موضوعة البحث والمحيطة بها، وهذا بدوره يزيدها حصانة واستحكام من الناحية العسكريَّة والتخطيطيَّة والمعماريَّة، إذ ورد بهذا الشأن مايأتي: «عندما استقَّر الحال مع رؤساء البو سلطان من آل الجريان والهيمص في أملاكهم،

(١) هو الشيخ خلفة حسن الصيَّاد السلطانيّ من عشيرة البو عبدالله، إحدى عشائر البوسلطان الزبيديَّة، لهم تاريخ يعتزُّون به، ولهم مشاركات في ثورة العشرين. للمزيد من التفصيل عن عشائر قبيلة البو سلطان وتفرُّعاتها، ينظر: الجويبراويّ، جبَّار عبد الله، عشائر الفرات الأوسط والجنوبيّ في الحِلَّة والديوانيَّة والسماوة والناصريَّة، ص١٠٨، وينظر: تقرير سرِّي لدائرة الاستخبارات البريطانيَّة عن العشائر والسياسة، ترجمة: عبد الجليل الطاهر، ص٢١٢.

(٢) للمزيد من التفصيل عن العشائر الساكنة في تلك المنطقة، وعن مساحات الأراضي التي تمتلكها كلُّ عشيرة، ينظر: السمَّاك، حسن عليّ، عشائر منطقة الفرات الأوسط ١٩٢٤-١٩٤١، ص٤٧.

(٣) للمزيد من التفصيل عن الأنهر والجداول والظواهر الطوبوغرافيَّة في هذه المنطقة، ينظر: الميَّالي، فيصل غازي، لفظة روبيانة أو ربيانة في ناحية المدحتيَّة في محافظة بابل ماذا تعني؟ مباحث فراتيَّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ج١، ص٢٣٣-٢٣٥.

(٤) للمزيد من التفصيل، ينظر: قرى لواء الحِلَّة، الحِلَّة في مجلَّة لغة العرب، ص٣٣.

راحوا يشـيِّدون لأنفسـهم قصورًا فخمـة بُنِيت من الطابوق، وبعـض منها صُمِّم وفق أحسـن الطرازات العمرانيَّة، وجلبوا لها صناع من مدن أخرى، وسـمِّيت تلك البيوت قصور أو قلاع، وتسمَّى الواحدة محليًا (جلعة)، ومنها:

١. قصر موسى عزيز العوَّاديّ، شيِّد سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.
٢. قصرا محمَّد حنتوش ومهدي شـخير، شيِّدا سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، في مركز ناحية الشوملي.
٣. قصر غضبان الجريان، شيِّد سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٢٤م من الطين.
٤. قصر سعود المخيف، شيِّد سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م، غرب قصبة الشوملي.
٥. قصر محي عبس الهيمص، شيِّد سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، في قرية الزبَّار.
٦. قصر جواد الشنابة، شيِّد سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، في منطقة خيگان.
٧. قـصر جـواد فـارس الجريـان، شـيِّد في أربعينيَّـات القـرن المـاضي في شرق الشوملي.

هـذه البيـوت، أو القصـور، أو القلاع، كـما يسـمِّيها أصحابها؛ لاحتـواء بعضها عـلى (مفاتيـل) قتاليَّة دفاعيَّة لحمايـة سـاكنيها»[1]. ولا بدَّ من الإشـارة إلى أقرب قلعة حصينـة ومحكمة من حيث الشـكل والمضمـون لقلعة الخلفة، هي قلعـة نايف الجريان الواقعـة في منطقـة العـوادل، إذ جـاء بهـذا الشـأن مـا نصُّه: «شـيَّد نايـف الجريان في أواسـط الثلاثينيَّات من القرن المنـصرم قلعة جديدة، وقد بُنيـت بمواصفات فكتوريَّة قديمـة، ومن حولها أبـراج دفاعيَّة، كما في قلاع القرون الوسـطى في أوربـا»[2]، وأيضًا

(١) للمزيد من التفصيل عن القصور والقلاع المنشرة حول القلعة موضوعة البحث، ينظر: عوض، عبد الرضا، الشوملي نشأتها وتطوُّرها- دراسة في الأوضاع العامَّة، ص٥٠-٥٢.
(٢) يظهر من النصِّ في أعلاه أنَّ القلاع الموجودة في منطقة الدراسة كانت تُبنى وفق الطراز الفكتوريّ=

قلعـة النصر الواقعة في إحـدى الضواحي الشرقيَّة لمدينة المسـيَّب التابعة أداريًّا لمحافظة بابـل، التـي بُنيـت عام١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، بحسـب نصٍّ كتـابيٍّ من الجـصِّ مثبَّت في واجهتها[١].

وهـذا النـوع من القـلاع يختلف عـن القلاع الرسـميَّة التـي تبنيهـا الحكومة من حيث مواقع إقامتها، واتِّسـاع مسـاحتها[٢]، ومتانة عمارتها، وقـوَّة تحصيناتها، وغايات بنائهـا، باعتبار أنَّ القلاع التـي تقيمها الحكومة هي أرجح بكثير مـن تلك القلاع التي تقيمها العشـائر؛ بسـبب الامكانات الماديَّة والخبرات الهندسيَّة والعسكريَّة التي تمتلكها الدولـة في أقامـة تلك القـلاع في أماكن مهمَّـة وحيويَّـة، وإحاطتها بالاسـتحكامات المنيعـة المـزوَّدة بكلِّ وسـائل الدفـاع كالخنـادق، والمسـنيات، والأسـوار، والأبراج، والمزاغل[٣].

أمَّـا القـلاع العشـائريَّة، ومنها القلعـة الخلفة موضـوع بحثنا، فهي تقـام عادةً في

=القديـم، أي إنَّها تشـبه العـمارة التي بُنيـت بأمر من قبل الملكـة فكتوريا في المملكـة البريطانيَّة المتَّحـدة، التي بدورها تشـبه الطراز البنائيّ للقلاع العملاقة في القرون الوسـطى، المزوَّدة بكافَّة التحصينات والاسـتحكامات، مثل الأبراج العالية، والمزاغل الشاقوليَّة، والسقَّاطات وغيرها. للمزيد من التفصيل عن عمارة وتخطيط قلعة نايف الجريان، ينظر: الميَّالي، رجوان فيصل، العمائر العسكريَّة في وسط العراق وجنوبه (تخطيطها وعمارتها) ١٩١٤-١٩٥٨م، ص٦٩.

(١) للمزيـد من التفصيل عن عمارة قلعة النصر، ينظر: الشـمَّريّ، إبراهيم سرحان، قلعة النصر في مدينة المسيَّب (دراسة ميدانيَّة)، ص٢٠٧٥.

(٢) للمزيد من التفصيل، ينظر: السـمَّاك، حسـن عليّ، القلعة ودورها العسـكريّ والسياسـيّ في منطقة الفرات الأوسط (قلعة شخيِّر أنموذجًا)، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) للمزيد من التفصيل عن عمارة القلاع العشـائريَّة وأدواتها الدفاعيَّة والحربيَّة، ينظر: الدرَّاجيّ، سـعدي أبراهيـم، عـمارة القـلاع في شـمالي العـراق ١٠٣٥-١٢٨٩هـ/ ١٦٢٥-١٨٧٢م، ص٢٤-٢٥، وينظـر: الميَّـالي، رجوان فيصل، العمائر العسـكريَّة، المصدر السـابق، ص٢٢٣-٢٢٢.

وسط مقاطعاتهم الزراعيَّة، تتوسَّط التجمُّعات السكانيَّة والقرى لأفراد العشيرة الواحدة؛ ليكونوا العين الساهرة على حمايتها، وتتوَّقف مساحة القلعة وحجم عمارتها واستحكاماتها وفقًا لثراء شيخ العشيرة، ومساحة أراضيه الزراعيَّة، ومكانته السياسيَّة والاجتماعيَّة[1]

(١) للمزيد من التفصيل، ينظر: الشمَّريّ، أبراهيم سرحان، قلعة النصر في مدينة المسيَّب (دراسة ميدانيَّة)، المصدر السابق، ص٢٠٨٥.

المبحث الثاني

الوصف العام

القلعة كبيرة الحجم، تتكوَّن من قسمَين، ولها امتدادات واسعة، ويحيط بها جدار مبني من الآجر والجصِّ، أُضيف في أوقات لاحقة لبنائها (اللوح١)، والقلعة مبنيَّة بالآجر والجصِّ، أبعاد الآجرة (٢٤×٩×١٠سم)، وجميع سقوفها بُنيت بالروافد الحديديَّة (الشيلمان)، ومن طابق واحد، باستثناء البرج الرئيس في القسم المربَّع يتكوَّن من طابقَين، ويبدو أنَّ عمارة القلعة العامَّة تمزج بين أسلوبَين في البناء، وهما: المحلِّي والرسميّ، فقد نجد بعض اللمسات المعماريَّة الرسميَّة، وفي بعض الأحيان نجد الظهور المحلِّيّ في الكثير من العناصر العماريَّة، ومن هذا التناقض الذي وجدناه قلنا إنَّها تمزج بين أسلوبَين.

التخطيط والعمارة

القلعة مربعة الشكل تتكون من قسمين كبيرين يبعد الواحد عن الاخر (٢٣مترًا)، (اللوح٢).

أوَّلًا: القسم المربَّع

هو القسم الرئيس في القلعة، وعماد هيكلها التحصينيّ والدفاعيّ، حيث استخدم المعمار جميع الاحتياطات الدفاعيَّة، وكثَّف من ظهور عناصر العمارة العسكريَّة في هذا

القسم، وهو يتكوَّن من أربعة أسوار متينة ومحصَّنة (المخطط ١)، ارتفاعتها تتراوح من (٩-١٠ متر)، ويبلغ طول كلٍّ من السورَيين الشماليّ والجنوبيّ (٣٤م)، وطول السورَين الشرقيّ والغربيّ (٣٣م)، وسمكهما يتراوح بين (٥٠-٦٠سم)، إذ يكون مجموع المساحة الكليَّة المبنيَّة لهذا القسم (١١٢٢م٢)، وقد زُوِّد السور الشمالي بثمانية عشر مزغلًا مستطيلًا، أبعاد الواحد منها (٣٠×٢٠سم)، (اللوح٣)، على حين زُوِّد الجنوبيّ بسبعة عشر مزغلًا مستطيلًا أبعاده (٣٢×٢١سم)، (اللوح٤)، والسور الشرقيّ الذي يحتوي على اثني عشر مزغلًا بالقياسات والأبعاد نفسها الموجودة في السورَين الشماليّ والجنوبيّ، وكذلك السور الغربيّ يحتوي على خمسة مزاغل بالقياسات والأبعاد نفسها، علمًا أنَّ الجزء العلويّ من هذا السور متهدِّم، والمتبقي من مزاعله خمس فقط، ونرجِّح أن يكون العدد الأصليّ متناظرًا ومتماثلًا مع عدد مزاغل السور الشرقيّ، ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ جميع مزاغل هذا القسم متباينة المسافة، بمعنى آخر، أنَّ المسافة بين مزغل وآخر متفاوتة.

المداخل الخارجيَّة:

زوِّد هذا القسم من القلعة بمدخَلَين خارجيَّين:

المدخل الأوَّل: يقع في الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة، أبعاده (٦٠ , ١×١٠ , ٢م)، يشغله باب معمول من الحديد حديث الصنع (اللوح٥)، يعلوه عقد مستقيم معمول بطريقة التلاعب بصف الآجر، ويوجد فوقه إطار مربَّع طول ضلعه (٩٣سم)، أيضًا معمول من التلاعب بقصِّ الآجر، بداخله شكل هندسيّ معينيّ، له جوانب متدرِّجة معمول من قصِّ الآجر بوضعيَّات مرتَّبة وجميلة، ويعلوه عقد كتفي معمول من مقطَعَين (كتفَين) من كلِّ جهة (اللوح٥)، ويوجد أمامه جدار مبنيّ بالآجر والجصِّ يختلف عن الآجر المستخدم في بناء أجزاء القلعة الأخرى، وعلى ما يبدو أنَّه مضاف في أوقات لاحقة، بمعنى أنَّه ليس

من أصل البناء، مهمَّته جعل المدخل من نوع المداخل المنكسرة (الباشـورة) التي تؤدِّي وظيفة عسـكريَّة ودفاعيَّة صِرفة، أبعاد هذا الجـدار (٢×٦٠ , ٢×٦٠ , ٣م) (اللوح٦)، وأغلب الظنِّ أنَّ هذا المدخل هو المدخل الرئيس في القلعة، وذلك لعدَّة أسـباب، أهمّها وجوده بالقرب من برج الحراسـة؛ لكي يكون أمام أنظار الحرَّاس، ويسـهل الدفاع عنه في حالـة تعرُّضه للهجوم والحصار، وكذلك لأنَّه خارجيّ بشـكلٍ تامٍّ، أي لن يسـتطيع الداخل منه أن يطَّلع على المباني السكنيَّة الخاصة بالعوائل في القسم المستطيل من القلعة، الذي سنتحدَّث عنه بعد الانتهاء من القسم المربَّع.

المدخل الثاني: يقع في الزاوية الشماليَّة الغربيَّة، أبعاده وقياساته هي نفسها الموجودة في المدخـل الأوَّل، يشـغله بـاب معمـول من الخشـب، ومغلَّف بصفائح مـن الحديد؛ لغـرض تقويته، ويعلوه عقد مسـتقيم معمـول من صفٍّ من الآجـر بوضعيَّة عمودية، وهذا المدخل يؤدِّي بشكل مباشر إلى القسم الثاني من القلعة، ممَّا يجعلنا نظنُّ بأنَّه مدخل ثانويّ، على العكس من المدخل الأوَّل.

ومـن الجديـر بالذِّكر أنَّ المعـمار صمَّم هذه المداخـل بطريقة جميلة جـدًّا، وجعلها تتواءم مع مهمَّتها الدفاعيَّة والاجتماعيَّة، وحتى الاقتصاديَّة، إذ جعلها على شـكل خطٍّ مائل (مدخَلَين ركنيَّين)، نصف المسـافة بينهما تكون في وسـط القلعـة ومركز المبنى، إذ تسـمَّى هذه الخاصيَّة في العمارة العربيَّة الاسـلامية بالخاصيَّة الوتريَّة[1]، التي من شـأنها السيطرة على جميع المفاصل والوحدات المعماريَّة في القلعة.

البرج: زُوِّد القسم المربع من القلعة ببرج واحد فقط، يقع في الركن الجنوبيّ الشرقيّ، ويعـدُّ العنصر العماريّ الوحيد المبني من طابقَين، وهو الجزء الدفاعيّ والحربيّ الأهم في

(١) للمزيد من التفصيل عن الفوائد العسكريَّة والدفاعيَّة والاقتصاديَّة لهذه الخاصيَّة، ينظر: الميَّالي، رجوان فيصل، العمائر العسكريَّة، المصدر السابق، ص١٠٩.

القلعة بمعيَّة المزاغل التي تتوزَّع بأعلى الأسوار[1].

يتألَّف البرج من شكلَين هندسيَّين، مستطيل ونصف دائرة، أو كما يسمَّى بالمصطلح الهندسيّ (مستطيل دائريّ)، ومن الجدير بالملاحظة هنا أنَّ المعمار استطاع الجمع بين الخطِّ المستقيم والمنحني، وربطهما بطريقة منسَّقة في نقطة ربط مركزيَّة، حقَّق بها اتِّساقًا عاليًا بينهما[2]، أبعاده (٥×٥٠ , ٦×٢م)، ويبلغ ارتفاعه عشرة أمتار، ومحيطه الخارجيّ تسعة أمتار، ويبرز البرج إلى الأمام عن سمت السور الجنوبيّ مسافة ثلاثة أمتار ونصف المتر، استخدمها المعمار لأغراض دفاعيَّة ومعماريَّة، سنأتي على ذِكرها بالتفصيل.

البرج من الخارج: مقسَّم على قسمين، يفصل بينهم شريط عرضه (٢٥سم)، معمول من الآجر المقصوص، يدور حول بدن البرج بشكل كامل (اللوح٧).

القسم الأسفل: وبالعودة للواجهة الخارجيَّة من القسم الأسفل في البرج، نجدها تحتوي على صفَّين من الفتحات المربَّعة، ذات الحجم الصغير والضيِّق، عددها اثنتا عشرة فتحة، يؤطِّرها من جميع جهاتها شكل هندسيّ معينيّ، أبدع المعمار في قصِّ آجرِّه وتشذيبه وتصفيفه، المسافة بين الصفِّ والآخر (٦٨ , ١م)، والمسافة بين فتحة وأخرى متساوية ومحدَّدة، بُنيت بشكلٍ دقيقٍ ومتناسب، إذ إنَّ الفتحة في الصفِّ الأسفل متناظرة تمامًا،

(١) بالغ المعمار في عمارة الأبراج مبالغة كبيرة في الدفاعات والاستحكام، وبالوقت نفسه عمل على اتِّساع المجال من داخل البرج؛ ليحقِّق الاتِّصال عن طريق ممرَّات أو سلالم مغطَّاة، ولأيواء أعداد كبيرة من الجند والمقاتلين. للمزيد من التفصيل، ينظر: بيج، بيرتون، البرج في العمارة الإسلاميَّة الحربيَّة، ص٢٣.

(٢) للمزيد من التفصيل عن ظاهرة دمج الخطِّ المستقيم مع المنحني، ينظر: الجادرجي، رفعة، دور المعمار في حضارة الإنسان، ص٧٠٦.

وعلى نفس الخطِّ والاستقامة مع الفتحة في الصفِّ الأعلى، وهذا التناسب في العمارة الإسلاميَّة له دلالاته ومعانيه، منها إظهار التفاصيل المعماريَّة بأحسن وجهة، وأفضل تناظر متناسق[1].

القسم الأعلى: يحتوي على أربعة صفوف من الفتحات، الصف الأوَّل عبارة عن مزاغل عددها اثني عشر مزغلًا مستطيلة الشكل، أبعاده (٣٠×١٥ سم)، فُتِحت بطريقة رأسيَّة متَّجهة للأسفل، لتؤدِّي وظيفتها الدفاعيَّة بشكلٍ صحيحٍ واحترافيّ، ولاستخدامها بوظيفة المساقط والمزاغل في آنٍ واحد، وهنا أتقن المعمار فنَّ العمارة الدفاعيَّة والحربيَّة، إذ استطاع أن يجمع وظيفَتَين عسكريَّتَين في فتحة واحدة[2]. أمَّا الصف الثاني، فهو عبارة عن فتحات مربَّعة الشكل، صغيرة الحجم، مفتوحة بنفس المستوى والاستقامة الخاصَّة بالصفِّ الأوَّل (صفّ المزاغل)، وفتحات الصفِّ الثاني عددها (تسعة)، استخداماتها متعدِّدة، منها تصريف مياه الأمطار، والمراقبة فقط، وتُستخدم أيضًا كزخرف جماليّ في البناء، ويوجد في هذا القسم من البرج زخرفة آجريَّة هندسيَّة معمولة من قصِّ الآجرِّ، عبارة عن (ثلاثة) أشكال معينيَّة اثنان منها صغيرا الحجم، وهما على الأطراف، أمَّا الشكل المعينيّ الذي يقع في الوسط، فهو أكبر حجمًا منها، علمًا أنَّ هذه الزخرفة تتوسَّط

(١) التناظر والتناسق هو الانسجام الحاصل من توزيعات، أو نسب منتظمة معيَّنة، أو وضع شكلَين متماثلَين، بحيث تكون كلُّ نقطتَين متماثلتَين على نفس البُعد لنقطة أو مستقيم أو مستوى، والعلاقة المتَّزنة بين كلِّ الأجزاء، وقد ورد التناظر في العمارة الإسلاميَّة بما يخدم الكتل والإنشاء والوظيفة. للمزيد من التفصيل عن التناسب والتناظر بالعمارة الإسلاميَّة وأهميَّته في إظهار الشكل بمظهر جميل، وبالوقت نفسه يُظهر مدى الخبرة وحرص المعمار المسلم على إتقان مهنته وتطويرها، ينظر: ثويني، عليّ، معجم عمارة الشعوب الإسلاميَّة، ص٢١٥، وينظر: الجادرجي، رفعة، في سببيَّة وجدليَّة العمارة، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) للمزيد من التفصيل عن معرفة الفرق بين العمل الوظيفيّ للسقَّاطات والمزاغل في العمارة الحربيَّة والعسكريَّة، ينظر: غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلاميَّة، ص٢٢٦، ٢٣٣.

واجهة القسم الأعلى من البرج (اللوح٨)، ويعلو هذه الواجهة الزخرفيَّة صفًّا ثالثًا، وهو عبارة عن صف من المزاغل البالغ عددها (عشرة)، وهي بنفس القياسات والأبعاد والشكل بالنسبة إلى مزاغل الصف الأوَّل، وبالنسبة إلى الصفِّ الرابع، الذي يتكوَّن من اثنتي عشرة فتحة مربَّعة بنفس القياسات والمواصفات الموجودة في فتحات الصفِّ الثاني، وتنتهي قمَّة البرج بمجموعة من الشرفات الهرميَّة[1]، البالغ عددها خمس عشرة، وهي عناصر عماريَّة دفاعيَّة تسمح للمدافعين عن القلعة بالمراقبة والرصد الجيِّد، ودقَّة الإصابة دون أن يصاب الأشخاص المتواجدين خلفها. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الضلع الخلفيّ للبرج يحتوي على مجموعة من المزاغل عددها (أربعة)، تطلُّ على الضلع الشرقيّ للقلعة؛ لحمايته ومراقبته، وهي بنفس المواصفات الخاصَّة بمزاغل البرج الأخرى التي مرَّ ذِكرها قبل قليل، وكذلك توجد فتحة مربَّعة الشكل، أبعادها (٨٠×٨٠سم) في أعلى البرج من الجهة المطلَّة على السطح (اللوح٤).

البرج من الداخل: للبرج مدخل مستطيل الشكل، أبعاده (٢٦ , ١×٩٠ , ١م)، يعلوه عقد مستقيم معمول من الآجر يؤدِّي إلى داخل البرج (اللوح٤)، ويتألَّف داخل البرج من ساحة صغيرة مستطيلة الشكل، أبعادها (٧×٤م)، يعلوها سقف معمول من الحديد والشيلمان، يغطِّي نصف مساحة البرج من الداخل تقريبًا (٢×٢م) (اللوح٩)، لغرض الجلوس عليه من قِبَل المدافعين عن القلعة، واستخدامها في الجانب الدفاعيّ؛

(١) تعدُّ الشرفات من العناصر العماريَّة ذات الطابع العسكريّ والحربيّ، تُبنى في أعلى قمم الأبراج والأسوار والقلاع والحصون، يُشرِف من خلالها الجند المدافعين، والشرفات على أنواع متعدِّدة، منها: الهرميَّة والمسنَّنة. للمزيد من التفصيل ينظر: الهاشميّ، نسيبة محمَّد، الشرفات ظهورها وتطوُّرها من سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ص٥-٦، وينظر: الميَّالي، رجوان فيصل، القلاع في وسط وجنوب العراق عمارتها وتخطيطها خلال فترة الاحتلالّ العثمانيّ ٩٤١-١٣٣٦هـ/ ١٥٣٤-١٩١٧م، ص١٧١.

لأنَّها بمستوى ارتفاع واحد، مع فتحات المزاغل المطلَّة على الواجهة الخارجيَّة للبرج، وكذلك تحتوي جدران البرج من الداخل على أربع كوَّات غير نافذة مستطيلة الشكل، أبعاد اثنتين منها (٧٧×٩٥سم)، واثنان بقياس (٩٥×٦٠سم)، تستخدم لغرض وضع بعض الحاجيات، مثل أدوات الإنارة والإضاءة (اللوح١٠).

في نهاية الحديث عن التفاصيل المعماريَّة، لا بدَّ هنا من ملاحظتَين هامَّتين، تتعلَّقان بالشكل التخطيطيّ للبرج، أقول: إنَّ النماذج التي تشبه هذا البرج موضوع دراستنا قليلة[١]:

الملاحظة الأولى: إنَّ المعمار استطاع أن يجمع شكلَين في آنٍ واحد، وهو الشكل المستطيل ذو الواجهة نصف الدائريَّة، كما ذكرنا ذلك في ثنايا البحث[٢]، ومن نظرة ميدانيَّة تحليليَّة فاحصة لهذا الشكل، نجد أنَّ المعمار كان حاذقًا ولبيبًا في تنفيذ خواصِّ البرج التخطيطيَّة والمعماريَّة بجمعه لعديد من المزايا الدفاعيَّة والحربيَّة والمناخيَّة والبيئيَّة والاقتصاديَّة والعسكرية في عمله[٣]، إذ جعل المعمار تخطيط البرج

(١) يتشابه برج قلعة الخلفة مع أبراج قلعة بصية التي بُنيت في بادية السماوة عام ١٩٢٨م. للمزيد من التفصيل، ينظر: الميَّالي، رجوان فيصل، العمائر العسكريَّة، المصدر السابق، ص٥٧.

(٢) من أكثر أشكال الأبراج كفاءة من الناحية الدفاعيَّة، هو الشكل الإسطوانيّ ونصف الدائريّ؛ لأنَّه يعطي مجالًا أوسع للحركة والمناورة عند الدفاع، وأنَّ زاوية الرصد فيه أوسع. للمزيد من التفصيل، ينظر: الشمَّري، إبراهيم سرحان، البرج في العمارة العربيَّة الإسلاميَّة في العراق حتى نهاية العصر العبَّاسيّ، ص١٤٥.

(٣) إنَّ ضخامة البرج بهذا الشكل؛ لتحقيق الغرض الذي شيِّدت من أجله، هو تدعيم الناحية الدفاعيَّة، حيث يشتمل البرج في موضوع دراستنا على مستويات متعدِّدة من الدفاع، وهو أسلوب معماريّ استُعمل في قلاع دمشق وحلب، واستمرَّت هذه الظاهرة الحربيَّة في القلاع المملوكيَّة في مصر، كما في قلعة قايتباي في الإسكندريَّة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، وقلعة أتادوس في تركيا عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م، المعروفة (حصار) أي (الحصون الرشيقة)، وذلك في برجها الشماليّ، وهذه المستويات الدفاعيَّة المتعدِّدة عبارة عن فتحات للمزاغل لإطلاق النيران منها.=

بهـذه الكيفيَّة لجماليَّة الشـكل والمحتوى، عندمـا قرَّر أن تكون الواجهـة نصف دائريَّة، لمـا تحمله هـذه الفكرة من خصائـص مميَّزة ورائعـة، منها أنَّهـا كلَّما ارتفع بناء الشـكل نصف الدائريّ للأعلى، اسـتطاع أن يشـتِّت قوَّة الرياح التي تصطـدم به، وأن لا يكون البنـاء معرَّضًـا للانهيـار، كما يحصـل في بقيَّة الأشـكال المربَّعة والمسـتطيلة، التـي تتأثَّر بالجانـب المناخيّ والبيئيّ، وخصوصًا عامل الرياح، وهنـا عالج المعمار الجانب المناخيّ والبيئـيّ[1]، عندما جعـل البرج ذا واجهة نصف دائريَّة من الأمـام متكوِّنة من طابقَين، وجعلها من أكثـر الأجزاء أرتفاعًا بالقلعة، دون أن تنال منها الرياح، لكي يؤدِّي البرج وظائفـه الأخرى، وكذلك الجانـب الاقتصاديّ والكلفة الماليَّة، بتقليل اسـتخدام مواد البناء بالأشكال الدائريَّة أو نصف الدائريَّة مقارنةً بالأشكال الأخرى المربَّعة والمستطيلة وغيرهـا[2]، وأيضًا نجح المعمار في اختياره هذا الشـكل، أي نصف الدائريّ؛ لأنَّه حقَّق الغـرض الأهم، وهو الغرض العسـكريّ، وكما هو معروف أنَّ الأشـكال الدائريَّة هي أكثر فاعليَّة من الأشـكال الأخرى، مثل المربَّعة والمسـتطيلة، في الدفاع عن المكان المراد حمايته[3].

=للمزيـد من التفصيـل، ينظر: قلعجي، عبـد الفتَّاح رواس، حلب القديمة والحديثة أسـماؤها وحكَّامهـا وأحداثهـا، أبوابها وأسـواقها وأحياؤها، ص٢٧٣-٢٧٥، وينظـر: الجهينيّ، محمَّد، العمارة الحربيَّة في الجزيرة العربيَّة، ص٣٥.

(١) للمزيد من التفصيل عن دور المعمار في المعالجات المناخيَّة والبيئيَّة في العمارة الإسـلاميَّة، ينظر: وزيري، يحيى، العمارة الإسلاميَّة والبيئة، العدد٣٠٤، ص١٨٦.

(٢) للمزيـد مـن التفصيل عن موضـوع الاقتصاد في الكلفـة البنائيَّة، ينظر: محمَّـد، غازي رجب، التحصينات الدفاعيَّة في مدينة بغداد المدوَّرة، ج٣، ص٣٣٤.

(٣) للمزيـد مـن التفصيـل عن مهامِّ أشـكال الأبراج الدائريَّة، سـواء كانت مسـلوبة البدن أم لا، ونجاحهـا في تأديـة الواجـب الدفاعـي والمناخـي بتبريـد البرج مـن الداخل، ينظـر: وزيري، يحيـى، جماليَّات المفـردات المعماريَّة في المجتمعات العربيَّة والإسـلاميَّة، سـلطنة عمان أنموذجًا، ص١١٣.

الملاحظة الثانية: هي تقدُّم البرج عن سمت الجدار الجنوبيّ للقلعة مسافة (٤٥ , ٣م)، فضلًا عن ذلك نجد أنَّ شكل البرج يطغى على جميع أجزاء القلعة، وهو البناء الأفخم والأكبر والأمتن في جميع تفاصيله، وهنا حقَّق المعمار هدفَين، الأوَّل: بأن جعل البرج متقدِّمًا على سمت الجدار؛ لأغراض السيطرة والتحكُّم ببقيَّة أجزاء القلعة، بكبر حجمه ومتانته، وأن يجعل البرج آخر معقل من معاقل القلعة يسقط بيد المهاجمين والاعداء، الثاني: هو أن يجعل البرج من أكثر الأجزاء صرحيَّة وضخامة، ممَّا يجبر المشاهد على الشدِّ والانتباه وأدخال الرهبة في النفس والقلب، وهذا أيضًا أسلوب معماريّ يسمَّى البشتاك[1]، ظهر في الكثير من العمائر والأبنية الإسلاميَّة، وبهذا يكون البرج عبارة عن مجموعة بنائيَّة متكاملة، حقَّق بها المعمار جميع متطلَّباته العسكريَّة والدفاعيَّة والبيئيَّة والمناخيَّة والاقتصاديَّة من حيث الشكل والمضمون.

الوحدات المعماريَّة: تتوزَّع الوحدات المعمارية في هذه القلعة على أربع جهات، بُنيت جميعها بالآجر والجصّ، وبارتفاع متساوي (٥٥٠ , ٤م).

الجناح الشماليّ والجنوبيّ: يتألَّف كلُّ واحدٍ منهما من ثلاث حجرات مستطيلة الشكل، قياس الواحدة (٥×٧م)، وقد فتح المعمار في واجهة كلِّ حجرة مدخلًا مستطيل الشكل، أبعاده (١×٧٠ , ٢م)، ويشغله باب معمول من الخشب من مصراعَين، كلُّ مصراع مقسَّم على ثلاثة أقسام مستطيلة، صغيرة الحجم، خالية من الزخرفة، ويعلو الباب كتيبة خشبيَّة متكوِّنة من أربعة مربَّعات صغيرة الحجم، تتخلَّلها مجموعة من القضبان الحديديَّة، يعلوها عقد مستقيم معمول من التلاعب بوضعيَّة تصفيف الآجر، باستثناء الحجرة الوسطانيَّة، فبابها لا يحتوي على كتيبة، فيكون مختلفًا عن أبواب الحجرتَين

(١) البشتاك مصطلح معماريّ يرد في العمارة الهنديَّة، يصف أنواع المداخل صرحيَّة الهيئة، ويكون موقعها في قلب البناء، وعلى محوره الرئيس. ينظر: ثويني، عليّ، معجم عمارة الشعوب الإسلاميَّة، المصدر السابق، ص١٤٨.

الجانبيَّتَين من كِلَا الجناحَين الشمالي والجنوبي، إذ تكون أبعاد الباب (١×٣م)، وفتح المعمار أيضًا في واجهة كلِّ حجرة نافذة مستطيلة الشكل أبعادها (٩٠سم×١٠ , ٢م)، شُغِلت بشبَّاك معمول من الخشب والقضبان الحديديَّة، وتتقدَّم هذَين الجناحَين طرمة بمسافة ثلاثة أمتار لكلِّ جناح، ترتكز هذه الطوارم على أعمدة أسطوانيَّة الشكل رشيقة، معمولة من مادَّة الإسمنت والحصى، ارتفاع الواحد (٣٥٠ , ٤م)، عددها اثنان، المسافة بين الواحدة والأخرى خمسة أمتار. استطاع المعمار هنا الاستغناء عن التيجان التي تعلو الأعمدة لتحمل السقف، حيث استخدم الحديد الشيلمان، ووضعه بطريقة أفقيَّة تصل بين الأعمدة، وهذا جرَّاء دخول مواد بناء حديثة في بداية القرن العشرين (اللوح١١).

الجناح الشرقيّ: يحتوي هذا الجناح على ثلاث حجرات بالقياسات والأبعاد نفسها التي وجِدت في الجناحَين الشماليّ والجنوبيّ، وكذلك بالنسبة إلى أعداد المداخل والنوافذ وقياس كلِّ واحدة منها، إلَّا أنَّ هذا الجناح يختلف عن سابقَيه بأنَّ الطرمة التي تتقدَّمه ترتكز على ثلاثة أعمدة أسطوانية، لا اثنَين، بالقياسات والأبعاد نفسها الموجودة في سابقتها (اللوح١٢).

الجناح الغربيّ: زوِّد هذا الجناح بثلاث حجرات بالقياسات والأبعاد نفسها التي وجِدت في الجناح الشرقيّ، وكذلك بالنسبة إلى أعداد المداخل والنوافذ، وقياس كلِّ واحدة منها، إلَّا أنَّ هذا الجناح يختلف عن الجناح الشرقيّ والشماليّ والجنوبيّ بعدم احتوائه على طرمة تتقدَّمه، وكذلك بعض الاختلافات الطفيفة التي تتعلَّق بشكل الباب الوسطانيّ الذي تعلوه كتيبة.

الصحن: تنفتح وتطلُّ جميع الوحدات المعماريَّة في هذا القسم من القلعة على صحن وسطي مربَّع الشكل، قياساته (٣٣×٣٤م)، بُلِّطت أرضيَّته بالفرشيّ المربَّع ذي

القياسات (٢٥×٢٥سم)، وتنتشر في داخل الصحن الكثير من الحشائش والنباتات؛ نتيجة عدم الاستطيان والسكن بداخل البناء، وأهماله، ممَّا أدَّى إلى عدم العثور على آثار لبئر، أو مكان لتصريف المياه (اللوح١١).

السلالم والسطح: زوِّد هذا القسم من القلعة بسلَّمَين، **الأوَّل**: يقع في أحد أطراف الجناح الغربيّ، يتمُّ الوصول إليه عن طريق ممر ضيِّق ومظلم، مستطيل الشكل، أبعاده (٢٠ , ٦×٤م)، يتمُّ الصعود به إلى سطح المبنى عن طريق غرفة مربَّعة الشكل، أبعادها (٤×٤م)، لها مدخل مستطيل الشكل، أبعاده (١×٢م)، ينفتح بشكل مباشر على السطح.

الثاني: يقع هذا السلَّم في أحد أطراف الجناح الشرقيّ، بشكل متقابل ومتناظر مع السلَّم الأوَّل وبنفس الشكل والطريقة والتصميم، بلِّطت أرضيَّة السطح بالفرشيّ المربَّع الشكل، بقياس (٢٥×٢٥سم)، علمًا أنَّ قياس السطح من جهَتَي الشمال والجنوب تسعة أمتار، تبدأ من حدود السور الخارجيّ إلى أن تصل إلى نهاية الطرمة مع بداية الصحن، ومن الجهة الشرقيَّة ثمانية أمتار، ومن الجهة الغربيَّة ستَّة أمتار بالحدود والأبعاد نفسها الموجودة بجهَتَي الشمال والجنوب.

وللسطح ستارة خارجيَّة تطلُّ على المنطقة المحيطة بالمبنى من أربع جهات، يبلغ ارتفاعها (٣٠ , ١م) مزوَّدة بعدد لابأس به من الدعامات مستطيلة الشكل؛ لتدعيم الستارة وتحصينها، وجعلها تتحمَّل عوامل البيئة والمناخ، فضلًا عن الجانب الدفاعيّ والعسكريّ، وتطلُّ الستارة الأخرى الموجودة في السطح على الصحن، وهي عبارة عن ستارة داخليَّة، لم يُعِرها المعمار اهتمامًا من الناحية الدفاعيَّة والعسكريَّة، إذ جعلها عبارة عن جدار صغير ارتفاعه (٨٥ سم)، معمول من الآجر المقصوص بأشكال زخرفيَّة مختلفة، ولم يكن متينًا، يتمُّ بها النظر والسيطرة على صحن القلعة الداخليّ. وعلى ما

يبدو من هذه التفاصيل الخاصَّة بعمارة هذا القسم، بأنَّه استُخدِم لغرَضَين رئيسَين، وهما غرض عسكريّ، واستخدام خدميّ متنوِّع، مثل حجرات للضيوف، وللخزن، والاستحمام، وغيرها من الاستخدامات الأخرى الخاصَّة بالضيوف.

ثانيًا: القسم المستطيل

الوصف العام: بُنِي هذا القسم من الآجر والجصِّ بالقياسات والأبعاد نفسها الموجودة في القسم المربَّع، والمبنى مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع، إذ يتَّضح بأنَّ أضلاعه على غير أستقامة، يشكِّل الضلع الشرقيّ أكثرها استقامة، إذ يبلغ طوله الكلِّي (١٧م)، على حين يتكوَّن الضلع الغربيّ من مقطعَين، الأوَّل: مستقيم، طوله (٨م)، والثاني: على شكل نصف دائرة، قطرها (٨م)، وبهذا يكون طوله الكلِّيّ (١٦م)، على حين أنَّ الضلع الشمالي أكثرها تعقيدًا، له مقطع طوله (٨م)، ثمَّ دخلة منكسرة (٤م)، ثمَّ مقطع آخر من الضلع نفسه طوله (٨م)، وبهذا يكون طوله الكلِّيّ (٢٠م)، أمَّا الضلع الجنوبيّ فيتكوَّن من مقطع واحد فقط، طوله (١٢م)، (اللوح١٣).

وعلى ما يبدو، فإنَّ هذا القسم من البناء استُخدم بشكل كامل للسكن العائليّ، وعلى الرغم من وظيفتَّه الاساسيَّة التي خُصِّصت بالدرجة الأولى للعمارة الخدميَّة والعائليَّة، زوَّد المعمار الستارة العليا لهذا البناء بعدد من المزاغل التي تؤدِّي وظيفة عسكريَّة وحربيَّة، ولهذا القسم من البناء مدخَلَين: المدخل الرئيس فُتِح في الضلع الغربيّ، أبعاده (٢٠ , ١×٧٠ , ٢م)، وهو معمول من الخشب على مصراعَين (اللوح١٤)، وفُتِح بالقرب منه نافذة مستطيلة الشكل يشغلها شبَّاك معمول من قضبان الحديد والخشب، أبعاده (١٠ , ١×٤٥ , ١م)، ويعلو هذا الشبَّاك لوحة فنيَّة جميلة (اللوح١٥)، تتكوَّن من الألوان المائيَّة، قوامها منظر يمثِّل أشجار ونباتات وبيوت وجسور وقناطر، مع وجود

نهر يتوسَّط المشهد، وقد حاول الفنَّان أن يضع لكلِّ عنصر من عناصر هذا المشهد لونًا يناسبه، على الرغم من أنَّه لم يحاكِ الألوان الطبيعيَّة للعناصر النباتيَّة التي طغى عليها اللون الأصفر، وربَّما كان الفنَّان يريد أن يصوِّر لنا موسم الخريف، عندما تكون النباتات والاشجار باللون أصفر، وعلى أي حال، لا بدَّ من القول إنَّ الفنان في مشهده هذا حاول أن ينقل الواقع البيئيّ والنباتيّ الموجود في منطقة القلعة؛ لأنَّها منطقة زراعيَّة، تكثر فيها النباتات والأشجار والأنهار والجداول. أمَّا وجود هذا المشهد في الواجهة الرئيسة للبناء، فهو دالٌّ على أنَّه مكان مهم ومركزي، كاستخدامه لجلوس العائلة لقضاء أوقات الفراغ، وخصوصًا أنَّ أمامه حديقة جميلة تحقِّق الغرض الجماليّ والترفيهيّ، فضلًا عن ذلك، تتقدَّم هذه الواجهة طرمة (رواق) بمسافة ثلاثة أمتار ترتكز على عدد من الأعمدة الأسطوانية الشكل، ممَّا يعطي البناء جماليَّة أضافيَّة، لاسيما أنَّ هذه الجهة من البناء تحتوي على بناء نصف دائريّ، أمَّا المدخل الثاني، فيوجد في منتصف الضلع الشماليّ، أبعاده (١٥ , ١×٨٠ , ٢م)، يتكوَّن من مصراعَين، كلُّ مصراع مقسَّم على مستطيلات صغيرة الحجم، عددها ستَّة فقط، وتتكوَّن الكتيبة التي تعلو مصاريع الباب من قضبان حديديَّة وخشبيَّة تزيد من جماليَّة الباب التي يعلوها عقد مستقيم معمول من التلاعب بوضعيَّة الآجر (اللوح١٦)، وتؤدِّي هذه المداخل إلى ممرَّات وموزع يطل على مجموعة من الحجرات المتلاصقة والمتقابلة مع بعضها، تكون في العادة ذات مساحات مداخل متشابهة، تُستخدم بعدَّة وظائف ومهام أخرى.

النتائج

بعد نهاية البحث، نصل إلى مجموعة من النتائج التي من شأنها أن تزيد من إيضاح بعض المبهمات بخصوص أسلوب بناء القلعة موضوع البحث:

١. إنَّ منطقة الدراسة مدار البحث من الأماكن المهمَّة في العراق، إذ إنَّها تتمتَّع بموقع إستراتيجيّ مهم، واستوطنتها الكثير من العشائر العراقيَّة الأصيلة، ممَّا جعلها منطقة ساخنة بالأحداث السياسيَّة والعسكريَّة.

٢. يتميَّز بناء القلعة بأنَّه يتكوَّن من قسمَين، الأوَّل قسم يسمَّى السلاملك، والثاني الحرملك، وهذا من الصفات التخطيطيَّة للعمارة الإسلاميَّة التقليديَّة، التي تراعي الجوانب الاجتماعيَّة والدينيَّة السائدة في المجتمعات الإسلاميَّة المحافظة.

٣. تبيَّن من البحث أنَّ الكثير من القلاع تنتشر في منطقة الدراسة، وجميعها تتَّصف بمزايا حربيَّة ودفاعيَّة.

٤. تتَّصف قلعة الخلفة موضوع البحث بصفات معماريَّة فريدة من نوعها، من حيث التخطيط والعمارة، وتناسب الأجزاء، وتناظر العناصر المعماريَّة، مثل المداخل والحجرات، ويلحظ على بناء القلعة بشكل عام بأنَّه لم تمتدّ إليه يد التجديد والتعمير، ولكنَّها بقيت تحتفظ ببنائها الأصليّ.

٥. خلو جدران البناء من أيِّ نصٍّ تذكاريّ أو نقشٍ كتابيّ يوثِّق تاريخ بناء القلعة

أو ترميمها، على الرغم من وجود قلاع بالقرب منها، نُقش على واجهتها تاريخ البناء، مثل قلعة النصر في مدينة المسيَّب.

٦. من البحث تبيَّن أنَّ عمارة القلعة من العمائر الهجينة التي تمتزج بها العمارة الرسميَّة والعمارة المحليَّة؛ لتخرج لنا بعمارة هجينة تجمع بين المزايا المعماريَّة التي تشتهر بها العمارة الإسلاميَّة التقليديَّة، مثل الأبراج والمزاغل وبقيَّة العناصر الأخرى، وبين المزايا المعمارية التي دخلت لنا مع العمارة الرسميَّة أبان سنوات الاحتلال البريطانيّ في العقدَين الأوَّل والثاني من القرن العشرين، مثل الأعمدة الأسطوانيَّة المندمجة، والمعمولة من مادَّة الإسمنت الحديثة، والحديد الشيلمان (الروافد الحديديَّة)، وحجم الآجر المستخدم في البناء.

٧. توصَّل الباحث إلى أنَّ المعمار بالغ باستخدام العناصر المعماريَّة ذات الصفة الحربيَّة والدفاعيَّة، وحسن التعامل بتوظيفها توظيفًا مميَّزًا، مثل عدد المزاغل البالغ (٦٤)، وكذلك الأمر بالنسبة للبرج الوحيد الموجود بالقلعة كان السد المنيع، والمدافع الأهم عن القلعة.

٨. توصَّل الباحث إلى أنَّ المعمار لم يغب عن فكره موضوع زيادة عدد الميازيب التي تستخدم في تصريف مياه الأمطار، على الرغم من قلَّتها في العراق، ولاسيما في أقسامه الوسطى والجنوبيَّة، إلَّا أنَّ هذه واحدة من ظواهر العمارة الرسميَّة (عمارة المستعمرات)، التي جاءت من الهند مع دخول الجيش البريطانيّ للعراق، علمًا أنَّ هذا يتلاءم مع مناخ الهند الذي يتميَّز بكثرة أمطاره.

٩. تميَّزت عمارة هذه القلعة بأسلوب التخطيط (الوتريّ)، وهو أسلوب شاع في عمارة القرن العشرين، مقتضاه السيطرة على البناء بشكل خطٍّ مائل يربط طرَفَي البناء؛ لأغراض دفاعيَّة وحربيَّة.

١٠. تبيَّن من البحث والدراسة قلَّة استخدام الزخارف الفنيَّة على البناء، باستثناء بعض اللقطات التي نفذِّت على واجهة البرج وواجهة القسم المستطيل، وهذا ناتج من الوظيفة الرئيسة للبناء، التي هي وظيفة عماريَّة عسكريَّة، لا تمتُّ إلى الفنون بصلة قويَّة.

المخططات والأشكال والألواح

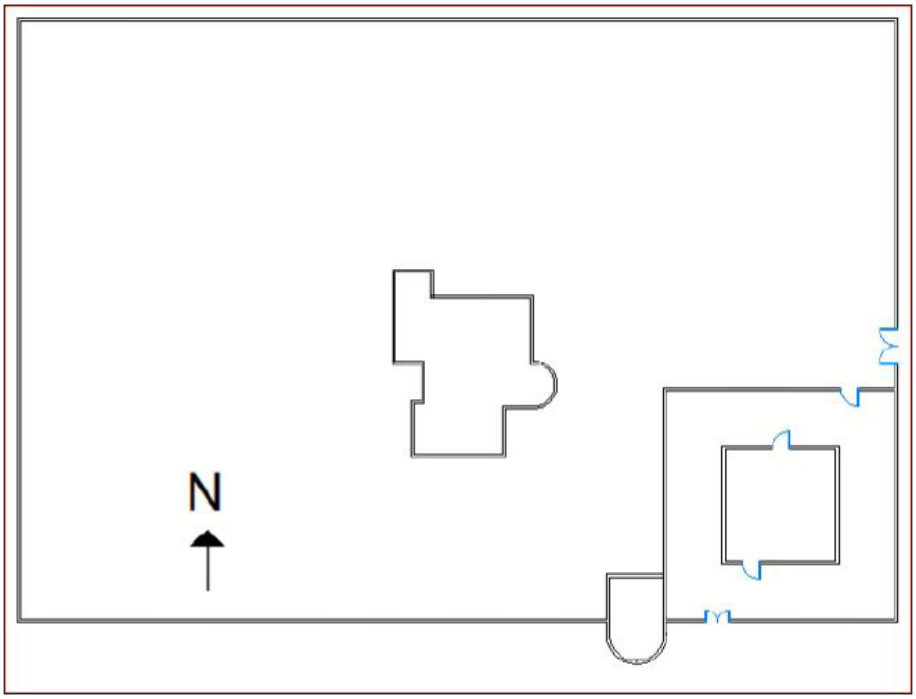

(مخطَّط ١)

مخطَّط عام يمثِّل قلعة الخلفة

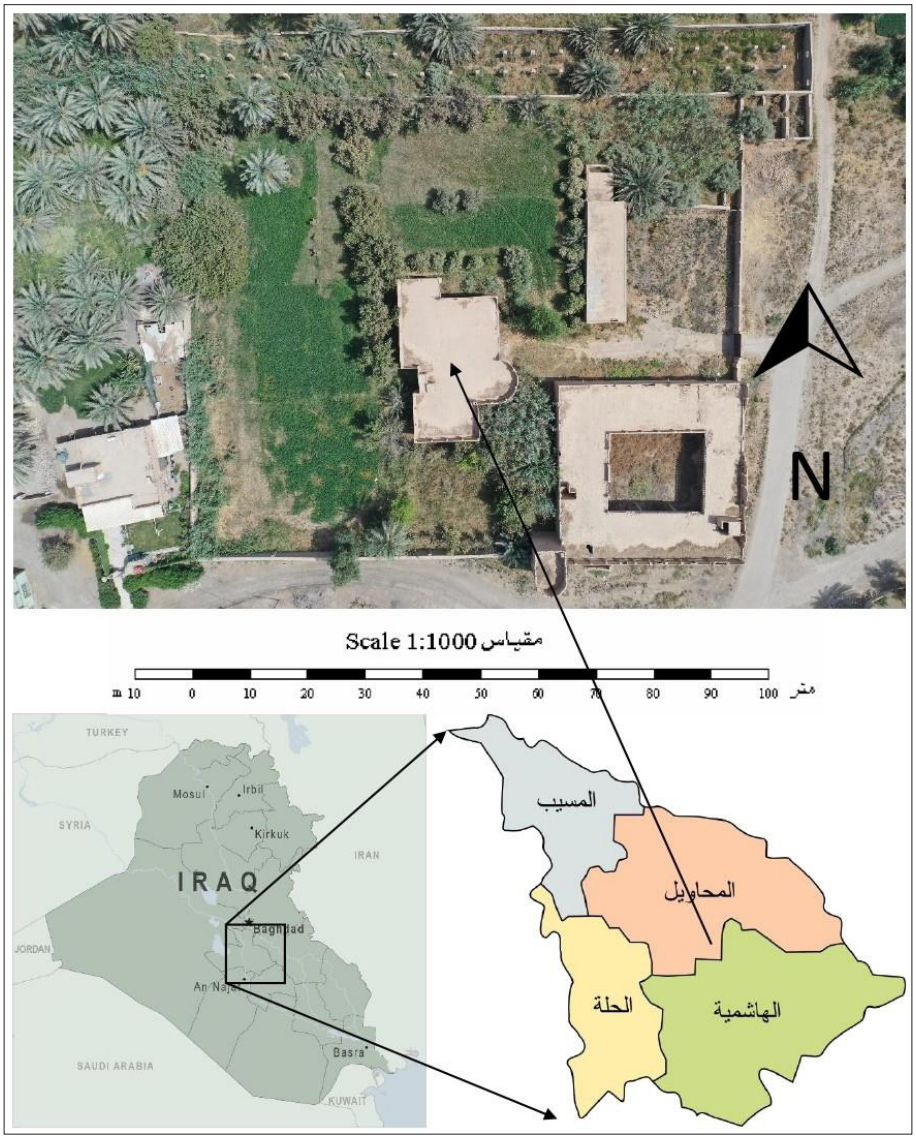

(الشكل١)

شكل يبيِّن موقع القلعة في محافظة بابل والعراق

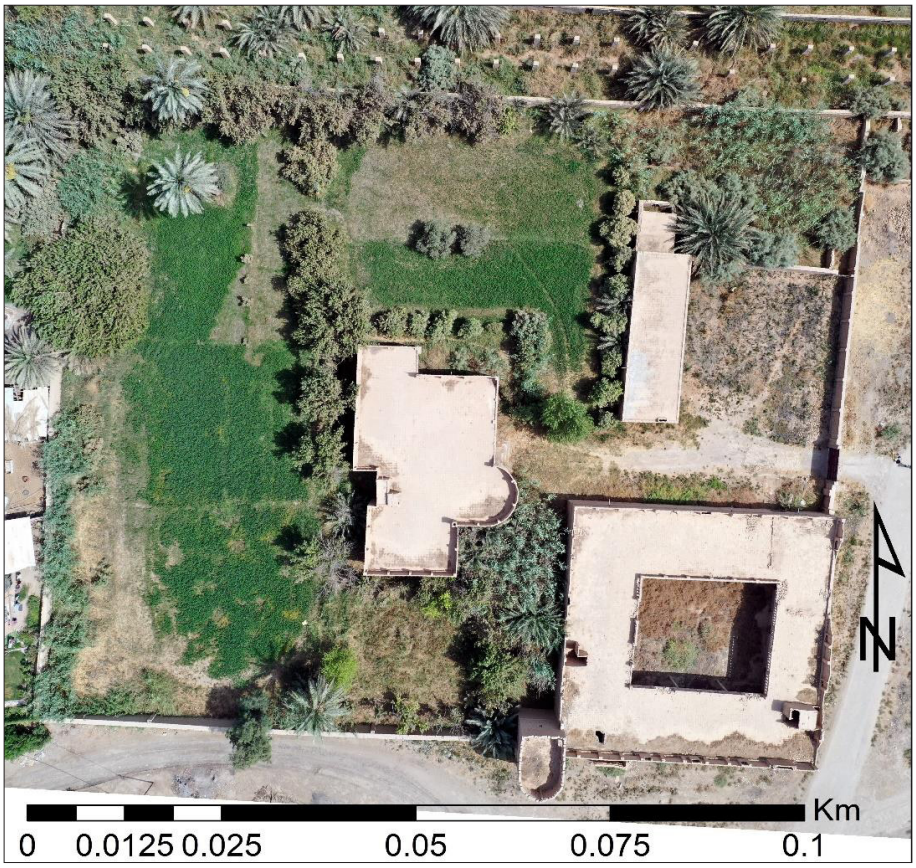

(اللوح١)

منظر عام لقلعة الخلفة

(اللوح ٢)

صورة جويَّة عامَّة لقلعة الخلفة

(اللوح٣)

مزاغل السور الشماليّ في قلعة الخلفة

(اللوح٤)

مزاغل السور الجنوبيّ والبرج الرئيس في قلعة الخلفة

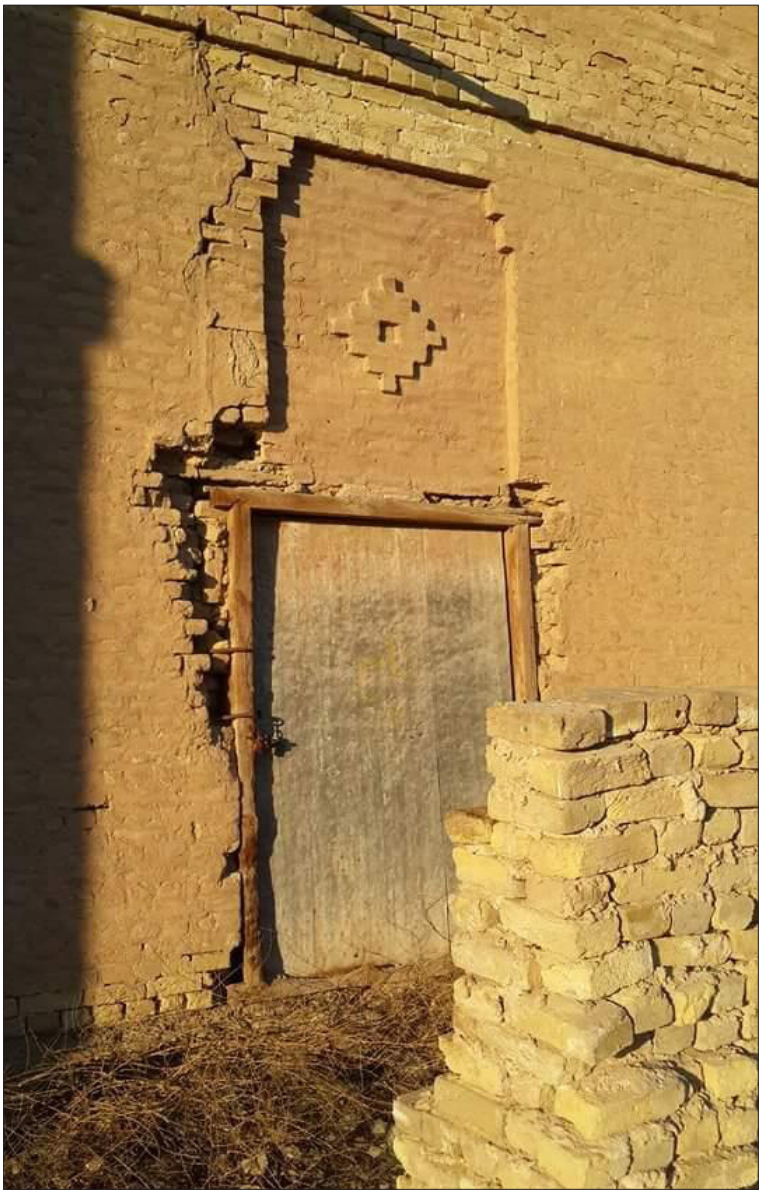

(اللوح٥)

المدخل الخارجي من جهة الجنوب

(اللوح٦)

المدخل المنكسر في القلعة

(اللوح٧)

الشريط الآجريّ الذي يقسِّم برج القلعة قسمَين

(اللوح٨)

زخرفة أجريَّة معينيَّة الشكل من ثلاثة أجزاء

(اللوح٩)

المزاغل من داخل البرج مع طريقة التسقيف بالشيلمان

(اللوح١٠)

كوَّات غير نافِذة داخل برج القلعة

(اللوح١١)

الأعمدة الإسطوانيَّة التي تطلُّ على صحن القلعة

(اللوح١٢)

الأجنحة البنائيَّة التي تطلُّ على داخل القلعة

(اللوح١٣)

منظر عام لقلعة الخلفة، يظهر به القسم المستطيل

(اللوح١٤)

أحد أبواب القسم المستطيل، وهو باب معمول من الخشب،

وله كتيبة من الحديد

(اللوح١٥)

منظر فنِّي معمول من الألوان المائيَّة يحتوي على منظر طبيعيّ

(اللوح١٦)

المدخل الثاني في القسم المستطيل من قلعة الخلفة معمول من الخشب بمصراعَين

المصادر والمراجع

١. بيج، بيرتون، البرج في العمارة الإسلاميَّة الحربيَّة، ترجمة إبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، وحسن عثمان، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٩٨١.

٢. تقرير سرِّي لدائرة الاستخبارات البريطانيَّة عن العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، مطبعة الزَّهراء، بغداد، ١٩٥٨.

٣. ثويني، عليّ، معجم عمارة الشعوب الإسلاميَّة، مطبعة النهار الجديد، بغداد، ٢٠٠٦.

٤. الجادرجيّ، رفعة، دور المعمار في حضارة الإنسان، طبع مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠١٤.

٥. الجادرجيّ، رفعة، في سببيَّة وجدليَّة العمارة، طبع مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠٠٦.

٦. الجهينيّ، محمَّد، العمارة الحربيَّة في الجزيرة العربيَّة، الأكاديميَّة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ٢٠٠٨.

٧. الجويبراويّ، جبَّار عبد الله، عشائر الفرات الأوسط والجنوبي في الحِلَّة والديوانيَّة والسماوة والناصريَّة، مطبعة الأديب البغداديَّة، بغداد، ١٩٩٢.

٨. الحسنيّ، عبد الرزَّاق، العراق قديمًا وحديثًا، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.

٩. الخفاجيّ، المراقد والمقامات البهيَّة في الحِلَّة السيفيَّة، طبع مؤسَّسة الأستانة الرضويَّة المقدَّسة، مشهد.

١٠. الدرَّاجيّ، سعدي إبراهيم، عمارة القلاع في شمالي العراق ١٠٣٥-١٢٨٩هـ/ ١٦٢٥-١٨٧٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كليَّة الآداب، ١٩٨٥.

١١. السمَّاك، حسن عليّ، القلعة ودورها العسكريّ والسياسيّ في منطقة الفرات الأوسط (قلعة شخير أنموذجًا)، المؤتمر العلميّ الأوَّل، جامعة ميسان، العدد١-٢، الجزء الثاني، ٢٠١٠.

١٢. السمَّاك، حسن عليّ، عشائر منطقة الفرات الأوسط ١٩٢٤-١٩٤١، دار الفرات للطباعة، بابل، ٢٠١٤.

١٣. الشمَّريّ، إبراهيم سرحان، البرج في العمارة العربيَّة الإسلاميَّة في العراق حتَّى نهاية العصر العبَّاسيّ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كليَّة الآداب، ١٩٩٦.

١٤. الشمَّريّ، إبراهيم سرحان، قلعة النصر في مدينة المسيَّب (دراسة ميدانيَّة)، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة للعلوم التربويَّة والإنسانيَّة، العدد٤١، ٢٠١٨.

١٥. الطرفيّ، الشيخ عزيز جفَّات، مدن عراقيَّة على ضفاف الفرات، دار الصادق للطباعة، بابل، ج٢.

١٦. عـوض، عبد الرضا، الدرَّة البهيَّة في تاريخ المدحتيَّـة، مطبعة الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٦.

١٧. عوض، عبد الرضا، الشـوملي نشـأتها وتطوُّرها- دراسة في الأوضاع العامَّة، دار الفرات للطباعة، بابل، ٢٠٠٩.

١٨. غالـب، عبـد الرحيم، موسـوعة العمارة الإسـلاميَّة، مطبعة جـروس برس، بيروت، ١٩٨٨.

١٩. قـرى لـواء الحِلَّـة، الحِلَّة في مجلَّـة لغة العـرب، أعـداد مركز إحيـاء التراث، منشورات دار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، مطبعة دار الكفيل، كربلاء المقدَّسة، ٢٠١٦.

٢٠. قلعجـي، عبـد الفتاح رواس، حلـب القديمـة والحديثة أسـماؤها وحكَّامها وأحداثها، أبوابها وأسواقها وأحياؤها، مؤسَّسة الرسالة، حلب، ١٩٨٩.

٢١. محمَّد، غازي رجب، التحصينات الدفاعيَّة في مدينة بغداد المدوَّرة، موسـوعة الجيش والسلاح، دار الحريَّة للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ج٣.

٢٢. الميَّالي، رجوان فيصل، العمائر العسـكريَّة في وسـط العراق وجنوبه (تخطيطها وعمارتهـا) ١٩١٤-١٩٥٨م، أطروحة دكتوراه غير منشـورة، جامعة بغداد، كليَّة الآداب، ٢٠١٦.

٢٣. الميَّـالي، رجوان فيصل، القلاع في وسـط وجنوب العـراق عمارتها وتخطيطها خلال فترة الاحتـلال العثـماني ٩٤١-١٣٣٦هـ/ ١٥٣٤-١٩١٧م، رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كليَّة الآداب، ٢٠٠٩.

٢٤. الميَّـالي، فيصل غازي، لفظة روبيانـة أو ربيانة في ناحية المدحتيَّة في محافظة بابل ماذا تعني، مباحث فراتيَّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، مطبعة المارد العلميَّة، النجف الأشرف، ج١، ٢٠١٠.

٢٥. الهاشميّ، نسيبة محمَّد، الشرفات ظهورها وتطوُّرها من سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كليَّة الآداب، ١٩٩٥.

٢٦. وزيـري، يحيـى، العمارة الإسـلاميَّة والبيئة، سلسـلة عـالم المعرفـة الكويتيَّة، العدد٣٠٤، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٤.

٢٧. وزيري، يحيى، جماليَّات المفردات المعماريَّة في المجتمعات العربيَّة والإسـلاميَّة سلطنة عمان أنموذجًا، مجلَّة عالم الفكر، العدد٤، المجلد٣٤، ٢٠٠٦.

الأحوال العامَّة لمدينة الحِلَّة منذ السيطرة العثمانيَّة على العراق سنة ١٥٣٤م إلى بداية القرن الثامن عشر سنة ١٧٠٠م

أ.م.د. عليّ طالب عبيد السلطانيّ
كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام/أقسام بابل

General Conditions of the City of Hilla since the Ottoman Control of Iraq from the year 1534 AD. until the beginning of the Eighteenth Century in the year 1700 AD.

Asst. Prof. Dr. Ali Talib Obaid Al-Sultani
Imam Al-Kadhim College (PBUH)/Sections of Babylon

الملخَّص

اهتمَّت الدراسات التاريخيَّة بمدينة الحِلَّة، بمختلف عصورها، وكانت عصورها الحديثة، لاسيما مرحلة القرن الثامن عشر من ضمن هذه الاهتمامات، إذ فرض العثمانيُّون سيطرتهم على الحِلَّة أوَّل مرَّة، بعد أن عُدَّت سنجقًا من سناجق ولاية بغداد، وذلك بموجب التنظيمات الإداريَّة التي أوجدها السلطان العثمانيّ سليمان القانونيّ بعد دخوله لبغداد من دون أيَّة مقاومة تُذكَر، وقد أوَّلى العثمانيُّون سنجق الحِلَّة أهميَّةً كبيرةً؛ لكونها أقرب السناجق إلى مركز الولاية في بغداد. وبذلك اعتُمِد عليها في تأمين الأرزاق لفئات عديدة من العثمانيِّين من جنود وغيرهم، فضلًا عن تهيئة ما يحتاجون في حركاتهم التوسُّعيَّة نحو مناطق العراق الأخرى، وبذلك حصلت الحِلَّة على هذه الأهميَّة في ميادين مختلفة، منها ما هو اقتصاديّ، أو دينيّ، أو سياسيّ.

Abstract

Historical studies focused on the city of Hilla and its various eras, and its modern eras, especially the eighteenth century, were among these interests, as the Ottomans imposed their control over Hilla for the first time, after it was considered a sanjak among the sanjaks of the Baghdad state. This is in accordance with the administrative arrangements created by the Ottoman Sultan Suleiman Kanuni after his entry into Baghdad without any significant resistance. The Ottomans attached great importance to the Sanjak of Hilla because it was the closest sanjak to the center of the state in Baghdad. Thus, he relied on it to secure resources for many groups of Ottomans, including soldiers and others, in addition to preparing what they needed in their expansionist movements towards other regions of Iraq. Thus, Hilla gained this importance through a group of factors, including economic, religious, or political factors.

المقدِّمة

حظيت مدينة الحِلَّة بدراسات تاريخيَّة غطَّت مختلف عصورها، منذ تأسيسها سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، وكانت عصورها الإسلاميَّة الأكثر حظوةً واهتمامًا عند الباحثين، على العكس من عصورها الحديثة، وبالتحديد مرحلة العهد العثمانيّ، إذ لم تنل الحِلَّة دراسات متخصِّصة في كلِّ ما يتعلَّق بتاريخها في هذه المرحلة.

ومن هنا اختير موضوع هذا البحث (الأحوال العامَّة لمدينة الحِلَّة منذ السيطرة العثمانيَّة على العراق سنة ١٥٣٤م وإلى بداية القرن الثامن عشر سنة ١٧٠٠م)، آخذين بالحسبان أنَّ هذا التحديد الزمنيّ لا يعني حصر الدراسة بين هَذَين التاريخَين فقط؛ لأنَّ التعامل مع الماضي على وفق منهج التحليل التاريخيّ ينبغي النظر إليه على أنَّه حركة دائمة في نطاق زمنيّ محدَّد ومتواصل، بمؤثِّرات في مرحلة تاريخيَّة لاحقة، وبمعنى أدق إنَّ كلَّ مرحلة تحمل بعض السمات الحضاريَّة للمرحلة التي سبقتها، وفي الوقت نفسه تحمل هي بذور المرحلة التي تليها أنفًا.

وشهدت المرحلة التاريخيَّة عنوان البحث، تطوُّرات كثيرة وخطيرة، كان لها تأثير كبير في مجمل الحياة العامَّة في عموم العراق، ومنها مدينة الحِلَّة، إذ شهدت هذه المرحلة سيطرة العثمانيِّين على العراق بمختلف مناطقه، وما مثَّلته هذه السيطرة من تفاقم كبير للصراع العثمانيّ- الفارسيّ، لدرجة أصبح العراق فيها وكأنَّه ساحة الصراع الرئيسة بينهما، فضلًا عن ذلك، فإنَّ التقسيمات الإداريَّة التي أوجدها العثمانيُّون، ووضعت مدينة الحِلَّة كسنجق (محافظة) تابعة لأيالة (ولاية) بغداد، ممَّا جعلها، وهي القريبة منها،

أي قريبة من بغداد، إحدى البوَّابات الرئيسة للدخول إليها، وهذا الأمر انعكس على أوضاع سكَّانها الذين عانوا بسبب غزارة الإنتاج ووفرة المياه (وجود شطِّ الحِلَّة)، لأنَّ العثمانيين كانوا بين مدَّة وأخرى، يفرضون ضرائب متنوِّعة وبمسمَّيات مختلفة، ممَّا جعل أهلها يعيشون حالة من البؤس والفقر نتيجةً لذلك، وكلُّ هذه الأسباب مجتمعة أدَّت إلى امتناع أهلها من دفع الضرائب المفروضة عليهم، وهو ما دفع العثمانيُّون إلى استخدام أبشع أساليب الظلم والقسوة ضدَّهم، وهو ما أدَّى أيضًا إلى اضطراب الأوضاع العامَّة فيها، وعدم الاستقرار.

الأحوال العامَّة لمدينة الحِلَّة منذ السيطرة العثمانيَّة على العراق سنة ١٥٣٤م إلى بداية القرن الثامن عشر سنة ١٧٠٠م

فرض العثمانيُّون سيطرتهم على الحِلَّة أوَّل مرَّة، بعد أن عُدَّت سنجقًا[١] من سناجق أيالـه[٢] بغداد الثمانية عـشر، والتي كانت الحِلَّة تابعة لهـا[٣]، وذلك بموجب التنظيمات

(١) السـنجق: كلمة تركيَّة ذات معاني متعدِّدة، تأتي بمعنى العَلَم أو الراية، وهو الوحدة الأساسـيَّة في إدارة الأيالـة (التـي هـي أكبر من السـنجق)، وغالبًـا ما تُسـتبدَل كلمة سـنجق بكلمة لواء العربيَّة، التي كثُر اسـتخدامها في السـجلَّات الرسـميَّة للدولة العثمانيَّة. ويكون على رأس إدارة السـنجق أمـير يحمل رتبة ميرلوا، أي أمير اللواء. للمزيد مـن المعلومات ينظر: خليل عليّ مراد، تاريـخ العـراق الإداريّ والاقتصـاديّ في العهـد العثـمانيّ الثـاني ١٩٤٨-١١٦٤هـ/ ١٦٣٨-١٧٥٠م، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كليَّـة الآداب، جامعة بغداد، كانـون الأوَّل ١٩٧٥، ص١١٧.

(٢) الأيالة: أكبر وحدة إداريَّة في الدولة العثمانيَّة، يكون على رأس إدارتها حاكم يسـمَّى بكلربكي، أي بـك البكـوات، ويحمل رتبة ميرميران، أي أمـير الأمراء. ويرى المـؤرِّخ الإنكليزي (دونالد بيتجر) أنَّ الدولة العثمانيَّة جرى تقسيمها إلى أيالات أيَّام السلطان العثمانيّ مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)، بينـما يـرى المؤرِّخ التركـي (خليل إينالجيـك) أنَّ مصطلح أياله كان قد اسـتُخدِم في سجلَّات ووثائق الدولة العثمانيَّة ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق، ١٩٧٤، ص٦٤.

Donald Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire fromear liest to the end of the Sixteenth Century, Cambridge, 1972, p. 102, Halil Inalcik, The Encyclopeadia of Islam, Art Eyalet, New Edition, London, 1965, Vol. 2, pp. 721- 722

(٣) وهي، عدا بغداد، كونها مركز الأيالة، سـناجق: ١. الحِلَّة، ٢. زنك آباد، ومن توابعها قزلرباط (السـعديَّة)، ٣. الجوازر (الجزائر) كانت بيد أمير طي بن عليَّان، ٤. الرمَّاحيَّة، ٥. جنكولة، من الألوية المجاورة لإيران، ٦. قره طاغ (قراداغ)، قضاء تابع للسليمانيَّة، ٧. درتنك (المعروفة قديمًا=

الإداريَّة التي أوجدها سليمان القانونيّ بعد احتلاله بغداد سنة ١٥٣٤م[١]، التي كانت قبل ذلك تحت سيطرة الفرس، وعليها الحاكم الفارسيّ محمَّد خان تكه لو[٢]، الذي فرَّ هاربًا، فدخلها السلطان العثماني سليمان القانونيّ فاتحًا دون مقاومة تُذكَر، بعد أن حاول أوَّلًا تنفيذ مخطَّطه باحتلال العراق، باستمالة حكَّامه المحلِّيِّين، وكادت تلك المحاولة أن يُكتَب لها النجاح، حين أعلن ذو الفقار خان (أحد الولاة الصفويِّين) نفسه حاكمًا على بغداد[٣]، لاسيما أنَّ القرن السادس عشر كان قد شهد صراعًا عنيفًا بين الدولتَين

=حلوان)، وهي الآن تابعة لإيران، ٨. السماوة (وردت أحيانًا بلفظ سماوات)، ٩. البيات (في كركوك)، ١٠. درنة (الآن بيد إيران، وتجاور درتنك، وهما يعدَّان لواءً واحدًا)، ١١. دهبالا، وتقع في أعلى بشتكوه (وهي الآن بيد الفيليَّة)، ١٢. واسط، ١٣. كرند، وتُلفظ كرنت (والآن هي بيد إيران)، ١٤. دميرقبو، ١٥. قزانية (الآن تعدُّ من توابع مندلي)، ١٦. كيلان العراق (وتقع ما بين كركوك وإيران)، ١٧. الصاح كفري (وتشكيلتها قبيلة الصالحيَّة في التون كوبري)، ١٨. العماديَّة (في القسم الشماليّ من العراق). للمزيد ينظر: عبَّاس العزَّاويّ، تاريخ العراق بين احتلالَين، ج٤، بغداد، ١٩٤٩، ص٨٢-٢٨٤، ألبرت حوراني، الأسس العثمانيَّة للشرق الأوسط، مجلَّة تاريخ العرب والعالم، العدد (١٣)، ١٩٨٢، ص٢٤.

(١) سليمان القانونيّ (سليمان الأوَّل ١٥٢٠-١٥٦٦م): عاشر السلاطين العثمانيِّين، ولِد في غرَّة شهر شعبان سنة ٩٠٠هـ/ ٢٧ نيسان ١٤٩٥م، في مدينة طرابزون الواقعة على ضفاف البحر الأسود، استلم مقاليد الحكم بصورة طبيعيَّة بعد موت أبيه السلطان سليم الأوَّل، دخل بغداد في ٢٤ جمادي الأوَّلى سنة ٩٤١هـ/ ٢ كانون الثاني ١٥٣٤م. للمزيد ينظر: محمَّد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانيَّة، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٦٧، ص٧١، أندري كلو، سليمان القانونيّ مثال من التمازج بين الهويَّة والحداثة، تعريب: البشير بن سلامة، بيروت، ١٩٩١، ص٢٣.

(٢) تكه لو: إحدى القبائل التركمانية التي اعتمد عليها الشاه الصفويّ طهماسب الأوَّل (١٥٢٤-١٥٧٦م)، في حروبه ضدَّ العثمانيِّين، سكنت تلك القبائل الساحل الجنوبيّ لبحر قزوين إلى القرب من خراسان. وللمزيد عنها ينظر: باول هورن، تاريخ مختصر إيران، طهران، ١٣١٤هـ.ش، ص١٤٣، شمس الدين سامي، قاموس أعلام، مج٣، استانبول، مطبعة اقدام سي، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، ص١٦٦٥.

(٣) للمزيد من المعلومات عن محاولة ذو الفقار خان، وسيطرته على بغداد، ينظر: إبراهيم خليل=

الصفويَّـة والعثمانيَّة[1] من أجل بسـط سـيطرتها ونفوذهما على الأقطـار العربيَّة، ومنها العراق، الذي يُعدُّ قلب العالم القديم؛ لربطه خطوط التجارة بين أوربا والشرق البعيد، في مرحلة تاريخيَّة كان فيها العثمانيُّون هم المسـيطرين على تجارة البحار الشرقيَّة، ووجود العتبات المقدَّسة في (كربلاء، النجف، بغداد، سامرَّاء)، مضافًا إليها عوامل إستراتيجيَّة، هدفها الاسـتحواذ على اقتصاديَّات العالم، ما جعله سـاحة رئيسـة من سـاحات النزاع والاقتتال بين الدولتَين[2].

وبموجب التنظيمات العثمانيَّة لسـنة ١٥٣٤م المار ذكرها، قسَّـم العثمانيُّون العراق إلى خمـس مناطـق إدارية (أيـالات)[3]، ليبـدأ معها تأسـيس الإدارة الجديـدة، والنظام

=أحمـد، تاريخ الوطن العـربيّ في العهد العثمانيّ، الموصـل، ١٩٨٦، ص٤٣، نيقولاي أداموف، الفتح العثمانيّ للأقطار العربيَّة ١٥١٦-١٥٧٤م، بيروت، ١٩٨٨، ص١٠٩.

(١) كانـت علاقة الدولة العثمانيَّـة بالبلاد العربيَّة، وحتَّى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديّ، علاقة مجاملـة ومؤازرة عن طريق المراسـلة، وتبادل الوفود، بينما شـهد القرن السـادس عشر الميلاديّ صدامـات وصراعـات عديـدة بـين الصفويِّـين والعثمانيِّـين، كانـت نتيجتها الحاسـمة معركة جالديران، بالقرب من تبريز، شرقي بحيرة أرمينيه، في ٢ رجب سنة ٩٢٠هـ/ ٢٣ آب ١٥١٤م، بين جيوش السلطان سليم الأوَّل، والشاه إسماعيل الصفوي، انتهت بانتصار العثمانيِّين واحتلال تبريز عاصمة الدولة الصفويَّة، كما بسـط العثمانيُّون بعد تلك المعركة نفوذهم على أرض الجزيرة والموصـل، الأمر الذي مكَّنهم بالتالي من تأمين حدودهم الشرقيَّـة من الخطر الصفويّ. للمزيد ينظر: سـاطع الحصريّ، البـلاد العربيَّة والدولة العثمانيَّة، بـيروت، ١٩٧٠، ص٣٧، محمَّد فريد بـك، تاريخ الدولـة العليَّة العثمانيَّة، القاهرة، مطبعة الأنجلـو- مصريَّة، ١٩١٢، ص٥٧، محمَّد أنيس، الدولة العثمانيَّة والشرق العربيّ ١٥١٤-١٩١٤، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٢.

(٢) فيليـب حتِّي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٦٨، سـيَّار كوكب الجميل، إسـتراتيجيَّة العراق وأثرها في نشـوء الصراع العثمانيّ- الفارسيّ، مجلَّة آفاق عربية، العدد (١٠)، حزيران ١٩٨١، ص٢٣.

(٣) هـي أيالات بغـداد، الموصل، البصرة، الأحسـاء، شـهرزور. علمًا أنَّ تلـك الأيالات دخلت تحت السـيطرة العثمانيَّة في أوقات مختلفة (الموصل سـنة ١٥١٦م، بعد معركة جالديران، بغداد=

الضرائبيّ[١]، ثمَّ بعد ذلك أمر السلطان العثمانيّ سليمان القانونّي بإرسال قوَّاته إلى أطراف العراق، ومنها الحِلَّة، التي كانت تحت سيطرة الصفويِّين، ويحكمها حاكم صفويّ نصَّبه الشاه الصفويّ طهماسب الأوَّل، تذكره بعض المصادر التاريخيَّة باسم (سيد بيك)[٢]، في حين أشار مصدر آخر إلى ذلك، فذكر أنَّ الشاه عينَّ الضبَّاط المخلصين له على بعض الحاكميَّات، ومنها الحِلَّة، من دون أن يذكر أسماء أولئك الضبَّاط[٣].

وبعد أن بسط العثمانيُّون سيطرتهم ونفوذهم على الحِلَّة، حضر السلطان سليمان القانونيّ بنفسه إليها في ٩ صفر ٩٤١هـ/ ١٧ تشرين الثاني ١٥٣٤م، قادمًا من كربلاء والنجف، إذ قام ببعض الأعمال، شأنه شأن أغلب الحكَّام والملوك عند احتلالهم البلاد أوَّل مرَّة، وغايتهم كسب رضا الناس[٤]، ثمَّ بعد ذلك رجع السلطان العثمانيّ إلى بغداد، التي غادرها بطريق البرِّ عائدًا إلى عاصمته اسطنبول في

=في سنة ١٥٣٤م، وتمَّ الإشارة إلى ذلك، البصرة سنة ١٥٤٦م، الأحساء سنة ١٥٥١م، شهرزور سنة ١٥٥٤م). للمزيد ينظر: سيَّار الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، الموصل، ١٩٩١، ص٧٤، خليل عليّ مراد، المصدر السابق، ص١١٧.

(١) نوري عبد الحميد خليل، العراق في مواجهة الغزو الأجنبيّ ١٢٥٨-١٩١٧م، بغداد، ١٩٩٨، ص ٢٣٢.

(٢) يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، القسم السياسّي، الحياة السياسيَّة، النجف، ١٩٦٥، ص١١٤، عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخِّرة، بغداد، ١٩٩٢، ص٨٩.

(٣) ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيَّاط، ط٤، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨، ص٣٥.

(٤) عبَّاس العزَّاوي، المصدر السابق، ص٢٩، يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١١٤، ألبرت سيديو، تاريخ العراق المتأخِّر، ترجمة: إبراهيم حسن، بيروت، مطبعة البلاد، د.ت، ص١٥٧.

٢٨ شعبان ٩٤١هـ/ ٣١ أيار ١٥٣٤م[١]، فعيَّن سليمان باشا المجري (الطويل)، والي ديار بكر السابق، واليًا على بغداد، وهو أوَّل والٍ عثمانيّ على العراق بعد أن احتلَّه العثمانيُّون[٢].

أوَّلى العثمانيُّون سنجق الحِلَّة أهميَّة كبيرة، لاسيما بعد أن جرى تقسيمه إلى إقطاعات زراعيَّة يطبَّق فيها نظام التيمار[٣] الإقطاعي[٤]، إذ تولَّى إدارته ضبَّاط برتبة ميرلوا، كان ينظر في الأمور الإداريَّة والعسكريَّة في سنجقه، وواجبه حفظ الأمن والنظام فيه، وإرسال المبالغ المفروضة عليه إلى مركز الأيالة في بغداد[٥]. وكانت تلك الإقطاعات تندرج تحت اسم ديريلكات[٦]، إذ ساعد تطبيق هذا النظام الدولة العثمانيَّة على تحقيق أمرَين مهمَّين، أوَّلهما: تأمين الأرزاق لفئات متعدِّدة من الجند، بدلًا من تخصيص رواتب لهم[٧]، وثانيهما: تهيئة وتجهيز ما تحتاجه من الجند في حركاتها

(١) عبد الوهاب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العرب الحديث، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩١.

(٣) التيمار: مصطلح عثمانيّ يُطلَق على الإقطاعات الزراعيَّة العسكريَّة، التي تُمنح لصغار الضبَّاط من الفرسان مقابل خدمتهم العسكريَّة، لا يقلُّ وارد تلك الإقطاعات عن عشرون ألف أقجه. للمزيد ينظر: خليل عليّ مراد، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٤) عمر عبد العزيز عمر، المشرق العربيّ من الفتح العثمانيّ حتَّى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، مطبعة النهضة العربيَّة، ١٩٧١، ص١١٢.

(٥) خليل عليّ مراد، المصدر السابق، ص١٢٨.

(٦) ديريلكات: جمع ديرلك أو درلك، وتعني كلُّ موارد الرزق التي يقدِّمها السلطان العثمانيّ للقائمين على خدمته، سواء كانت نقدًا أو أرضًا. للمزيد ينظر: هاملتون جب وهارولد بوين، المجتمع الإسلاميّ والغرب، ترجمة: عبد المجيد حسب القيسيّ، ج١، القسم الأوَّل، دمشق، دار المدى للثقافة، ١٩٩٧، ص٩٤.

(٧) عبد الكريم محمود غرايبة، مقدِّمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠- ١٩١٨، ج١، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠، ص١٦٧.

التوسُّعيَّة[١]، وصنفت تلك الديريلكات إلى ثلاثة أصناف، هي:

١. التيمار: يتصرَّف بإيرادها شخص يسمَّى تيمارجي، ويتراوح واردها السنويّ ما بين عشرة آلاف وثلاثون ألف أقجه[٢]، ومساحتها تتراوح بين ثلاثمائة إلى خمسمائة فدَّان.

٢. زعامت: إقطاع أكبر من التيمار، يُعطى لأصحاب الكفاءة والخدمة الشخصيَّة، ومساحته تزيد على خمسمائة فدان، ودخله السنويّ يصل إلى مئة ألف أقجه.

٣. خاص (خاصلر أو خواصي): إقطاعات زراعيَّة تُقطَع في الغالب لأمراء السناجق[٣]، إذ كان لأوَّلئك الأمراء، شأنهم شأن ولاة الأيالات، مقاطعات للمعيشة من نوعٍ خاصٍّ، وواردات تلك الإقطاعات تزيد على مئة ألف أقجه[٤].

وسُلِّمت الحِلَّة في سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، إلى مأمون بك بن بيكه بك (أحد الأمراء المتغلِّبين في شهرزور)[٥]، وكان مأمون بك هذا قد أرسله والده رهينة لدى السلطان سليمان القانونيّ، تأييدًا لخضوعه له، ثمَّ سلمه السلطان إلى سليمان باشا

(١) عبد الكريم محمود غرايبة، المصدر السابق، ص١٦٦.
(٢) أقجه: عملة تركيَّة، عُمِل بها أيَّام السلطان سليمان القانونيّ، تتألَّف من اق ومعناها أبيض، وجه وهي أداة تصفير فارسيَّة، فيكون معناها الذهبيَّة، لم تُسكّ بدار الضرب العثمانيَّة إلَّا بعد فتح القسطنطينيَّة، واسمها الكامل أقجه سي عصماني، أي القطعة العثمانيَّة الفضيَّة الصغيرة. للمزيد عنها ينظر: هاملتون جب وهارولد بوين، المصدر السابق، ج١، القسم الثاني، ص٥٧.
(٣) عبد الكريم رافق، المصدر السابق، ص١٠٤.
(٤) إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق، ص٧٦.
(٥) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدرالسابق، ص١١٥.

المجـريّ والي بغداد آنـذاك، الذي أقطعه إمارة عدَّة ألوية، كان آخرهـا لواء الحِلَّة الغنيّ بموارده[١].

وفي سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م، وصل إلى الحِلَّة أمير قبطانية مصر سيدي عليّ ريس[٢]، الذي أرسـله السـلطان سـليمان القانوني ليُحضِر السـفن الموجودة في ميناء البصرة إلى مـصر[٣]، فمـرَّ بمقـام صاحب الزمـان (موقعه اليوم في مدخل سـوق الهـرج من جهة جسر الهنود)، وزار مشـهد الشـمس بعدها، ومن هناك في الحِلَّة عبر الفرات، وعاد إلى بغداد[٤].

وفي النصف الأخير من القرن العاشر الهجري/ السـادس عشر الميلادي، وتحديدًا في المحرم من سـنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م، ساءت أحوال الحِلَّة بصورة عامَّة، نتيجة لعصيان ابـن عليان في واسـط[٥]، إذ تعرَّضـت الحِلَّة في تلك المرحلة إلى عمليَّات سـلب ونهب،

(١) للمزيد من المعلومات عن مأمون بيك، وقصة إرسـاله رهينة لدى السلطان العثمانيّ، وتسلُّمه سنجق الحِلَّة، ينظر: عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨، شرف الدين خان البدليسيّ، الشرفنامة، ترجمه عن الفارسيَّة: محمَّد عليّ عوني، ج٢، القاهرة، ١٩٦٢، ص٧٨، ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٦٢.

(٢) سـيدي عليّ ريس: من مشـاهير رجال البحريَّة أيَّام السـلطان سـليمان القانونّي، تسـلَّم قيادة أسطول البحر الأحمر المصريّ، كان متضلِّعًا في علم البحار وأحوال النجوم، وله مؤلَّفات عديدة في ذلـك، كـما كانت له الكثير من المغامـرات البحريَّة التي أظهر فيها الجرأة والبسـالة، كان أبوه رئيس دار الصناعة في غلطة. للمزيد عنه ينظر: عبد الحميد حامد سليمان، تاريخ الموانئ المصريَّة في العهـد العثمانيّ دورها السـياسيّ ونظمهـا الماليَّة والإداريَّـة والاقتصاديَّـة، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٦٤-٢٦٦.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق، ص٤٥.

(٤) عبَّاس العزَّاوي، المصدر السابق، ص٧٣.

(٥) ابـن عيـان: رئيس مجموعة من العشـائر السـاكنة أنحاء واسـط منذ فترة طويلـة، وكان ولائه للعثمانيِّين يتذبذب بين الطاعة مرَّة، والعصيان مرَّة أخرى، وبعد جلوس السـلطان سليم الثاني=

قامت بها العشائر القاطنة تلك المناطق، الأمر الذي نتج عنه سوء حالة الأهالي، وتعرُّضهم إلى شتَّى أنواع التعسف والظلم من قبل السلطة المحليَّة المنصَّبة عليها، والتي غالبًا ما حاولت، وفي مثل هكذا ظروف، أن تستحصل لنفسها أعلى درجات الفائدة والمناصب، فعملت على تهيئة نفقات القوات العثمانيَّة السائرة إلى واسط[١]، التي كانت بقيادة والي بغداد إسكندر باشا الجركسيّ[٢]، الذي قاد أسطولًا عثمانيًّا مكوَّنًا من أربعمائة وخمسين سفينة، مع ألفين من الينكرجيَّة[٣]، ومئتين من المدفعية، فلمَّا وصلوا إلى الحِلَّة، أقاموا فيها شهرَين من أجل تنظيم القوَّات المحاربة وإراحتهم[٤]، ولنا أن نتصوَّر ماذا يعني بقاء قوَّات الحكومة في مدينة ما لمدَّة شهرَين، الأمر الذي يفسِّر أنَّ سنجق الحِلَّة في تلك المرحلة عانى ما عانى من ظلم وجور الولاة، لاسيما ما يتعلَّق بجمع الضرائب والأتاوات، إذ أصبح أمرًا معلومًا أن يقوم أمير السنجق (السنجق

=(١٥٦٦-١٥٧٤)، أظهر عصيانه في تلك المناطق، وعمل على قطع الطريق، وفرَّ من الضرائب. للمزيد ينظر: عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٧.

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربيَّة في العصور الحديثة، ترجمة: محمَّد أمين عبد الله، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٦، ص٤٦.

(٢) إسكندر باشا ٩٧٤-٩٧٧هـ/ ١٥٦٦-١٥٦٩م، والي بغداد أثناء عصيان ابن عليان، وهو من الجراكسة من قبيلة قبارتاي، كان من مماليك خسرو باشا والي ديار بكر، تدرَّج في المراتب العليا في البلاط العثمانيّ، حتَّى صار رئيس البوَّابين، ومن ثمَّ رئيس الجاووشيَّة، توفِّي في الأستانة ودُفِن فيها. للمزيد ينظر: باقر أمين الورد، بغداد خلفاؤها، ولاتها، ملوكها، رؤساؤها منذ تأسيسها حتَّى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٥٠.

(٣) الينكجريَّة: وتعني الجنود الجدد، وتلفظ يني جري، ثمَّ حرَّفها الأوربيُّون إلى الإنكشاريَّة، مع أنَّ الكاف بالتركيَّة لا تُلفَظ، وهم موزَّعون في أرجاء الدولة العثمانيَّة المختلفة، ويتبعون بصفة مباشرة آغا الينكجريَّة، الذي يحضر الديوان الهمايونيّ (السلطانيّ)، بصفته قائدًا عامًّا للجيش. للمزيد ينظر:

Donald Pitcher, Op. Cit., p. 349.

(٤) عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٧.

بكي)، أو الضابط العسكريّ المسؤول عن ذلك السنجق، أن يأتي بمجموعة من الجند المحلِّي، ويؤجِّر لهم الأراضي والإقطاعات الزراعيَّة، ويستخدم قوَّته في إجبار الناس على الدفع، أو أن يضمِّن الضرائب إلى جباة قساة[1].

ومِمَّا تقدَّم، يبدو أنَّ الحِلَّة كانت قد اكتسبت أهميَّتها من مجموعة عوامل، منها ما هو اقتصاديّ، ومنها ما هو دينيّ، ومنها ما هو سياسيّ، فالنسبة إلى العامل الاقتصاديّ، فإنَّ غِنى السنجق وخصوبة أراضيه، مضافًا إليها وفرة المياه فيه، قد أوجد للعثمانيِّين أموالًا طائلة ساعدتهم في تعزيز عملياتهم العسكريَّة الخارجيَّة والداخليَّة. أما العامل الدينيّ، فإنَّ العثمانيِّين كانوا ينظرون للصفويِّين بمنظار الشكِّ والخوف، وأنَّ جلَّ ما قاموا به في هذا الجانب هو زيادة اهتمامهم وسيطرتهم على الحِلَّة، التي هي أقرب السناجق إلى مدينتي كربلاء والنجف التابعتَين لهما ضمن التنظيمات الإداريَّة لسنة ١٥٣٤م، من أجل فرض نفوذهم على تلك المناطق، من دون المساس المباشر بعواطف الناس وميولهم الدينيَّة. وكذلك كان للعامل السياسيّ بُعده الكبير في ذلك الاهتمام، إذ كان لموقع الحِلَّة الجغرافيّ، ما جعله نقطة تجمُّع القوَّات العثمانيَّة وانطلاقها ضدَّ العشائر الثائرة، وضدَّ حركات العصيان والتمرُّد التي يقوم بها البعض، أمثال ابن عليان، المار ذكره، وغيره.

وفي مطلع القرن السابع عشر الميلادي، بدأت علامات الضعف والانهيار تظهر على جسد الإمبراطورية العثمانيَّة[2]، إذ لم تستطع تلك الامبراطوريَّة فرض سيطرتها على الأقاليم التابعة لها، ومنها العراق البعيد عن العاصمة العثمانيَّة[3]، الأمر الذي شجَّع

(١) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٦٩.

(٢) عبد الكريم محمود غرايبة، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣) ياسين الخطيب العمريّ، الدرُّ المكنون في المآثر الماضية من القرون، تحقيق: سيَّار كوكب الجميل، إسكتلندا، مطبعة شمس الشرق، ١٩٨٣، ص١٥٩.

المغامرين، لا في العراق فحسب، وإنَّما في سائر أطراف الدولة العثمانيَّة، إلى إعلان الثورة، أو المجاهرة بالعصيان، فكانت حركة القائد الإنكشاريّ محمَّد بن أحمد الطويل سنة ١٦٠٦م[١]، والتي سيطر بها على بغداد، لكنَّه اغتيل سنة ١٦٠٧م من قِبَل كاتب ديوانه، فخلفه أخاه مصطفى باشا[٢]، والذي دخل في مفاوضات مع والي بغداد الجديد محمود بن جيغالزاده[٣]، انتهت تلك المفاوضات بحصول مصطفى باشا بن أحمد الطويل على سنجق الحِلَّة[٤].

وفي سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م، أُرسِل بكر صوباشي[٥] إلى منطقة الفرات الأوسط، حيث تضاربت آراء المؤرِّخين عن سبب توجُّهه إلى تلك المنطقة، فبعض المؤرِّخين[٦]

(١) لمزيد من التفاصيل عن محاولات آل الطويل، ينظر: حسين محمَّد القهواتيّ، تاريخ العراق بين الاحتلال العثمانيّ الأوَّل والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨م، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، جامعة بغداد، كانون الثاني، ١٩٧٥، ص١٦٦-١٧٨.

(٢) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٥٣.

(٣) محمود بن جيغالزاده: والي بغداد للمدَّة من (١٠١٧-١٠١٩هـ/ ١٦٠٨-١٦١٠م)، عُهِد إليه بذلك المنصب، فذهب إليها مع جيش كبير من الأكراد والعرب وآل قشعم، فألقوا الحصار على مصطفى باشا، أنشأ هذا الوالي مدينة المحموديَّة جنوب بغداد، توفِّي سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م. للمزيد ينظر: باقر أمين الورد، المصدر السابق، ص١٦٦.

(٤) نظمي زاده مرتضى أفندي، كلش خلفا، نقله إلى العربيَّة: موسى كاظم نورس، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٧١، ص٦٦.

(٥) الصوباشي: لقب حربي كبير، شاع استعماله في الأناضول منذ القرن الرابع عشر الميلاديّ، يقوم بأعمال الشرطة ليلًا، وكان أهل الحِلَّة، وحتَّى وقت قريب، يسمُّون الوكيل في البستان (شوباصي)، وهي تحريف كلمة (سوباغي)، أي رئيس البستان. للمزيد ينظر: محمود شوكت، عثماني، تشكيلات وقيافات عسكريَّة، استانبول ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ص٦٢، يعقوب سركيس، مباحث عراقيَّة في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، بغداد، مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٥، ص١٣٤.

(٦) نظمي زاده مرتضى أفندي، المصدر السابق، ص٢١٢، إسكندر بك منشي تركمان، ذيل تاريخ=

يـرى أنَّه توجـه إلى الحِلَّة لجبايـة الضرائب من الفلاحـين الذين امتنعوا عـن دفعها إلى السـباهيَّة[١]، على حين يرى البعض الآخر من المؤرِّخين أنَّ ذهابه إلى تلك المنطقة سـببه الصراع مع كبار الإنكشـاريَّة في السـماوة[٢]، وبقطع النظر عن الأسـباب الحقيقيَّة، فإنَّ حركـة بكـر صوباشي، كانت قد مهَّدت لاحتـلالٍ صفويٍّ ثانٍ للعـراق[٣]، إذ لم تقتصر السـيطرة الصفويَّة على بغداد فحسـب، بل وسَّـع الشـاه عبَّاس الصفوي[٤]، منذ سـنة ١٦٢٣م، سيطرته على الحِلَّة وكربلاء والنجف، وعيَّن لها العمَّال، ورتَّب فيها الحاميات اللازمة، ثمَّ رجع إلى إيران، بعد أن ترك صفي قولي خان حاكمًا على العراق[٥].

ارتقى السلطان مراد الرابع[٦] عرش السلطنة العثمانيَّة في ١٤ ذي القعدة ١٠٣٣هـ/

=عالم آراي عبَّاس، جايخانة إسلاميَّة، ج٣، تهران، ١٣١٧ش/ ١٩٣٨م، ص٩٨٦.

(١) السـباهيَّة: سباهي كلمة فارسـيَّة الأصل، تعني حرفيًّا: فارس، واستخدمها العثمانيُّون للدلالة عـلى الفرسـان الإقطاعيِّين الذين كانـوا يشـكِّلون أوَّلى القـوَّات النظاميَّة في دولتهـم، يتقاضى السـباهي راتبه على شـكل ضرائب من إقطاعه، مقابل أن يخرج بنفسـه، أو مـع أتباع له في أثناء استدعائه للخدمة العسكريَّة. للمزيد ينظر: هاملتون جب وهارولد بوين، المصدر السابق، ج١، القسم الأوَّل، ص٧٢.

(٢) مصطفـى بن نعيما الحلبيّ، تاريخ نعيما المسـمَّى روضة الحسـين في أخبار الخافقين، اسـطنبول، ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢م، ص٢١٧.

(٣) كان الاحتـلال الصفـويّ الأوَّل للعراق مـا بين سـنة ١٥٠٨-١٥٣٤م. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٢٦٧.

(٤) عبَّاس الصفويّ (١٥٨٧-١٦٢٩م): شـاه إيران الملقَّب بالكبير، تسـلَّم السلطة بعد أبيه الشاه محمَّد خدابنده، اعتنى بالتنظيمات العسـكريَّة، وقمع الثوَّار والعصاة داخل مملكته، نقل عاصمته من قزوين إلى أصفهان، استولى على بغداد سنة ١٦٢٢م، وعلى الحِلَّة سنة ١٦٢٣م. للمزيد ينظر: بديـع محمَّد جمعة، الشـاه عبَّـاس الكبير١٥٨٧-١٦٢٩م، بـيروت، المطبعـة العصريَّة، ١٩٨٠، ص٢٩.

(٥) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١١٧.

(٦) مـراد الرابـع (١٦٢٣-١٦٤٠م): ولِد في جمادي الأوَّلى سـنة ١٠٢١هـ/ ٢٧ تموز ١٦١٢م،=

١٠ أيلول ١٦٢٣م، وكان صغيرًا، فكانت السلطة الحقيقيَّة بيد والدته (ماه بيكر)[١] حتَّى سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م، حيث استلم بعد تلك السنة زمام السلطة والحكم، فكان أهم تحدٍّ له هو استعادة العراق من السيطرة الصفويَّة، فأرسل في سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، حافظ باشا[٢] والي ديار بكر، لمحاصرة بغداد واستعادتها من أيدي الصفويِّين، وفي فترة الحصار التي استمرَّت من ثلاثة إلى أربعة أشهر، تمكَّنت القوَّات العثمانيَّة من الاستيلاء على الحِلَّة، والتي ذاق أهلها الأمَرَّين من قلَّة المؤن والغذاء، وما تعرَّضوا له من أعمال القسوة والظلم على يد الطرفَين المتنازعَين، وبعد فشل تلك الحملة، انسحبت القوَّات العثمانيَّة من الحِلَّة، فعادت السيطرة الصفويَّة عليها من جديد[٣].

أرسلت الحكومة العثمانيَّة حملتها الثانية لاستعادة بغداد في سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٢٩م، وكانت بقيادة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) خسرو باشا، بعد أن سبقتها حملة أخرى توجَّهت إلى الحِلَّة وكربلاء والنجف، ضمن خطَّة وضعتها القيادة العسكريَّة العثمانيَّة، هدفها قطع الصلة بين الحامية الإيرانيَّة في بغداد، والقوَّات الفارسيَّة المتمركزة في الجنوب[٤]، وسلكت تلك القوَّات طريق

=استطاع القضاء على الصفويِّين، وانتزاع العراق منهم، توفِّي سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م. للمزيد ينظر: ياسين الخطيب العمريّ، ص١٧٧.

(١) ماه بيكر: كلمة تركيَّة معناه ذات الوجه الحسن. للمزيد ينظر: محمَّد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٢) حافظ باشا: أحد الولاة العثمانيِّين، ولد في استانبول سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٤م، عيِّن واليًا على الشام وأرضروم وبغداد وديار بكر، سيطر على الحِلَّة سنة ١٦٥٢م. للمزيد ينظر: خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربيَّة في العهد العثمانيّ، اسطنبول، شمس مطبعة سي، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، ص١٠٤.

(٣) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١١٧.

(٤) عبد الأمير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العبَّاسيَّة وسقوط الدولة العثمانيَّة، ج٢، بغداد، ٢٠٠٥م، ص١٥٩.

بـيره جك[١]، ومنهـا تحرَّكت عبر الفـرات، فوصلت الحِلَّة، وفيهـا دارت معركة عنيفة اسـتطاعت فيها الحامية الفارسـيَّة في الحِلَّة إيقاع الخسـائر الجسـيمة بالقـوَّات العثمانيَّة المهاجمة[٢]، وعلى الرغم من فشـل خسرو باشا في بغداد، فإنَّه أيقن بأنَّ التمسُّك بسنجق الحِلَّـة يمكـن أن يسـاعد الدولـة العثمانيَّة عـلى مواصلة الحـرب، والعودة مـرَّة أخرى للاستيلاء على بغداد في السنة التالية[٣].

أرسـل الصدر الأعظم خسرو باشا إلى الحِلَّة قوَّة عسكريَّة تربُوا على العشرين ألف مقاتل، كانت بقيادة أمير آمد[٤] خليل باشا، الذي أخذ معه وحدات من الإنكشاريَّة[٥]، فاسـتولت تلك القوَّة على الحِلَّة، وبدأت بحفر الخنادق وتأمينها، واسـتعدادها لمواجهة القوَّات الفارسيَّة[٦].

إنَّ سـيطرة خليل باشـا على الحِلَّـة، لم تثنِ القوَّات الفارسـيَّة من محاولة السـيطرة

(١) بـيره جك: مدينة بأرض الجزيرة على الضفـة اليسرى لنهر الفرات، ومعناها بلهجة العامَّة (بله جـك)، أي القلعة الصغـيرة، وترجع أهميَّتها إلى كونها ملتقى القوافل التجاريَّة الآتية من شـمال الشـام إلى الجزيـرة، ومنها إلى العـراق. للمزيد ينظر: نعيـم زكي فهمي، طرق التجـارة الدوليَّة ومحطَّاتها بين الشرق والغرب في العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٣٠-١٣١.

(٢) محمَّد فريد بك، المصدر السابق، ص٢٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨١.

(٤) آمد: هي آميدا الرومانيَّة، مدينة في غربي دجلة الأعلى، اشتهرت بحصانتها وبحجارتها السوداء، حتَّى عُرفت بآمد السـوداء، وازدهرت ازدهارًا كبيرًا في العهود الإسلاميَّة، وعدَّت قاعدة إقليم ديار بكر، حرَّف العثمانيُّون اسـمها إلى قره حميد؛ لأنَّ قره تعني: الأسـود، ثمَّ شـاعت تسـميتها باقليمهـا، فعُرفت باسـم ديار بكر مطلقًـا، وأصبحت مركزًا لولاية باسـمها. للمزيد ينظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيَّة، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عوَّاد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤، ص١٤٢.

(٥) عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ص٢٠١.

(٦) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١١٨.

والهجوم عليها، فهاجمتها قوَّات فارسيَّة بقيادة رستم خان، لكنَّه لم يستطع استعادتها من العثمانيين[١]، فهاجمها الشاه الصفويّ الجديد (صفي الأوَّل) بنفسه ومعه نحو أربعين ألف جندي، فحاصرها مدَّة ثلاثة أشهر من دون أن تستطيع القيادة العسكريَّة العثمانيَّة إرسال الامدادات الكافية لقوَّاتها التي كانت بقيادة خليل باشا المار ذِكره في أعلاه، والذي هجم بما معه من قوَّات على إحدى جبهات الفرس، فاخترقها وهرب منها إلى الموصل، فاستولى الشاه وجنوده على الحِلَّة[٢].

أوقع الفرس بأهل الحِلَّة ما شاؤوا من قتل ونهب بحجَّة تعاونهم مع العثمانيِّين، فصار الناس يخاف بعضهم من الآخر بالوشاية إلى العثمانيِّين، وخُرِّبت ودُمِّرت البيوت، وأُتلفت بساتين الأهالي، الأمر الذي انعكس بصورة أشد قسوة على الفقراء، فارتفعت الأسعار، وقلَّت الأقوات[٣]. وشدَّد الفرس الصفويِّين الخناق على الناس وأذلُّوهم، فأجبروهم على أعمال السخرة في حفر خندق حول المدينة[٤].

وبعد خمس سنوات من سيطرة الفرس الجديدة على الحِلَّة، وتحديدًا في ٣ شعبان سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وقع الطاعون في الحِلَّة، فأوقع في أهلها الموت والهلاك، وهرب الكثير من سكَّانها إلى مدن العراق المختلفة، وهلكت عوائل بأكملها، فكان لذلك الوباء وقعه في النفوس، ونتج عنه تبدُّل في أحوالهم، ثمَّ خفَّت وطأته، وانتهى ذلك الوباء في شهر ذي الحجَّة من تلك السنة، بعد أن خلَّف وراءه الآلاف من الموتى[٥].

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١١٩.
(٢) مصطفى بن نعيما الحلبيّ، المصدر السابق، ص٦٥.
(٣) عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ص٢٠٢.
(٤) نظمي زاده مرتضى أفندي، المصدر السابق، ص٦٨.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٩، عبَّاس العزَّاويّ، المصدر السابق، ص٢٠٦.

تمكَّن السلطان العثمانيّ مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م، وفي حملته الناجحة لاسترجاع بغداد من الفرس، من استعادة الحِلَّة ثانية منهم، فكثر الشغب والنزاع بين العشائر بعضها مع بعض من جهة[١]، وبينها وبين الحكومة العثمانيَّة من جهة أخرى[٢]. وخلال المرحلة التي تلت سيطرة العثمانيِّين على الحِلَّة، زادت هجمات الفرس عليها بحجَّة الوصول إلى الأماكن المقدَّسة في كربلاء والنجف والكوفة، لذلك أصبحت الحِلَّة تعاني من الاضطراب الإداريّ الناجم عن الفوضى السياسيَّة، ممَّا اضطرَّ ولاة بغداد إلى جعلها قاعدة عسكريَّة مهمَّة للقضاء على الفوضى الناشئة في تلك المناطق[٣]، وهو ما حصل في أثناء حملة الوالي العثماني (قره مصطفى باشا) للقضاء على حاكم البصرة حسين باشا أفراسياب، إذ تحرَّكت تلك الحملة من بغداد في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٦٦٧م، فمرَّت بالإسكندريَّة[٤]، ومنها توجَّهت إلى الحِلَّة التي اجتمعت فيها القوَّات المهاجمة السائرة إلى البصرة[٥].

استمرَّت الحِلَّة خاضعة للنفوذ العثمانيّ بعد المرحلة التي تلت استعادة العثمانيِّين

(١) أهم النزاعات العشائريَّة كانت بين مطلك أبو ريشة شيخ عرب الجزيرة، الذي قدَّم لحملة مراد الرابع الدعم والمساعدة، وبين مهنَّا شيخ الخزاعل في منطقة السماوة وما جاورها، وكلٌّ طرف حاول أن يستحصل لنفسه السلطة والجاه، فكثرت الفوضى والاضطرابات وقُطِعت الطرق. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٢١٠، ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٩٣.

(٢) عطيَّة دخيل عبَّاس الطائيّ، الحِلَّة من سنة ١٩١٤-١٩٢١ دراسة في الأحوال السياسيَّة والإداريَّة، أطروحة دكتوراه مقدَّمة إلى مجلس كليَّة التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، شباط، ١٩٩٨، ص٤٦.

(٣) محمَّد عبد اللطيف البحراويّ، حركة الإصلاح العثمانّي في عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩م، بيروت، د.ت، ص٣٣٠.

(٤) المقصود بها إسكندريَّة العراق، إحدى مدن محافظة بابل الآن، على الطريق الرابط بين بغداد والحِلَّة، تمييزًا لها عن مدينة الإسكندريَّة في مصر وغيرها. الباحث.

(٥) نظمي زاده مرتضى أفندي، المصدر السابق، ص٢٧٠.

للعراق سنة ١٦٣٨م، حيث أنهت معاهدة زهاب في ١٤ محرَّم سنة ١٠٤٩هـ/ ١٧ مايس ١٦٣٩م، النزاع الدائر بين الدولتَين العثمانيَّة والفارسيَّة حوله[١]، ثمَّ تعاقبت على حكم سنجق الحِلَّة العديد من الأمراء الضبَّاط العثمانيِّين، حتَّى مطلع القرن الثامن عشر الميلاديّ، حين بدأ حكم أسرة آل عبد الجليل، التي استمرَّت تحكم الحِلَّة طوال ذلك القرن[٢].

في ضوء ما تقدَّم، يمكن القول إنَّ تاريخ الحِلَّة بأوجهه المختلفة، ومنذ النصف الأوَّل من القرن السادس عشر الميلاديّ، وطوال القرن السابع عشر الميلاديّ، لا يعدو أن يكون انعكاسًا للصراع الفارسيّ العثمانيّ على مناطق العراق كافَّة، ومنها الحِلَّة، التي أصبحت وبحكم ما تمتاز به من موارد اقتصاديَّة وبشريَّة، مضافًا إليها موقعها الجغرافيّ وسط العراق، جعلها تتأرجح في أن تكون تارةً تحت سيطرة الفرس، وتارةً أخرى تحت سيطرة العثمانيِّين، وتلك الأوضاع كانت قد أودت بحياة الكثير من سكَّان الحِلَّة، وهجرها قسم آخر إلى المناطق المجاورة، فتقلَّصت حدود الأماكن الآهلة بالسكَّان.

لقد أثَّرت الأحوال السياسيَّة لمدينة الحِلَّة في أثناء المدَّة (١٥٣٤-١٧٠٠م) في جوانب الحياة الأخرى، الاقتصاديَّة منها والاجتماعيَّة والفكريَّة، وهو أمر طبيعيّ؛ لأنَّ أي مؤثِّر سياسيّ سوف تصبُّ محصِّلته النهائيَّة في بقيَّة الجوانب الأخرى، إضافة إلى ذلك، فإنَّ جميع تلك الجوانب تأثَّرت بصورة طبيعيَّة بما حصل في مختلف مدن العراق المختلفة وقراه، فلو رجعنا إلى الطرفَين المتنازعَين (العثمانيّ والفارسيّ)، فإنَّ كليهما لا يملك الرصيد الحضاريّ الذي يمكن أن يقدِّمه إليه الشخص

(١) شاكر صابر الضابط، العلاقات الدوليَّة ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، بغداد، دار البصريّ للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص٤٧.
(٢) عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ص٢٩٢.

الحِـلِّيّ[1]، لذلك احتفظ الأهالي بالعلاقـات الاجتماعيَّة على ما كانت عليه قبل دخولهم، إذ ظـلَّ الناس في الحِلَّة يمارسـون عاداتهم وتقاليدهـم الاجتماعيَّة، وطقوسـهم الدينيَّة بدون قيـود، مع رجحان الكفَّة لصالح الطرف المتنفِّذ (عثمانيًّا كان أو فارسـيًّا)[2]، وأنَّ المراكز الاجتماعيَّة في الحِلَّة، كالأسـواق والحمامَّات العامَّة والمقاهي، استمرَّت في ممارسة أدوارهـا دون تغيير أو تبديل، فأسـواق الحِلَّـة في تلك المرحلة لم تكـن مراكز اقتصاديَّة فحسـب، بل إنَّها كانت مراكز للتفاعل الاجتماعيّ بين سكَّان الحِلَّة وضواحيها، وبينهم وبـين الوافدين إليها من العرب والأجانب، والشيء نفسـه يمكـن أن يُقال عن المقاهي والحمَّامات العامَّة[3].

عـلى حين شـهد الجانب الاقتصـاديّ محاولة الطرفَـين المتنازعَين الاسـتحواذ على جميـع الموارد الاقتصاديَّة، وحرمان أهل المدن، ومنها مدينة الحِلَّة، من تلك الموارد، وفقًا لسياسـة اقتصاديَّة انحصرت ما بين السـيطرة الكاملة على المرافق الاقتصاديَّة (الزراعيَّة والتجاريَّـة)، والتـصرُّف بها دون مراعـاة لمصلحة المدن، إلى فـرض الضرائب المتخلفة على طبقـات المجتمع، وخاصَّة الطبقة الفقيرة منها، من أجل إضعافهم، ومحاولة التأثير عليهـم، وبالتالي إجبـار الناس على الخضـوع لهم[4]. ويبدو أنَّ ممارسـة تلك السياسـة الاقتصاديَّـة قـد أفادت كِلَا الطرفَين، لاسـيما العثـمانيّ، حيث كان لتطبيـق نظام التيمار الإقطاعيّ في سنجق الحِلَّة أثره الكبير في ذلك.

(١) طـارق نافع الحمدانيّ، بعض جوانب الحياة الاجتماعيَّة في مدينة بغداد ومصادر وثائقها خلال القرنَين السابع عشر والثامن عشر، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٣) سـتيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السـابق، ص٢٣، خالص الأشعب، أصالة المدينة العربيَّة، مجلَّة آفاق عربية، العدد الأوَّل، السنة الثالثة، أيلول ١٩٧٧، ص٤٦.

(٤) طارق نافع الحمدانيّ، المصدر السابق، ص١٨.

وكان من البديهي أن يتأثَّر الجانب الفكريّ بنتائج الجوانب الأخرى، فالحِلَّة التي كانت قد بزغت فيها شمس النهضة الأدبيَّة، مدَّة أربعة قرون، بدءًا من نهاية القرن الخامس الهجريّ (الحادي عشر الميلاديّ)، وإلى نهاية القرن التاسع الهجريّ (الخامس عشر الميلاديّ)، واستضاء بنورها العالم الإسلاميّ، نجدها قد فقدت بريقها العلميّ والأدبيّ، الذي بلغ أوج سطوعه طيلة القرن السابع الهجريّ (الثالث عشر الميلاديّ)، وكأنَّ لسان حالها يقول:

وقفت على الدار التي كنتم بها
فمغناكم من بعد معناكم قفر
وقد درست فيها العلوم وطالما
بها درس العلم الإلهي والذكر
وسالت عليها من دموعي سحائب
إلى أن تروَّى البان بالدمع والسدر[1]

وذلك ناتج من جهل الفرس والعثمانيِّين، وجفاء طباعهم وظلمهم، وعدم اهتمامهم بالعلماء والأدباء والمفكِّرين، فضلًا عن الاضطراب والارتباك الذي أحدثوه في نواحي الحياة الأخرى، ممَّا أثَّر سلبًا في الحياة الثقافيَّة في الحِلَّة بصورة عامَّة، الأمر الذي نتج عنه هجرة العديد من الشعراء والأدباء إلى داخل وخارج العراق، على سبيل المثال لا الحصر، أبي الغنائم محمَّد الحِلِّيّ الحسينيّ، الذي ترك الحِلَّة في القرن الحادي عشر الهجريّ (السابع عشر الميلاديّ)، ودخل الهند أيَّام ملكها أكبر شاه، والشاعر الحِلِّيّ جمال الدين بن محمَّد بن عوَّاد الهيكليّ، الذي كان من تلاميذ ابن فهد الحِلِّيّ، وكان أن دخل الديار الهنديَّة أيضًا، وله قصيدة بيَّن فيها مغادرته لمدينته الحِلَّة، إذ قال في إحدى أبياتها:

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، القسم الثاني في الحياة الفكريَّة، ص١٠٨.

سريــت مــن الـفـيـحـاء فــوق عـرنـدس

قطعت بها النيخاء والوهد والقلل[1]

ومن الشعراء الحِلِّيِّين الذين تركوا الحِلَّة إلى مدن العراق المختلفة، الشاعر السيِّد نعمان الحِلِّيّ، وهو من السادة الأعرجيِّين، وأحد شعراء القرن الحادي عشر الهجريّ (السابع عشر الميلاديّ)، والذي رحل إلى بغداد، والسيِّد عليّ بن يحيى بن حديد الحسينيّ، ويُنسب إلى أسرة آل حديد الساكنة في الحِلَّة وبعض من أطرافها، مثل الهاشميَّة (على طريق الحِلَّة- الديوانيَّة العام)، وقناقيا (قرية جناجة اليوم)[2].

إنَّ طبيعة المجتمع العراقيّ في تلك المرحلة، وخاصَّة فيما يتعلَّق بالجانب الفكري، التي كانت تجري في نطاق مجموعة من القوالب والخطوط المتأثرة بأعمال السحر والخرافة وتقديس الأرواح، جعلت الإنسان العراقيّ عامَّة، والحِلِّيّ خاصَّة، يفكر بعقل مجتمعه لا بعقله المجرَّد، وهو عامل مضاف إلى تلك العوامل التي ساهمت في ذلك الركود الفكريّ والأدبيّ[3]، لكن وجود أولئك الشعراء والأدباء خارج مدينة الحِلَّة، لا يعني بالضرورة النهاية الأدبيَّة للنهضة الفكريَّة والعلميَّة فيها، فسرعان ما ظهرت بوادر تلك النهضة، منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجريّ (الثامن عشر الميلاديّ).

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٣) عليّ الورديّ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقيّ، قم المقدَّسة، مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ص١٦٥.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة استنتاجات يمكن اجمالها على النحو الآتي:

١. أصبحت الحِلَّة في المرحلة التي تلت دخول السلطان العثمانيّ سليمان القانونيّ إلى بغداد سنة ١٥٣٤م حتَّى نهاية القرن السابع عشر، أحد المراكز الرئيسة للعثمانيِّين في منطقة وسط وجنوب وسط العراق؛ نظرًا لموقعها الجغرافيّ المميَّز.

٢. اكتسبت الحِلَّة أهميَّتها لدى العثمانيِّين من جانبَين مهمَّين، أوَّلهما الجانب العسكريّ، الذي جعل منها منطقة مهمَّة لانطلاق العساكر العثمانيَّة في حروبها الداخليَّة ضدَّ التمرُّدات والحركات الثائرة، وأهمُّها الحركات العشائريَّة. والخارجية ضدَّ الفرس، إذ أصبحت الحِلَّة المكان الذي دفع به القادة الفرس، وبمختلف المراحل الزمنيَّة، جزءًا من قوَّاتهم لقطع خطوط الإمدادات والمواصلات التي يتوقَّع وصولها لنجدة العثمانيِّين من مناطق وسط العراق وجنوبه، وثانيهما الجانب الاقتصاديّ المتمثِّل في وفرة إنتاجها الزراعيّ والحيوانيّ، والناتج عن شبكة الأنهار المتفرِّعة من نهر الفرات (شط الحِلَّة) المهم في النقل النهريّ، فكان لجمع الضرائب فيها أهميَّة كبيرة للسلطة العثمانيَّة.

٣. صارت الحِلَّة بموجب التنظيمات العثمانيَّة لسنة ١٥٣٤م، التي اتَّخذها السلطان

سـليمان القانونيّ واحدة من أهـمِّ مراكز التبادل التجـاريّ في المنطقة، فكانت والحالة هذه البوَّابة الرئيسة لدخول البضائع والسلع المختلفة إلى مدينة بغداد، إضافـةً إلى ذلك وفـرة المحاصيل الزراعيَّة فيها، ممَّا أكسـبها الأهميَّة الكبيرة في نظـر الدولـة العثمانيَّة وفي نظر السـلطان العثـمانيّ في العاصمة اسـطنبول، ممَّا أكسبها أهميَّة مضاعفة.

قائمة المصادر

أوَّلًا: الكتب

أ. الكتب الأجنبيَّة:

1. Donald Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire from earliest to the end of the Sixteenth Century, Combridge, 1972.
2. Halil Inalick, The Encyclopedia of Islam, Art Eyalet Newedition, Vol. 22, London, 1965 .

ب. الكتب العربيَّة:

١. إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربيّ في العهد العثمانيّ، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٦.
٢. باقر أمين الورد، بغداد خلفائها، ولاتها، ملوكها، رؤسائها منذ تأسيسها حتَّى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بغداد، دار التربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤.
٣. بديع محمَّد جمعة، الشاه عبَّاس الكبير ١٥٨٧-١٦٢٩م، بيروت، المطبعة العصريَّة، ١٩٨٠.

٤. ساطع الحصريّ، البلاد العربيَّة والدولة العثمانيَّة، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠.

٥. سيَّار كوكب الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، الموصل، مطابع جامعة الموصل، ١٩٩١.

٦. شاكر صابر الضابط، العلاقات الدوليَّة ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، بغداد، دار البصري للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

٧. طارق نافع الحمدانيّ، بعض جوانب الحياة الاجتماعيَّة في مدينة بغداد ومصادر وثائقها خلال القرنَين السابع عشر والثامن عشر، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

٨. عبَّاس العزَّاويّ، تاريخ العراق بين احتلالَين، ج٤، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٤.

٩. عبد الأمير الرفيعيّ، العراق بين سقوط الدولة العبَّاسيَّة وسقوط الدولة العثمانيَّة، ج٢، بغداد، ٢٠٠٥.

١٠. عبد الحميد حامد سليمان، تاريخ الموانئ المصريَّة في العهد العثمانيّ دورها السياسيّ ونظمها الماليَّة والإداريَّة والاقتصاديَّة، القاهرة، دار الكاتب العربيّ، ١٩٩٥.

١١. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيُّون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق، مطبعة ألف باء، ١٩٧٤.

١٢. عبد الكريم محمود غرايبة، مقدِّمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م، ج١، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.

١٣. عبد الوهاب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤.

١٤. عليّ الورديّ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقيّ، قم المقدَّسة، مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ٢٠٠٤.

١٥. عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق (الأسر الحاكمة رجال الأدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخِّرة)، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٢.

١٦. عمر عبد العزيز عمر، المشرق العربيّ من الفتح العثمانيّ حتَّى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، مطبعة النهضة العربيَّة، ١٩٧١.

١٧. فيليب حتِّي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، بيروت، د.م، ١٩٦٥.

١٨. محمَّد أنيس، الدولة العثمانيَّة والشرق العربيّ ١٥١٤-١٩١٤م، القاهرة، مطبعة الأنجلو- مصريَّة، ١٩٨٥.

١٩. محمَّد حسن البغداديّ، شعراء الرحلات العرب، ج١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٧.

٢٠. محمَّد فريد بك، تاريخ الدولة العليَّة العثمانيَّة، القاهرة، مطبعة الأنجلو- مصريَّة، ١٩١٢.

٢١. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدوليَّة ومحطَّاتها إلى الشرق والغرب في العصور الحديثة، القاهرة، دار الكاتب العربيّ، ١٩٧٣.

٢٢. نوري عبد الحميد خليل، العراق في مواجهة الغزو الأجنبيّ ١٢٥٨-١٩١٧م، بغداد، ١٩٩٨.

٢٣. ياسين الخطيب العمريّ، الدرُّ المكنون في المآثر الماضية من القرون، تحقيق: سيَّار كوكب الجميل، إسكتلندا، مطبعة شمس الشرق، ١٩٨٣.

٢٤. ياسين الخطيب العمريّ، زبدة الآثار الجليَّة في الحوادث الأرضيَّة، الموصل، ١٩٨٨.

٢٥. يعقوب سركيس، مباحث عراقيَّة في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، بغداد، مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٥.

٢٦. يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، القسم الأوَّل والثاني، النجف، المطبعة الحيدريَّة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ج. الكتب المعرَّبة:

٢٧. أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربيَّة في العصور الحديثة، ترجمة محمَّد أمين عبد الله، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٦.

٢٨. ألبرت سيديو، تاريخ العراق المتأخِّر، ترجمة إبراهيم حسن مصطفى، بيروت، مطبعة البلاد، د.ت.

٢٩. أندري كلو، سليمان القانونيّ مثل من التمازج بين الهويَّة والحداثة، تعريب البشير بن سلامة، بيروت، دار الجبل، ١٩٩١.

٣٠. ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٤، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨.

٣١. شرف الدين خان البدليسيّ، الشرفنامة، ترجمه عن الفارسيَّة محمَّد عليّ عوني، ج٢، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٩٦٢.

٣٢. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيَّة، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عوَّاد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤.

٣٣. محمَّد فؤاد كوبريللي، قيام الدولة العثمانيَّة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، المطبعة الحجريَّة، ١٩٦٧.

٣٤. نظمي زاده مرتضى أفندي، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٧١.

٣٥. هاملتون جب وهارولد بوين، المجتمع الإسلاميّ والغرب، ترجمة عبد المجيد القيسيّ، ج١، القسم الأوَّل والثاني، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٧.

د. الكتب التركيَّة

٣٦. خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربيَّة في العهد العثمانيّ، شمس مطبعة سي، استانبول، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م.

٣٧. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، مج٣، استانبول، اقدام مطبعة سي، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

٣٨. محمود شوكت، عثمانلي تشكيلات وقيافات عسكري، استانبول ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م.

٣٩. مصطفى بن نعيما الحلبيّ، تاريخ نعيما المسمَّى روضة الحسين في أخبار الخافقَين، ج٦، اسطنبول، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.

و. الكتب الفارسيَّة

٤٠. اسكندر بك منشىء تركمان، ذيل تاريخ عالم آراي عبَّاسي، تصحيح سهيل خوشاري، ج٣، جايخانة اسلامية، تهران ١٣١٧ش/ ١٩٣٨م.

٤١. باول هورن، تاريخ مختصر إيران، تهران، ١٣١٤هـ.ش.

ثانيًا: الصحف والدوريَّات

٤٢. ألبرت حوراني، الأسس العثمانيَّة للشرق الأوسط، بيروت، مجلَّة تاريخ العرب العالم، العدد (١٣)، ١٩٨٢.

٤٣. خالص الأشعب، أصالة المدينة العربيَّة، بغداد، مجلة آفاق عربيَّة، العدد (١)، السنة الثالثة، أيلول، ١٩٧٧.

٤٤. سيَّار كوكب الفارسيّ، بغداد، مجلَّة آفاق عربيَّة، العدد (١٠)، السنة الثالثة، حزيران، ١٩٨١.

ثالثًا: الرسائل والأطاريح الجامعيَّة

٤٥. حسين محمَّد القهواتيّ، تاريخ العراق بين الاحتلالَين العثمانيّ الأوَّل والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة بغداد، كانون الثاني، ١٩٧٥.

٤٦. خليل عليّ مراد، تاريخ العراق الإداريّ والاقتصاديّ في العهد العثمانيّ الثاني ١٠٤٨-١١٦٤هـ/ ١٦٣٨-١٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥.

٤٧. عطيَّة دخيل عبَّاس الطائيّ، الحِلَّة من سنة ١٩١٤-١٩٢١م دراسة في الأحوال السياسـيَّة والإداريَّة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليَّة التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، شباط، ١٩٩٨.

الحياة الاقتصاديَّة لمدينة الحِلَّة
إبَّان القرن العشرين

م.د. عبَّاس حسن عبيس الجبوري
المديريَّة العامَّة للتربية في بابل

Economic Life of the City of Hilla during the Twentieth Century

Dr. Abbas Hassan Obbaies Al-Jobory
General Directorate of Education in Babylon

ملخَّص البحث

درس هذا البحث مجمل الحياة الاقتصاديَّة لمدينة الحِلَّة في المدَّة الممتدَّة بين نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، إذ تميَّزت مدينة الحِلَّة بعوامل النموِّ الاقتصاديّ الذاتيّ، التي جعلتها تتمتَّع بأهميَّة اقتصاديَّة كبيرة خلال هذه المدَّة، فكانت واحدة من أهمِّ موارد العراق الاقتصاديَّة.

وبيَّن البحث أبرز مفاصل اقتصاد المدينة، بدءًا بالزراعة والإنتاج الزراعيّ الوفير والمتنوِّع، الذي كان يفيض عن الحاجة المحليَّة ويصدَّر إلى المناطق الأخرى، بالرغم من بدائيَّة وسائل الإنتاج الزراعيّ آنذاك، وعدم اهتمام السلطات الحاكمة بتطوير هذا القطاع الاقتصاديّ المهمّ.

ومن ثمَّ تطرَّق البحث إلى موقع المدينة المتميِّز على طرق المواصلات التي تربط المدينة بعموم البلاد، ممَّا أسهم بازدهار التجارة فيها في مختلف المجالات، وسُلِّط الضوء على أبرز الصناعات المحليَّة البسيطة التي اشتهرت بها المدينة، فضلًا عن نظام الضرائب الذي كانت تفرضها الدولة العثمانيَّة، ومن بعدها السلطات البريطانيَّة، على مختلف النواحي الاقتصاديَّة في المدينة، وطرق جباية هذه الضرائب.

Abstract

This research studies the economic life of Al-Hillah city during the period between the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century when Hillah was distinguished by the elements of local economic growth. It is because of this fact that Hillah enjoyed a significant economic status and was regarded as one of the most important Iraqi economic resources.

Additionally, this study tackles the important economic joints of this city starting with agriculture and its plenteous and colorful production which exceeded the local need and thus was exported to other cities despite the primitive tools of agriculture and the inattention of the government with respect to developing that important sector.

The study sheds some light on the distinctive geographical location of the city of Hillah which makes it a juncture connecting all the neighbouring cities, the matter which contributed in developing different prosperous trade businesses. Finally, the

study elucidates the simple local products that were peculiar to Hillah then explains the taxation of the Ottoman Empire and the British authorities on different economic sectors in Hillah.

المقدِّمة

عانى العراق في العهد العثمانيّ ١٥٣٤-١٩١٨م تدهورًا كبيرًا في شتَّى مجالات الحياة السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة؛ نتيجة إهمال الدولة العثمانيَّة لشؤون البلاد التي احتلَّتها، وعدم اهتمام الولاة العثمانيِّين بتنمية اقتصاد ولاياتهم، إذ كان جلُّ اهتمامهم هو جمع الأموال والضرائب، وإرسالها إلى العاصمة اسطنبول؛ حرصًا منهم على مناصبهم.

وإذا حدث ووجدنا نوعًا من النموِّ والازدهار الاقتصاديّ في إحدى مدن العراق، فإنَّ مردَّ ذلك لا يعود لاهتمام العثمانيِّين، وإنَّما يرجع إلى عوامل وظروف خاصَّة تتعلَّق بالمدينة نفسها، سواء أكان ذلك لتميُّز هذه المدينة بموقع جغرافيّ مهم، أو لخصوبة أراضيها، أو لأهميَّتها الدينيَّة أو العسكريَّة، ومثال هذه المدن مدينة الحِلَّة التي تمتَّعت بنوعٍ من النموِّ الاقتصاديّ في العهد العثمانيّ الأخير ١٨٦٩-١٩١٨؛ لما تميَّزت به المدينة من عوامل النموِّ الاقتصاديّ الذاتيّ، التي جعلتها تثير اهتمام السلطات العثمانيَّة بما كانت تدرُّه من واردات وضرائب لخزينة الدولة العثمانيَّة.

تألَّف البحث من مقدِّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، درس المبحث الأوَّل تأسيس مدينة الحِلَّة وموقعها وأهميَّتها وتركيبتها السكَّانيَّة، في حين تناول المبحث الثاني الزراعة، والإنتاج الزراعيّ، وطبيعة الطرق المواصلات التي تربط المدينة بعموم البلاد، وناقش المبحث الثالث النواحي الاقتصاديَّة الأخرى، كالصناعة، والتجارة، والضرائب، التي

كانـت تفرضها الدولة العثمانيَّة، ومن بعدها السـلطات البريطانيَّة على مختلف النواحي الاقتصاديَّـة، وقـد اعتمد الباحث عـلى مجموعة من المصادر، منها تاريـخ الحِلَّة- الحياة السياسـيَّة، ليوسـف كركوش الحِلِّيّ، وعدد من مؤلَّفات الدكتور عليّ هادي المهداوي، وغير ذلك.

المبحث الأوَّل

مدينة الحِلَّة (التاريخ- الموقع- السَّكان)

أوَّلًا: تأسيس مدينة الحِلَّة وموقعها

تعد مدينة الحِلَّة حديثة العهد قياسًا بمدن العراق الأُخرى، إذ أسَّسها الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسديّ (٤٩٥-٥٢٩هـ)، الذي نزل هو وقبيلته في منطقة النيل على الجانب الأيسر لنهر الفرات، ورغبةً منه في الانفصال عن السلطة السلجوقيَّة، انتقل إلى منطقة الجامعين الحالية ومصَّر مدينة الحِلَّة سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٩م، واتَّخذها عاصمة للإمارة المزيديَّة[١].

نمت مدينة الحِلَّة وازدهرت بمرور الوقت؛ لوقوعها في منطقة خصبة جدًّا ووفيرة المياه، حتَّى أصبحت تسمَّى (بغداد الصغرى)؛ لما تمتَّعت به من أهميَّة اقتصاديَّة وتجاريَّة وعسكريَّة، زيادةً على مركزها الدينيّ والعلميّ والأدبيّ، إذ نشطت فيها الحركة العلميَّة منذ بدايات تأسيسها، فكانت موطنًا للكثير من العلماء والأدباء، وهي من البلدان التي حباها الله بطيب التربة، وصفاء الجوِّ، وكثرة الخيرات، وعُدَّت من مدن العراق المهمَّة في العصر الحديث[٢].

(١) هادي أحمد كمال الدين، فقهاء الحِلَّة وتطوُّر الحركة الفكريَّة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢، ص٢١٦.

(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح الأجانب في العصر الحديث، مكتبة الرياحين، بابل، ٢٠٠٥، ص١٠.

تقـع المدينة على جانبي شـطِّ الحِلَّة، وهـو أحد فروع نهر الفـرات في موضع يتقاطع عنـده خطُّ العرض (٢٩-٣٢) شـمالًا بخـطِّ الطول (٢٦-٢٤) شرقًـا، وعلى بعد بضعة كيلومترات من مدينة بابل الأثريَّة، ونحو مئة كيلومتر جنوب غرب مدينة بغداد[١].

تحيط بالمدينة مناطق زراعيَّة تسكنها قبائل الجبور، والبو سلطان، وخفاجة، وطفيل، وآل يسار، وبعض من آل فتلة، وتتكوَّن المدينة من قسمَين: شرقيّ، وآخر غربيّ، يفصل بينهما شطُّ الحِلَّة[٢].

عُـرف الجزء الشرقيّ من المدينة بـ(الصوب الصغير)؛ نظرًا لصغر مسـاحته مقارنةً بالجانب الغربيّ، وأحاطت به بسـاتين النخيل، وفيه محلَّتـا الگلج والورديَّة، أما الجانب الغربيّ (الصوب الكبير)، فهو الأوسع والأهمُّ، وتوجد فيه محلَّات الجامعين، والمهديَّة، وجبران، والطاق، والأكـراد، والجبَّاويِّين، ويصل بين جانبي المدينة جسر من القوارب المثبَّتة إحداها بالأخرى بالسلاسل، ويبلغ عرضه حوالي (٨) أقدام، وكان المعبر الوحيد بينهما[٣].

فُرشت أرضيَّة الجسر بالقشِّ، وأُحيطت نهايته بسور، ووجدت عند كلِّ نهاية بوَّابة، حيث كانت تفرض رسوم تُعرف بـ(مروريَّة الجسر) على مستخدمي هذا الجسر، مِن قِبَل السـلطات العثمانيَّة، وبعد دخول الإنكليز إلى المدينة أنشـؤوا جسرًا عسـكريًّا آخر ربط ضفتي النهر[٤].

(١) صبـاح محمـود محمَّد الخطيب، مدينة الحِلَّة الكبرى وظائفها وعلاقاتهـا الإقليميَّة، دار الحكمة، بغداد، ١٩٧٤، ص١١.

(٢) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، مطبوعات فرهاد، ط٤، إيران، ٢٠٠٦، ص٢٥٣.

(٣) علـيّ هـادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّـة في العهد العثماني المتأخِّـر ١٨٦٩-١٩١٤، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٨٣.

(٤) عبد الرضا عوض، صفحات بابليَّة، مطبعة الضياء، النجف، ٢٠٠٧، ص٢١٦.

أحـاط بالمدينة سـور يعود تاريـخ بنائه إلى القـرن الثاني عشر الميـلاديّ، وهو على شـكل مسـتطيل، مبنيّ من الآجرِّ المجلوب من أطلال مدينة بابل الأثريَّة، ولهذا السور ثلاثة أبواب تُعرف بأسـماء المناطـق والأماكن المتَّجهة نحوها[1]، فهنـاك بوَّابة من جهة الغرب سـمِّيت (بوَّابة الطهمازيَّة)، وأخرى باتِّجاه مدينة كربلاء المقدَّسة، عُرِفت بـ(باب الحسين)، وبوَّابة أخرى عُرفت بـ(باب المشهد)، أو (بوَّابة النجف)، وذُكرت أيضًا بوَّابة رابعة شمال المدينة، سُمِّيت بـ(باب بغداد)[2].

بقي سـور مدينـة الحِلَّة عامرًا وشـاخصًا حتَّى أيَّـام الحرب العالميَّـة الأولى، وبعد احتلال بريطانيا للعراق، قرَّر الإنكليز هدم السـور عام ١٩١٧؛ لأسـباب وضرورات أمنيَّة وعسكريَّة تخدم مصالحهم آنذاك[3].

تقـع مدينـة الحِلَّـة في منطقـة زراعيَّـة خصبة وفـيرة المياه، سـاعدت عـلى غزارة الإنتـاج الزراعـيّ فيهـا، وجعلـت لهـا مكانتهـا الخاصَّـة في الاقتصـاد العراقـيّ آنـذاك، فضـلًا عـن موقعهـا الجغـرافيّ المميَّز على طـرق المواصـلات التجاريَّـة البريَّة والنهريَّـة، وتوسُّـطها بالنسـبة إلى العـراق، وكونهـا طريقًـا لمـرور قوافـل الحجَّـاج وزوَّار العتبـات المقدَّسـة، ممَّـا أسـهم في ازدهـار التجـارة فيهـا، وتعاظـم أهميَّتهـا الاقتصاديَّة[4].

فضلًا عن اسـتخدام الولاة العثمانيِّين المدينة خطًّا دفاعيًّـا متقدِّمًا لمواجهة هجمات الوهابيِّـين المُسـتمرَّة عـلى مدن العـراق في الفـرات الأوسـط، فأولوها اهتمامًـا كبيرًا،

(١) خليل ابراهيم نوري، قطوف حِلِّيَّة، مطبعة الضياء، النجف، ٢٠٠٧، ص١٠.
(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر، ص٧٣.
(٣) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح الاجانب، ص٢٩.
(٤) عـماد الدين خليل، في التاريخ الإسـلاميّ- مواقف ودراسـات، ط٢، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥، ص٢٣٣.

وأشرفوا إشرافًا مباشرًا على تنظيم دفاعاتها وتحصيناتها، لذا تميزت المدينة بمكانة واهمية كبيرة نسبة إلى مدن العراق الأُخر [١].

ثانيًا: السكَّان والتنظيم الإداريّ لمدينة الحِلَّة

أ. السكَّان:

عُـدَّت مدينة الحِلَّة من المراكـز السـكَّانيَّة الكثيفة، مقارنةً بمـدن العراق الأخرى آنـذاك، وجاءت بالمرتبة الثالثة من حيث الأهميَّة السـكَّانيَّة بعد مدينتَي بغداد والبصرة، إذ بلغ عدد سكَّان المدينة، بحسب تقديرات سالنامة[٢] عام ١٩٠٧، بحدود (٣٥٦٦٢) نسمة[٣].

والغالبيَّة العظمى من سكَّان المدينة هم من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومعظمهم يزاولـون الزراعـة، والقليـل منهم عمـل في التجـارة، وبعـض الحِـرف والصناعات الصغـيرة، وزيادةً عـلى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، سـكنت الحِلَّـة ديانات وطوائف أخرى، كاليهوديَّة التي تركَّز وجود أبنائها في محلَّة الجبَّاويِّين، وسـكن بعضهم الآخر في محلَّتَي المهديَّة وجبران وقرية ذي الكفل، والمنطقة المجاورة لمدينة بابل الأثريَّة، وقد عمل هـؤلاء في التجـارة والصياغة، أو في اسـتثمار الأراضي الزراعيَّـة، بشرائها من الحكومة العثمانيَّة، في حين كان فقراء اليهود يجوبون القرى والأرياف مشيًا على أقدامهم، حاملين

(١) سـتيفن همسـلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمـة جعفر خيَّاط، ط٤، مطبعة حسام، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٦٥-٢٧٦.

(٢) سـالنامة: كلمـة تركيَّة من مقطعَين: (سـال) وتعني سـنة، و(نامة) وتعني كتـاب، أي الكتاب السنويّ.

(٣) علـيّ هـادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في السـالنمات العثمانيَّة، مطبعـة الرياحين، بابل، ٢٠٠٥، ص١٠٤.

بضاعتهم معهم؛ لبيعها على سكَّان هذه المناطق[1].

سكن مدينة الحِلَّة أيضًا عدد من أبناء الديانة المسيحيَّة منذ عهود قديمة، وازدادت أعدادهم بعد أن جاءت الحكومة العثمانيَّة بالأرمن سبايا من منطقة أرمينيا، ولم يتَّخذ أبناء الطائفة المسيحيَّة لأنفسهم مكانًا محدَّدًا للإقامة، وتوزَّعوا على محلَّات المدينة المختلفة، وعملوا في مهنٍ شتَّى[2].

ويمكن القول إنَّ سبب الكثافة السكَّانيَّة لمدينة الحِلَّة يُعزى إلى نموِّها وازدهارها، واستيطان القبائل والعشائر في منطقة الفرات الأوسط، فضلًا عن قلَّة تعرُّضها للكوارث الطبيعيَّة التي أثَّرت في سكَّان المناطق الأخرى.

ب. التنظيم الإداريّ للمدينة:

كانت مدينة الحِلَّة ومدينة الديوانيَّة في زمن الحكم العثمانيّ لواءًا واحدًا، غير أنَّ مركز اللواء تارةً يكون في الحِلَّة، وأخرى في مدينة الديوانيَّة، وقد قابل متصرِّف الحِلَّة عليّ رضا بك بالامتعاض أوامر والي بغداد حسن رفيق باشا له بنقل مركز اللواء من الحِلَّة إلى الديوانيَّة، إذ يذكر ذلك الشيخ يوشف كركوش الحِلِّيّ بقوله: «كيف ينقل مركز اللواء (السنجق) من مدينة عامرة، تحيط بها بساتين النخيل والفاكهة، إلى قرية قليلة الماء والكلأ، إضافة إلى ذلك أنَّه ليس للحكومة سراي يتَّسع لدوائر الحكومة، وثكنات عسكريَّة كافية للجنود، والألف ليرة لا تفي بذلك»[3]، وفي مدَّة البحث هذه كانت

(١) عليّ كامل السرحان، الأقليَّة اليهوديَّة في لواء الحِلَّة (١٩٢١-١٩٥٢) دراسة تاريخيَّة لأحوالهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٩، ص٢١.

(٢) عبد الرضا عوض، صفحات بابليَّة، ص٣٩-٤٥.

(٣) يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة- الحياة السياسيَّة، ج١، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٥، ص١٥٣.

المدينة قضاءً تابعًا للواء الديوانيَّة حتَّى نهاية الحكم العثمانيّ عام ١٩١٧[١].

أمَّا أهمُّ التنظيمات الإداريَّة للمدينة، فكانت على النحو الآتي:

١. القائممقاميَّة: ويرأسها القائممقام، يساعده نائب القائممقام، ومدير المال، وكاتب التحريرات، والمفتي.

٢. بداءة المحكمة: ويرأسها رئيس المحكمة.

٣. مجلس البلديَّة: ويتكوَّن من الرئيس، ومدير الأوقاف، وأمين الصندوق، ومأمور نفوس، ومأمور ديون عموميَّة، ومأمور الري، وقنطارجي الري.

٤. مأموريَّة الشرطة أو الضابطيَّة.

٥. مكتب الرشديَّة: ويتكوَّن من معلِّم أوَّل، ومعلِّم ثاني، ومعلِّم رسم، ومعلِّم خطّ، وفرنجة معلِّم أي (معلِّم فرنسيَّة).

٦. إدارة البريد والتلِّغراف.

٧. مدراء النواحي[٢].

تبعت القضاء مجموعة من النواحي التي رأس كلٌّ منها مدير ناحية، وهي ناحية المحاويل، ومن قراها الصبَّاغيَّة، وخان المحاويل، وسادة الحصن، وبرنون، وكويرش، وناحية النيل، ومن القرى التابعة لها الدولاب، وفنهرة، وبيرمانة، وناحية الخواص، ومن قراها الزوير، وسنجار، وعنَّانة، والسدَّة، وناحية نهر شاه، ومن قراها المعيميرة، والهمسانيَّة، والإبراهيميَّة، وناحية الجربوعيَّة، ومن قراها الهاشميَّة، والزرفيَّة،

(١) ودَّاي العطيَّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٤، ص٤.

(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في السالنامات العثمانيَّة، ص٧٠.

والحسينيَّة، وناحية أبي غرق، ومن قراها الطينيَّة، وأخيرًا ناحية المدحتيَّة، ومن قراها المزيديَّة، والإمام الحمزة عليه السلام، وخيگان، والخشخشيَّة[1].

وبعد الاحتلال البريطانيّ للعراق، قسِّمت البلاد إلى ستّ عشرة وحدة إداريَّة (لواء)، يتبعها عدد من الأقضية والنواحي، وأشرف على إدارة كلِّ لواء حاكم سياسيّ، يعاونه في إدارة الأقضية مساعد الحاكم السياسيّ، الذي يحلُّ محلَّ القائممقام، وشكَّلت حكومة الاحتلال البريطانيّ مجالس استشاريَّة محليَّة يعيَّن اعضاؤها من بعض الشخصيَّات البارزة في اللواء، برئاسة الضابط السياسي[2].

أصبحت مدينة الحِلَّة بعد دخول البريطانيِّين لواءًا، وعيِّن النقيب كول سميث لإدارة شؤون المدينة، بصفة حاكم سياسيّ، في أيَّار من عام ١٩١٧، ويعاونه عدد من الموظَّفين الإنكليز والهنود، وأبقت السلطات البريطانيَّة على معظم الأسس والتنظيمات الإداريَّة التي استندت إليها القوانين العثمانيَّة الأُخر، لاسيما ما يتعلَّق منها بقوانين الأراضي وملكيَّتها[3].

(١) ودَّاي العطيَّة، المصدر السابق، ص١٧.

(٢) نخبة من الباحثين، حضارة العراق، ج١٢، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢.

(٣) عبد العظيم نصَّار، بلديَّات العراق في العهد العثمانيّ ١٥٣٤-١٩١٨، مطبعة شريعتي، إيران، ٢٠٠٦، ص٢١٥.

المبحث الثاني

الزراعة وطرق المواصلات

أوَّلًا: الزراعة

أ. الأراضي الزراعيَّة:

جاءت الزراعة في مقدِّمة الموارد الاقتصاديَّة لمدينة الحِلَّة، ومثَّلت العمود الفقريّ لاقتصاد المدينة في القرن التاسع عشر، حتَّى منتصف سبعينيات القرن العشرين، فالزراعة أساسٌ حيويٌّ لاقتصاديَّات معظم البلدان، وقد ضمَّت مدينة الحِلَّة مساحات واسعة من الأراضي الزراعيَّة التي امتازت بخصوبتها ووفرة مياهها المتمثِّلة بنهر الفرات وتفرُّعاته الكثيرة، الأمر الذي انعكس إيجابًا على كميَّة الإنتاج فيها[1].

قُسِّمت الأراضي في مدينة الحِلَّة في العهد العثمانيّ على أساس سياسة تفويض الأراضي، إذ بيعت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعيَّة العائدة للدولة بالمزايدة العلنيَّة، بعد أن قُسِّمت إلى قطع بأسعار مناسبة، وكان للملَّاكين سلطة كبيرة استمدُّوها من دعم السلطة المركزيَّة، أمَّا نظام الطابو فقد طُبِّق في بعض المناطق، ولم يطبَّق في مناطق أخرى[2].

(١) بدري محمَّد فهد، العامَّة ببغداد في القرن السادس الهجريّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٧٣.

(٢) وميض جمال نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسيَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة للحركة القوميَّة=

لذا كانت المشاكل كثيرًا ما تتكرَّر بين الفلَّاحين والملَّاكين، لاسيما بعد أن منحت الحكومة العثمانيَّة بعض موظَّفيها قطعًا من الأراضي الزراعيَّة الخصبة في الحِلَّة، وأصبحوا أشبه بالملَّاك الغائبين عن الأرض، إذ ترك هؤلاء أراضيهم بعهدة أشخاص يُعرَفون بالملتزمين، وكان للسلطان العثمانيّ عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) أراضٍ زراعيَّة كثيرة في مدينة الحِلَّة، عُرِفت بالأراضي السنيَّة، وعدَّت من أخصب الأراضي الزراعيَّة في البلاد، سجَّلها باسمه الخاص، وأوجد لها تشكيلات إداريَّة خاصَّة[١].

وبعد دخول القوات البريطانيَّة إلى العراق، أبقت السلطات البريطانيَّة على الأسس التي استندت إليها القوانين العثمانيَّة، وفي مقدِّمتها حقُّ الدولة في الملكيَّة القانونية في معظم أراضي البلد، وقد حالت الاعتبارات السياسيَّة بين السلطات البريطانيَّة وقدرتها على رسم سياسة ثابتة تجاه المشاكل التي كانت كثيرًا ما تتجدَّد بين الفلاحين والملَّاكين، وكانت الأراضي الزراعيَّة في الحِلَّة تعدُّ من أفضل الأراضي وأكثرها خصبًا، زيادةً على طول مدَّة النمو ووفرة المياه، ممَّا جعلها تصبح من أهمِّ المناطق الزراعيَّة الوفيرة الإنتاج في العراق[٢].

ب. الرَّي:

يشكِّل نهر الفرات وفروعه، لاسيما شطُّ الحِلَّة، عصب الحياة في مدينة الحِلَّة، ويبلغ طوله حوالي ١٠٤ كيلو متر، وبلغت مساحة الأراضي التي اعتمدت في ريِّها على شطِّ الحِلَّة حوالي مليون دونم[٣].

=العربيَّة (الاستقلاليَّة) في العراق، ط٢، مطبعة بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٦٠.

(١) الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج١، ترجمة د. هاشم صالح التكريتيّ، البصرة، ١٩٨٢، ص١٢٦.

(٢) عبد الرزاق الحسنيّ، العراق قديمًا وحديثًا، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٨، ص٦٧.

(٣) غيرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خيَّاط، منشورات عويدات،=

يتفـرَّع من شـطِّ الحِلَّة حوالي (١٣) جدولًا من جانبـه الأيمن، و(٢٤) جدولًا من جانبـه الأيسر، ومن هذه الجداول جدول المحاويـل، والفنديَّة، والمرجانيَّة، والعميَّة، في ناحيـة المحاويل، وجداول النيل والورديَّة وغيرهـا في ناحية النيل، وجداول الخواص، والمهنَّاويَّـة، والطهمازيَّـة، واليهوديَّة في ناحية الخواص، وجداول نهر الشـاه، ودورة في ناحية نهر الشـاه، وجداول الهاشـميَّة، والحسـينيَّة في ناحية الجربوعيَّة، ونهر مشـيمش، والبـازول، وغيرهـا في ناحيـة المدحتيَّة؛ لتكـوِّن هذه الشـبكة منظومة لـري الأراضي الزراعيَّة المحيطة بها[١].

حاولـت الحكومة العثمانيَّـة القيام ببعض المشـاريع الإروائيَّة، فكان مـن أهمِّ هذه المشـاريع، مشروع سـدَّة الهنديَّة، ففي نهاية القرن التاسـع عشر تحوَّل مجرى نهر الحِلَّة إلى نهـر الهنديَّة، فضعفت أهميَّة الحِلَّـة الزراعيَّة والتجاريَّة، ونزح معظم سـكَّانها وقراها إلى أماكن أخرى، ممَّا دفع بالحكومة العثمانيَّة التي كانت تجني أموالًا طائلة من مدينة الحِلَّة إلى الاهتمام بالأمر، فاستدعت أحد المهندسين الفرنسيِّين، ويدعى (شندرفير)، عام ١٨٨٥، وطلبت منه إنشـاء سـدٍّ على نهر الفـرات؛ للموازنة بين المياه الموزَّعة عـلى أراضي الحِلَّة، بتقليل جريانه في نهر الهنديَّة، فأكمل هذا المهندس عمله نهاية عام ١٨٨٨[٢].

إلَّا أنَّ عـدم اهتمام السـلطات العثمانيَّـة بإدامة هذا السـدِّ أدَّى إلى انهياره، فعهدت الحكومة العثمانيَّة بتجديد السـدِّ إلى شركة جاكسون، التي أنهت عملها في كانون الأوَّل ١٩١٣[٣].

=بيروت، ١٩٧١، ص ٢٣٩.

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١٥٣.

(٢) غيرترود بيل، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٣) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتيّ، ج٢، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٩، ص٣٤٥.

وقـام البريطانيُّون بزيادة قنوات جديدة شـمال السـدِّ، نباها أبناء العشـائر، وتحت إشراف أحد الشـيوخ، وهو عمران الحاج سـعدون، شـيخ بني حسـن، ودفع النفقات الحاكم السـياسيّ في مدينة الحِلَّة، ممَّا سـاعد على زراعة مسـاحات واسـعة من الأراضي القاحلة شمال الحِلَّة[1].

أمَّـا الطـرق المسـتخدمة في ريِّ الأراضي الزراعيَّـة، فكانت معظـم هذه الأراضي تروى سـيحًا، بينما سُـقِيت الأراضي المرتفعة عن مسـتوى النهر، لاسـيما تلـك القريبة من الضفاف، باسـتخدام (النواعير)، ولم يكن للأمطار أثر كبير في عمليَّة ريِّ الأراضي الزراعيَّة؛ لقلَّتها في المدينة[2].

ج. الإنتاج الزراعيّ:

كان وراء ازدهار الحِلَّة، منذ تأسيسها، عاملان رئيسان، هما التربة الخصبة، ووجود مصـدر دائم للميـاه يتمثَّل بنهر الفـرات، وكذلك وقوع المدينـة في منطقة من أخصب الأراضي الزراعيَّة في الشرق الأوسط، وهي السهل الرسوبيّ[3].

أمَّـا أهمُّ المحاصيل الزراعيَّـة التي زرعت في المدينة، فهي الحنطة والشـعير والرُّز، وتُعـدُّ الحنطة والشـعير من أهـمِّ المزروعات الشـتويَّة، وتُزرع ببذر بذورهمـا في أوائل شـهر تشريـن الأوَّل من كلِّ عـام، بعد تهيئـة الأرض وحراثتها بوسـائل بدائيَّة، تتمثَّل بالمحراث الخشبيّ الذي تجرُّه الحيوانات (الأبقار أو الجواميس)[4]، وكان إنتاجها يفيض

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١٥٤.

(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في السالنامات العثمانيَّة، ص٩٠.

(٣) عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص٢٤٠.

(٤) علـيّ كامل حمزة السرحـان وعليّ طالب عبيد السـلطانيّ، الحِلَّة في عهد الـوزراء العثمانيِّين (١٨٣١-١٨٦٩)، مركـز بابل للدراسـات الحضاريَّة والتاريخيَّة، جامعـة بابل، الحِلَّة، ٢٠١٢، ص٤٥.

عـن الحاجة المحليَّة، ويصـدَّر إلى المناطق المجـاورة، وكذلك زراعـة الدخن، والماش، والسمسـم، والذرة، زيادة على زراعة الكروم، وأشـجار الفاكهـة المختلفة، فضلًا عن أشجار النخيل التي تُنتِج أنواعًا مختلفة من أجود التمور(١).

كذلك امتـازت مدينة الحِلَّة بغنى ثروتهـا الحيوانيَّة نتيجة لخصوبـة أراضيها، ووفرة المراعـي فيها، إذ اقتنى مزارعـو المدينة مختلف أنواع الحيوانات كالأغنـام والأبقار والماعز والخيـول والدواجـن وغيرها، وعملوا عـلى تربيتها جنبًا إلى جنب مع عملهـم الزراعيّ، للاستفادة من لحومها ومشتقَّاتها وجلودها وأصوافها، سواء للاستخدام الذاتيّ أو من أجل بيعها والاستفادة من أثمانها، أو من أجل استخدامها في النقل والعمل في الأرض(٢).

إلَّا أنَّ الإنتـاج الزراعيّ المتميِّز لم يكن ثابتًا، إذ واجهته عدد من المشـاكل كالآفات الزراعيَّة، وانحسـار مياه شـط الحِلَّة بين فينـة وأخرى، وموجات الجراد التي شـهدتها المنطقة، فضلًا عن اسـتخدام الوسـائل الزراعيَّة القديمة، إذ كانت هذه الأوضاع تؤدِّي أحيانًـا إلى ضآلـة الإنتـاج الزراعيّ، وحتَّـى التهديـد بالمجاعة بين سـكَّان المدينة، وقد حاولت السـلطات البريطانيَّة زيـادة الإنتاج الزراعيّ وتطويره بالإنفاق على المشـاريع الزراعيَّـة، وتسـليف المزارعين عن طريق مـشروع الإنماء الزراعي، الـذي كان مجموع نفقاتـه في مدينة الحِلَّة من ١٤ تشرين الأوَّل إلى ١٧ كانون الأوَّل ١٩١٧ مبلغ ٩٠٠٠٠ لـيرة، في محاولة منها للحفاظ عـلى الإنتاج الزراعيّ وزيادته في البلاد، لاسـيما في مدينة الحِلَّة(٣).

(١) عدنان بهيَّة،الأهميَّة الجيوبوليتيكيَّة لمدينة الحِلَّة، مركز البحوث والدراسات، معهد أكد الثقافيّ، د.ت، ص٥.

(٢) عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص٢٤٠.

(٣) عـماد أحمـد الجواهريّ، تاريـخ مشـكلة الأراضي في العـراق ١٩١٤-١٩٣٢، مطبعة الضياء، بغداد، ١٩٧٨، المصدر السابق، ص٤٢٣.

ثانيا: طرق المواصلات

تكمن أهميَّة الحِلَّة في عصرها الحديث في موقعها الإستراتيجيّ على مفترق طرق المواصلات الرئيسة في العراق، إذ إنَّ موقع الحِلَّة شكَّل منها عقدة طرق بريَّة ونهريَّة، تجاريَّة وعسكريَّة مهمَّة، جعلها بمثابة قلب الشرق، منها يمكن الوصول إلى حلب والبحر المتوسط وتركيا، وجنوبًا إلى البصرة فالخليج العربي، وكذلك طريق الحجِّ البريّ الذي يربط وسط العراق بالكوفة فالحجاز، وطريق الزائرين للأماكن المقدَّسة في الفرات الأوسط، والمهمَّة الأخرى هي استخدامها في الحملات العسكريَّة لنقل الجنود والذخيرة والمؤن من الحِلَّة نحو مناطق الأزمات التي تهدِّد الحكومة في بغداد[1].

وتنتشر على جوانب هذه الطرق مجموعة من (الخانات)، استخدمت محطات استراحة من قِبَل المسافرين وقوافل التجَّار، التي تروم التنقُّل، عن طريق الفرات، من بغداد إلى البصرة، أو بالعكس، وكذلك قوافل الزوَّار التي تقصد الأماكن المقدَّسة في مدينتَي النجف وكربلاء[2].

وقد كانت هذه الطرق على نوعَين:

أ. الطرق البريَّة:

ارتبطت مدينة الحِلَّة بمجموعة من الطرق البريَّة مع المناطق المجاورة لها، ومن أهمِّ هذه الطرق، هي:

١. **طريق حِلَّة- بغداد:** وعدَّ من الطرق المهمَّة التي تمتاز بكثافة نقل عالية، ويمتدُّ بصورة مستقيمة باتِّجاه الشمال نحو مدينة بغداد، وأنَّه من أطول الطرق التي

(١) عدنان بهيَّة، المصدر السابق، ص ٥.

(٢) عليّ كامل حمزة السرحان، خانات الحِلَّة في العهد العثمانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والتاريخيَّة، بابل، ٢٠١١، ص٨-١٥.

تربط المدينة بالمدن والمناطق المجاورة، وانتشرت على جانبي هذا الطريق عدد من الخانات، كانت محطَّات استراحة، يبعد الواحد عن الآخر مسافة ساعتَين أو أكثر بقليل للسائر، ومنها خان المحاويل، وخان الحصوة، وخان الإسكندريَّة، وخان المحموديَّة[1].

٢. **طريق حِلَّة- نجف**: ويربط مدينة الحِلَّة بالنجف من ثلاث جهات، هي طريق حِلَّة- كفل- كوفة، وطريق حِلَّة- كفل- نجف، وطريق حِلَّة- كوفة- نجف، وكانت قوافل التجَّار والزوَّار تسلك هذه الطرق، ويوجد في الكفل خان شيَّده أحد اليهود، وعلى مقربة منه بُنِي خان آخر شيَّده محمَّد حسن كبَّة؛ ليكون دار استراحة لزوَّار العتبات المقدَّسة[2].

٣. **طريق حِلَّة- كربلاء**: وهو طريق مباشر ربط الحِلَّة بمدينة كربلاء، واتَّصف هذا الطريق بانعدام الأمن فيه، وكونه من أقصر الطرق التي ربطت الحِلَّة بالمدن الأخرى.

٤. **طريق حِلَّة- ديوانية**: هذا الطريق كان قليل الاستخدام، ذلك أنَّ التجَّار والمسافرين، وحتَّى موظَّفي الحكومة العثمانيَّة وقوَّاتها العسكريَّة، كانوا جميعًا يفضِّلون التنقُّل في نهر الفرات، ويرجع سبب ذلك إلى عدم وجود خانات أو محطَّات استراحة فيه، على عكس طريق الفرات، وانعدام الأمن فيه، ويوجد خان واحد فقط على هذا الطريق، وهو خان جبر اللسانيّ[3].

(١) عليّ كامل حمزة السرحان، خانات الحِلَّة، ص٥.

(٢) عبد الرضا عوض، صفحات بابليَّة، ص٢٩.

(٣) عذراء شاكر هادي الهلاليّ، الحِلَّة من (١٨٠٠-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كليَّة التربية، ٢٠٠٩، ص٩٢.

أمَّا الطرق الداخلية في المدينة، فلم توجد فيها شوارع واسعة، وإنَّما كانت عبارة عن أزقَّة ضيِّقة، فأقدمت القوَّات البريطانيَّة على فتح شارع رئيسيّ يربط جنوب المدينة بشمالها، أطلق عليه السكَّان تسمية (الجادَّة)، وهي كلمة تركيَّة تعني الطريق[1].

وفيما يتعلَّق بخطوط السكك الحديديَّة، فقد أنشأ الإنكليز بعد دخولهم مدينة الحِلَّة خطًّا حديديًّا يربط المدينة ببغداد، وآخر يربطها بالبصرة، وخط ثالث يربطها بقرية ذي الكفل، وأقاموا جسرًا في الجهة الشماليَّة من المدينة؛ لأجل عبور القطار عليه[2].

استُخدِمت في عمليَّات النقل البرِّيّ وسائط بدائيَّة، تمثَّلت بحيوانات الحمل، كالإبل والبغال والحمير، التي تعدُّ واسطة بدائيَّة، لكنَّها مهمَّة ورئيسة في عمليَّات نقل البضائع والسِّلع، والمنتوجات الزراعيَّة والحيوانيَّة، بين الحِلَّة وما جاورها من المناطق، أمَّا نقل الأشخاص، فغالبًا ما كان يتمُّ باستعمال هذه الحيوانات، فضلًا عن الخيول[3]، وكان السفر شاقًّا ومتعبًا، إذ يذكر الرحَّالة عمانوئيل فتح الله عمانوئيل مضبوط في رحلته التي زار فيها مدينة الحِلَّة نهاية العقد الأوَّل من القرن العشرين، فيقول: «قبل نحو عشرين سنة، كان السفر إلى الحِلَّة من الأمور الشاقَّة، لما يتكلَّف المسافر من تحميل الأثقال وركوب البغال وإعداد الزَّاد واتِّخاذ المبذرقة لتخفره في الطريق من الأعراب المبثوثة في بوادي هذه الأرجاء، أمَّا اليوم فتوثير الطريق الواصل بغداد- بالحلَّة وتمهيده أثار في أهل الوطن الغيرة على خير العموم، فانشؤوا شركات عجلات متعدِّدة سهَّلت

(١) عبد الرضا عوض، أوراق حِلِّيَّة من الزمن الصعب في القرن العشرين، مكتبة الصادق، بابل، ٢٠٠٥، ص٢٥٧، المصدر السابق، ص٢٥٧.

(٢) عبد الرضا عوض، صفحات بابليَّة، ص٣١.

(٣) عذراء شاكر هادي الهلاليّ، المصدر السابق، ص١٠٠.

أعظم التسهيل قطع هذه السهول والحزون بدون أن يحصل ما يكدِّر صفو رحلتهم، اللهمَّ إلَّا في النادر، والنادر لا يُقاس عليه»[1].

وكذلك استُخدمت عربات الخيول، إذ أسَّس بعض الأفراد من تجَّار بغداد شركة لنقل المسافرين وحمولاتهم بواسطة عربات خشبيَّة تسحبها مجموعة خيول، وفتحوا لهم فرعًا في مدينة الحِلَّة، أمَّا السيَّارات ووسائط النقل الحديثة، فقد دخلت المدينة في وقت متأخِّر، وكانت أوَّل سيَّارة تجوب شوارع الحِلَّة يملكها القائممقام العثمانيّ محمَّد رشيد أفندي، عام ١٩١٢م، ثمَّ دخلت السيَّارات العسكريَّة مع دخول القوَّات البريطانيَّة للمدينة عام ١٩١٧[2].

ب. الطرق النهريَّة:

كان لموقع مدينة الحِلَّة على نهر الفرات أثرٌ كبيرٌ بارتباط المدينة بطرق نهريَّة مع المدن الأخرى في أعالي الفرات وجنوب العراق والخليج، وهذه الطرق هي:

١. **طريق حِلَّة- بصرة**: ويربط الحِلَّة بالبصرة، ثمَّ الخليج عن طريق نهر الفرات، وهذا الطريق من الطرق النهريَّة المهمَّة التي ربطت الفرات الأوسط بجنوبي العراق، وقد اكتسب أهميَّة خاصَّة بالنسبة للتجارة، بوصفه طريقًا بديلًا أو إضافيًّا لطريق دجلة النهريّ[3].

٢. **طريق حِلَّة- عانة- أعالي الفرات**: الذي يعدُّ امتدادًا لطريق حِلَّة- بصرة، باتِّجاه الشمال.

(١) عمانوئيل فتح الله عمانوئيل، سفرة إلى كربلاء والحِلَّة ونواحيهما، مجلَّة لغة العرب، العدد الثالث (١ أيلول ١٩١١)، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح، ص٧٤.

(٣) عذراء شاكر هادي الهلاليّ، المصدر السابق، ص٩٣.

أمَّا وسائط النقل النهريّ، فقد كانت متعدِّدة ومتنوِّعة، ومن أبرز أنواع هذه الوسائط:

١. **السفن الشراعيَّة الكبيرة والمتوسِّطة والصغيرة**: وهي مزوَّدة بأشرعة وصوارٍ يمكن استخدامها عندما تهبُّ الريح، وممَّا ساعد على استخدامها في شطِّ الحِلَّة هو عرضه الذي يصل في بعض الأماكن إلى (١٠٠م)، وكذلك عمقه الذي يبلغ (٥٠م)[١].

٢. **القفف**: وهي إحدى وسائط النقل النهريّ التي صُنعت من أغصان مجدولة شُدَّت إلى بعضها بإحكام، وغُلِّف داخلها بالجلود والقماش، استُخدمت لنقل محاصيل الفاكهة والخضروات بين الحِلَّة وأريافها، لاسيما مع وجود شبكة واسعة من الجداول التي تتفرَّع من شطِّ الحِلَّة إلى الأرياف المحيطة بها.

٣. **القوارب**: وتعدُّ من الوسائل المهمَّة في تنقُّل السكَّان بين المدينة وأريافها والمناطق القريبة منها، وصُنِعت غالبًا من جذوع النخيل المطليَّة بالطين والقار؛ لأجل الاستفادة منها لمدَّة طويلة[٢].

(١) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر، ص١٨٠-١٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٣.

المبحث الثالث

التجارة والصناعة والضرائب

أوَّلًا: التجارة

نظـرًا للموقع المتميِّـز لمدينة الحِلَّة على طرق الموصـلات، ولكثافة الإنتاج الزراعيّ فيها، الذي كان يفيض عن الحاجة المحليَّة، فضلًا عن تنوُّع هذا الإنتاج، فقد ساعد ذلك على نمـو حركة التجارة في المدينة مـع المناطق المجاورة لها، والبعيـدة عنها، وأصبحت الحِلَّـة مركزًا تجاريًّا مهمًّا في الفرات الأوسـط والعراق، وقد تطـرَّق الرحَّالة الإنجليزيّ غراتان جيري عند زيارته مدينة الحِلَّة عام ١٨٧٨م إلى أهميَّتها التجاريَّة وموقعها على نهر الفرات، لاسـيما تجارة الخيول فيها، فيقول: «الحِلَّة يتراوح تعداد سـكَّانها بـ(٢٠٠٠٠)، وهـي تبدو كبلـدة صغيرة مشـغولة، وكانـت تتميَّـز بأحصنتهـا التي تعدُّ مـن أفضل ما موجود في باشويَّة بغداد»[١].

ومع نهاية القرن التاسـع عشر الميلاديّ، ازدادت أهميَّـة الحِلَّة التجاريَّة، وازدهرت فيها الحركة التجاريَّة بشـكل كبير، وكثرت فيها الأسـواق، وراجت البضائع والسـلع، وأصبحت محـطَّ رحال التجَّار وقوافلهم، فضلًا عن مـرور المراكب النهريَّة التي كانت تمخر الفرات بين حلب والبصرة بالمدينة، حاملة الركَّاب والبضائع المتنوِّعة[٢].

(1) Grattan Geary, Through Asiatic Turkey. Narrative of a Journey from Bombay to the Bosphorus, London, S. Low, Marston, Searle & Rivington, 1878, P. 189.

(٢) عليّ كامل حمزة السرحان وعليّ طالب عبيد السلطانيّ، المصدر السابق، ص٥٢.

ومن أهمِّ ما كانت تتاجر به المدينة، هو:

١. **تجارة الحبوب**: احتلَّت الحِلَّة مكانة متميِّزة في مجال زراعة الحبوب، انعكس على ميدان تصديرها، وقد أشار إلى أهميَّة الحِلَّة في هذا المجال القنصل البريطانيّ العام (كمبار) في بغداد سنة ١٨٦٤، عندما ذكر أنَّ للحِلَّة مكانة واضحة في زراعة مختلف أنواع الحبوب (الحنطة والشعير) وإنتاجها، وكان إنتاج الحبوب في الحِلَّة غالبًا ما يفيض عن حاجة المدينة المحليَّة؛ ويتمُّ تصديره إلى المناطق المجاورة لها عن طريق بعض التجَّار من أبناء الأسر الحِلِّيَّة، مثل أسرة آل (عوض)، وآل (علوش)، وغيرهم[١].

٢. **تجارة الماشية**: نمت الثروة الحيوانيَّة في مدينة الحِلَّة؛ لوجود مساحات زراعيَّة كبيرة، ولوفرة المراعي الخصبة، حتَّى تصدَّرت مدن العراق في أعداد الماشية فيها، إذ يذكر الدبلوماسيّ الروسيّ ألكسندر أداموف في كتابه (ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها) ذلك بالقول: «..ويحتلُّ سنجق الحِلَّة من حيث عدد الماشية الصغيرة الموجودة فيه المرتبة الأولى، تأتي بعده بالترتيب سناجق كربلاء وبغداد والمنتفق والعمارة والحسا والبصرة»[٢]، فكانت الأغنام، والماعز، والأبقار، والجاموس تصدَّر إلى أسواق بغداد والبصرة، فضلًا عن تصدير مشتقَّاتها كالأصواف، والجلود، والسمن الحيوانيّ إلى أسواق بغداد، وتميَّزت المدينة أيضًا بوجود نوعيَّات جيِّدة من فراء الحملان، الذي كان مرغوبًا فيه في الأسواق العالميَّة، لاسيما في روسيا[٣].

٣. **تجارة الخيول**: اشتهرت الحِلَّة بتربية سلالات عديدة من الخيل العربيَّة، الأصيلة منها والهجينة، والتي امتازت بالرشاقة والجري السريع، لهذا ازداد الطلب على شرائها،

(١) عذراء شاكر هادي الهلاليّ، المصدر السابق، ص٨٢؛ عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر، ص١٩٢.

(٢) ألكسندر أداموف، المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٣) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر، ص٢٠٠.

ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بغداد والبصرة والهند، نظرًا للحاجة الماسَّة إليها في الصيد والسباقات الرياضيَّة، وفي القتال أيضًا[١]، وحقَّقت تجارة الخيول في الحِلَّة أرباحًا كبيرة، حيث كان التجار يرسلون هذه الخيول بواسطة السفن إلى البصرة، ومنها تصدَّر إلى الهند[٢].

٤. **تجارة الطابوق**: ويُقصد بها تجارة طابوق خرائب بابل التي دخلت مجال التجارة المربحة في الحِلَّة، إذ شيِّدت البيوت في المدينة من هذا الطابوق، والبعض الآخر يُنقل إلى مدن أخرى كبغداد والنجف وكربلاء، إذ يذكر الرحَّالة الإنجليزيّ هنري كوبر سوانسون الذي زار الحِلَّة عام ١٨٩٣ ذلك بالقول: «إنَّ بيوت الحِلَّة ومعالمها العمرانيَّة الأخرى كالمساجد والأسواق قد شُيِّدت جميعها بطابوق بابل»[٣].

٥. **تجارة الآثار**: كان لقرب مدينة الحِلَّة من آثار بابل القديمة أثر بارز بتميُّزها بتجارة الآثار والتحف الأثريَّة، المرغوب فيها لدى متاحف الدول الأوربيَّة[٤].

ثانيًا: الصناعة

لم تكن مدينة الحِلَّة تمتلك صناعات بالمعنى الحديث في ذلك الوقت، وإنَّما كانت الصناعة فيها بدائيَّة، تقتصر على بعض الصناعات اليدويَّة، والحِرف الشعبيَّة، وفي مقدِّمتها صناعة المنسوجات (الحياكة)، التي كانت تُنتَج في ورش صغيرة، لكن البضائع المستوردة، لاسيما البريطانيَّة منها، اكتسحت هذه الصناعة، ممَّا أدى إلى تدهور مكانتها[٥].

(١) عذراء شاكر هادي الهلاليّ، المصدر السابق، ص٨٤.
(٢) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح الأجانب، ص٧٨.
(٣) صلاح السعيد، الحِلَّة في مذكِّرات الرحَّالة والمستكشفين، ط٢، الحِلَّة، ٢٠٠٨م، ص١٢٦.
(٤) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح الأجانب، ص٧٨
(٥) وميض جمال نظمي، المصدر السابق، ص٢٣١.

ووجِـدت في المدينة أيضًا، صناعة المواد الفخاريَّة (الكـوازة)، إذ صُنعت الأواني، بحسـب الشـكل والحجـم، من الطـين بعد أن تعـرَّض للشـمس، وتُفخـر في موضع خـاص يدعى (الكـورة)، وكذلـك صناعة الأثـاث المنـزليّ، كأسرَّة المنـام والأقفاص والصناديـق، سـواء مـن الخشـب، أو من جريـد النخل، كـما وجِـدت ورش للنجارة والحدادة صُنعت فيها بعض الأدوات اليسيرة، كالمناجل والسلاسل والآلات الزراعيَّة البسيطة[1].

وازدهرت كذلك صناعة دباغة الجلود وورش الصياغة، التي كان يمتلكها اليهود في معظم الأحيان، كما وجِدت بعض الصناعات الغذائيَّة، مثل المطاحن والمخابز ومملحة ومعصرخانة وموادها الأوليَّة من التمر والسمسم[2].

أمَّـا عن الصناعة الكهربائيَّة، فقد عرفتها الحِلَّة لأوَّل مرَّة عند دخول الإنكليز إليها عنـد اسـتخدامهم للمولِّـدات الكهربائيَّة لإنـارة المناطق الخاصَّة بهـم، كذلك أقدمت شركة لنـج على جلب ماكنة (ثلج)، ومعها مولِّد كهربائي نُصِب في الجانب الصغير من المدينة[3].

وكانـت مدينة الحِلَّة عامرة بالأسـواق منذ نشـأتها الأولى؛ بسـبب غـزارة الإنتاج الزراعيّ والحيوانيّ، وموقع المدينة المهم، وقد تباينت طبيعة هذه الأسـواق ومسـاحتها، فمنهـا مـن كان يخـدم المدينة أو الإقليـم، ومنها مـا كان لقطَّاع صغير مـن المدينة، وقد حملـت هذه الاسـواق أسـماء الحِـرف والتجـارة الغالبـة فيهـا، مثل سـوق الصفافير،

(١) عبَّـاس إبراهيـم الجبوريّ وصباح نـوري المرزوك، لمحة عـن ماضي مدينـة الحِلَّة وحاضرها، القادسيَّة، ٢٠٠٢، ص٥٣.

(٢) خليـل إبراهيـم نوري، خطـط الحِلَّة في القـرن الثامن عـشر، دار الضيـاء، النجف الأشرف، ٢٠٠٨، ص٧١.

(٣) عبد الرضا عوض، أوراق حِلِّيَّة، ص٢٦١.

وسوق الحطابات وغيرها[1].

انتشرت هذه الأسواق على جانبي المدينة، ووجدت فيها دكاكين متعدِّدة تتوفَّر فيها الفواكه، والحبوب، ومواد المعيشة الأُخرى، فضلًا عن ورش الحدادة والنجارة والصياغة، وكذلك الحمَّامات، مثل حمَّام (عمر آغا)، والخانات، مثل خان الحشَّاشة، والمقاهي، كقهوة خان المكاريَّة، والمخازن، والعلاوي، وغيرها[2].

ونجد في سالنامة عام ١٩٠٣، أنَّه توجد في مدينة الحِلَّة (٣٠) قهوة خانة، و(١٨) خانًا، و(٨) حمامات، و(١٧) مخزنًا لحفظ الذخائر، و(١٢٠) علوة، أضافة إلى (٢١٢٦) دكَّانًا، أمَّا العملة التي تداول بها الناس في عمليَّات البيع والشراء، فهي الليرة والمجيدي[3]، أو أجزاء هاتين العُملَتين، والليرة تعادل في القرن العشرين ربع جنيه إنكليزيّ[4].

ثالثًا: الضرائب والرسوم الكمركيَّة

كانت مدينة الحِلَّة من أهم مناطق إيرادات الحكومة العثمانيَّة التي كانت تفرضها هذه السلطات كضرائب ورسوم على الواردات الزراعيَّة والتجاريَّة وغيرها، وقد اتَّبعت الحكومة العثمانيَّة نظام الالتزام في جباية الضرائب الزراعيَّة، واستعانت في بعض الأحيان بشيوخ العشائر؛ لاستيفاء الضرائب والرسوم من أصحاب الأراضي

(١) خليل إبراهيم نوري، خطط الحِلَّة، ص٦٦-٦٧.
(٢) خليل إبراهيم نوري، قطوف حِلِّيَّة، ص١٠.
(٣) نسبةً إلى السلطان العثمانيّ عبد المجيد الأوَّل.
(٤) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في السالنمات العثمانيَّة، ص٩٧، عبد الرضا عوض، أوراق حِلِّيَّة، ص٥٧.

والبساتين، كما حصل عام ١٩١٥، عندما امتنع المزارعون وملَّاك الأراضي من دفع الضرائب بعد بداية الحرب العالميَّة الأولى[١].

تعدَّدت طرق استيفاء الضرائب في العهد العثمانيّ، ومنها تقدير الحاصلات، وتعداد الأشجار، وعدّ وسائط ضخِّ المياه، وكذلك المساومة على مبالغ مقطوعة[٢]، وتنوَّعت هذه الضرائب، فمنها ضريبة العشر (أي ما نسبته ١٠٪) على الأراضي غير المرويَّة سيحًا، وعند تجهيز الأراضي بالماء سيحًا، كانت الحكومة تطالب بعشر آخر، وضريبة التمور التي تختلف باختلاف أنواع التمور، وقرب المنطقة من السوق، وضريبة (الكودة) التي فُرِضت على المواشي، وبقيت سارية المفعول خلال الحكم البريطانيّ المباشر، وضريبة الأملاك (الويركو) المقدَّرة بـ(١٢٪) من الإيراد السنويّ لبيوت السكن والدكاكين والحمَّامات وغيرها[٣].

وهناك ضرائب أُخرى كضريبة المهنة (التمتُّع)، التي تُجبى من أصحاب المهن والحرفيِّين، وضريبة (الطالبيَّة)، وتؤخذ من الزوارق العاملة في النهر، وضريبة (الاحتساب)، وهي رسوم داخليَّة تُفرَض على جميع المنتجات والسِّلع التي تدخل أبواب المدينة، ورسوم (مروريَّة الجسر)، وهي رسوم تُفرَض على الأشخاص وحيواناتهم عند العبور على جسر القوارب الذي يربط جانبي الحِلَّة، ورسوم (الطمغة) التي فُرِضت على مختلف البضائع التي تُباع في أسواق المدينة[٤].

(١) عبُّود الهيمص، ذكريات وخواطر من إحداث عراقيَّة في الماضي القريب، مطبعة الراية، بغداد، ١٩٩١، ص٢١.

(٢) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٤٥.

(٣) نخبة من الباحثين، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٤) عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر، ص٢١٦.

أنشأ العثمانيُّون في مدينة الحِلَّة إدارة كمركيَّة، كان واجبها فرض الرسوم على البضائع التي تدخل وتخرج من أبواب المدينة، أمَّا بعد الاحتلال البريطانيّ، فقد انصبَّ اهتمام البريطانيُّون على المنطقة الزراعيَّة في الفرات الأوسط، لاسيما مدينة الحِلَّة، إذ كانت هذه المنطقة كاملة التطوُّر في العراق، ومنها كان الأتراك يجمعون القسم الرئيس من إيرادات الأرض[1].

وقد تضاعف حجم الواردات في أثناء الحكم البريطانيّ المباشر؛ نتيجة لسياسة جمع الضرائب الجديدة والكفؤة التي استخدمها البريطانيُّون، وقد ألغت السلطات البريطانيَّة بعض الضرائب التركيَّة الرئيسة، وهي ضريبة الأملاك، وضريبة التمتُّع، وضريبة المواصلات، في حين استمرَّت في جباية الضرائب والرسوم الأُخرى، وزادت عليها ضرائب جديدة[2].

(١) هنري فوستر، المصدر السابق، ص٣٢٤.

(٢) وميض جمال نظمي، المصدر السابق، ص٣٢٤.

الخاتمة

يتبيَّن لنا ممَّا سبق أنَّ الأوضاع الاقتصاديَّة في العراق، لم تشهد نموًّا كبيرًا أو نهضةً حديثة في وسائل الإنتاج المختلفة، وإنَّما بقيت بدائيَّة قياسًا إلى سائر الدول، لاسيما أنَّ العثمانيِّين لم يعملوا جهدًا يُذكَر في تطوير اقتصاد البلد، وكان همُّهم جمع الضرائب؛ لذا نلاحظ اهتمامهم بالمناطق الغنيَّة في العراق، ومنها مدينة الحِلَّة، فإنَّ واقع المدينة الجغرافيّ وخصوبة أراضيها، جعلها من أهمِّ المدن التي تدرُّ الواردات على الخزينة العثمانيَّة.

أمَّا عن اقتصاد المدينة نفسها، فإنَّه كان زراعيًّا على وجه العموم، ولم تكن قد أدخلت الوسائل الزراعيَّة الحديثة في الإنتاج الزراعيّ، ومع ذلك كان الإنتاج يفيض عن الحاجة المحليَّة، ويصدَّر إلى مناطق أخرى، ولو أنَّ السلطات العثمانيَّة اهتمَّت بشكل جدِّي بالمدينة، وعملت على فتح قنوات الأنهر والمبازل، وأدخلت الآلات الزراعيَّة الحديثة، وعملت على التخفيف من كاهل الضرائب عن الفلَّاحين؛ لتضاعف الإنتاج الزراعيّ عدَّة مرَّات.

وكذلك الأمر في سائر جوانب الاقتصاد، كالصناعة، والتجارة، وطرق الموصلات، فإنَّنا لم نجد أيّ اهتمام في إدخال الصناعات الحديثة، أو تطوير طرق الموصلات، بل إنَّها بقيت بدائيَّة ومتخلِّفة، حتَّى الاحتلال البريطانيّ، الذي بدأ بإدخال بعض التحديث والاهتمام بتطوير جوانب الاقتصاد في البلد، وإن كان ذلك لأغراض الاحتلال ومصالحه الاستعماريَّة.

قائمة المصادر

١. الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج١، ترجمة د. هاشم صالح التكريتيّ، البصرة، ١٩٨٢.

٢. بدري محمَّد فهد، العامَّة ببغداد في القرن السادس الهجريّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧.

٣. خليل إبراهيم نوري، خطط الحِلَّة في القرن الثامن عشر، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٨.

٤. خليل إبراهيم نوري، قطوف حِلِّيَّة، مطبعة الضياء، النجف، ٢٠٠٧.

٥. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خيَّاط، ط٤، مطبعة حسام، بغداد، ١٩٦٨.

٦. صباح محمود محمَّد الخطيب، مدينة الحِلَّة الكبرى وظائفها وعلاقاتها الإقليميَّة، دار الحكمة، بغداد، ١٩٧٤.

٧. صلاح السعيد، الحِلَّة في مذكِّرات الرحَّالة والمستكشفين، ط٢، الحِلَّة، ٢٠٠٨م.

٨. عبَّاس إبراهيم الجبوريّ وصباح نوري المرزوك، لمحة من ماضي مدينة الحِلَّة وحاضرها، القادسيَّة، ٢٠٠٢.

٩. عبد الرزَّاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، مطبوعات فرهاد، ط٤، إيران، ٢٠٠٦.

١٠. عبد الرزَّاق الحسنيّ، العراق قديمًا وحديثًا، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٨.

١١. عبد الرضا عوض، أوراق حِلِّيَّة من الزمن الصعب في القرن العشرين، مكتبة الصادق، بابل، ٢٠٠٥.

١٢. عبد الرضا عوض، صفحات بابليَّة، مطبعة الضياء، النجف، ٢٠٠٧.

١٣. عبد العظيم نصَّار، بلديَّات العراق في العهد العثمانيّ ١٥٣٤-١٩١٨، مطبعة شريعتي، إيران، ٢٠٠٦.

١٤. عبُّود الهيمص، ذكريات وخواطر من أحداث عراقيَّة في الماضي القريب، مطبعة الراية، بغداد، ١٩٩١.

١٥. عدنان بهيَّة، الأهميَّة الجيوبوليتيكيَّة لمدينة الحِلَّة، مركز البحوث والدراسات، معهد أكد الثقافيّ، د.ت.

١٦. عذراء شاكر هادي الهلاليّ، الحِلَّة من (١٨٠٠-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كليَّة التربية، ٢٠٠٩.

١٧. عليّ كامل حمزة السرحان، الأقليَّة اليهوديَّة في لواء الحِلَّة (١٩٢١-١٩٥٢) دراسة تاريخية لأحوالهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٩.

١٨. عليّ كامل حمزة السرحان، خانات الحِلَّة في العهد العثمانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والتاريخيَّة، بابل، ٢٠١١.

١٩. عليّ كامل حمزة السرحان وعليّ طالب عبيد السلطانيّ، الحِلَّة في عهد الوزراء العثمانيِّين (١٨٣١-١٨٦٩)، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والتاريخيَّة، جامعة بابل، الحِلَّة، ٢٠١٢.

٢٠. عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة كما وصفها السوَّاح الأجانب في العصر الحديث، مكتبة الرياحين، بابل، ٢٠٠٥.

٢١. عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في السالنمات العثمانيَّة، مطبعة الرياحين، بابل، ٢٠٠٥.

٢٢. عليّ هادي عبَّاس المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر ١٨٦٩-١٩١٤، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.

٢٣. عماد أحمد الجواهريّ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢، مطبعة الضياء، بغداد، ١٩٧٨.

٢٤. عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلاميّ- مواقف ودراسات، ط٢، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥.

٢٥. عمَّانوئيل فتح الله عمَّانوئيل، سفرة إلى كربلاء والحِلَّة ونواحيهما، مجلَّة لغة العرب، العدد الثالث (١ أيلول، ١٩١١).

٢٦. غيرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خيَّاط، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧١.

٢٧. نخبة من الباحثين، حضارة العراق، ج١٢، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٥.

٢٨. هـادي إحمد كمال الدين، فقهاء الحِلَّة وتطوُّر الحركة الفكريَّة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢.

٢٩. هنري فوسـتر، نشأة العراق الحديث، ترجمة سـليم طه التكريتيّ، ج٢، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٩.

٣٠. ودَّاي العطيَّـة، تاريـخ الديوانيَّـة قديـمًا وحديثًـا، المطبعة الحيدريَّـة، النجف الأشرف، ١٩٥٤.

٣١. وميض جمـال نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسـيَّة والفكريَّـة والاجتماعيَّة للحركة القوميَّة العربيَّة (الاسـتقلاليَّة) في العراق، ط٢، مطبعة بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٥.

٣٢. يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة- الحياة السياسيَّة، ج١، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٥.

33. Grattan Geary, Through Asiatic Turkey. Narrative of a Journey from Bombay to the Bosphorus, London, S. Low, Marston, Searle & Rivington, 1878.

البحث القرآنيّ

الشَّاهد القرآنيّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ) دراسة مقارنة

أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجيّ
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة
قاسم حسن نعمة الياسريّ

The Qur'anic Witness to Imamate of the Commander of the Faithful (PBUH) in the book (Kashf Al-Yaqin fi fadayil Amir Al-Muminin) by Allama Al-Hilli (D. 726 AH) A Comparative Study

Prof. Dr . Hassan Kazem Asad Al-Khafaji
Researcher: Qasim Hassan Nimah Al-Yasiri
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص

درس هـذا البحـث الشـواهد القرآنيَّة على إمامـة أمير المؤمنين عـليّ عليه السلام في كتاب كشـف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، أبيَّن مصطلح الإمامة وأهميَّتهـا، وبيان شروطهـا ومتعلّقاتها، وما يجـب أن يتَّصف به الإمـام من خصائص، وما يتميَّز به من مميِّزات، وما ثُقل المهمَّة الملقاه على عاتق الإمام.

وقد اختار الله تعالى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وخصَّه بالإمامة، وجب على كافَّة المسـلمين الطاعة لإمامهم وخليفتهـم الذي نصَّبه الله تعالى لهـم، وأمرهم باتِّباعه، فهو المـوكَّل في قضيَّة حفظ الدين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ الخلاف الذي وقع بعد وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله، ونقضهـم كتاب الله تعـالى ووصيَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله؛ لمـا فيه صلاحهم ونجاتهـم، فاختاروا غير الذي اختاره الله تعالى لهم، فضعفت شوكتهم، وقلَّ عددهم، ووهنت قوَّتهم، وأصبحوا متفرِّقـين يقتـل بعضهـم البعض، لا يسـتطيعون محاربة عـدو ولا مجابهة ظـالم، وانتشر الجهل والفقر والمسـكنة والمذلَّة، وأصبحوا مسـتضعَفين أذلَّاء بعدما أعزَّهم الإسـلام، ورفع من شـأنهم، وأرشـدهم إلى ما فيه نجاتهم ، فأقبلت عليهم الفتن، وغرقوا في بحر الظلالة والعمى؛ لأنَّهم لم يتمسَّكوا بما أمرهم الله، به ولم يطيعوا أمر رسول الله ووصيَّته لهم.

إنَّ مـشروع الإمامـة، هذا المشروع الرسـاليّ، ودعـوى النبوَّة، لا بـدَّ وأن يتحقَّق، فتقـام دولة العدل الإلهيّ، وأن ينفَّذ مشروع الإمامة، وأن يظهر الحقُّ وينتصر الإسـلام

والمسلمين، وهذا ما ينتظره من بقوا على الإسلام، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينكثوا البيعة، فإنَّ بيعة غدير خم لم تكن محدَّدة لذلك الزمان، بل لكلِّ الأزمنة والعصور، فإنَّ نهج عليّ بن أبي طالب وطريقه واضح، فمن اتَّبعه نجا وفاز بالرضوان.

إنَّ مشروع الإمامة قائم ومستمر، فهو امتداد إلى قيام دولة العدل الإلهي على إمام معصوم ناطق بالحقِّ، فإنَّ إثبات الإمامة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، هي إثباتٌ للمشروع الإلهيّ، وإتمامٌ لرسالة نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام عليّ عليه السلام، الشاهد، القرآن، الإمامة.

Abstract

This research studied the Qur'anic evidence on the imamate of the Commander of the Faithful Ali (peace be upon him) in the book Kashf al-Yaqin fi the Virtues of the Commander of the Faithful by Allama al-Hilli (D. 726 AH), as he explained the term imamate and its importance, and clarified its conditions and the characteristics that the imam must be characterized by, his features, and his greatness. The task entrusted to the Imam. Allah Almighty chose Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) and assigned him the imamate. All Muslims must obey their imam and successor whom Allah Almighty has appointed for them and commanded them to follow him. He is the one entrusted with the issue of preserving the religion after the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him and his family). And the dispute that occurred after the death of the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him and his family) and their violation of the Book of Allah Almighty and the will of His Prophet for what was for their benefit and salvation,

so they chose other than what Allah Almighty had chosen for them, so their strength was weakened, their number decreased, their strength weakened, and they became dispersed, killing each other, unable to fight an enemy or confront an oppressor, and ignorance spread. Poverty, misery, and humiliation, and they became weak and humiliated after Islam gave them honor, raised their status, and guided them to what would save them. Then temptations came upon them, and they drowned in a sea of shadows and blindness. Because they did not adhere to what Allah commanded them to do and did not obey the command and command of the Messenger of Allah to them. The Imamate project, this missionary project and the claim to prophethood, must be fulfilled, the state of divine justice must be established, the Imamate project must be implemented, the truth must emerge, and Islam and the Muslims be victorious. This is what those who remained in Islam and the era of the Messenger of Allah (may Allah's prayers and peace be upon him and his family) and did not break the pledge of allegiance are waiting for. The pledge of allegiance to Ghadir Khumm was not specific to that time, but rather to all times and eras. The approach and path of Ali bin Abi Talib is clear. Whoever follows him will be saved

and gain satisfaction, and the Imamate project is present and continuing. It is an extension of the establishment of a state of divine justice over an infallible imam speaking the truth. Proving the imamate to the Commander of the Faithful Ali (PBUH) is proof of the divine project and a completion of the message of our Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family and grant them peace).

Keywords: Imam Ali (PBUH), witness, the Qur'an, imamate.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله نبيِّ الرحمة، وكاشف الغمَّة وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، الحمد لله جبَّار السماوات، عالم الخفايا، مُنزل البركات، قابل البركات، مخرج البركات، كريمٌ مجيد.

أمَّا بعد: فإنَّ القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله يمتلك شموليَّة تامَّة، وإحاطة كاملة بالحقائق كافَّة، وبه الهداية والبشرى للبشريَّة كافَّة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء/ ٩، والقرآن الكريم يحتوي على معاني ظاهريَّة باطنيَّة، تحمل دلالات وحقائق على مرِّ العصور والأزمان، وهذا يدعو إلى ضرورة وجود مبلِّغ ومبيِّن للقرآن الكريم، فالنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله قام بهذا الدور البيانيّ والمسؤوليَّة الرساليَّة، لقوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل/ ٤٤، وقد أكَّد النبيّ صلى الله عليه وآله ضرورة التمسُّك بالقرآن الكريم، وأهل البيت عليهم السلام، كما في حديث الثَّقَلَين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنِّي سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرِّق بينهما حتَّى يوردهما عَلَيَّ الحوض، فأعطاني ذلك**»، وقال: «**لا تعلِّموهم فهم أعلم منكم**»، وقال: «**إنَّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة**»[1]، فأهل البيت عليهم السلام هم أهل العلم وعِدل القرآن، والقرآن هو المقياس والميزان في تمييز الحقِّ من الباطل، والصحيح من الخطأ، فقد أوضح لنا

(١) أصول الكافي، للكلينيّ، ط١، ج١، ص١٧٢.

طريق الحقِّ والهداية، وسبل التمسُّك بها، ولم يقتصر القرآن الكريم على الإشارة فقط، بل صرَّح بذلك، وأمر بالاتِّباع، وتوعَّد المخالفين بالقصاص منهم، ونيلهم أشدَّ العذاب بما خالفوا به أوامر الله تعالى ورسوله الكريم محمَّدﷺ، فقد خصَّ الله سبحانه وتعالى أهل بيت النبيّ بكرامته، وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال، فاستحقُّوا أن يكونوا عِدلَ القرآن، وأئمَّة الهدى، وولاة الأمر من بعد النبيِّ الأعظم محمَّدﷺ.

فقد اقتضت الحكمة الإلهيَّة وجودَ من يكمل الطريق بعد النبيّﷺ، وأن لا يخلو كلّ زمان من هادٍ وقائد إلهيّ، يُرشِد الناس إلى الهداية وطرق النجاة؛ لكي لا يكون للناس حجَّة بعدم وجود من يعرِّفهم طريق الله تعالى، وأنَّ هذا المنصب الذي اقتضت الحكمة وجوده، هو منصب الإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة/ ١٢٤، ويكون شاهدا عليهم لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ النحل/ ٨٩، فلا يخلو زمان من وجود الإمام والحجَّة والشاهد على الخلق، فإنَّ إنكار وجود الإمام، وعدم الإيمان به وبكونه معصومًا قد اختاره الله تعالى، فهو إنكار إلى أصل من أصول الدين، ممَّا يؤدِّي إلى الميل عن طريق الحقِّ والهداية، وتفكُّك المجتمع، والذهاب نحو الهاوية، والابتعاد عن المشروع الإلهيّ في إقامة دولة العدل الإلهيَّة، وأنَّ الابتعاد وعدم الإيمان بهذا المشروع الإلهيّ، هو الهلاك بعينه.

أهميَّة الموضوع

إنَّ أهميَّة هذا البحث تأتي من أهميَّة الرسالة المحمَّديَّة، والصلة الوثيقة والترابط العميق بين النبوَّة والإمامة، ذلك أنَّ الإمامة هي امتداد النبوَّة، والمكمِّلة للرسالة، وأنَّ

واجبات الإمام تماثل ما على النبيّ من واجبات وأعمال، لكنَّ الفرق بينهما هو الوحي، فالإمام لا يوحى إليه.

ومن أهداف موضوع البحث:

١. إثبات أنَّ مسألة الإمامة هي مسألة عقائديَّة دينيَّة، لا منصب سياسيّ أو إدارة للحكم فحسب.

٢. إنَّ اختيار الإمام يكون من قِبَل الله تعالى، وإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله ما عليه إلَّا التبليغ.

٣. إنَّ الإمام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك بما دلَّت عليه الآيات القرآنيَّة وبيَّنته.

٤. إنَّه لا يخلو زمن من الأزمان من الإمام؛ لأنَّه حجَّة الله على خلقه.

٥. وجوب طاعة الإمام والتصديق به واتِّباعه، وأنَّ طاعته من طاعه الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم.

إمامة الإمام عليّ عليه السلام في القرآن الكريم

نصُّ الإمامة

(البقرة ١٢٤، الرعد ٢٩، ٤٣، ٧، هود ١٧، القمر ٥٥)

الآيات الشاهد:

أوَّلًا: سورة البقرة (الآية ١٢٤): ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثانيًا: سورة الرعد (الآية ٧): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

ثالثًا: سورة الرعد (الآية٤٣): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

رابعًا: سورة الرعد (الآية٢٩): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

خامسًا: سورة هود (الآية١٧): ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

سادسًا: سورة القمر (الآية٥٥): ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾.

الاستشهاد:

ذكر العلّامة الحِلّيّ رضوان الله تعالى عليه هذه الآيات في مواضع من كتابة شاهدًا على فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وشاهدًا على إمامته، فقد ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، بإسناده إلى عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا دعوة أبي إبراهيم. قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم: إنّي جاعلك للناس إمامًا، فاستخفَّ إبراهيم الفرح، قال: يا ربِّ ومن ذريّتي أئمّة مثلي؟. فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إنّي لا عطيك عهدًا لا أفي لك به. قال: يا ربِّ ما العهد الذي لا وفاء لك به؟ قال: لا أعطيها لظالمٍ من ذريّتك. قال إبراهيم عندها: واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ربِّ أضللن كثيرًا من الناس. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فانتهت الدعوة إليَّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنمٍ قطُّ، فاتَّخذني الله نبيًّا، واتَّخذ عليًّا وصيًّا»[1].

عن عليّ عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت الوصيُّ على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمّتي، وحربك حربي، وسلمك سلمي، أنت الإمام أبو الأئمّة، أحد عشر من صلبك، أئمّة مطهّرون معصومون، ومنهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، فالويل لمبغضيهم. يا عليّ لو أنَّ رجلًا أحبَّ في الله حجرًا؛ لحشره الله معه، إنَّ محبِّيك وشيعتك، ومحبِّي أولادك والأئمّة بعدك يُحشرون معك، وأنت معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنَّة والنار، تُدخِل محبِّيك الجنَّة، ومُبغضيك النار»[2].

وعن الباقر عن أبيه عن جدِّه أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أكتب

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلّامة الحِلّيّ، ص٤١٢-٤١٣.

(٢) مسند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إعداد وإشراف السيِّد عليّ عاشور، نشر دار نظير عبُّود، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١، ص١٥٣.

ما أُملي عليك. قلت: يا رسـول الله أتخاف عليه النسـيان؟ قال: لا وقد دعوت الله عزّ وجلّ أن يجعلك حافظًا، ولكن أكتب لشركائك الأئمَّة من ولدِك، بهم تُسـقى أمَّتي الغيث، وبهم يُسـتجاب دعائهم، وبهـم يصرف الله عن النـاس البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السـماء، وهذا أوَّلهم، وأشـار إلى الحسـن عليه السلام، ثمَّ قال: وهذا ثانيهم، وأشار إلى الحسين عليه السلام، قال: والأئمَّة من ولدِه»[1].

وعن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت الآية، أومأ رسـول الله صلى الله عليه وآله بيده إلى صدرة، وأشـار بيده إلى عليّ، وقال: «بك يقتدي المهتدون بعدي».

وعن جابر بن عبد الله قال: كنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فتذاكر أصحابنا الجنَّة، فقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ أوَّل أهل الجنَّة دخولًا إليها عليّ بن أبي طالب». قال أبو دجانة الأنصاريّ: يا رسول الله اخبرتنـا أنَّ الجنَّة محرَّمة على الأنبياء حتَّـى تدخلها، وعلى الأمم حتَّى تدخلها أمَّتك. قال: «بلى يا أبا دجانة. أما علمت أنَّ لواءً من نور وعمودًا من ياقوت، مكتوب على ذلك النـور: لا إله إلَّا الله محمَّد رسـول الله، آل محمَّد خير البرية، صاحـب لواء يوم القيامة»، وضرب بيده على عليّ بن ابي طالب، قال: فسر رسـول الله بذلك عليًّا، فقال: «الحمد لله الذي كرَّمنا وشرَّفنا بك». فقال له: «أبشر يا عليّ، ما من عبد ينتحل مودَّتك، إلَّا بعثه الله معنا يوم القيامة».

وعن محمَّد بن سـيرين قال: «هي شـجرة في الجنَّة، أصلها في حجرة عليّ، وليس في الجنَّة حجرة إلَّا وفيها غصن من أغصانها»[2].

ومن التفاسير في هذه الآيات:

(١) ينظر: جامع أحاديث الشـيعة، للشـيخ إسـماعيل المعزي الملايري، نشر واصف لا هيجي، قم، ط٢، ج١، ص٤١.

(٢) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٨٥-٣٨٦، ٣٥٧، ٣٩٩.

أوّلًا: سورة البقرة (الآية ١٢٤) ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ:

الآيـة الكريمة في قوله تعـالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، هذه الفقرة من الآية تشـير إلى الاختبارات المتتالية التـي اجتازها إبراهيم عليه السلام بنجـاح، وتبيَّن بها مكانة إبراهيم وعظمته وشخصيَّته[1].

وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح، استحقَّ أن يمنحه الله تعالى الوسام الكبير ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾، وهنا كان رجاء إبراهيم عليه السلام أن يستمرَّ خطُّ الإمامة من بعده، وأن لا يبقى محصورًا بشخصه ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾، لكنَّ الله تعالى أجابه: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقد اسـتُجيب طلب إبراهيم عليه السلام في اسـتمرار خطِّ الإمامـة في ذريَّته، لكنَّ هذا المقام لا يناله إلَّا الطاهرون المعصومون من ذريَّته لا غيرهم.

ومن دراسـة آيات القـرآن الكريم بشـأن إبراهيم عليه السلام، وما أدَّاه هـذا النبيّ العظيم من أعمال جسـيمة اسـتحقَّ ثناء الله تعـالى، نفهم أنَّ المقصود مـن الكلمات هي مجموعة المسـؤوليَّات والمهـمات الثقيلـة الصعبة التي وضعهـا الله تعالى على عاتـق إبراهيم عليه السلام، فحملها وأحسـن حملها، وأدَّى ما عليه خير أداء، وهي عبارة عن: أخذ ولده إلى المذبح طاعةً لأمر الله تعالى، وإسـكان الزوج والولد بوادٍ غير ذي زرع، والنهوض بوجه عَبَدة الأصنـام، وتحطيم أصنامهم، والوقـوف ببطولة في تلك المحاكمـة التاريخيَّة، ثمَّ إلقاؤه في وسـط النيران، وثباته ورباطه جأشـه في كلِّ تلك المراحـل، والهجرة من أرض عَبَدة الأصنـام، كان كلُّ واحد من هـذه الاختبارات ثقيلًا وصعبًا حقًّا، لكنَّه بقوَّة إيمانه نجح

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، نشر مدرسة الإمام عليّ بن= =أبي طالب عليه السلام، إيران، قم، ط١، التصحيح الثالث، ج١، ص٣٠٥.

فيهـا جميعًا، وأثبت اسـتعداده لمقام الإمامـة. وتبيَّن من الآية الكريمـة أنَّ منزلة الإمامة الممنوحـة لإبراهيم عليه السلام، بعد كلِّ هـذه الاختبارات، تفوق منزلة النبوَّة والرسـالة، وأنَّ للإمامة معاني مختلفة، هي:

١. الإمامة بمعنى الرئاسـة والزعامة في أمور الدنيا، (قـال بذلك فريق من علماء أهل السنَّة).

٢. الإمامة بمعني الرئاسة في أمور الدين والدنيا، (قال بذلك فريق آخر من علماء أهل السنَّة).

٣. الإمامـة بمعنى تحقيق المناهج الدينيَّة بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسـع للحكومـة، وإجراء الحدود وأحـكام الله تعالى، وتطبيـق العدالة الاجتماعيَّة، وتربيـة الأفراد في محتواهـم الداخليّ، وفي سـلوكهم الخارجيّ، وهـذه المنزلة أسـمى من منزلة النبوَّة والرسالة؛ لأنَّ منزلة النبوَّة والرسالة تقتصر على إبلاغ أوامـر الله تعالى، والبشـارة والإنذار، أمَّا الإمامة فتشـمل مسـؤوليات النبوَّة والرسـالة إضافة إلى إجـراء الأحكام، وتربية النفوس ظاهريًّـا وباطنيًّا، ومن الواضح أنَّ كثيرًا من الأنبياء كانوا يتمتَّعون بمنزله الإمامة[1].

ومنزلـة الإمامة هي في الحقيقـة منزلة تحقيق أهداف الديـن والهداية، أي الإيصال إلى المطلـوب، وليسـت هـي إراءة الطريـق فحسـب، ومضافًا لما سـبق، فـإنَّ الإمامة تتضمَّـن أيضًـا الهدايـة (التكوينيَّـة)، أي النفوذ الروحـيّ للإمام، وتأثـيره في القلوب المسـتعدَّة للهداية المعنويَّة، والإمام في ذلك يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فكذلـك أثر الإمام في بعث الحياة الروحيَّة والمعنويَّة في الكائنات الحية، يقول سـبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.

رَحِيمًا﴾[1]، ومن هذه الآية نفهم بوضوح أنَّ رحمه الله تعالى الخاصَّة والمعنويَّة الغيبيَّة للملائكة، بإمكانها أن تُخرِج المؤمنين من الظلمات إلى النور، هذا الموضوع يصدق على الإمام أيضًا، فالقوَّة الروحيَّة للإمام والأنبياء الحائزين على مرتبة الإمامة وخلفائهم لها التأثير العميق في تربية الأفراد المؤهَّلين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والظلالة إلى نور الهداية، ولا شكَّ أنَّ المراد من الإمامة في الآية التي نحن بصدد تفسيرها، هو المعنى الثالث للإمامة؛ لأنَّه يُستفاد من آيات متعدِّدة من أنَّ مفهوم (الإمامة) ينطوي على مفهوم (الهداية) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، هذه الآية لا تعني إراءة الطريق؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام كانت له قبل ذلك مكانة النبوَّة والرسالة، أي مكانة إراءة الطريق، فالقرائن الواضحة تشير إلى أنَّ منزله الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام، بعد الامتحانات العسيرة، واجتياز مراحل اليقين والشجاعة والاستقامة، هي غير منزلة البشارة والإبلاغ والإنذار، إذ الهداية التي يتضمَّنها مفهوم الإمامة ما هي إلَّا الإيصال إلى المطلوب، وتحقيق روح الدين، وتطبيق المناهج التربويَّة في النفوس المستعدَّة، هذه الحقيقة يوضِّحها بإجمال حديث عميق المعنى، روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «**إنَّ الله تبارك وتعالى اتَّخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتَّخذه نبيًّا، وأنَّ الله اتَّخذه نبيًّا قبل أن يتَّخذه رسولًا، وأنَّ الله اتَّخذه رسولًا قبل أن يتَّخذه خليلًا، وأنَّ الله اتَّخذه خليلًا قبل أن يجعله إماما، فلمَّا جمع له الأشياء ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال لا يكون السفيه إمام التَّقيّ**». وإنَّ مهماتهم عند الله تعالى مختلفة، فمهمَّة النبوَّة هي استلام الوحي[3]، من الله تعالى، فالنبيّ هو الذي ينزل عليه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٣) ينظر: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.

الوحـي، وما يسـتلمه من الوحي يُعطيه للنَّـاس إن طلبوا منه ذلك، أمَّا الرسـالة، فهي منزلـه إبلاغ الوحـي، ونشر أحـكام الله، وتربية الأفـراد عن طريق التعليـم والتوعية، فالرسـول إذًا هو المكلَّف بالسعي في دائرة مهمَّته لدعوى الناس إلى الله، وتبليغ رسالته، وبـذل الجهد لتغيير فكريّ عقائـديّ في مجتمعه. أمَّا الإمامة، فهي منزلـة قيادة البشريَّة، فالأمـام يسـعى إلى تطبيق أحـكام الله عمليًّا عن طريـق إقامة حكومة إلهيَّة، واسـتلام مقاليد الأمور اللازمة، وإن لم يستطع إقامه الدولة، يسعى قدر طاقته في تنفيذ الأحكام، بعبـارة أخـرى: مهمَّة الإمام تنفيذ الأوامر الإلهيَّة، على حين تقتصر مهمَّة الرسـول على تبليـغ هذه الأمور، وفي التعبير القـرآنيّ لا يقتصر على ظلم الآخريـن، بل الظلم مقابل العدل، وقد اسـتُعمل هنا بالمعنى الواسـع للكلمة، ويقع في النقطة المقابلة للعدل، وهو وضـع الـشيء في محلِّه، فالظلـم إذًا وضع الشـخص أو العمل أو الـشيء في غير مكانه المناسـب، ولـمَّا كانت منزلـة الإمامة والقيـادة الظاهريَّـة والباطنيَّة للبـشر منزلة ذات مسـؤوليَّات جسـيمة هائلة عظيمـة، فإنَّ لحظة مـن الذنب والمعصية في العمر تتسـبَّب في سـلب لياقة هذه المنزلة عن الشـخص، لذلـك نرى أئمَّة آل البيـت عليهم السلام يثبتون بهذه الآيـة تعيُّن الخلافة بعـد النبيّ صلى الله عليه وآله مبـاشرةً لعـليّ عليه السلام، وانحصارها به، مشـيرين إلى أنَّ الآخرين عَبَـدوا الأصنام في الجاهليَّة، وعلي عليه السلام وحده لم يسـجد لصنم، وأيُّ ظلم أكبر من عباده الأصنام ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ومـن الآيـة مورد البحـث نفهم ضمنيًّـا أنَّ الإمـام القائم المعصوم لـكلِّ جوانب المجتمـع، يجـب أن يُعيِّنه الله سـبحانه؛ وذلك لأنَّ الإمامة ميثاق إلهـيّ مختص، فالأفراد الذين تلبَّسـوا بعنوان الظلم، ومارسـوا في حياتهـم لحظه ظلم بحقِّ أنفسـهم، أو بحقِّ

(١) سوره لقمان، الآية ١٣.

الآخرين، كأن تكـون لحظة شِرك مثلًا، لا يليقون للإمامة، فالإمام يجب أن يكون طيلة عمـره معصومًا، وهل يعلم ذلك في نفوس الأفـراد إلّا الله، ولو أردنا بهذا المعيار تعيين خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا يمكن أن يكون غير عليّ عليه السلام. وجدير بالذكرّ أنَّ صاحب (المنار) نقـل عـن أبي حنيفة قوله: إنَّ الخلافـة[1] لا تليق إلّا بالعلويِّين، ومـن هنا أجاز الخروج عـلى حكومة العبَّاسـيِّين، ومن هنا أيضًـا رفض منصب القضـاء في حكومة خلفاء بني العبَّاس لعنهم الله، وذكر أيضًـا صاحب المنار أنَّ أئمَّة المذاهب الأربعة كانوا معارضين لحـكَّام زمانهـم، وكانوا يعتـبرون أولئك الحكَّام غـير لائقين لزعامة المسـلمين؛ لأنَّهم ظالمون[2].

ثانيًـا: سـورة الرعد (الآيـة ٧): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾

تفسير القمِّيّ (ت٣٢٩هـ):

جاء في تفسـير القمِّـيّ: المنذر، رسـول الله صلى الله عليه وآله، والهادي أمـير المؤمنين عليه السلام، وبعده الأئمَّة عليهم السلام، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾، أي في كلِّ زمان أمام هادٍ مبين[3].

مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسيّ (ت٥٤٨هـ):

إنَّ المـراد بالهـادي كلُّ داعٍ إلى الحقِّ، وفي رواية عن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت الآية، قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أنـا المنذر وعليّ الهادي مـن بعدي، يا عليّ بك يهتـدي المهتدون»، وروى الحاكم أبو القاسـم الحسكانيّ في كتابه شـواهد التنزيل، بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن أبيه عن حكم بن جبير عن أبي بريدة الأسـلمي، قال: «دعا رسـول

(١) ينظر: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.
(٢) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١ ص٣٠٧-٣١١.
(٣) تفسير القمِّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمِّيّ، ج٢، ص٥١١.

الله ﷺ بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله بيد عليّ، بعدما تطهَّر، فالزمها بصدره، ثمَّ قال: **إنَّما أنا منذر**. ثمَّ ردها إلى صدر عليّ، ثمَّ قال: **ولكلِّ قوم هادٍ**. ثمَّ قال: **إنَّك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرى، وأشهد على ذلك أنَّك كذلك**»[1].

وأنَّ في هذه الآية إشاره في غاية الأهميَّة، وهي الإمامة، وأنَّه لا يخلو زمان من الأزمنة من إمامٍ هادٍ وقائدٍ ربَّانيٍّ تهتدي به جميع مخلوقات الله تعالى.

ثالثا: سورة الرعد (الآية٤٣): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم:

روت الفرقة المحقَّة والثعلبيّ في تفسيره من طريقَين أنَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإذا كان المعوَّل في علم الكتاب عليه، رجعت حاجة الخلق اليه، إذ كان هو المبيِّن لما فيه من الأحكام من الحلال والحرام وبقيَّة الأحكام، ولما وجب سلوك طريق النجاة بعمل الكتاب وحب التمسك بمن عنده علم الكتاب[2]، وهو الأحقُّ بالإمامة والخلافة بما اتَّضح من دلالات وبراهين.

رابعًا: سورة الرعد (الآية ٢٩): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾

عن محمَّد بن سيرين، قال: هي شجرة في الجنَّة، أصلها في حجرة عليّ، وليس في

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج٦، ص١٢.

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم، العلَّامة المتكلِّم الشيخ زين الدين أبي محمَّد عليّ بن يونس العامليّ النبطيّ البياضيّ (ت٨٧٧هـ)، حقَّقه: محمَّد الباقر البهبوديّ، نشر المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، ج٢، ص٧٥-٧٦.

الجنَّة حجرة إلَّا وفيها غصن من أغصانها[١]. هذا ما ذكره العلَّامة رحمه الله في فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام. ومن التفاسير في هذه الآية:

شواهد التنزيل للحاكم الحسكانيّ (ت٤٨١هـ):

جاء في شواهد التنزيل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، حدَّثنا الحاكم الوالد أبو محمَّد قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ ببغداد، قال: حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمدانيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن الحسين الخزَّاز، قال: أخبرنا أبي، قال: حدَّثنا أبي حصين بن مخارق عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: سُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ﴿طُوبَىٰ﴾، قال: «هي شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنَّة». ثمَّ سُئِل عنها مرَّة أخرى فقال: «هي في دار عليّ». فقيل له في ذلك؟ فقال: «إنَّ داري ودار عليّ في الجنَّة بمكانٍ واحدٍ»[٢].

الميزان في تفسير القرآن للسيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ):

جاء في الميزان: «طُوبى على وزن فُعلى بضم الفاء مؤنَّث أطيب، فهي صفة لمحذوف، وهو على ما يُستفاد من السياق، الحياة أو المعيشة، وذلك أنَّ النعمة كأنَّه ما كانت، إنَّما تغتبط وتهنأ إذا طابت للإنسان، ولا تطيب إلَّا إذا اطمئنَّ القلب إليه وسكن ولم يضطرب، ولا يوجد ذلك إلَّا لمن آمن بالله وعمل عملًا صالحًا، فهو الذي يطمئن منه القلب، ويطيب له العيش، فإنَّه في أمن من الشرِّ والخسران، وسلامًا ممَّا يستقبله ويدركه، وقد آوى إلى ركن لا ينهدم، واستقرَّ في ولاية الله، لا يوجِّه إليه ربُّه إلَّا ما فيه سعادته، إن أُعطي شيئًا فهو خيرٌ له، وإن مُنِع فهو خيرٌ له»[٣].

(١) ينظر: كشف اليقين، العلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٩٨.

(٢) شواهد التنزيل، للحاكم الحسكانيّ، ج١، ص٣٩٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائيّ، ج١١، ص٣٩٣.

وأنَّ اختصاصه عليه السلام في هذه المنزلة والدرجة العليا من الإيمان دلالة على إمامته.

خامسا: سورة هود (الآية ١٧) ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

ذكر العلامة الحلي قوله تعالى، قال عباد بن عبد الله الأسديّ: سمعت عليًّا عليه السلام يقول وهو على المنبر: «**ما من رجل من قريش إلَّا ونزلت فيه آية أو آيتان**». فقال رجل ممَّن تحته: فما نزل فيك أنت؟ فغضب، ثمَّ قال: «**أما أنَّك لو لم تسألني على رؤوس القوم ما حدَّثتك**». ثمَّ قرأ عليه السلام: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ﴾ **رسول الله على بيِّنة، وأنا الشاهد منه**»[1].

هذه من آيات الفضائل التي استشهد بها، وهي دليل على إمامته عليه السلام، ومن التفاسير في هذه الآية:

التبيان في تفسير القرآن للطوسيّ (ت٤٦٠هـ):

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، الألف في قوله «أفمن كان» ألف استفهام، والمراد بها التقرير، والتقدير هل الذي كان على بيِّنة، يعني برهان وحجَّة من الله، والمراد بالبيِّنة ههنا القرآن، والمعنى بقوله ﴿أَفَمَن كَانَ﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله، وكلُّ من اهتدى

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٥٩-٣٦٠.

بـه واتَّبعه. وقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قيل في معناه أقوال، **أحدها**: شـاهدٌ من الله، هو محمَّد صلى الله عليه وآله(١).

وروي ذلك عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، وذهب إليه ابن زيد، واختاره الجبائيّ. **والثاني**: قال ابن عبَّاس ومجاهد وإبراهيم والفرَّاء والزجَّاج: جبرائيل يتلو القرآن على النبي صلى الله عليه وآله. **والثالث**: شـاهد منه لسـانه، روي ذلك عن محمَّد بن عليّ، أعني ابن الحنفيَّة، وهو قول الحسن وقتادة، **والرابع**: روي عن أبي جعفر محمَّد ابن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنَّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ورواه الرمَّانيّ، وذكره الطبريّ بإسناده عن جابر بن عبد الله عن عليّ عليه السلام. ذكر الفرَّاء وجهًا **خامسا**، قال: ويتلوه يعني القرآن يتلوه شاهد هو الإنجيل، ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة. والمعنى: ويتلوه في الحجَّة والبيِّنة. والهاء عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدَّم من الكلام، والمعنى أنَّه يشهد به بالبشارة التي فيه. والعامل فيه أحد أمرين، أحدهما: الظرف في قوله ومن قبله. والثاني: وشاهد من قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة، وخبر (من) محذوف، والتقدير أفمن كان على بينة من ربَّه، وعلى الأوصاف التي ذكرت كمـن لا بيِّنة معه. وقـال قوم خبره قولـه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ وقد تقدَّمه، واستغني به. وهو كناية عمَّن كان على بيِّنة من ربِّه أنَّهم يصدِّقون بالقرآن ويعترفون بأنَّه حقٌّ. وأنَّ أنَّ كلَّ من يجحده ولا يعترف به هم من الأحزاب الذين اجتمعوا على عداوته. وقـال الفـرَّاء: يقـال كلُّ كافر حزب النـار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يعني مسـتقرَّه وموعده، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ يـا محمَّد صلى الله عليه وآله في شـكٍّ من ذلك، فالخطـاب متوجِّه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، والمـراد به جميع المكلفـين. وقولـه: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إخبار منه تعالى بـأنَّ هذا الخبر الـذي ذكره حـقٌّ من عند الله. ولكن أكثـر الناس لا يعلمون صحَّتـه وصدقه؛ لجهلهم بالله، وجحدهم نبوَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله(٢).

(١) التبيان في تفسير القرآن، للطوسيّ، ج٥، ص٤٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦١-٤٦٢.

وجاء في تفسير الرازي من الأقوال قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ﴾ أنَّ المراد هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعنى أنَّه يتلو تلك البيِّنة، أي هذا الشاهد من محمَّد صلى الله عليه وآله وبعض منه، والمراد تشريف هذا الشاهد بأنَّه بعض من محمَّد عليه السلام[1].

قال ابن البطريق: «فرسول الله صلى الله عليه وآله على بيِّنة من ربِّه، وعليّ عليه السلام شاهد منه، فلو كان لفظ الشاهد في الذِّكر العزيز مطلقًا على سبيل العموم، لشرك عليًّا عليه السلام غيره في كونه شاهدًا، فلمَّا أراد تعالى إفراد أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، خصَّص ذلك العموم، فهذا التخصيص أوجب له الإمامة، وأبان النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ هذه الآية إنَّما أتت لتخصيصه بالإمامة بما قد نطق به الخبر صحيح»[2].

وقد تبيَّن ممَّا تقدَّم اختصاص الآية المباركة بالدلالة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد وافقت التفاسير لشاهد العلَّامة رضوان الله تعالى عليه.

سادسًا: سورة القمر (الآية ٥٥) ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

عن جابر ابن عبد الله قال: كنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فتذاكر أصحابه الجنَّة، فقال صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أوَّل أهل الجنَّة دخولا إليها عليّ بن أبي طالب**». قال أبو دجانة الأنصاريّ: يا رسول الله، أخبرتنا أنَّ الجنَّة محرَّمة على الأنبياء حتَّى تدخلها، وعلى الأمم حتَّى تدخلها أمَّتك. قال: «**بلى يا أبا دجانة، أما علمت أنَّ لواءً من نور وعمودًا من ياقوت، مكتوب على ذلك النور: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله آل محمَّد خير البرية، صاحب لواء يوم القيامة**». وضرب بيده على عليّ بن أبي طالب. قال: فسرَّ رسول الله بذلك عليًّا، فقال: «**الحمد لله**

(١) ينظر: مفاتح الغيب، ج١٧، ص٢٠١.

(٢) خصائص الوحي المبين، المحقِّق يحيى بن الحسن الحِلِّيّ المعروف بابن البطريق، ص١٢٣

الـذي كرَّمنا وشرَّفنا بك». فقال له: «أبشر يا عليّ، ما من عبد ينتحل مودَّتك إلَّا بعثه الله معنا يوم القيامة».

ثمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[1].

ومن التفاسير في هذه الآية:

معالم التنزيل للبغوي (ت٥١٦هـ):

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ في مجلس حقٍّ لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ عند ملك قادر لا يعجزه شيء.

قال جعفر الصادق عليه السلام: «مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلَّا أهل الصدق»[2].

ويقينًا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام من أفضل الصادقين وأكرمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن كانت منزلته هذه في الآخرة، كان في الدنيا من المنجين الـذي يجب الاقتداء بهم، وهذا دليل على إمامته عليه السلام.

الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمَّد السبزواريّ (ت١٠٩٠هـ):

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ أي مكان حقٍّ، ومجلس لا لغو فيه، وقد وصفه الله تعالى بذلك؛ لأنَّه مرضي منه تعالى، فهم ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي عنده عزّ وجلّ، فهو المالك القاهر الذي لا ملك كملكه، ولا قدره كقدرته، إذ لا يعجزه شيء[3].

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٢) معالم التنزيل، للبغويّ، ج٧، ص٤٣٧.

(٣) الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمَّد السبزواريّ، ج٧، ص٦٧.

الخاتمة

الحمـد لله لا إلـه إلَّا الله إقرارًا بربوبيَّته، وسـبحان الله خضوعًا لعظمته، ولا حول ولا قـوَّة إلَّا بـالله العـليِّ العظيم، الحمـد لله الذي بتوفيـق منِّه تمَّ هـذا البحث، ويمكن تلخيص البحث بما يأتي:

تبيَّن من التفاسـير، من كانت هذه منزلته ومكانته، فهو الإمام الهادي الذي توجَب طاعتـه والائتمار بأمره. وقد اتَّضح ممَّا تقدَّم مصطلـح الإمامة وأهميَّتها، وبيان شروطها ومتعلَّقاتهـا، وما يجـب أن يتَّصف به الإمام من خصائص، وما يتميَّز به من مميِّزات، وما ثقـل المهمَّة الملقـاة على عاتق الأمام، وبعد ما عُرِف الإمام، ومَن الذي يعيِّنه، وقد اختار الله تعـالى الإمـام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخصَّـه بالإمامة، وأوجب على كافَّة المسـلمين الطاعـة لإمامهم وخليفتهـم الذي نصَّبه الله تعالى لهم، وأمرهـم باتِّباعه، فهو الموكل في قضيَّـة حفظ الدين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ الخلاف الذي وقع بعد وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله، ونقضهم كتـاب الله تعالى ووصيَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله؛ لما فيـه صلاحهم ونجاتهم، فاختارو غير الذي اختاره الله تعالى لهم، فضعفت شـوكتهم، وقـلَّ عددهم، ووهنت قوَّتهـم، وأصبحوا متفرِّقين يقتل بعضهم بعضًا، لا يسـتطيعون محاربة عـدو، ولا مجابهة ظالم، وانتشر الجهل والفقر والمسكنة والمذلَّة، وأصبحوا مستضعَفين أذلَّاء بعدما أعزَّهم الإسلام، ورفع من شأنهم، وأرشـدهم إلى ما فيه نجاتهم، فأقبلت عليهم الفتن، وغرقـوا في بحر الظلالة والعمى؛ لأنَّهم لم يتمسَّكوا بما أمرهم الله به، ولم يطيعوا أمر رسول الله ووصيَّته لهم.

إنَّ مشروع الإمامة هذا المشروع الرساليّ، ودعوى النبوَّة، لا بدَّ أن يتحقَّق، وأن تُقام دولة العدل الإلهيّ، وأن ينفَّذ مشروع الإمامة، ويظهر الحقُّ وينتصر الإسلام والمسلمين، وهذا ما ينتظره من بقوا على الإسلام، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينكثوا البيعة، فإنَّ بيعة غدير خم لم تكن محدَّدة لذلك الزمان، بل لكلِّ الأزمنة والعصور، فإنَّ نهج عليّ بن أبي طالب وطريقه واضح، فمن اتَّبعه نجا وفاز بالرضوان، وأنَّ مشروع الإمامة قائم ومستمر، فهو امتداد إلى قيام دوله العدل الإلهيّ على إمام معصوم ناطق بالحقِّ، فإنَّ إثبات الإمامة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هي إثبات المشروع الإلهيّ، وإتمام لرسالة نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، نشر مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إيران، قم، ط١، التصحيح الثالث.

٢. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب العامليّ، نشر دار إحياء التراث العربيّ.

٣. تفسير السمرقنديّ المسمَّى (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمَّد بن أحمد ابن إبراهيم.

٤. تفسير الفخر الرازيّ، للأمام محمَّد الرازيّ فخر الدين ابن العلَّامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري (ت٦٠٦هـ)، نشر دار الفكر، ط٣.

٥. تفسير القمِّيّ، لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت٣٢٩هـ)، إشراف المحقِّق السيِّد محمَّد باقر الموحِّد ا الاصفهانيّ، نشر وتحقيق مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط١، ١٤٣٥هـ.

٦. جامع أحاديث الشيعة، للشيخ إسماعيل المعزي الملايريّ، نشر واصف لاهيجي قم، ط٢.

٧. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، الحافظ عبد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكانيّ

الحذّاء الحنفيّ النيسابوريّ، من أعلام القرن الخامس الهجريّ، تحقيق وتعليق الشيخ محمَّد باقر المحمودي، مؤسَّسة الإرشاد الإسلاميّ، طهران، إيران، ط١، ١٣١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨. الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم، تأليف العلَّامة المتكلِّم الشيخ زين الدين أبي محمَّد عليّ بن يونس العامليّ النبطيّ البياضيّ (ت٨٧٧هـ)، حقَّقه محمَّد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة.

٩. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، مطبعه نكارش، طهران، ط٢.

١٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي عليّ الفضل ابن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، نشر دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١١. مسند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إعداد وإشراف السيِّد عليّ عاشور، نشر دار نظير عبُّود، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٢. الميزان في تفسير القرآن، الأستاذ العلَّامة السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، نشر: دار الكتب الإسلاميَّة، سور السلطان، طهران، مطبعة الحيدريّ.

النَّسخ في القرآن الكريم
آراء ضياء الدين عبد الله بن الأعرج الحسينـيّ الحِلِّيّ أنموذجًا

زهراء غلام رضا
جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميَّة، سوريا/السيِّدة زينب

Abrogation in the Holy Quran Opinions of Diya Al-Din Abdullah bin Al-Araj Al-Husseini Al-Hilli As a Sample

Zahraa Gholam Reda
Al-Mustafa (PBUH) International University, Syria, Sayyida Zainab

المستخلص

يعدُّ علمُ الناسخ والمنسوخ من أهم المعارف التي يجب على طالب العلوم الدينيَّة تعلُّمها، إذا ما أراد دراسة مواضيع علوم القرآن الكريم، فهذا الكتاب الحكيم هو مدار الدين الإسلاميّ الذي منه يَشعُّ التشريع الإسلاميّ بأحكامه وتكاليفه وتعاليمه على الأمَّة الإسلاميَّة. وانطلاقًا من هذه الأهميَّة، عرضتُ لأهمِّ تعاريف النسخ المذكورة في مؤلَّفات العلماء، لغةً واصطلاحًا، في محاولة الإتيان بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ له.

تبيَّن بالبحث جواز النسخ عقلًا وسمعًا، الأمر الذي لا يختلف عليه المسلمون، عدا ما شذَّ منهم، كأبي مسلم الأصفهانيّ، ومن ثمَّ استعرض البحث إجمالًا ترجمة حياة السيِّد ضياء الدين الأعراج الحِلِّيّ الذي يحاول البحث تسليط الضوء على أهمِّ آرائه.

وكذلك الوقوف على الشروط اللازمة حتَّى يكون الحكم ناسخًا للحكم المتقدِّم عليه، وذلك في سبيل وضع حدودٍ للنسخ، فلا يختلط بغيره من تخصيصٍ، واستثناءٍ وغيرهما.. وقد ذُكرت أهمِّ آراء العلماء، وختم ذلك برأي السيِّد في شروط النسخ.

ودرست أهمَّ تقسيمات العلماء، من حيث الحكم والتلاوة، ومن حيث كون النسخ إلى بدل أو غير بدل، ومن حيث كون حكم الناسخ أثقل من المنسوخ أو أخفّ!.

وبذلك عرض البحث لأهمِّ الموضوعات المتعلِّقة في علم النسخ بشكلٍ إجماليّ.

والحمد لله ربِّ العالمين.

الكلمات المفتاحيَّة: النسخ، جواز النسخ، ضياء الدين بن الأعرج، شروط النسخ، أقسام النسخ.

Abstract

The science of abrogation and abrogation is one of the most important knowledge that a student of religious sciences must learn if he wants to study the topics of the sciences of the Holy Qur'an. This wise book is the orbit of the Islamic religion from which Islamic legislation with its rulings, obligations and teachings radiates to the Islamic nation. Based on this importance, the most important definitions of copies mentioned in the scholars' works were presented linguistically and terminologically, trying to come up with a comprehensive definition that prevents it.

The permissibility of abrogation has been clarified by reason and hearing, a matter upon which the Muslims do not disagree, except for those who deviate from them, such as Abu Muslim Al-Isfahani. Then, the research reviewed - in general - the translation of the life of Sayyid Diya al-Din al-A'raj al-Hilli, and the research attempts to shed light on his most important opinions. As well as determining the necessary conditions for the ruling to abrogate the previous ruling, in order to set limits for abrogation so that it

is not mixed with other things, such as specification, exception, etc., and this was done by mentioning the most important opinions of scholars and concluding this with the opinion of the Master regarding the conditions for abrogation.

The most important divisions that scholars have tried to divide were discussed, in terms of ruling and recitation, in terms of whether the abrogation is substituted or not, and in terms of whether the ruling of the abrogated is heavier or lighter than the abrogated!

Thus, the research reviewed the most important topics related to transcription science in general.

Keywords: Abrogation, Permissibility of Abrogation, Diya Al-Din bin Al-Araj, Conditions for Abrogation, Sections of Abrogation.

المقدِّمة

الحمـد لله ربِّ العالمين، الذي أنزل الكتاب للناس أجمعين، هدًى ورحمةً للمؤمنين، وتبصرةً للذاكرين، والصلاة والسلام على سـيِّدنا ونبيِّنا محمَّد خاتم الأنبياء والمرسَلين، وعـلى آلـه المصطفـين الأخيـار، أمناء الرحمـان، وخـزَّان علمـه، وأوليائه عـلى المتَّقين الأبرار.

وبعد، فالدين الإسـلاميّ شـامل على أتـمِّ المناهـج وأكملها لعيش حياة إنسـانيَّة كريمـة في الدنيـا، وسـعادة لا متناهيـة في الآخـرة. وهـذا الديـن قـد عُرفـت أسسـه وتشريعاتـه في القرآن الكريم؛ الـذي هو الهداية العظمى، والعـروة الوثقى، وحبل الله المتين.

فمـن اعتصم به غير ضالٍّ عن الحـقِّ، ومَن صانه منجي من المهالك، ومن سـلك سراجه مهديٌّ نحو العُلى.

وهـو معجزتـه الخالدة الـذي أذعن لـه أرباب الفصاحـة والبلاغـة في الصحراء العربيَّـة، فعجزوا أمـام قدراته اللغويَّة والإبداعيَّة والفنيَّة، وهو الدسـتور الإسـلاميّ، والمصدر الأسـاس في تشريعه؛ لنظم إلهي تسمو فيه الكرامة، وتعلوه الراحة، فمن اتَّبعه نال الفوز، ومن رام عنه استحَّق الهلاك.

ومـن هنا، فإنَّ لعلوم القرآن أهميَّة كبرى مـن حيث تعلُّقها بكتاب الله، ومن حيث فهمـه بالشـكل الصحيح، ولذا تـرى العلماء من جميـع أقطاب العالم انهالـوا على علوم

القرآن الكريم؛ ليأخذوا من علومه، ويستخرجوا من كنوزه وأسراره. ومن هذه العلوم علم الناسخ والمنسوخ، الذي دأب فيه العلماء في مؤلَّفاتهم؛ فهمَ ما أنزله الله على عباده، ثمَّ أزاله عنهم بحكمته لطُفًا.

وفي النسخ حكمة إلهيَّة متعيِّنة لعالم مادِّي قابل للتغيُّر بتغيُّر أسبابه وعلله، ومتطلَّبات عصره وزمانه، ممَّا يقتضي تبدُّل أحكامه بما يتوافق مع مصالح العباد، ولكن وفق تدبير إلهيّ عظيم محفوظ في علمه المخزون المكنون الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل.

ولا يخفى على أحد أهميَّة البحث في الناسخ والمنسوخ عند الفقهاء والأصوليِّين؛ لما يشكِّله من ركن عظيم في الاهتداء إلى صحيح الأحكام.

ومن ذلك كلِّه، ومن رغبة الباحثة في دراسة علم النسخ، وهو أحد أهم مباحث علوم القرآن، عنوان: النسخ في القرآن الكريم (السيِّد ضياء الدين عبد الله بن الأعرج الحِلِّيّ أنموذجًا)؛ لكي تتمَّ دراسة النسخ وفق ما أفاض به علينا علماؤنا الأجلَّاء الذين أسَّسوا الطريق لدراسة هذه العلوم، ومن التركيز على آراء هذا العالم الأصوليّ الجليل الذي لم يدرسه الباحثون في أبحاثهم ومقالاتهم. مع اتِّباع منهج التركيز على أهمِّ مواضيع النسخ؛ من تعريفه وجوازه وشروطه وأقسامه، بعرض أهمِّ آراء العلماء أوَّلًا، ومن ثمَّ الانتهاء برأي السيِّد ضياء الدين في آخر كلِّ مطلب.

هيكل البحث

ويتألَّف البحث من مقدِّمة وتمهيد؛ يتناول التمهيد ترجمة السيِّد ضياء الدين بن الأعرج.

ومن ثمَّ، فالبحث يتشكَّل من مبحثَين رئيسَين، وهما كالآتي:

المبحث الأوَّل: وفيه تعريف النسخ وحكمه، ويتكوَّن من ثلاثة مطالب؛ يتحدَّث المطلب الأوَّل عن تعريف النسخ عند أهل اللغة، ومن ثمَّ يأتي المطلب الثاني، وفيه تعريف النسخ اصطلاحًا، وأمَّا المطلب الثالث، ففيه حكم النسخ، حيث يستدلُّ فيه على حكم جواز النسخ.

والمبحث الثاني: شروط النسخ وحكمه؛ وينقسم إلى مطلبين، الأوَّل: شروط النسخ، حيث يتناول فيه بعضًا من أهمِّ شروط النسخ، والمطلب الثاني: أقسام النسخ، وفيه أهمُّ تقسيمات النسخ.

تمهيد

ترجمة السيِّد ضياء الدين عبد الله بن الأعرج الحِلِّيّ

هو السيِّد ضياء الدين عبد الله ابن الفقيه محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن عليّ بن أحمد ابن عليّ بن عبد الله بن أبي الحسن عليّ بن عبيد الله بن الأعرج بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الحسينيّ الحِلِّيّ.

أخوه الفقيه عميد الدين عبد المطَّلب، وهما ابنا أخت العلَّامة الحِلِّيّ. ولِد بعد سنة إحدى وثمانين وستمائة في أسرة علميَّة جليلة، وقد روى عن خاله العلَّامة الحسن بن يوسف بن مطهر الحِلِّيّ (المتوفَّى ٧٢٦هـ)، وعن ابن خاله فخر الدين محمَّد بن العلَّامة الحِلِّيّ. وروى عنه: تاج الدين محمَّد بن القاسم بن المعيَّة الحسنيّ (المتوفَّى ٧٧٦هـ)، والشهيد الأوَّل محمَّد بن مكِّي العامليّ (المتوفَّى ٧٨٦هـ)، والحسن بن أيُّوب الشهير بابن نجم الأطراويّ العامليّ (من علماء القرن الثامن).

كان فقهيًا إماميًّا أصوليًّا متكلِّمًا مشهورًا جليل القدر[١].

وهو الفقيه الجليل الأعظم الأكمل الأفضل الكامل، كما وصفه العلماء في كتاب لؤلؤة البحرين[٢].

وكان جدُّه الأعلى أبو الحسن عليّ بن عبيد الله، على ما في كتب الأنساب، جليلًا

(١) لجنة علميَّة، موسوعة طبقات الشيعة، ج٨، ص١١٧، بتصرُّف.

(٢) يوسف بن أحمد البحرانيّ، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، ص١٨٧.

في الغايـة، وكانت إليه رئاسـة العراق، وكان مسـتجاب الدعوة، وهـو مذكور في كتب الرجال، ممدوحٌ كثيرًا، له اختصاص تام بالكاظم والرضا عليهما السلام[1].

ومن مصنَّفاته:

١. كتاب التحفة الشمسيَّة في المباحث الكلاميَّة.

٢. شرح تهذيـب الوصـول إلى علـم الأصول، لخالـه العلَّامة الحِلِّيّ، سـمَّاه: منية اللبيـب في شرح التهذيب، الـذي فرغ من تأليفه في ١٥ رجب سـنة ٧٤٠هـ، بمشهد أمير المؤمنين بالنجف الأشرف.

٣. رسـالة في أصـول الديـن، نقـل عنها الشـيخ زيـن الدين القـاضي في بعض مؤلَّفاته[2].

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٨، ص٦٩.

(٢) مـن مقدِّمـة التحقيق، ضياء الدين عبد الله بـن الأعرج، منية اللبيـب في شرح التهذيب، ج٢، ص٣٢، بتصرُّف.

المبحث الأوَّل

تعريف النسخ وحكمه:

المطلب الأوَّل: تعريف النسخ لغةً

النسخ في أصل اللغة يُطلق على معانٍ عديدة، نذكر اثنين منها:

أوَّلًا: بمعنى الإزالة والإعدام والإبطال؛ وهو إزالة شيء بشيء آخر يتعقَّبه، مثال: نسخت الشمسُ الظلَّ، ونسخت الشيبُ الشباب، أي: أزالته وحلَّت محلَّه[1]، وذهب دمه نسخة، أي باطلا[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[3].

ثانيًا: لمعنى نقل الشيء وتحويله؛ وذلك مثل قولهم: نسخت الكتاب، أي: نقلت ما فيه إلى آخر، حاكيًا للفظه وخطِّه[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5]، وقولهم: تناسخ الورثة، أي: موت ورثة بعد ورثة، فينتقل الإرث من وارث إلى وارث، مع بقائه في نفسه[6]، ومنه قول السجستانيّ: «والنسخ أن

(١) انظر: الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، ج٢، ص٨٠١.
(٢) الصاحب بن عبَّاد وإسماعيل بن عبَّاد، المحيط في اللغة، ج٤، ص٢٦٦.
(٣) البقرة: ١٠٦.
(٤) جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ص٤٦٢ (بتصرُّف).
(٥) الجاثية: ٢٩.
(٦) انظر: الصاحب بن عبَّاد وإسماعيل بن عبَّاد، المحيط في اللغة، ج٤، ص٢٦٦.

تحوِّل ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قوم..»[1].

واختلف الأصوليُّون في تعيين المعنى الذي وُضع له لفظة النسخ، على ثلاثة مذاهب:

١. إنَّه حقيقة في الإزالة ومجاز في النقل، وهو مذهب الأكثرين، وهو مختار أبي هاشم الجبائيّ، وأبي الحسن البصري، والفخر الرازي[2].

٢. إنه حقيقة في النقل والتحويل وهذا مذهب القفال الشاشي.[3]

٣. إنَّه مشترك بين معنى الإزالة والنقل، وهذا مذهب أبي بكر الباقلَّانيّ والغزَّالي وآخرين[4].

وأمَّا السيِّد ضياء الدين الأعرج، فيرى بأنَّه حقيقة في الإزالة، ومجاز في النقل؛ لأنَّ المجاز مرجَّح على المشترك عند التعارض بينهما، كما أن الإزالة أعم من النقل؛ لأنَّ النقل عن عدم صفة وتجدُّد أخرى، أمَّا الإزالة فعدم مطلق، والمطلق أعمُّ من المقيَّد، فيكون وضع اللفظ للأعم أولى.[5]

المطلب الثاني: تعريف النَّسخ اصطلاحا

وقد عرَّفه العلماء بتعريفات كثيرة، واختلفوا في أنَّه رفع الحكم، أو بيان انتهاء المدَّة!.

(١) محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣٧.
(٢) محمَّد بن الحسن الطوسيّ، العدَّة في أصول الفقه، ج٢، ص٤٨٥.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص٩٦، ٩٧ (بتصرُّف).

فعرَّفه ابن حزم الأندلسي بأنَّه: بيان انتهاء زمان الأمر الأوَّل فيما لا يتكرَّر[1].

وعرَّفه السيِّد الخوئي بأنَّه: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدَّسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفيَّة أم الوضعيَّة، وسواء أكان من المناصب الإلهيَّة أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنَّه شارع. وإنَّما قيَّد الرفع (بالأمر الثابت) في الشريعة؛ ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه في الخارج، كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان مثلًا، فإنَّ مثل هذا الارتفاع للحكم لا يسمَّى نسخًا[2].

وذكر الزرقانيّ بأنَّ النسخ: رفع حكم شرعيّ بدليل شرعيّ، ومعنى رفع حكم شرعيّ هو: قطع تعلُّقه بأفعال المكلَّفين، لا رفعه هو، أي: الحكم؛ لأنَّ الحكم أمر واقع، والواقع لا يُرفع. وكلمة (رفع) جنس في التعريف، خرج عنه ما ليس برفع، كالتخصيص؛ فإنَّه لا يرفع الحكم، إنَّما يخصِّصه ببعض أفراده[3].

وعرَّفه السيِّد ضياء الدين بن الأعرج بأنَّه: رفع حكم شرعيّ بدليل شرعيّ متأخِّر عنه، لولاه لكان ثابتًا. فالرفع كما تقدَّم جنس، وبإضافته إلى الحكم يخرج رفع الذوات والصفات الحقيقيَّة. والحكم شامل لكلٍّ من الوجوديّ؛ كالوجوب والندب، والعدميّ؛ كالتحريم والكراهة. وقوله: حكم شرعيّ: قيد يخرج به الشَّرع المبتدأ الرافع لحكم العقل من البراءة الأصليَّة، كإيجاب الصلاة مثلًا، فإنَّه رافع لبراءة الذمَّة منها قبل ورود الشرع بها، وهذه البراءة ليست نسخًا؛ لأنَّه حكم عقليّ يدلُّ عليه العقل حتَّى قبل مجيء الشرع. وقيد الدليل الرافع بالشرعيّ ليخرج به عن رفع الحكم الشرعيّ بالعجز أو الموت أو

(١) انظر: ابن حزم الأندلسيّ، الإحكام في أصول الأحكام، ج٤، ص٥٩.
(٢) أبو القاسم الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٦ (بتصرُّف).
(٣) محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٣٨، (بتصرُّف).

الجنون؛ لأنَّه وإن كان رفع حكم شرعيّ، إلَّا أنَّه استند إلى دليل عقليّ، وتقييده بالتأخُّر عنه يخرج ارتفاع الحكم بما تقارن الدليل الشرعيّ الدال عليه من القرائن المتَّصلة به، كالاستثناء والشرط والغاية والصفة.

وقوله: على وجه لولاه لكان ثابتًا؛ نهي الله عن مثل فعل مأمور به، كما لو قال: صوموا يوم الجمعة، ثمَّ قال بعد صوم الجمعة: لا تصوموا يوم الجمعة، فإنَّه لو لم يكن هذا النهي، لم يكن مثل حكم الأمر إثباتيًّا؛ لأنَّ مقتضاه صيام يوم الجمعة؛ إذ الأمر لا يدلُّ على التكرار[1].

المطلب الثالث: حكم النسخ

اتَّفق أرباب الأديان في جواز النسخ عقلًا ووقوعه سمعًا، عدا اليهود فيهما، وعدا أبا مسلم الأصفهانيّ في الثاني[2].

إذ احتجّ أبو مسلم الأصفهاني بآية: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، بأنَّه لو كان القرآن منسوخًا لكان باطلًا، واللازم باطل وفقًا للآية السابقة، فالملزوم باطل مثله[3].

ويردُّ عليه: أنَّ الضمير في الآية السابقة لمجموع القرآن، والمجموع لا نقول بنسخه، وإن تنزَّلنا وقلنا؛ بكونه لأجزاء القرآن، إلَّا أن مراده هو أنَّه ليس من كتب الله السالفة ما يبطله، ولن يأتي من بعده ما يبطله[4].

(١) انظر: ضياء الدين عبد الله بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص٩٧-٩٨.
(٢) انظر: محمَّد مهدي النراقيّ، أنيس المجتهدين في علم الأصول، ج٢، ص٨٧٤.
(٣) انظر: محمَّد الجرجانّي الغرويّ، غاية البادي في شرح المبادى، ص١٧٠.
(٤) م.ن.

وأمَّا جوازه عقلًا عند أهل السنَّة؛ فلأنَّه سبحانه وتعالى هو المختار والكبير المتعال، ولـه اختياره ومشـيئته، فيأمر عباده بما يشـاء، وينهاهم عمَّا يشـاء، ويبقـي من أحكامه ما يشـاء، وينسخ منها ما يشـاء[١]. وأمَّا عند الأمامية والمعتزلة؛ فأحكامه عزَّ وجلَّ تابعة لمصالح العباد ومفاسدهم، ولا امتناع في العقل أن يكون الأمر مصلحة في وقتٍ وظرفٍ معيَّن، ومفسدة في وقتٍ وظرفٍ آخر[٢].

وأمَّا وقوعه سـمعًا؛ فإنَّ شريعة موسـى عليه السلام نسـخت بعض الأحـكام التي كانت موجودة في الشرائع السابقة.

مثـال ذلـك: إنَّ العمـل كان مباحًـا في يـوم السـبت، ثـمَّ حرَّم ذلك على موسـى وقومه[٣].

وأنَّ نوحًـا عليه السلام كان قـد أُحِلَّ له كلَّ دابَّـة عدا الدم، ثمَّ حرَّم كثـير من الحيوان على لسان موسى عليه السلام[٤].

وشريعة عيسـى عليه السلام أيضًا نسـخت بعض الأحكام التي كانـت موجودة في شريعة موسـى عليه السلام. مثـال ذلـك: إنَّ الطلاق كان مشروعًـا في شريعة موسـى، فجاءت شرعة عيسى فحرَّمته، إلَّا إذا ثبت الزِّنى على الزوجة[٥].

وأنَّ النسـخ لـو لم يقع سـمعًا لما ثبـت القول برسـالة محمَّد صلى الله عليه وآله بالأدلَّـة والبراهين القاطعة، ولما نسخت شريعته الشرائع السماويَّة السابقة[٦].

(١) انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٤٨.
(٢) انظر: محمَّد بن الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، نهاية المأمول في شرح مبادئ الأصول، ص٢١٥.
(٣) انظر: محمَّد الجرجانيّ الغرويّ، غاية البادي في شرح المبادي، ص١٦٨.
(٤) انظر: محمَّد بن الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، نهاية المأمول في شرح مبادئ الأصول، ص٢١٥.
(٥) انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٤٨-١٥٠.
(٦) م.ن، ص١٤٩.

وأمَّا وقوعه في القرآن، فيوجد شواهد عامَّة عليه؛ كقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1]، والآية واضحة وصريحة في وقوع النسخ كما ترى. وقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2]، على أنَّ المحو والإثبات في الآية يتناول كلّ ما من شأنه أن يمحى ويثبت، فيدخل فيها نسخ الأحكام الجزئيَّة في شريعتنا بمقتضى هذا العموم[3]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾[4].

ومن بعض الآيات التي يستدلُّ بها على النسخ في القرآن: ما جاء في القبلة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾[5].

وآية التوجُّه نحو الكعبة، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[6].

والاعتداد للوفاة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾[7] التي ادُّعي أنهَّا نُسِخت بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[8].

وأما حجج اليهود في إنكارهم للنسخ فقد ردّ عليهم السيِّد ضياء الدين الاعرج كما يأتي[9]:

(١) سورة البقرة: ١٠٦.
(٢) سورة الرعد: ٣٩.
(٣) انظر: لجنة تأليف، الموسوعة القرآنيَّة المتخصِّصة، ص٦٣٤.
(٤) سورة النحل: ١٠١.
(٥) سورة البقرة: ١٤٢.
(٦) سورة البقرة: ١٤٤.
(٧) سورة البقرة: ٢٤٠.
(٨) سورة البقرة: ٢٣٤.
(٩) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٠٥.

أوَّلا: يقول اليهود إنَّ موسى بيَّن دوام شرعه، ومتى كان ذلك استحال نسخه.

الجواب: كيف بيَّن موسى دوام شرعه وتواتر اليهود قد انقطع بعدما قَتَل بخت نصر أكثر اليهود إلَّا قليلا منهم لا يبلغون حدَّ التواتر.

ثانيًا: قول موسى عليه السلام: «تمسَّكوا بالسبت أبدًا»، وقوله حجَّة، والأبد عبارة عمَّا لا يتناهى في جانب المستقبل، فيستحيل نسخه.

الجواب: لا يمكنهم ادِّعاء تواتره؛ لما تقدَّم، كما أنَّ الأبد يُطلَق على الزمن المتطاول كما ورد في التوراة: «يُستخدم العبد ستّ سنين ثمَّ يُعتَق في السابعة، فإن أبى فلتُثقَب أذنه ويُستخدم أبدًا». وفي موضع آخر: «يُستخدم خمسين سنة ثمَّ يُعتَق»، فإن كان المراد بالأبد هو الخمسين سنة، يكون القصد منه الزمن المتطاول، لا الأبديَّة، وأمَّا إن كان بمعناه الحقيقيّ؛ فيلزم منه النسخ، وهو المطلوب.

ثالثًا: إنَّ الفعل المأمور به شرعًا إن كان حسنًا امتنع النهي عنه؛ لأنَّ النهي عن الشيء ملزوم لقبحه، وإن كان قبيحًا استحال كونه مأمورًا به، وهو خلاف المقدَّر[1].

الجواب: إنَّ الحسن والقبح قد يكونان ذاتيَّين للفعل، وقد يكونان عرضيَّين يختلفان باختلاف الأوقات والأحوال والمكلَّفين. والنسخ يعرض في القسم الثاني دون الأوَّل لاستحالة نسخه في الأوَّل وفقًا للملازمة السابقة، وهذا من قبيل حسن الصدق والعدل، وقبح الكذب والظلم. وهذا عند الأماميَّة والمعتزلة.

وأمَّا عند الأشاعرة؛ فلا يقولون بكونهما ذاتيَّين للأفعال؛ فيصحُّ عندهم انقلاب كلِّ حسن إلى قبح وبالعكس، وانقلاب كلِّ مأمور به في وقت إلى منهيٍّ عنه في وقت آخر[2].

(١) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٠٥.
(٢) انظر: م.ن، ص١٠٧.

المبحث الثاني

شرائط النسخ وأقسامه

المطلب الأول: شرائط النسخ

وللنسخ في القرآن شرائط عديدة، قام العلماء بتحديدها لكي يتميَّز النسخ عن كُلِّ ما يشبهه من تخصيص وغيره، ويمكن ذِكر بعضها، ثمَّ نورد الشرائط التي ذكرها السيِّد ضياء الدين الأعرج.

أوَّلًا: أن يكون الدليل الموصوف بأنَّه (منسوخ)، وكذا الدليل الموصوف بأنَّه (ناسخ) شرعيَّين. فيجب أن يتمَّ ثبوت المنسوخ بخطاب الشرع من كتابٍ وسُنَّة، دونَ ما ثبتَ بالعادة والتعرُّف، كأن يُعرف مُباحًا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، فهذا ليس بنسخ، ولا نسخ في الأحكام العقليَّة، حيث لا يقال: إنَّ الجنون والموت والعجز نَسخَ واحدًا منها ما كان واجبًا؛ لأنَّ رفع التكليف بسبب هذه الأمور معلومة بالعقل[1].

ثانيًا: أن يكون الدليل الرافع للحكم الأوَّل متراخيًا عن دليل الحكم الأوَّل، غير مُتَّصل به، كاتِّصال القيد بالمقيَّد، والتأقيت بالمؤقَّت[2]. فالدليل المتَّصل يكون قرينة على الظهور، وبذلك لا يكون نسخًا.

(١) انظر: ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ج١، ص١٣٥، وانظر أيضًا: محمَّد بن الحسن الطوسيّ، ج٢، العدَّة في أصول الفقه، ج٢، ص٤٨٧.

(٢) انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٤١.

ثالثًا: أن يكون الطريق الذي ثبت به الناسخ أقوى من الطريق الذي ثبتَ به المنسوخ أو مساويًا له، فلا يجوز ما دونه، إذ لا يجوز أن يكون الأضعف ناسخًا للأقوى[1]. وعلى هذا الأساس لم يجوِّزوا نسخ الكتاب بخبر الواحد.

رابعًا: أن يكون الدليل الناسخ مُعارضًا للحكم المنسوخ، بحيث يمتنع الجمع بينهما، ولا حتَّى في جانب من الجوانب؛ لأنَّه يكون تخصيصًا للعام، لا نسخًا[2]. بينما النسخُ يستدعي الرفع والإزالة، وهذا لا يتأتَّى مع إمكان الجمع من خلال تخصيص أو تقييد أو جمع عُرفي.

خامسًا: وحدة الموضوع، إذ الحكم يتبدَّل بتبدُّل موضوعه، وهذا ليس نسخًا.

مثال: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ .. ﴾[3] لا يصلح ناسخًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ .. ﴾[4]؛ لأنَّ الذي يبيِّن حُكمه عن العنوان الأوَّلي من اضطرار وحرج وتقيَّة، ممَّا ليس بنسخ[5].

ويرى السيِّد ضياء الدين الأعرج ما يأتي من شروط:

١. أن يكون الحكم مُستمرًّا، فإنَّه لو كان منقطعًا أو مُقيَّدًا بمرَّة واحدة، أو مطلقًا، لم يكن هذا الرفع نسخًا[6].

(١) انظر: ابن الجوزيّ، نواسخ القرآن، ج١، ص١٣٥.
(٢) انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٤١.
(٣) سورة البقرة: ١٦٠.
(٤) سورة البقرة: ١٥٩.
(٥) انظر: محمَّد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج٢، ص٢٧٤.
(٦) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١١٢.

٢. أن يكـون ممَّا يصحُّ تغـيُّره، كالقيام والعقـود، فإنَّ كلًّا منهـما يكونان في حالة مـا واجبـة، وفي حالة ما حرامًـا، وفي حالة مـا مُباحًا، (كما في حـال الصلاة، والخـروج منها)، أو في وجوه التـصرُّف، (فالبيع يصبح حرامًـا وقت النداء، ويكون مباحًا في غير وقت النداء).

فـلا يتحقَّق النسـخ فيـما لا يصحُّ تغـيُّره، بل وجب اسـتمراره، لكونـه لطفًا مطلقًـا؛ كمعرفـة الله تعـالى، أو لكونـه صفة لازمـة له، كوجـوب الإنصاف المعلَّـل بصفـة الإنصاف، وقبُـح الكذب والجهـل، المعلَّلان بعـدم مطابقتهما لمُتعلِّقهما[١].

٣. وأن لا يكـون المنسـوخ مؤقَّتًـا ومقيَّدًا بغايـة معلومـة[٢]، وإلاَّ فالحكم ينتهي بانتهاء غايته من دون نسخ. مثال: ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[٣]، فلا يُقال الإفطار بالليل ناسخٌ للصوم بالنهار.

وأمَّـا المقيَّد بغاية مجهولة، فيتحقَّق النسـخ فيه، فهو كقولـه: دوموا على الفعل الفلانيّ إلى أن أنسـخه عنكم. مثـال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[٤]، الـذي نُسِـخ بقولـه ﷺ: «**قـد جعـل الله لهنَّ سـبيلًا، البكرُ بالبكرِ جلـدُ مائةٍ، وتغريبُ عامٍ، والثيِّـبُ بالثيِّبِ جلدُ مائة والرَّجم**»[٥].

٤. وأن يكـون من الأحـكام الشرعيَّة دون أجناس الأفعـال وصورها، فالصلاة

(١) ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١١٢.
(٢) انظر: م. ن، ص١١٣.
(٣) البقرة: ١٨٧.
(٤) النساء: ١٥.
(٥) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٧٦، ص٣١، باب حدِّ الزِّنا وكيفيَّة ثبوته وأحكامه.

إلى بيت المقدَّس مثلًا وصُورتها لم ترتفع بالناسخ لإمكان وقوعها، وإنَّما ارتفع وجوبها بنفسها دون ارتفاع أجناسها وضروبها[١].

٥. ولا يشترط تناول لفظ المنسوخ للحكم المنسوخ الذي دلَّ الناسخ على رفعه، بمعنى أن يكون لفظ المنسوخ موضوعًا له، أو موضوعًا لملزومه، أو لما هو جزؤه، فقد تدلُّ القرينة على النسخ. فمثلًا إنَّ فعل الأمر وحده لا يدلُّ على تكرار الفعل دائمًا، في حين لو دلَّت قرينة على إرادة التكرار، ومن ثمَّ دلَّ دليل على رفع الحكم عن بعض المرَّات، لكان هذا الدليل الرافع نسخًا اتِّفاقًا، مع أنَّ اللفظ لم يتناول التكرار[٢].

فإذن لا يشترط تناول لفظ المنسوخ للحكم المنسوخ، كما تقدَّم.

٦. وأن لا يُراد بالناسخ غير ما أُريد بالمنسوخ، وإلَّا لزم منه البداء. فيكون الأمر والنهي قبيحًا حينئذٍ، ويؤدِّي إلى الفساد[٣]. ومن هنا يظهر بطلان قول من يعرِّف النسخ بـ(زوال الحكم بعد استقراره)؛ لأنَّ الحكم لو كان ثابتًا ومستقرًّا، لم يصحّ رفعه، وبطلان قول من يعرِّفه بـ(رفع المأمور به بالنهي عنه)؛ لأنَّه يلزم منه أن يكون مُرادًا بالأمر، ومكروهًا بالنهي، وهذا قبيح ويؤدِّي إلى الفساد، كما تقدَّم[٤].

٧. والنسخُ إن كان لا إلى بدل، فيشترط فيه وجود ما يدلُّ على زوال الحكم المنسوخ من لفظٍ أو فعل أو ترك. وأمَّا إذا كان إلى بدل، فإذا كان مضادًّا

(١) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١١٣.
(٢) انظر: م.ن، ص١١٤.
(٣) م.ن.
(٤) انظر: محمَّد بن الحسن الطوسيّ، العدَّة في أصول الفقه، ج٢، ص٤٨٧.

لحكم المنسوخ، فيكفي في دليل ثبوته رفع مُضادِّه. كنسخ وجوب التوجُّه إلى بيت المقدَّس بالتوجُّه إلى الكعبة. وأمَّا إن كان مُخالفًا من غير مُضاد، فيشترط فيه وجود ما يدلُّ على رفع الحكم الأوَّل أو فعلًا أو تركًا، كنسخ صوم عاشوراء بصوم شهر رمضان، ونسخ سائر الحقوق بالزكاة[1].

المطلب الثاني: أقسام النسخ

وقد قسَّم العلماء النسخ بأقسام مختلفة، باعتبارات مختلفة، على النحو الآتي:

أوَّلًا: بحسب التلاوة والحكم

وفيه ثلاثة أقسام.

١. **نسخ التلاوة والحكم معًا**: ومثاله؛ آية التحريم بعشر رضعات، فنُسِخنَ بخمس، حيث يستدلُّ السيوطيّ برواية عائشة التي تقول: «كان ممَّا أُنزل عشر رضعات معلومات، فنُسخنَ بخمسٍ معلومات، فتوفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي ممَّا يُقرأ من القرآن». وقد اعُترِضَ على هذه الرواية؛ بأن ذيل الحديث: «وهُنَّ مما يُقرآ من القرآن» ظاهرٌ في بقاء التلاوة، وليس نسخه. فردُّوا على هذا الاعتراض: بأنَّ المراد منه؛ هو أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قارب الوفاة، أو أنَّ التلاوة نُسخت أيضًا، ولم يَبلغ ذلك كلَّ الناس، إلَّا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فتُوُفِّي وبعض الناس يَقْرؤها[2].

٢. **نسخ الحكم دون التلاوة**: وهذا النوع هو الذي أُلِّفت فيه الكتب، وذكر

(١) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١١٤.
(٢) انظر: جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ص٤٦٤.

المؤلِّفون فيه الآيات المتعدّدة، ومنها آية العدَّة بالحول مع بقاء تلاوتها[1].

ويردُّ السيوطيّ على من لا يرون في رفع الحكم وبقاء التلاوة حكمة باقية؛ بأنَّ القرآن الكريم كما يُتلى ليعرف الأحكام منه، فهو يُتلى أيضا ليُثاب ويؤجر على تلاوته، هذا بالإضافة إلى أنَّ النسخ غالبًا يكون للتخفيف، فأُبقيت التلاوة تذكيرًا للنعمة، ورفعًا للمشقَّة[2].

٣. **نسخ التلاوة دون الحكم**: ومثاله آية الرجم: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، التي نسخت من سورة النور[3].

وقد أنكر السيِّد الخوئي القسم الأوَّل والثالث من هذا التقسيم؛ لأنَّ فيه نسخًا للتلاوة، سواءً نُسِخَ معه الحكم، أم لم يُنسخ معه الحكم. وأنَّ مستندهم فيه من الشواهد كتحريم الرضعات عن عائشة، وآية الرجم عن عمر، هي من أخبار الآحاد الذي يتطرَّق إليه الشكُّ والاحتمال، والذي لا أثرَ له في أمثال هذا المقام؛ لأنَّ المسلمين أجمعوا على عدم جواز النسخ بخبر الواحد، كما لا يُثبت القرآن بخبر الواحد الذي ليس بحجَّة في هذا المقام[4].

وأمَّا السيِّد ضياء الدين بن الأعرج فيرى إمكان نسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس؛ لأنَّ التلاوة إذا كانت عبادة والحكم عبادة أخرى مستقلَّة عنها، لا تلازم بينهما، فجاز وقوع النسخ في إحداهما مع بقاء الآخر. وإنَّ قراءة القرآن لوحدها موجبة لحصول الثواب والأجر. وإذا ثبت ذلك جاز نسخ التلاوة دون الحكم، وجاز نسخ

(١) انظر: منَّاع القطَّان، مباحث في علوم القرآن، ص٢٣٠.
(٢) انظر: جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ص٤٦٨.
(٣) انظر: م ن، ص٤٧٠.
(٤) انظر: السيِّد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٨٥.

الحكم دون التلاوة. وبما أنَّهما واقعان فيكونان جائزين[1].

وقد ردَّ السيِّد في هذا السياق على الاحتجاج القائل: بأن نسخ التلاوة دون الحكم يُشعر بزوال الحكم، لأنَّ الآية هي الوسيلة لمعرفة الحكم، فإنَّ ارتفاعها يُوهم بزوال حُكمها، ممَّا يؤدِّي إلى الجهل.

بالجواب الآتي: إنَّما يُتوهَّم بقاء الحكم مع بقاء التلاوة، إذا لم يقم دليل على نسخه، أمَّا على تقدير قيام دليل عليه، فلا يتوهَّم ذلك، ولا ملازمة بين ارتفاع الحكم وارتفاع فائدة التلاوة، كما في تلاوة ما خلا عن الحكم، وهو حصول الثواب، وكذلك يجوز اشتمالها على حُكم لا يعلمها إلَّا الله، وهي خفيَّة عن البشر. وكذا لا يُتوهَّم ارتفاع الحكم عند نسخ التلاوة مع بقاء مقتضيه، وعدم طريان ما يُنافيه[2].

ثانيًا: أقسام النسخ بحسب البدل

١. **النسخ إلى بدل**: أي إنَّ الشارع الحكيم إذا نَسخَ أمرًا، جعلَ له بدلًا سواء أخف منه أو أثقل منه، أو مساويه؛ لحكمة نعلمها أو لا نعلمها. فيكون الحكم الآتي خيرًا من الذاهب أو مثله. وأمثلته كثيرة، ستأتي في القسم التالي من أقسام البدل. ويرى الزرقانيّ بأنَّ الخيريَّة قد تكون في النفع، وقد تكون في الثواب، وقد تكون في كليهما. أمَّا المثليَّة (المساواة) فلا تكون إلَّا في الثواب فقط، ولا يتصوَّر في النفع؛ لأنَّه على تقدير ذهاب الحكم الأوَّل، فإنَّ المصلحة التي كانت منوطة بها ارتفعت ولا تبقى إلَّا مصلحة الحكم الثاني، فتكون حينئذ خيرًا منها في النفع لا محالة. وأمَّا إذا قدِّر بقاء الحكم الأوَّل، وكان النسخ

(١) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٢٥.
(٢) انظر: م.ن، ص١٢٧.

للتلاوة وحدها، فالمصلحة الأولى إذن باقية، ولا يوجد مصلحة أخرى غيرها، حتَّى تكون خيرًا منها أو مثلها[1].

٢. **النسخ إلى غير بدل**: بأن ينسخ الشارع الحكيم أمرًا ما دون أن يجعل له بدلًا. وهذا النوع من النسخ قد وقع فيه خلاف بين الأصوليِّين، فمنهم من منعه، ومنهم من أجازه[2].

أمَّا السيِّد ضياء الدين بن الأعرج؛ فيرى إمكان النسخ إلى غير بدل، إذ قال: يجوز اشتمال المنسوخ حال النسخ على مفسدة، فيجب عليه رفعه، وإذا لم يشتمل البدل على مصلحة، لا وجوب لإتيانه، فيجوز أن يرفع الحكم الأوَّل بلا بدل. ولأنَّه واقعٌ كما في وجوب تقديم الصدقة أمام مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله المستفادة من آية النجوى، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾[3] التي نُسخت من غير بدلٍ اتِّفاقًا بآية أخرى؛ قال تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4]، فهو جائز إذن لما تقدَّم من عدم الضرورة للبدل إذا لم يكن فيه مصلحة، أو تعلَّق النسخ برفع المفسدة فقط[5].

وأمَّا من احتجَّ على المنع بالآية الكريمة: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾[6]، فمردودٌ بأنَّ: عدم الحكم قد يكون أحيانًا خيرًا من ثبوته وقت نسخه، لأنَّ المراد بالخير ما هو أكثر ثوابًا، أو أن يكون المراد به نسخ لفظ الآية فقط دون الحكم،

(١) انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص١٤٩.
(٢) انظر: لجنة تأليف، الموسوعة القرآنيَّة المتخصِّصة، ص٦٣٨-٦٣٩.
(٣) سورة المجادلة: ١٢.
(٤) سورة المجادلة: ١٣.
(٥) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٢٣.
(٦) سورة البقرة: ١٠٦.

ولهذا قال: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾؛ لأنَّ المراد هو الإتيان بآية أفصح منها أو مثلها في الفصاحة[1].

ثالثًا: من جهة النسخ إلى الأثقل والمساوي والأخف

١. نسخ الحكم الأثقل بحكم أخف منه: وهو الغالب والكثير[2].

٢. نسخ الحكم الأوَّل بحكمٍ آخر مساوٍ له[3]: ومثاله: نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[4].

٣. نسخ الحكم الأخف بحكم آخر أثقل من الأوَّل: وهو قليل. وهذا القسم فيه خلاف، فمنهم من جوَّزه، ومنهم من منعه[5].

وأمَّا السيِّد ضياء الدين الأعرج، فيرى إمكان نسخ الشيء إلى أثقل منه؛ لأنَّه واقع في بداية الإسلام عندما خيَّر الله تعالى المكلَّف بين صوم شهر رمضان والفدية المال؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ﴾[6]، ثمَّ نسخ ذلك التخيير بتعيين الصوم؛ قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[7]، والصوم أشقُّ من الفدية بالمال.

وأنَّه أوجب الحبس في البيوت والتعنيف حدًّا على الزنا؛ قال تعالى:

(١) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٢٣.
(٢) انظر: مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، مجلد١، ص١٩٨.
(٣) م.ن.
(٤) سورة البقرة: ١٤٤.
(٥) انظر: مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم، مجلد١، ص١٩٩.
(٦) سورة البقرة: ١٨٤.
(٧) سورة البقرة: ١٨٥.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾[1]، ثمَّ نسخ ذلك بالجَلد، والرجم بالحجارة في حقِّ المحصن؛ قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾[2]، وهو أشقُّ ممَّا سبقه.

وأمَّا الثاني فظاهر.

وأمَّا الاحتجاج بآية: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾[3]، بأنَّ الخير هو الأخفُّ أو مساوي لها دون الأثقل.

فمردودٌ؛ بأنَّه ليس المراد بالخير ومثله ما ذكرتموه، بل المراد والله أعلم بالخير ما هو أكثر ثوابًا، أو المساوي له في الثواب[4].

والحمد لله دائمًا وأبدًا.

(١) سورة النساء: ١٥.

(٢) سورة النور: ٢.

(٣) سورة البقرة: ١٠٦.

(٤) انظر: ضياء الدين بن الأعرج، منية اللبيب في شرح التهذيب، ج٢، ص١٢٤-١٢.

الخاتمة

الحمـد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وتنالُ المكرمـات، وبفضله بلغ البحث إلى نهايته، فالحمد لله على توفيقه.

وبعد، خلص البحث إلى جملة من النتائج، نوجزها بالنقاط الآتية:

١. يأتي النسـخ لغةً بمعنيَين، وهما الإزالة والإعـدام، أو النقل والتحويل، ويرى المشترك، ولكون الإزالة أعمَّ من النقل.

٢. اختلف الأصوليُّون في تعريف النسخ ما بين كونه رفعًا للحكم، أم بيانًا لانتهاء مـدَّة وزمان؟! واختار السـيِّد ضياء الدين الأوَّل في تعريفه للنسـخ بأنَّه: رفع حكمٍ شرعيّ بدليل شرعيّ متأخِّر لولاه لكان ثابتًا.

٣. يُعدُّ السـيِّد ضياء الديـن بن الأعرج الحِلِّيّ من علماء الشـيعة الأماميَّة الأجلَّاء الذي تتلمذ على يديه كبار الشـيعة، أمثال الشهيد الأوَّل، والسيِّد ضياء الدين ممدوحٌ كثيرًا في كتب ومؤلَّفات العلماء الشيعة.

٤. النسـخ عند السـيِّد ضياء الدين جائز عقلًا وواقع سمعًا، كما هو عند غيره من العلماء المسلمين، عدا أبي مسلم الأصفهانيّ.

٥. للنسـخ شروط عديـدة حدَّدهـا العلـماء، أهمّها؛ شرعيَّة الناسـخ والمنسـوخ وتراخي الناسـخ عن المنسـوخ، والتعارض بين الناسخ والمنسوخ، وأن يكون الطريـق الـذي ثبت به الناسـخ في مسـتوى الطريـق الذي ثبت به المنسـوخ،

بالإضافة إلى وحدة الموضوع ما بين الناسخ والمنسوخ. على حين اشترط السيِّد ضياء الدين استمراريَّة الحكم وعدم انقطاعه وتقييده بقيد أو غاية معلومة.

٦. اشترط السيِّدُ أن يكون النسخ من الأحكام الشرعيَّة دون الأجناس الأفعال وضروبها، وأن لا يُراد بالناسخ غير ما أريد بالمنسوخ، واشترط في النسخ إلى غير بدل ما يدلُّ على زوال الحكم، وكذلك في النسخ إلى بدل في حال كان من نوع المخالف دون المضاد.

٧. يرى السيِّد ضياء الدين إمكان نسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ التلاوة والحكم معا؛ بما أنَّ كلًّا من الحكم والتلاوة عبادَتَين منفصلتَين، ولا تلازم بينهما، وبما أنَّهما واقعان، فهما جائزان.

٨. يرى السيِّد إمكان النسخ إلى غير بدل؛ فقد يكون في الحكم الأوَّل مفسدة وجب إزالتها، مع انتفاء المصلحة في الإتيان ببدل.

٩. يرى السيِّد إمكان النسخ إلى حكم أثقل من الحكم الأوَّل، إذ قد يكون الأثقل هو الأكثر ثوابًا، فيتعيَّن الخير والمصلحة فيه، دون الأخفّ أو المساوي له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر

١. ابـن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرحمن، نواسـخ القـرآن، المحقِّق: محمَّد أشرف المليباري، الجامعة الإسلاميَّة، ط٢، السعوديَّة، ٢٠٠٣م.

٢. ابـن حزم الأندلسيّ، عليّ بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، المحقِّق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٣. ابـن عبَّاد، الصاحب إسـماعيل، المحيط في اللغة، عـالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ.

٤. الأعرج الحسـينيّ الحِلِّيّ، ضياء الدين عبد الله، منية اللبيب في شرح التهذيب، مؤسَّسة الإمام الصادق، ط١، قم، ١٤٣٧هـ.

٥. الأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، دار التعـارف للمطبوعـات، د.ط، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦. البحـرانيّ، يوسـف بن أحمد، لؤلـؤة البحريـن في الإجـازات وتراجم رجال الحديث، مؤسَّسة آل البيت، ط٢، قم، د.ت.

٧. الجرجـانيّ الغرويّ، محمَّد بن عليّ، غاية البـادي في شرح المبادي، مركز وثائق مجلس الشورى الإسلاميّ، ط١، قم، ١٤٤٠هـ.

٨. الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزَّهراء للنشر، ط١، بيروت، د.ت.

٩. الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمَّد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، ط١، بيروت،١٤١٢هـ.

١٠. الزرقانيّ، محمَّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربيّ، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

١١. زيد، مصطفى، النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعيَّة تاريخيَّة نقديَّة، دار الوفاء، د.م، ١٩٨٧م.

١٢. السيوطيّ، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مؤسَّسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٣. الطوسيّ، محمَّد بن الحسن، العدَّة في أصول الفقه، ستاره، ط١، قم، ١٤١٧هـ.

١٤. القطان، منَّاع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط٧، القاهرة، د.ت.

١٥. لجنة علميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسَّسة الإمام الصادق، د.ط، قم، ١٤١٨هـ.

١٦. المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٧. مجموعة أساتذة، الموسوعة القرآنيَّة المتخصِّصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، د.ط، مصر، د.ت.

١٨. المطهَّر الحِلِّيّ، محمَّد بن الحسن بن يوسف، نهاية المأمول في شرح مبادئ الوصول إلى الأصول، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، ط١، العراق، ٢٠١٨م.

١٩. معرفـة، محمَّد هـادي، التمهيد في علوم القـرآن، دار التعارف، د.ط، بيروت، ٢٠١١م.

٢٠. النراقيّ، محمَّد مهدي، أنيس المجتهدين في علم الأصول، مؤسَّسـة بوسـتان، ط١، قم، ١٤٣٠هـ.

التحقيق ونقده

مَا وَصَلَ إلينَا مِنْ كِتَابِ (نُورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى)

للحَسَنِ بن أبي طاهِر أحمد بنِ مُحَمَّد بن الحُسَين الجَاوانيّ الحِلِّيّ (ت٥٩٧هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د. رَحِيم كَرِيم عَلِيّ الشّرَيْفِيّ

جامعة بابل/كليَّة التربية الإسلاميَّة

أ.د. حُسَيْن عَليّ حُسَيْن الفَتْليّ

وزارة التربية/الكلية التربويَّة/بابل

What has Reached us from the book (Nur Al-Huda Walmunjy min Ar-Radaa) by Al-Hasan Ibn Abi Tahir Ahmad Ibn Muhammad Ibn Al-Hussein Al-Jawani Al-Hilli (D.597 AH) Analytical View

Prof. Dr. Rahim Karim Ali Al-Sharifi

University of Babylon/College of Islamic Education

Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fatli

Ministry of Education/Educational College/Babel

مُلَخَّصٌ

يهدف هذا البحث إلى تبيانِ مادَّةٍ تراثيَّةٍ حِلِّيَّة لأَحد أَعلام هذه المدينة المباركة، وهو الحسن بن أبي طاهر الجاوانيّ الحِلِّيّ (ت٥٩٧هـ)، صاحب كتاب (نور الهدى والمُنجي من الرَّدى)، وهو من أسرة آل ورَّام الجاوانيَّة الحِلِّيَّة، ولـمَّا كان هذا السِّفر النفيس مفقودًا، وقع بين أَيدينا نقولات مهمَّات عنه، نقلها السيِّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ) في كتابه (التَّحصين)، فجاء هذا البحث للكشف عن ما وصل إلينا من كتاب (نور الهدى والمُنجي من الرَّدَى) في إثبات إمامة أمير المؤمنين، وإمام المتَّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقد حاولنا في هذا البحث الإشارة إلى ما وصل إلينا عن طريق كتاب التحصين للسيِّد ابن طاووس، ودراسته بقدر الوسع؛ رغبةً في تعريف القارئ بهذا الموصول النفيس.

والحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين.

Abstract

This research aims to identify historical material belonging to one of the figures of this blessed city, namely Al-Hasan Ibn Abi Taher Al-Jawani Al-Hilli (D. 597 AH), the author of the book (Nur Al-Huda Walmunjy min Ar-Radaa) and he is from the family of Al-Waram Al-Jawaniyyah Al-Hilli. Since this precious book was missing, it It fell into our hands Important sayings about him were transmitted by Sayyid Radhi Al-Din Ali bin Tawoos Al-Hilli (664 A.H) in his book (Al-Tahseen) This research came to reveal what has reached us from the book (Light of Guidance and the Savior from Corruption) in proving the imamate of the Commander of the Faithful and the Imam of the pious, Ali bin Abi Talib (peace be upon him)

In this research, we have tried to point out what has reached us through the book of fortification by Sayyid Ibn Tawus and study it as much as possible, with the desire to acquaint the reader with this precious connection.

المُقدِّمَةُ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحَمْـدُ للهِ الَّـذي أَعانَ وَهَدَى، وأَبانَ وأنجانا من الجَهْـلِ والرَّدى، وصلَّى اللهُ تعالى عـلى نبيِّ الهُدى، والمُنجي من الـرَّدَى، محمَّد الحصن الحصين، ومـلاذ المتَّقين، وعلى آله سُبُل الهدى ورافعي اللِّوى.

وَبَعْـد، فإنَّ الحِلَّة كانـت وما زالت قبلة العلماء، وموطـن العلم والأولياء، وموئل المفكِّريـن، فتراثهـا الكبير وزادهـا المعرفيّ الوسـيع لا ينفد على مرِّ العصـور والدهور، ومن التراث العلميّ الذي وقع بين أيدينا، ما حرَّره عَلَمٌ من أعلام هذه المدينة الباسـقة (الحِلَّة)، وهو الشـيخ الحسـن بـن طاهر الجاوانيّ الكـرديّ (ت٥٩٧هـ) في كتابه (نورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى)، وهذا الكتاب في أَصله مفقودٌ، وقد حاولنا جاهدين العثور عليه بلا جدوى، غير أنَّنا بفضل الله تعالى، وجدنا نقولات عنه عن طريق السيِّد عليّ بن طـاووس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، في ظلِّ كتابـه (التَّحصين)، إذْ نقل عنه صحفًا كثيرةً جدًّا، هذا النقل كان محطَّ الدراسة، ومنار القول في هذا البحث.

لا جَرَمَ أَنَّ السـيِّد عليّ بن طاووس قد حفظ لنا كمًّا كبيرًا من تراث أَهل البيت عليهم السلام وأعلامهم، وهذا ما نلمحه في جُلِّ مؤلَّفاته، ولا سـيَّما (سعد السعود، وأَنيس النفوس، والإقبـال بالأعمال الحسـنة، والتحصـين..)، وغيرها مـن المؤلَّفات، فلولا السـيِّد ابن طاووس لما وصل لنا هذا الأثر النفيس للشيخ الحسن بن أبي طاهر الجاوانيّ الحِلِّيّ.

وبعـد الوقوف على المادَّة المنقولة من كتـاب (نور الهدى والمنجي من الرَّدى)، قُمنا بدراسـة هذا الأثر في ضوء التعريف بصاحبه، وموضـوع الكتاب ومنهجه، ثمَّ عرضنا بإيجازٍ أَهمَّ الآليَّات والخطوات التي اتَّبعها الشيخ الجاوانيّ في كتابه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآل محمَّد الطاهرين.

الحسن بن أبي طاهر الجاوانيّ

هو الحسنُ بنُ أبي طاهرٍ أحمد بنُ محمَّد بن الحُسَين الجَاوَانيّ، من الجَاوانِيِّين الأكراد في الحِلَّة، له (نورُ الهُدى والمُنْجِّي من الرَّدَى) في فضائل الإمام عليّ عليه السلام، يروي السيِّد ابن طاووس عنه في كتابه (التَّحْصين لأسرارِ ما زاد عن كتاب اليَقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)، ويبدو من كلام عبدالله أفندي (ت١١٣٥هـ) أنَّه رأى نسخة كتاب (نُورُ الهُدى)، إذْ أخبر أنَّ جميع أخبار كتاب (التحصين) منحصرة في أحاديث (نور الهدى)، إلَّا قليلًا ممَّا أورده في أواخر الكتاب[١].

ويظهر أنَّ ابن طاووس قد جاوز عُمْره السبعين عندما ألَّف كتاب (اليقين)، ثمَّ (التحصين)، الذي ضمَّنه أحاديث (نور الهدى)، وهذه الكتب أَواخر تأليفاته؛ لأنَّه توفِّي سنة ٦٦٤هـ[٢].

قال ابنُ طاووس: «رأينا ذلك في كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِّي مِنَ الرَدَى)، تأليف الحسن بن أبي طاهر أحمد بن محمَّد بن الجَاوانيّ، وعليه خطُّ الشيخ السعيد الحافظ محمَّد بن محمَّد المعروف بابن الكآل، وإنَّهما قد اتَّفقا على تحقيق ما فيه، وتصديق معانيه»[٣].

(١) ينظر: رياض العلماء ١/ ١٥٦، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤/ ٣٨٧، وينظر: اليقين (مقدِّمة المحقِّق) ٣٣.

(٢) ينظر: أنيس النفوس في تراجم رجال آل طاوس ١٦٣

(٣) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد عن كتاب اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ٥٩٥.

وقال فيه عبد الله أَفنديّ: «كانَ من قدماءِ الأصحابِ، إذْ يروي بقوله (حدَّثنا) عن جماعةٍ من القدماء، منهم عليّ بن أحمد ابن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، ويروي عن مشايخ الصدوق والمفيد والشيخ [الطوسيّ] وأضرابهم أيضًا، من دون التصدير بـ(حدَّثنا).. ويروي السيِّد ابن طاووس عن كتابه هذا في كتاب التحصين لأسرار ما زاد عن كتاب اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.. والجاوابيّ بالجيم المفتوحة والألف الساكنة ثمَّ الواو وبعدها ألف أخرى ثمَّ باء موحدة، على ما وُجِد مضبوطًا بخطِّ ابن طاووس في كتابه التحصين»[1]، والجاوابيّ مصحَّف عن الجاوانيّ كما هو معلوم.

وقال العلَّامة الطهرانيّ في الذَّريعة: «نُورُ الهُدى والمُنْجِي مِنَ الرَّدَى في فضائل عليّ عليه السلام، للحسن بن أبي طاهر أحمد بن محمَّد بن الحسين الجاوانيّ، من الجَاوانِيِّين أكراد الحِلَّة»[2].

ظهرَ أنَّ السيِّد رضيّ الدين عليّ ابن طاووس الحِلِّيّ لـمَّا فَرغ من كتاب اليقين باختصاص مولانا عليّ بإمرة المؤمنين، ظَفَرَ بكتاب (نُوْرُ الهُدى والمنجيّ من الرَّدى، تأليف الحسن بن الحسين الجاوانيّ)، ووجد فيه الأخبار التي تصلح لإدراجها في كتاب اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بأمرة المؤمنين، فألَّفَ (التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليَقْين) من هذه الأخبار، وقليل من غيرها، وجعله مستدرك ما فاته في كتاب اليقين، وبما أنَّه ألَّف كتاب (اليقين) بعد كتابه (الأنوار الباهرة في انتصار العترة الطاهرة بالحجج القاهرة)؛ لأنَّه أورد خطبة الأنوار بعينها في أوَّل اليقين، وأنَّ تأليف

(١) رياض العلماء لعبد الله أفندي: ١/ ١٥٥-١٥٦.

(٢) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤/ ٢٣٥، واليقين باختصاص مولانا عليه السلام بأمرة المؤمنين ٣٨-٣٩.

الأنوار كانَ حدود سنة (٦٦٠هـ)، فيكون استدراكُ اليقينِ قريبًا من وفاته، ولعلَّه آخر تصانيفه[١].

إنَّ كتابَ (نورُ الهُدى والمُنْجيّ مِنَ الرَدَى) في فضائلِ الإمام عليّ عليه السلام، كتابٌ مفقودٌ، وكتاب (التحصين) إحياءٌ لأصلِهِ المأخوذ منه، وهو أمرٌ ذكره محقِّق كتاب (اليقين)، قال: «وقد تفحَّصنا عن الكتاب فحصًا تامًّا، ولم نظفر بهِ، فهو إذن من الكتب المفقودة اليوم، وعلى هذا ففي إحياء كتاب (التحصين) إحياءٌ لأصلهِ المأخوذ منهُ، وهو كتابُ (نور الهدى)، وتلك خدمةٌ مزدوجةٌ في طريق إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام»[٢].

(١) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤/ ٢٣٥، واليقين باختصاص مولانا عليه السلام بإمرة المؤمنين ٣٨-٣٩.

(٢) اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين: ٦٥.

كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى)

بَـدا لنا في ضوءِ المتقدِّمِ، أنَّ كتابَ (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى)، تأليف الشـيخ الحسـن بن طاهر الحسـين الجاوانيّ الحِلِّيّ الكُرْديّ، هو كتابٌ مفقودٌ، انبرى السيِّدُ رضيُّ الديـن ابن طاووس الحِلِّيّ (ت ٦٦٤هـ) لإحيائِـهِ، بفضلِ ما نقلهُ من هذا الكتاب النادر في كتابه (التَحصين لأسرار ما زادَ منْ أخبارِ كتابِ اليقينِ).

جاءَ كتابُ (التحصين) في قسـمَيْن، الأوَّلُ: الأحاديث المتضمِّنة لتسميته عليه السلام بأمير المؤمنـين، انتظـم الكتاب في (٢٩) تسـعة وعشرين بابًا، هـذه الأبواب فَطَـنَ إليها ابنُ طـاووس في ظلِّ ما رآه في كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى) للحسـن بن الحسـين الجـاوانيّ، ونلمحُ ذلك ما قرَّره ابـن طاووس الحِلِّيّ في مقدِّمة البـاب الأوَّل، قال: «فيما نذكره من قول رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ عليًّا أمير المؤمنين بولاية الله عز وجل عقدها له فوق عرشه، وأشـهد على ذلك ملائكته، رأينا ذلك في كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجي مِنَ الرَّدى) تأليف الحسـن بن أبي طاهر أحمد بن محمَّد بن الجاوانيّ»[1]، ويكرِّر عبارة «نذكره من كتاب نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى» في أغلب الأبوابِ.

أمَّا القسـمُ الثـانيّ، فجاءَ بعنـوان (الأحاديث المتضمِّنة لتسـميته عليه السلام بإمـامِ المتَّقين وما في معناها، انتظم هذا القسـم في سـبعة وعشرين بابًا، اعتمـد ابن طاووس في إيراد الروايـات والأخبار على كتاب (نور الهدى) للحسـن الجاوانيّ في الأبواب كلِّها، مكرِّرًا عبارة «نذكر ذلك من كتاب نورُ الهُدى والمُنْجي مِنَ الرَدَى». قال في مقدِّمة الباب الأوَّل

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين: ٥٣٥.

من هذا القسم: «فيما نذكره من قول رسول الله صلى الله عليه وآله لمولانا عليّ عليه السلام: **أنتَ سيِّد المسلمين، وإمام المتَّقين، وقائد الغرِّ المحجَّلين، ويعسوب المؤمنين**. نذكر ذلك من كتاب نورُ الهُدى والمُنْجى مِنَ الرَدَى، تأليف الحسن بن أبي طاهر الجاوانيّ»[1].

وفي ظلِّ معاينة كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى)، الذي ينقل عنه السيِّد ابن طاووس في كتابه (التحصين)، تَبَدَّت لنا مجموعة من الآليَّات أو القواعد التي بَنَى الحسن بن أبي طاهر أحمد بن محمَّد الجاوانيّ كتابه.

أوَّلًا: إيراد الروايات المتَّصلة بتسمية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والأحاديث المتضمِّنة لتسميته عليه السلام بإمام المتَّقين، بسندٍ وبلا سندٍ

أغلب الروايات التي ضمَّنها أبواب القسمَين الأوَّل، والثاني، جاءت بسند، في حين جاءت روايتان بِلا سندٍ.

فمِنَ الأبوابِ التي جاءت بسند، قوله: «فيما نذكره من قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: **أنت أمير المؤمنين، وإمام المتَّقين، عليّ أنت سيِّد الوصيِّين، ووارث علم النبيِّين، وخير الصدِّيقين، وأفضل السابقين**، نذكره من كتاب نورُ الهُدى والمُنْجي مِنَ الرَدَى) الذي قدَّمنا ذِكرَه، فقال ما هذا لفظه:

«نوح بن أحمد بن الحسين، عن إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، قال: حدَّثني جدِّي عن يحيى بن عبد الحميد، قال: حدَّثني ميسرة بن الربيع، عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمَّد عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عن أبيه عليه السلام، قال: حدَّثني أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا عليّ، أنت أمير المؤمنين، وإمام المتَّقين. يا عليُّ، أنت سيِّد الوصيِّين ووارث علم النبيِّين، وخير الصدِّيقين، وأفضل السابقين. يا عليُّ، أنت**

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين: ٥٩٥.

مولى المؤمنين، والحجَّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنَّة مَنْ والاك، واستحقَّ دخول النار مَنْ عاداك.

يا عليّ، والذي بعثني بالنبوَّة، واصطفاني على جميع البريَّة، لو أنَّ عبدًا عبدَ اللهَ ألفَ عام، ما قَبِلَ الله ذلك منه إلَّا بولايتك وولاية الأئمَّة من ولدِك، وإنَّ ولايتك لا تُقبَل إلَّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمَّة من ولدِك. بذلك أخبرني جبرئيل ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾»[1].

وقال في سبب نزول قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[2]: «قال أبو القاسم جعفر بن مسرور الخادم، عن الحسين بن محمَّد عن إبراهيم بن محمَّد بن بلال، عن إبراهيم بن صالح الأنماطيّ، عن عبد الصمد، عن جعفر بن محمَّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهم السلام قال: سُئِل النبيّ صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، قال: قد نزلت في أمير المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالبٍ. و(طُوْبَى) شجرة في دار أمير المؤمنين في الجنَّة، ليس في الجنَّة شيء إلَّا وهو فيها»[3].

وقال في أنَّ الله جلّ جلاله سمَّى عليًّا عليه السلام «إمام خَلْقي ومَولى بريَّتي»، جاء في كتاب (نورُ الهُدى)، ما هذا لفظه:

«محمَّد بنُ عليّ بنِ الفضلِ بنِ رئاب، عن الحسين بن محمَّد عن الحسين بن عليّ عن ابن بديع الماحشون، عن إسماعيل بن أبان الورَّاق، عن غياث بن إبراهيم، عن جعفر بن

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين): ٥٣٩، سورة الكهف ٢٩، ويُنظر: كنز الفوائد للكراجكيّ ٢/ ١٢، بحار الأنوار ٢٧/ ٦٣ رقم ٢٢.

(٢) سورة الرعد، من الآية ٢٩.

(٣) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين): ٥٤٦. ويُنظر تفسير القمّيّ ١/ ٣٦٥، ومناقب أمير المؤمنين ١/ ٢٣٥.

محمَّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهم السلام قال:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **نزل على جبرئيل صبيحة يومٍ فَرِحًا مستبشرًا، فقلت: حبيبي، ما لك فرحًا مستبشرًا؟ فقال: يا محمَّد، وكيف لا أكون كذلك، وقد قرَّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيّك وإمام أُمَّتك عليّ بن أبي طالب؟.**

فقلت: ولِمَ أكرمَ اللهُ أخي وإمام أمَّتي؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته وحَمَلة عرشه، وقال: ملائكتي، انظروا إلى حُجَّتي في أرضي بعد نبيّ محمَّد، وقد عفَّر خدَّه بالتراب؛ تواضعًا لعظمتي، أُشهِدكم أنَّه إمامُ خَلقِي ومولى بريَّتي»[1].

وقد أشار السيِّد ابن طاووس إلى الإسناد الذي ذكره مصنِّف كتاب (نور الهدى) «بالإسناد الذي ذكره مصنِّف كتاب (نور الهدى)، إلى الحسن بن محمَّد بن سعيد الهاشميّ، قال: حدَّثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، قال: حدَّثنا محمَّد بن ظهير قال: حدَّثنا عبد الله بن الفضل الهاشميّ، عن الصادق جعفر بن محمَّد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يومُ غديرِ خُمّ: **أفضلُ أيَّام أُمَّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى بنصب أخي عليّ بن أبي طالب علمًا لأُمَّتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمَّ على أُمَّتي فيه النعمة، ورَضِيَ لهم الإسلام دينًا. ثُمَّ قال صلى الله عليه وآله: معاشرَ الناس، إنَّ عليَّ بن أبي طالب منِّي وأنا منه، عليٌّ خُلقَ مِنْ طينتي، وهو إمام الخلق بعدي، يبيِّن لهم ما اختلفوا فيه من سُنَّتي، وهو أميرُ المؤمنين، وقائد الغرِّ المحجَّلين، ويعسوب الدين، وخير الوصيِّين، وزوج سيِّدة نساء العالمين، وأبو الأئمَّة المهديِّين، معاشرَ الناس، مَنْ أَحبَّ عليًّا أحببته، ومَنْ أبغض عليًّا أبغضته، ومَنْ وصل عليًّا وصلته، ومَنْ قطع عليًّا قطعته، ومَنْ جفا عليًّا جفوته، ومَنْ والى عليًّا واليته، ومَنْ**

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين): ٦١٦، ويُنْظر: ينابيع المودَّة ٧٩ و١٢٦.

عـادى عليًّـا عاديته. معاشرَ الناس، أنا مدينة العلم وعليٌّ بـن أبي طالب بابُها، ولنْ يؤتى المدينة إلَّا من قبل الباب، وكذب من زَعَمَ أنَّهُ يُحِبُّني ويُبغِض عليًّا، معاشر الناس، والذي بعثني بالنبوَّة واصطفاني على جميع البريَّة، ما نصب عليًّا علمًا لأمَّتي في الأرض حتَّى يؤتي الله باسمه في سماواته، وأوجب ولايته على ملائكته»[1].

أمَّا الروايات التي جاءت بلا سـند، في هذين القسـمَين، فقد رصدنا منها روايَتَين، فقط:

الأُولى: التسليم على الإمام عليّ بإمرة المؤمنين بأمر ربِّ العالمين.

قـال ابنُ طـاووس الحِلِّيّ: «فيما نذكره من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله تسـعة رهـط من الصحابة بالتسليم على عليّ بإمرة المؤمنين بأمر ربِّ العالمين، نذكره من كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجي مِنَ الرَدَى) الذي قدَّمنا الإشـارة إليه، وقد كنَّا ذكرنا في كتاب اليقين إسـناد بعض هذا الحديـث بطريق معتمد عليه، ووجدناه ههنا محذوف الإسـناد، فنذكـره بلفظه، فقال- بحذف الإسـناد: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ اللهَ بعث جبرئيل إلى محمَّد أنْ يشـهدَ لعليّ بالولايـة في حياتـه، ويسـمِّيه (أمير المؤمنـين). فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله تسـعة رهط. فقـال: إنَّما دعوتكم لتكونوا شـهداء في الأرض، أقمتم أم كتمتم. وكانوا: حَبْتَر، وزْفَر، وسـلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمَّار، وحذيفة، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلميّ، وكان أصغر القوم. فقال صلى الله عليه وآله للأوَّل: قُمْ فسلِّمْ على عليّ بإمرة المؤمنين. فقال: مِن الله ورسوله ؟ فقال: نَعَمْ. ثمَّ قال للآخر: قمْ فَسـلِّم. فقال مثل قول صاحبه، وأمر الباقين بالسـلام، فلم يَقُلْ أحدٌ منهم كمقالهما، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

(١) التحصـين لأسرار مـازاد من أخبـار كتاب (اليقـين) ٥٥٠-٥٥١. الأمالي، للشـيخ الصدوق ١/ ١٨٨، غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام ٣/ ٣٣٢.

(٢) سورة النحل ٩٠-٩٤.

وخرجا ويد كلِّ واحد منهما في يد صاحبه، وهما يقولان: والله لا يُسلِّم له شيئًا ممَّا قال أبدًا. قال: فسمعها غلامٌ حَدَثُ السِّنِّ مِن الأنصار، فقال لهما: ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقلتم: (لا يُسلِّم) ؟ قالا: ما أنت وذاك، امْضِ إلى عَمَلك! قال: واللهِ ما ناصحت اللهَ ورسولَهَ إنْ مَضَيْتُ. قالا: إذن والله نَحْلِفُ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله فيصدِّقنا ويكذِّبك. قال: والله أنِّي ما أبرح حتَّى يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله أو يؤذَن لي عليه. فاستأذن ودخل، فقال: يا رسول الله، بأبي وأمي، إنَّ فلانًا وفلانًا خرجا وهما يقولان: والله ما يسلِّم له قال أبدًا. فقال صلى الله عليه وآله: فعلًا وربِّ الكعبةِ. وقد أخبرني الله بما قالا وبما هما قائلان. عليَّ بهما، فجيء بهما، فقال: ما قلتما آنفًا ؟ فقالا: والذي لا إلهَ إلَّا هو، ما قلنا شيئًا! قال: والله هو أصدق منكما، وقد أخبرني الله بمقالتكما، وأنزل عليَّ كتابًا: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾[1]، قال: وكان من رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان وولَّى، وكان بريدة غائبًا، فلَّما قَدِم قال: أنسيت أم تناسيت أم جهلت أم تجاهلت؟ أوَما سلَّمنا عليه بإمرة المؤمنين، وكنت أصغر القوم سنًّا ؟ قال: بلى، ولكن غبت وحضرنا، والأمر يحدث بعده للأمَّة، ولم يكنْ ليجمع الله الملك النبوَّة والخلافة لأهل البيت»[2].

الثانية: قيام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالحقِّ والصواب، وشهادة الحَبْرِ من اليهود بأنَّه عليه السلام أحقُّ بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن طاووس: إنَّ هذه الروايّة جاءت بلا سند؛ لأنَّ الحديث دالٌّ على صدق ما جرت عليه الحال، وفيه حديث أصحاب الكهف مشروحًا، فقال: ما هذا لفظه: «لـمَّا جلس عمر بن الخطَّاب في الخلافة، أتاه قومٌ من أحبار اليهود من بلد الشام، فقالوا: أنت خليفة رسول الله؟ قال: نعم. قالوا: نحنُ رُسُلِ أحبار اليهود- يهود الشام- جئناكم

(١) سورة النحل ٩٤.

(٢) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٣٧-٥٣٨، وينظر: الأمالي للشيخ المفيد ٧/ ١٨.

لنسألكم مسائل، فإنْ أجبتمونا بما هو مكتوب في التوراة ،علمنا أنَّ دينكم حقٌّ، وأنَّ نبيَّكم صادق، وإنْ لم تجيبونا علمنا أنَّ نبيَّكم كان كاذبًا، وأنَّ دينكم باطل. قال: سَلُوني عمَّا بدا لكم. قالوا أخبرنا أي شيء لم يخلق (الله)، وأي شيء لا يعلمه الله، وأي شيء ليس لله، وأي شيء ليس من الله، وأيّ قبرٍ سار بأهله، وأيّ موضعٍ طلعت عليه الشمس مرَّة ولم يطلع بعد هناك، ولا يطلع بعده إلى يوم القيامة ؟ فأطرق عمر مليًّا، ثمَّ قال: لا عيبَ على عمر إذا سُئِلَ عمَّا لا يعلم أنْ يقول لا أعلم! فقالت اليهود: ألستَ تزعُمُ أنَّك خليفة رسول الله؟ وقد علمنا أنَّ نبيَّكم كان كاذبًا، وأنَّ دينكم باطلٌ. فقام سلمان الفارسيّ حتَّى أتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فقال له: يا أبا الحسن، أَغِثِ الإسلامَ، فقام عليّ عليه السلام فارتدى وانتعل، وأقبل حتَّى دخل على عمر. فلَّما رآه عمر قام إليه فاعتنقه، فقال: لكلِّ شديدةٍ تُدْعى يا أبا الحسن. فجلس عليٌّ عليه السلام فحَمِد الله وأثنى عليه، وصلَّى على رسوله صلوات الله عليه. ثمَّ قال: **سَلُوني معاشر اليهود، فإنَّ أخي رسول الله علَّمني أَلف بابٍ من العلم، يخرج من كلِّ بابٍ ألف حديث، وما نزل شيٌ منَ التوراة والإنجيل إلَّا أخبرني به**. فقالت اليهود: أخبرنا أيَّ شيء لم يخلق الله؟ وأي شيء لا يعلم الله؟ وأي شيء ليس لله؟ وأي شيء ليس من الله؟ وأي قبر سار بصاحبه؟ وأي موضع طلعت عليه الشمس مرَّة ولم تطلع قبله ولا بعده عليه إلى يوم القيامة؟ وأي شيء يقول الضفدع في نقيقه والفرس في صهيله والحمار في نهيقه؟ وأخبرنا ما الواحد والاثنان؟ وما الثلاثة وما الأربعة وما الخمسة وما الستة وما السبعة وما الثمانية وما التسعة وما العشرة وما الأحد عشر وما الاثني عشر؟.

قال عليّ عليه السلام: **لا حول وقوَّة إلَّا بالله، يا أخا اليهود، أن أخبرتك بما في التوراة أتسلمون وتَقُرُّون نبيّنا؟ قالوا: نعم، قال: أمَّا قولكم (أي شيء لم يخلق الله) فإنَّ المعاصي ليس ممَّا خلقها الله. وأمَّا قولكم (أي شيء ليس لله) فليس لله شريك ولا ولد، وأمَّا**

قولكم (أي شيء ليس من الله)، فليس من الله الجَور، بل العدل حكمه، وأُمِرْنا أنْ نعدل، وأمَّا قولكم (أي شيء لا يعلم الله) فلا يعلم الله أنَّ في السماوات والأرض إلهًا غيره. وأمَّا قولكم (أيُّ قبر سار بأهله) فتلك الحوت التي ابتلعت يونس بن مَتَّى، فطافت به سبعة أبحر في ثلاثة أيَّام. وأمَّا قولكم (أيُّ موضع طلعت عليه الشمس مرَّة ولم تطلع قبلها ولا بعدها)، فذلك البحر بحر مصر، إذْ قال الله: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]، فأنجى الله موسى وغرق فرعون، فطلعت عليه الشمس يومئذ، ولم يطلع قبله ولا بعده إلى يوم القيامة. وأمَّا قولك (ما يقول الضفدع في نقيقه)، فإنَّه يسبِّح الله، ويقول: سبحان ربِّي المعبود في لجج البحار. وأمَّا قولك (أي شيء يقول الفرس في صهيله)، فإنَّ الفرس يستنصر على أعدائه الكافرين. وأمَّا الحمار فإنَّه ينهق في عين الشيطان، ويلعن مبغض أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وعلى أهل بيته). وأما الواحد، فالله واحد لا شريك له. والاثنان آدم وحوَّاء، والثلاثة فالأيَّام التي وعد الله زكريا ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[2]، وإنْ شئت فالأيَّام التي وعد الله قوم صالح، فقال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾[3]، وأمَّا الأربعة: فجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وأمَّا الخمسة: فخمس صلوات افترضها على أمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، ولم يفترضها على سائر الأمم، وأمَّا الستَّة: فخلق السماوات والأرض في ستَّة أيَّام، وأمَّا السبعة: فهي أبواب جهنَّم، وأمَّا الثمانية: فهي أبواب الجنَّة، وأمَّا التسعة فالمرأة تحمل ولدها تسعة أشهر، والعشرة فالأيَّام التي وعد الله موسى عليه السلام، إذْ قال: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾[4]، والأحد عشر فإخوة يوسف، إذْ قال: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ

(١) سورة الشعراء ٦٣.

(٢) سورة مريم ١٠.

(٣) سورة هود ٦٥.

(٤) سورة الأعراف ١٤٢.

عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[1]، والأثنى عشر فشهور السنة اثنا عشر شهرًا»[2].

ثانيًا: الوثائق التأريخيَّة في كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجي من الرَّدى)

من الوثائق التأريخيَّة المهمَّة التي ذكرها الحسن الجاوانيّ في كتابه (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى) خطبة (يوم الغدير)، قال ابن طاووس: «فيما نذكره من خطبة (يوم الغدير) وفيها من رجال المخالفين، بتسمية النبيّ صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام عدَّة مرات (أمير المؤمنين)، نذكرها من كتاب: نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى»[3].

وبالنظر لطول هذه الخُطْبة، ارتأينا أنْ تكونَ على شكل فِقْرات؛ من أجل إتمام الفائدة:

١. توحيد الله عزّ وجلّ وتفرُّده بالسلطان الأعظم.

٢. ضمان العصمة للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّه مبلِّغ الرسالة، وأنَّ عليًّا أخوه ووصيُّهُ وخليفته: «أُوحي إليّ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4]، معاشر الناسِ، وما قصرَّت فيما بلغت، ولا قعدت عن تبليغ ما أنزله، وأنا أبيِّن لكم سبب هذه الآية: إنَّ جبرئيل عليه السلام هبط إليّ مرارًا ثلاثًا فأمرني عن السلام ربّ

(١) سورة يوسف ٤.
(٢) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٤٢-٦٤٥.
(٣) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٧٨. ويُنْظر: روضة الواعظين ١/ ٨٩، الاحتجاج للطبرسيّ ١/ ٦٦. بحار الأنوار ٣٧/ ٢٠١-٢٠٧، موسوعة أَحاديث أَهل البيت، هادي النجفي ٨/ ٥٧.
(٤) سورة المائدة ٦٧.

السلام أنْ أقوم في هذا المشهد وأُعلم كلَّ أبيض وأسود: أنَّ عليًّا بن أبي طالب أخي ووصيِّي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محلُّه منِّي محلَّ هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي، وليُّكم بعد الله ورسوله، نزل بذلك آية هي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[1]، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله تعالى في كلِّ حال»[2].

٣. وجوب تبليغ الناس أمر الله ولاية الإمام عليّ عليه السلام: «كلّ ذلك لا يُرضى الله مني إلّا أنْ أُبلغَ ما أُنزلَ إليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[3]، واعلموا معاشَر الناسِ ذلك وافهموه، واعلموا أنَّ اللهَ قد نَصَّبَه لكم وليًا وإمامًا، فرضَ طاعته على المهاجرين والأنصارِ، وعلى التابعين بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجميّ والعربيّ، وعلى الحرِّ والمملوك والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كلِّ موجودٍ ماضٍ حكمه، وجاز قوله، ونافذ أمره. ملعونٌ مَنْ خالفه، ومرحومٌ مَنْ صدَّقه، قد غفر الله لمَنْ سَمِعَ وأطاعَ لَهُ»[4].

٤. لزوم تفضيل عليّ عليه السلام والقبول بتنصيب الله عز وجل له بالإمامة: «معاشرَ الناسِ، فضّلوه فقد فضلّه الله، و أقبلوه فقد نصَّبَهُ الله، معاشرَ الناسِ، إنَّهُ إمامٌ مِن الله، ولنْ يتوبَ الله على أحد أنكره، ولنْ يغفرَ اللهَ له، حتمًا على الله أنْ يفعل ذلك

(١) سورة المائدة ٥٥.

(٢) التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٠-٥٨١. ويُنْظَر: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ ٩٢.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

(٤) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٠.

وأنْ يعذبه عذابًا نُكرًا أبد الأبد ودهر الدهر، واحذروا أنْ تخالفوا فتصلوا بنار ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]. معاشَر الناسِ، لي والله بشرى لأكون من النبيِّن والمُرْسلين والحُجَّة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرَضين، فمَنْ شكَّ في ذلك فقد كَفَرَ كُفرَ الجاهليَّة الأولى، ومَنْ شكَّ في شيءٍ من قولي، فقد شكَّ في الكلِّ منه، والشاكُّ في ذلك في النار، معاشرَ الناسِ، حباني الله بهذه الفضيلة منًّا منهُ عليَّ وإحسانًا منه إليَّ، لا إله إلَّا هو، ألَا له الحمد منِّي أبد الأبد ودهر الدهر على كلِّ حال، معاشرَ الناسِ، فضِّلوا عليًّا فهو أفضل الناس بعدي»[2].

٥. وجوب تدبُّرِ القرآنِ وفَهْم آياتِهِ: «معاشرَ الناس: تدبَّروا القرآنَ وافهموا آياته ومحكماته، ولا تبتغوا متشابهه، فو اللهِ لنْ يبيِّنَ لكم زواجره، ولنْ يوضِّحَ لكم تفسيره إلَّا الذي أنا آخذ بيده ومُصعِده إليَّ وشائل عَضُده ورافعها بيدي ومعلِّمكم: مَنْ كنتُ مولاه فهو مولاه، وهو عليّ بن أبي طالب، أخي ووصيِّي، أمرٌ منَ الله نزَّله عليَّ»[3].

٦. الإمام عليّ عليه السلام وأولاده الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر: «معاشرَ الناسِ إنَّ عليًّا والطيِّبين من ولدي من صلبه، هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، وكلُّ واحدٍ منهما مبنيٌّ على صاحبه، لنْ يفترقا حتَّى يرِدَا عليَّ الحوض، أمرٌ من الله في خلقه وحكمه في أرضه. ألَا وقد أدَّيت، ألَّا وقد بلَّغت، إلَا وقد

(١) سورة البقرة ٢٤.

(٢) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٢-٥٨٣، وينظر الاحتجاج للطبرسيّ ١/ ٧٤، وبحار الأنوار ٣٧/ ٢٠٨.

(٣) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٣، ويُنظر: بحار الأنوار ٣٧/ ٢٠٩، البرهان في تفسير القرآن، للسيِّد هاشم البحرانيّ ٢/ ٢١٠.

أسمعت، إلَّا وقد نصحت، إلَا أنَّ الله تعالى قال وأنا قلت عن الله: ألَا وإنَّه لا أمير للمؤمنين غير أخي هذا، ألَّا ولا يحلُّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره»[1].

٧. الإمام عليّ عليه السلام أنصرُ الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأحقُّ الناس به: «معاشرَ الناسِ إنَّ اللهَ أمرني ونهاني، وقد أمرت عليًّا ونهيته، وعلم الأمر والنهي لديه، فاسمعوا لأمره، وتناهوا لنهيه، ولا يفرّق بكم السبل عن سبيله. معاشرَ الناس، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم الله أن تسلكوا الهدي إليه، ثمَّ عليّ من بعدي، ثمَّ وُلدي من صُلبهِ أئمَّة الهدى، يهدون بالحقِّ، وبه يعدلون»[2].

٨. الإمام عليّ عليه السلام هو المؤمن والراضي، وهو نور الله وأهل بيته حتَّى القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «في عليّ- والله- نزل سورة والعصر: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[3]، إلَّا عليّ الذي آمن ورضي بالحق والصبر. معاشر الناس، قد أشهدني الله وأبلغتكم ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[4]، معاشر الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[5]، معاشر الناس: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[6]، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾[7]. معاشر الناس، النور

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٣.

(٢) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٤، بحار الأنوار ٨١/ ٧٠.

(٣) سورة العصر ١-٢.

(٤) سورة المائدة ٩٩.

(٥) سورة آل عمران ١٠٢.

(٦) سورة التغابن ٨.

(٧) سورة النساء، من الآية ٤٧.

من الله تعالى فيَّ، ثُمَّ مسلوك في عليّ، ثمَّ في النسل منه إلى القائم المهديّ الذي يأخذ بحقّ وبكلِّ حقٍّ هو لنا بقتل المقصِّرين والغادرين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين»[1].

٩. الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته مصدر الهداية، الزموا طاعتهم جميعًا: «معاشر الناسِ إنَّ الله أمرني ونهاني، وقد أمرت عليًّا ونهيته، وعلم الأمر والنهي لديه، فاسمعوا لأمره، وتنهوا لنهيه، و السبل عن سبيله، معاشرَ الناس، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم الله أنْ تسلكوا الهدي إليه، ثمَّ عليّ من بعدي، ثمَّ وُلدي من صلبه أئمَّة الهدى يهدون بالحقِّ، وبه يعدلون، ثمَّ قرأ صلى الله عليه وآله الحمدُ، وقال: فيمن ذكرت فيهم، والله فيهم نزلت، ولهم والله شملت، وآباءَهم خصَّت وعمَّت، أولئك أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، و﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3]»[4].

ثالثًا: إيراد المناظرات العلميَّة في ضوء الروايات المنقولة

في ظلِّ استقراء ما ورد في كتاب (التحصين لأسرارِ ما زادَ من كتابِ اليقينِ)، ولاسيَّما القسمان الأوَّل والثاني من هذا الكتاب، اللَّذان هما مادَّة كتاب الحسن الجاوانيّ الموسوم بـ(نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى)، نظفر بمجموعة من المناظرات التي تعدُّ مادَّة تاريخيَّة مهمَّة، وقد أقرَّ السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس بهذه الحقيقة التي رَصَدَها في هذا الكتاب، قال: «نذكر ذلك من كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى)، تأليف الحسن بن أبي طاهر الجاوانيّ، وعليه خطُّ المقرِي الصالح محمَّد بن هارون بن الكمال،

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٥.
(٢) سورة يونس ٦٢.
(٣) سورة المائدة ٥٦.
(٤) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٧.

بأنَّه قَدِ اتفَّق مع مصنِّفه على تحقيق ما تضمَّنه كتابه من تحقيق الأخبار والأحوال»[1]، نقل ابنُ طاووس من كتابِ (نُورِ الهُدى والمُنْجِّي من الرَّدَى): «عن ابن عبَّاس: كان جالسًا بمكَّةَ يحدِّث على شفير زمزم، فلَّما قضى حاجته، نهض إليه رجل من القوم، وقال: يا ابن عبَّاس، إنِّي رجلٌ من أهل الشام. قال: عون كلِّ ظالمٍ إلَّا مَنْ عصمه الله منكم! سَلْ عمَّا بَدَا لك. قال: يا ابنَ عبَّاس، إنِّي جئت أسألك عن عليّ عليه السلام، وعن قتاله أهل لا إله إلَّا الله، أيكفروا بقتاله وهم يَحُجُّون ويصومون شهر رمضان؟ فقال: ثَكَلَتْكَ أُمُّك، سَلْ عمَّا يعنيك، ولا تَسَلْ عمَّا لا يعنيك»[2].

وسنصطفي مناظرَتينِ، الأُولى: مناظرة ابن عبَّاس، والثانية: مناظرة أُمّ سلمة.

الأُولى: مناظرة ابن عبَّاس مع رجل من أهل الشام

وتضمُّ سؤال رجل من أهل الشام ابن عبَّاس عن عليّ عليه السلام، وقتاله أهل لا إله إلَّا الله. قال سائلًا ابن عبَّاس: «يا عبدَ الله، ما جئتُ أُضربُ من أجل حَجٍّ ولا عُمْرة، ولكنْ جئتُك لتشرح لي أمر عليّ وقتاله، فقال: ويْحَك إنَّ علم العالم صعبٌ لا يحمل ولا يقرُّ به القلوب. إنَّ عليًّا مثله في هذه الأُمَّة كمثل موسى والعالِم، وذلك أنَّ الله تعالى قال لموسى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وقال: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾[4]، وكان يرى أنَّ جميعَ الأشياءِ أثبتت له، كما ترون أنتم أنَّ علماءَكم قد أثبتوا لكم جميع الأشياء، فلَّما انتهى إلى ساحل البحر أتى موسى العالم واستنطقه، فأقرَّ له موسى بالفضل عليه، ولم يحسده كما حسدتم أنتم عليًّا في فعاله، فقال له موسى- ورغب إليه: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٩٥.
(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٤٤.
(٣) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٦٤.
(٤) سورة الأعراف ١٤٥.

عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[1]؟ فعلم العالم أنَّ موسى لا يطيق صحبته، ولا يصبر على علمه، فقال له: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾[2]، فقال له موسى عليه السلام، وهو يعتذر إليه: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾[3]، فعلم العالم أنَّ موسى لا يصبر على علمه، فقال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾[4]، فركب السفينة، فخرقها العالم، وكان خرقها لله رضا، وسخط لذلك موسى عليه السلام، ولَقِي الغلام فقتله وكان قتله لله رضا، وأقام الجدار وكان إقامته لله رضا، وموسى سخط»[5].

الثانية: مناظرة أُمّ سلمة

وهي زوج المصطفى صلى الله عليه وآله، مع مولَى لها ينتقص عليًّا عليه السلام، إذ تضمَّنت هذه المناظرة أنَّ مولًى لأُمّ سلمة (زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، ينتقص عليًّا ويتناوله، فأرسلت إليه، فلمَّا صار إليها، قالت له: «يا بُنيَّ بلغني أنَّك تنتقص عليًّا وتتناوله؟ قال: نعم يا أمَّاه، قال: فغضِبت، وقالت: أُقعد، ثكلتك أمُّك، حتَّى أحدِّثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ اختر لنفسك. إنَّا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فاتيت الباب فقلت: أأدخل يا رسول الله؟ قال: لا، قالت: فكبوت كبوة شديدة، مخافة أنْ يكونَ ردَّ لي سخطة أو نزل فيَّ شيء من السماء. ثمَّ لم ألبث أن أتيت الباب الثانية، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت كبوة أشدّ من الأوَّل، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثَ حتَّى أتيت الباب الثالثة، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: أدخلي يا أُمّ سلمة، فدخلت وعليّ عليه السلام جاثٍ بين يديه، وهو يقول: (فداك أبي

(١) سورة الكهف ٦٦.
(٢) سورة الكهف ٦٧.
(٣) سورة الكهف ٦٩.
(٤) سورة الكهف ٧٠.
(٥) التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٦٤-٥٦٥. وينظر: الهمَّة في آداب اتِّباع الأئمَّة ٧٥.

وأمّي يا رسـول الله، إذا كان لدى ولدي فما تأمرني؟)، قال: أمرك بالصبر، ثمَّ أعاد عليه القـول ثانيـة، فأمره بالصبر، فأعـاد القول عليه الثالثـة، فقال له: **يا عـليُّ، إذا كان ذلك منهم، فسَل سيفك، فضعه على عاتقك، واضرب قدمًا قدمًا حتَّى تلقاني، وسيفك شاهر يقطـر مِنْ دمائهم**. ثمَّ التفت إليَّ، فقال لي: والله ما هذه الكآبة يا أُمّ سـلمة؟ قلت: الذي كان مِنْ ردِّك لي بابي يا رسـول الله. فقال لي: **واللهِ ما رددتك من موجدة وإنَّك لعلى خيرٍ من الله ورسـوله، ولكن أتيتني وجبرئيل يخـبرني الأحداث التي تكون بعدي، وأمرني أنْ أُوصي بذلك عليًّا. يا أُمَّ سلمة اسمعي واشهدي، هذا عليٌّ بنُ أبي طالبٍ وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة. يا أُمَّ سـلمة اسـمعي واشهدي، هذا عليّ بن أبي طالب حامل لوائي وحامل لواء الحمد غدًا في القيامة. يا أُمَ سـلمة اسـمعي واشهدي هذا عليٌّ بنُ أبي طالب وصيِّـي وخليفتـي من بعدي وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي. يا أُمَّ سـلمة اسـمعي واشـهدي، هذا عليٌّ بن أبي طالب سـيِّد المسلمين وإمام المسـلمين وقائد الغرِّ المحجَّلين وقاتل الناكثين والقاسـطين والمارقين**. قلت: يا رسـول الله، مَـنِ الناكثونَ ؟ قال: **الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة**. قلت: من القاسـطون؟ قال: **معاوية وأصحاب أهل الشام**. قلت: مَنِ المارقونَ ؟ قال: **أصحاب النهروان**. فقال مولى أُمّ سلمة: فرَّجْتَ عنِّي، فرَّج الله عنك، والله لا سببت عليًّا أبدًا»[1].

رابعًا: الشواهد القرآنيّة في إمامة عليّ عليه السلام وأبنائه

تبـدَّى لنا في ظلِّ معاينة القسـمَين اللَّذيـن نقلهما السـيِّد رضيّ الدين بن طاووس الحِلِّيّ من كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجي مِنَ الرَدَى)، أنَّ الشـاهد القرآنيّ كان حاضرًا فيها، ولاسـيَّما في بيان إمامة عليّ وابنائه، وسـنحاول أنْ نذكر هذه الشواهد بحسب ورودها بالتسلسل:

(١) التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٠٦-٦٠٧.

أ). سُئل النبيُّ صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1]، قال: **قد نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. و(طُوبَى) شجرة في دار أمير المؤمنين في الجنَّة، ليس في الجنَّة شيء إلَّا وهو فيها**[2].

ب). أنَّه سُئل عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]. قال: سأل قومٌ النبيّ صلى الله عليه وآله: فيمن نزلت هذه الآية يا نبيّ الله؟ قال: **إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض فإذا منادٍ: ليقم سيِّد المؤمنين ومعه الذين آمنوا، فقد بعث محمَّد صلى الله عليه وآله. فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام، فيعطي اللواء من النور الأبيض بيده تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يخلطهم غيرهم**[4].

ج). قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[5]، يعني للسابقين الأولين والمؤمنين وأهل الولاية [6].

د). قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[7]، يعني بالولاية بحقِّ عليّ، وحقّ عليّ الواجب على العالمين[8].

(١) سورة الرعد ٢٩.
(٢) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٤٦، بحار الأنوار ٣٩/ ٢٢٦، المناقب المزيديَّة ٢/ ٢٤.
(٣) سورة المائدة ٩.
(٤) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٥٦. وشواهد التنزيل، الحاكم النيسابوري ٢/ ٢٥٣.
(٥) سورة الحديد، من الآية ١٩.
(٦) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٥٧.
(٧) سورة الحديد، من الآية ١٩.
(٨) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٥٧، وكشف الحقّ، العلامة الحِلِّيّ: ١/ ٩٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٤٢٣.

هـ). قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1]، إذا كان يومُ القيامة أمر الله ملَكَين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحد إلَّا ببراءة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، ومَنْ لا يكون معه براءة أمير المؤمنين أكبَّه الله على شجرة في النار[2].

و). إنَّ عليًّا مثله في هذه الأُمَّة كمثل موسى والعالم، وذلك أنَّ الله تعالى قال لموسى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وقال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾[4]، يرى أنَّ جميع الأشياء أثبتت له، كما ترون أنتم أنَّ علماءكم قد أثبتوا لكم جميع الأشياء[5].

ز). قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[6]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «معاشر الناس، وما قصرت فيما بلَّغت، ولا قعدت عن تبليغ ما أنزله، وأنا أُبيِّنُ لكم سبب هذه الآية: إنَّ جبرئيل هبط إليّ مرارًا ثلاثًا فأمرني عن السلام ربِّ السلام أنْ أقومَ في هذا المشهد، وأُعلم كلَّ أبيض وأسود: أنَّ عليَّ بن أبي طالب أخي ووصيِّي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محلُّه منِّي محلّ هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»[7].

(١) سورة الصافَّات ٢٤

(٢) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٥٨، وبحار الأنوار ٣٦/ ٧٢، بشارة المصطفى ١٤٧.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٤٤.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٤٥.

(٥) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٦٤.

(٦) سورة المائدة، من الآية ٦٧.

(٧) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٠.

ح). قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1]، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «اللَّهمَّ، إنَّك أنزلت الآية في عليّ وليك عند تبين ذلك ونصبك إيَّاه لهذا اليوم»[2].

ط). قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾[3]، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس، النور من الله تعالى فيَّ، ثُمَّ مسلوك في عليّ، ثُمَّ في النَّسل منه»[4].

ي). قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5]، قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى أهل بيته): «الأُسرة من نوح، والآل من إبراهيم، والصفوة والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمَّد عليه وعليهم السلام. شرفٌ شرَّفهم وبه، أخذوا الفضل من فوقهم»[6].

ك). قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾[7]، و﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[8]، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «أنزلها الله عزّ وجلّ في الأنبياء وأوصيائهم، وأنا أفضل أنبياء الله ورسله، وعليّ بن أبي طالب وصيِّي أفضل الأوصياء»[9].

(١) سورة المائدة، من الآية ٣.
(٢) ينظر: التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٤
(٣) سورة التغابن، من الآية ٨.
(٤) ينظر: التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٥٨٥.
(٥) سورة آل عمران ٣٣-٣٤.
(٦) ينظر: التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٠٩.
(٧) سورة التوبة ١٠٠.
(٨) سورة الواقعة ١٠-١١.
(٩) ينظر: التحصين لأسرار مازاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٣٢.

ل). قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]، قال «قال أناس: يا رسولَ الله أخاصَّة في بعض المؤمنين أو عامَّة لجميعهم؟ فأمر الله ﷻ نبيَّه أنْ يعلِّمهم ولاة أمرهم، وأنَّ لهم من زكاتهم وصلاتهم وصومهم وحجِّهم، فنصبني للناس بغدير خُمٍّ»[2].

م). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[3]، نقل ابن طاووس من كتاب (نورُ الهُدى والمُنْجِي من الرَّدَى): «**أيُّها الناس، أتعلمون أنَّ الله أنزل في كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾، فجمعني وفاطمة وابنيَّ الحسن والحسين، ثمَّ ألقى علينا كساءه وقال: اللَّهمَّ هؤلاء أَهل بيتي ولحمتي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، فأذهب عنهم الرجس وطَهِّرهم تطهيرًا**»[4].

(١) سورة النساء، من الآية ٥٩.

(٢) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.

(٤) ينظر: التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب (اليقين) ٦٣٥، سورة الأحزاب ٣٣، وينظر أيضًا: غاية المرام، للسيِّد هاشم البحرانيّ ١/ ١٤، التفسير الصافي، للفيض الكاشانيّ ٦/ ٤٣، ينابيع المودَّة، للقندوزيّ ١/ ٣٤٤-٣٤٨.

خاتمة البحث ونتائجه

ونحنُ نسدل الستار عن بحثنا الموسوم بـ(فيما وصل إلينا من كتاب نورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى)، نَحمد الله تعالى على أن وصلنا إلى خاتمته، وقد تحصَّلت لنا مجموعة من النتائج، منها:

الأُولى: ظَهَرَ أنَّ لمدينة الحِلَّة تراثًا عظيمًا وإرثًا واسعًا، فقد أَنجبت هذه المدينة العلماء والمفكرينَ الذين كانَ لهم أثرٌ واضحٌ في نشر العلم، والإسهام في كشف المعرفة الإسلاميَّة.

الثانية: كَشَفَ البحث عن أَهميَّة هذا الأثر (نورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى) للحسن الجاوانيّ الحِلِّيّ؛لأَنَّهُ حَوَى روايات عظيمة المضمون، جليلة القدر، في إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، تُعدُّ تراثًا نفيسًا في هذا الملمح العقديّ الكبير.

الثالثة: استبان لنا أنَّ الحسن الجاوانيّ في كتابه القيم (نورُ الهُدَى والمُنْجِي مِنْ الرَّدَى) قد مارس منهجيَّة دقيقة في كتابه، من حيث التقسيمات الموفَّقة والآليَّات الرصينة من نحو: ذِكر الروايات مُسندة، واتِّباع الأساليب الحجاجيَّة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في ضوء المناظرات الاستدلاليَّة الحجاجيَّة، فضلًا عن التوثيق التاريخيّ الذي يدلُّ على معرفة بالأحداث التاريخيَّة المتعلِّقة بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وكذلك نَلْمَحُ الاستشهادات القرآنيَّة التي تمثِّل شواهد فعَّالة في مدوَّنته (نور الهدى والمُنجي من الرَّدى).

الرابعة: دعوة الباحثين إلى البحث عن تراث علماء الحِلَّة، ولاسيَّما المفقود؛ من أجل إخراجه إلى النور، والدعوة خاصَّة إلى البحث عن كتاب (نور الهدى والمُنجي من الرَّدى) كاملًا؛ من أجل تحقيقه وإخراجه إلى النور؛ لما فيه من فائدة جليلة وخدمة عظيمة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبيان أحقيَّته في تولِّي أمور المسلمين بعد انتقال المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى.

مصادر البحث ومراجعه

* القرآن الكريم.

- الاحتجاج، أَحمد بن عليّ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.
- الأمالي، الشيخ محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- أنيسُ النفوسِ في تراجمِ رجال آل طاووس، محمود الأَركانيّ البهبهائيّ الحائريّ، ط١، نشر دار الهدى، قم، ١٣٨٢هـ.
- بحار الأنوار، محمَّد باقر بن محمَّد تقي الأصفهانيّ، العلَّامة المجلسيّ (ت١١١١هـ)، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، عماد الدين أبو جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطبريّ (ت٥٥٤هـ)، تحقيق: جواد الفيوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المقدَّسة، ١٤٢٠هـ.ق.
- التحصين لأسرار ما زاد عن كتاب اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: الأنصاريّ، ط١، نمونه، مؤسَّسة دار الكتاب (الجزائريّ)، قم، ١٤١٣هـ.

- التفسير الصافي، المولى محسن الملقَّب بـ(الفيض الكاشانيّ) (ت١٠١٩١هـ)، صحَّحه وعلَّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، ط٢، منشورات مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦هـ.
- تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتحقيق: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، مؤسَّسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.
- الذَّريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.
- روضة الواعظين، محمَّد بن الفتَّال النيسابوريّ (ت ٥٠٨هـ)، تقديم: محمَّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، (د.ت).
- رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله أَفندي الأصبهانيّ (ت١١٣٥هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، عبيد الله بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوريّ (من أعلام القرن الخامس)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ١٤١١هـ.
- غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعام، السيِّد هاشم البحرانيّ، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، ط١، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، ٢٠٠١م.

- كنز الفوائد، للإمام أَبي الفتح الشيخ محمَّد بن عليّ بن عثمان الكراجكِّيّ الطرابلسيّ (ت٤٤٩هـ)، حقَّقه وَعَلَّق عليه العلَّامة الشيخ عبدالله نعمة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- مناقب آل أبي طالب، محمَّد بن عليّ ابن شهر آشوب (ت١١٩٢هـ)، المطبعة الحيدريَّة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمَّد بن سليمان الكوفيّ (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- نهج الحقِّ وكشف الصدق، العلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، تقديم: السيِّد رضا الصدر، تعليق الشيخ عبد الله الحسينيّ الأمويّ، دار الهجرة، قم، ١٤٢١هـ.
- الهمَّة في آداب اتِّباع الأئمَّة، للقاضي نعمان محمَّد المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمَّد كامل حسين، دار الفكر العربيّ، القاهرة، (د.ت).
- اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة أمير المؤمنين، والتحصين لأسرار ما زاد من أخبار اليقين، السيِّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس الحِلِّيّ، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ، محمَّد صادق الأنصاريّ، ط١، مؤسَّسة الثَّقَلين لإحياء التراث الإسلاميّ، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ينابيع المودَّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، ط١، دار الأسوة، قم، ١٤١٦هـ.

البحوث المترجمة

المنهج الكلاميّ عند المقداد السيوري الحِلِّيّ
الشيخ عليّ الربَّانيّ الكلبايكانيّ

الشيخ محمَّد فرضي بوريان
طالب دكتوراه في علم الكلام الإسلاميّ
ترجمة : أيُّوب ناصر نعمة

The Speech Approach According to Al-Miqdad Al-Siuri Al-Hilli Sheikh Ali Al-Rabbani Al-Kalpayani

Sheikh Muhammad Fardi Bourian
Ph.D. Student in Islamic Theology
Translated by: Ayoub Nasir Niema

لمحة عن حياته وشخصيَّته العلميَّة

أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد السيوريّ الأسديّ الحِلِّيّ الغرويّ النجفيّ، المعروف بالفاضل المقداد، ولِد في قرية سيور التابعة لمدينة الحِلَّة، لم يضبط تأريخ ولادته، أمَّا وفاته فكانت في النجف عام ٨٢٦هـ[١].

وكان رحمه الله من العلماء الكبار في العلوم، كـ: الفقه، والأصول، والكلام، والفلسفة، ولذا له مكانة رفيعة عند الفقهاء، ومنزلة مرموقة عند المتكلِّمين، ومن أبرز أساتذته في الفقه الشهيد الأوَّل[٢].

وبرع الفاضل المقداد فيما تداول في عصره من العلوم والحقول المعرفيَّة المختلفة، العقليَّة والنقليَّة كـ: علم الكلام، والفلك، والفقه، والأصول، وعلوم اللغة والأدب، ولهذا نطالع في آثاره خوضه المجالات العلميَّة المختلفة، فله من الآثار والتأليف والتصنيف الكثير، ففي الآدب: (تجويد البراعة في شرح تجريد البلاغة)، وهو شرح لعلمَي المعاني والبيان، وفي الحديث: (أربعون حديثًا)، وهو شرحٌ لأربعين حديثًا من الأحاديث الأخلاقيَّة للمعصومين عليهم السلام، و(الأدعية الثلاثون)، وهو شرح لثلاثين دعاء عن النبيّ وأهل البيت عليهم السلام، والتفسير (كنز العرفان في فقه القران)، في آيات الأحكام.

(١) لاحظ: هامش روضات الجنَّات: ٧/ ١٧٥.

(٢) راجع: المصدر نفسه: ١٥.

وأنَّه كتب في الفقه، مثل: (آداب الحجِّ)، وهو تفسير مناسك الحجِّ، و(نضد القواعد الفقهيَّة)، وهو تدوين وتقرير جديد من كتاب: (القواعد والفوائد) للشهيد الأوَّل، و(التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع)، ويمثِّل هذا الكتاب خلاصة فقهيَّة من مبحث الطهارة إلى الديات، و(جامع الفوائد في تلخيص القواعد)، وهو شرح كتاب الفوائد للشهيد الأوَّل، و(شرح الألفيَّة) للشهيد الأوَّل.

و دوَّن في علم الكلام: (اللوامع الإلهيَّة في شرح المباحث الكلاميَّة)، و(إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين)، وهو شرحٌ على كتاب (نهج المسترشدين في أصول الدين) للعلَّامة الحِلِّيّ، و(شرح الفصول النصيريَّة) للمحقِّق نصير الدين الطوسيّ، و(الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد) للعلَّامة الحِلِّيّ، و(النافع ليوم الحشر) شرح لكتاب (الباب الحادي عشر) للعلَّامة الحِلِّيّ[1].

أقوال العلماء في الفاضل المقداد

ذكر العلماء واصحاب التراجم والرجال «الفاضل المقداد» بألقاب وأوصاف كثيرة تدلُّ على عظمته ومنزلته المتميِّزة، أنقل جملة من تلك الاقوال[2]:

قال الشَّيخ الحرُّ العامليّ: «كان عالمًا، فاضلًا، متكلِّمًا، محقِّقًا، مدقِّقًا»[3].

وقال العلَّامة المجلسيّ: «الشَّيخ الأجلّ المقداد بن عبد الله، من أجلَّة الفقهاء، وتصانيفه في نهاية الاعتبار والاشتهار»[4].

(١) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٥٢، و٤/ ٤٦٣، و١٨/ ١٥٩، وأعيان الشيعة: ١٠/ ١٣٤، ومستدرك الوسائل: ٤/ ٢٨٣.

(٢) ولاحظ أيضًا: ريحانة الأدب: ١/ ٢٩٩، رياض العلماء: ٤/ ٢٥٥، ١٨٣، ومستدرك الوسائل: ٣/ ٤٣١.

(٣) أمل الآمل: ٢/ ٣٢٥.

(٤) البحار: ١/ ٤١.

وقال العلَّامة المامقانيّ: «كان عالمًا جليلًا، و فاضلًا نبيلًا، محقِّقًا مدقِّقًا، متكلِّمًا وفقيهًا»[1].

قال تلميذه الشيخ حسن بن راشد الحِلِّيّ: «شيخنا الإمام العلَّامة الأعظم أبو عبد الله.. كان بيَّض الله غرَّته رجلًا جميلًا من الرجال، جهوري الصوت، ذرب اللسان، مفوَّهًا في المقال، متفنِّنًا في علوم كثيرة، فقيهًا متكلِّمًا أصوليًّا نحويًّا منطقيًّا، صنَّف وأجاد..»[2].

إنَّ الفاضل المقداد يتبوَّأ منزلة رفيعة عند علماء الشيعة، وكذا عند العامَّة، فله بينهم شهرة ملحوظة، ولذا نرى من العامَّة من عدَّ كتاب (كنز العرفان في فقه القران) في جنب الكتب المصنَّفة في آيات الأحكام، وخصَّص بعضهم، فصلًا في ذِكر تفاصيل هذا الكتاب بالبحث والنقد[3].

و قال خير الدِّين الزَّركليّ: «مقداد بن عبد الله.. فقيه إماميّ، من تلامذة الشَّهيد الأوَّل محمَّد بن مكِّي، وفاته بالنَّجف..»[4].

منهج المقداد في التدوين والتأليف

التزم الفاضل المقداد المتن في التنظيم والترتيب في شرحه على: (إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين)، و(الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد)، و(الأنوار الجلاليَّة في شرح الفصول النصيريَّة)، الأوَّل والثاني للعلَّامة، والثالث للمحقِّق نصير الدين الطوسيّ.

(١) التَّنقيح: ٣/ ٢٤٥.
(٢) روضات الجنَّات: ٧/ ١٧٥.
(٣) التفسير والمفسِّرون (الذهبيّ): ٢/ ٤٦٥.
(٤) الأعلام: ٨/ ٢٠٦.

وأمَّا كتابه (اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة)، فله منهجٌ خاصٌّ، وله خصوصيَّة تميِّزه عن سائر كتبه الكلاميَّة.

نطالع في (شرح واجب الاعتقاد) قسمَين، الأوَّل: اختصَّ بالمباحث الكلاميَّة، وشمل أربعة مباحث: التوحيد، والعدل، والنبوَّة، والإمامة.

واختصَّ القسم الثاني في المباحث الفقهيَّة، وهي: الطهارة، والزكاة، والصوم، والخمس، والحج والعمرة، والجهاد.

وأمَّا كتاب: (إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين)، فيقع في ثلاثة عشر فصلًا، وهو يتابع فيه المتن الذي صنَّفه العلَّامة، ففي الفصول الأربعة، الأولى فيها بيان المفاهيم والمباحث الفلسفيَّة، وأمَّا سائر الفصول فهي مباحث كلاميَّة من التوحيد إلى المعاد.

وكان أسلوب الفاضل المقداد شرح العبارة، ونقل الأقوال الموجودة في المسألة، وأحيانًا ينقل جميع الأقوال المطروحة في الموضوع، وأنَّه يبيِّن رأيه وتحقيقه واجتهاده تحت عنوان: (تحقيق) و(نظر)، ممَّا يُنبئُ عن تسلُّطه على المباحث الفلسفيَّة والكلاميَّة المختلفة، وعلى سبيل المثال: حقَّق في مبحث الاشتراك المعنويّ للوجود، (قاعدة الواحد لا يصدر منه أكثر من واحد)، وبيَّن نظره في القاعدة[1].

أمَّا كتاب (الأنوار الجلاليَّة في شرح الفصول النصيريَّة)، فيقع في أربعة فصول: التوحيد، والعدل، والنبوَّة، والإمامة، والمعاد، وفيه أمَّهات المسائل الكلاميَّة.

أمَّا كتابه: (اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة)، فيبدأ في مباحث فلسفيَّة، مثل: تقسيم المعلوم إلى موجودٍ ومعدومٍ، والموجود إلى ذهنيّ وخارجيّ، والخارجيّ إلى

(١) راجع: إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٤١، ١١٨، ١٧٠.

واجبٍ وممكنٍ، وبداهة تصوُّر الوجود، والاشتراك المعنويّ للوجود، وزيادة الوجود على الماهيَّة في الذهن، والجوهر والعرض، وتقسيم ذلك.. ثُمَّ يتناول المباحث الكلاميَّة، فيشرع في إثبات الصانع، ثُمَّ إثبات الصفات والأفعال الإلهيَّة، ثُمَّ مباحث النبوَّة، والإمامة، وبيان النظريَّة الشيعيَّة في المقام.

يشير الفاضل المقداد في هذا الكتاب، في بداية كلِّ فصلٍ، إلى نظريَّة الفلاسفة في المقام، إذا كان لهم قول في المسألة، بقوله: «طريقة الحكماء»، فينقل النظريَّة والأدلَّة عليها، ثُمَّ ينقل آراء المتكلِّمين بقوله: «طريقة المتكلِّمين»، وينقل أدلَّتهم في المسألة، وبعد هذا يطرح ما عنده من رأيٍ اجتهاديٍّ في المسألة، وتطبيق ذلك على سبيل المثال: في مبحث إثبات الصانع، والتوحيد، وضرورة وجود الأنبياء[1].

أثر العلوم المختلفة في منهج الفاضل المقداد

عبر مراجعة لآثار الفاضل المقداد» يتضح أنّه كان في اكثر العلوم صاحب نظر، واستفاد من ذلك في المباحث الكلاميّة، ولغرض بحث هذه المسألة يفترض بنا أن نقسِّم العلوم إلى عقليَّةٍ ونقليَّةٍ، ونبحث كلَّ واحدٍ منها على جانبٍ.

أ. العلوم العقليَّة:

١. المنطق:

مع أنَّ الفاضل المقداد لم يدوِّن كتابًا مستقلًّا في المنطق، ولكن نراه في مواضع مختلفة يبحث في جملة من المسائل المنطقيَّة، وأنَّه يُفيد منها في المباحث ذات الصلة بالفلسفة والمنطق[2].

(١) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٥٢، ٢٩٣، ٢٤١.
(٢) لاحظ: الاعتماد شرح واجب الاعتقاد: ٤٢.

وأنَّـه يشرح ويبـيِّن مفاهيم منطقيَّة في مواطـن مختلفة من كتبه، فكثـيرًا ما نلاحظه في كتبـه الكلاميَّـة يشـير إلى مباحـث منطقيَّـة في تعريـف العلـم والمعلـوم والاعتقاد والنظر[1].

ويبحـث أيضًا في جملة مـن المباحث الفلسـفيَّة بعض المفاهيم المنطقيَّـة، من قبيل: الكلِّيّ والجزئيّ والمصداق[2].

وعلى سـبيل المثال يبيِّن تعريف الدليل، وأقسامه، وأقسـام الدليل بلحاظ الصورة إلى تمثيلٍ واسـتقراءٍ وقياسٍ، وبلحاظ المادَّة إلى برهانٍ وجدلٍ وخطابةٍ وشـعرٍ ومغالطةٍ، ويقسِّم البرهان إلى لـمِّيّ وإنِّـيّ[3].

ويتناول تقسيم العلم إلى ضروريّ ونظريّ، وأقسام القضايا البديهيَّة الست[4].

٢. نظريَّة المعرفة:

لم تكن نظريَّة المعرفة سابقًا بهذا العنوان، ولكن يمكن ملاحظتها في عبارات العلماء مبثوثـة وموزَّعة، كما نطالعه في آثار الفاضل المقداد، فيذكـر جملة من مفاهيم هذا العلم (نظريَّة المعرفة)، على سبيل المثال بحثه في النظر والفكر[5].

٣. الفلسفة:

طـرح الفاضل المقداد مباحث فلسـفيَّة في مواضع مختلفة من أسـفاره، وأحيانًا ينقد ما ذكره الفلاسفة، على سبيل المثال في مبحث أنَّ الوجود مشترك معنويّ والدليل عليه:

(١) راجع: الأنوار الجلاليَّة: ٢٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣.
(٣) انظر: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٨٥-٨٦.
(٤) راجع المصدر نفسه: ١٣٤.
(٥) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٤٢، ٨٢، وإرشـاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٩٧، ١٠٦.

«أنَّا نقسِّـمه إلى الواجب والممكن والجوهر والعرض، فلولا اشتراكه؛ لما حسن منَّا ذلك، كما لا نقسِّم الحيوان إلى الإنسان والحجر»[١].

واستدلَّ على الوجود الذهنيّ:

«فإنَّـا نحكم على موضوعات معدومة في الخارج، بل ممتنعة بأحكام إيجابيَّة، فلا بدَّ من وجود المثبت له ضرورة وليس خارجًا، فيكون ذهنًا، وذلك هو المطلوب»[٢].

وبحث في ضوء نظريَّات الفلاسـفة المواد الثَّلاث[٣]، ومسـألة السـبق واللحوق، وأقسام السبق[٤].

ونقـد الفلاسـفة في مبحث القدم والحـدوث، وقال: «القديم عندنـا هو الله تعالى لا غير..»[٥].

وتناول أقوال الفلاسفة في مبحث الواحد والكثير، و العلَّة والمعلول[٦].

وذكر أدلَّة الفلاسفة على التوحيد وضعفها، واعتبر أدلَّة المتكلِّمين أقوى[٧].

ورجَّح الفاضل المقداد في جملة من المسـائل أدلَّة الفلاسفة على المتكلِّمين على سبيل المثـال: في بحث إثبات وجود الله تعالى، بعـد تقرير دليل الحكماء، وهو برهان الإمكان، قال:

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ٨٩.
(٣) راجع المصدر نفسه: ٩٠.
(٤) المصدر نفسه: ٩٧.
(٥) المصدر نفسه: ٩٩.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٦.
(٧) المصدر نفسه: ٢٠٥.

«هذه طريقة شريفة»[1].

كما نقل أدلَّة الفلاسفة في مبحث التوحيد، وعبَّر عنها «طريق الحكماء»[2].

وقال في مبحث الصفات لله تعالى:

«أثبت الحكماء له صفات لازمة:

الأوَّل: كونه جـوادًا، أي يفيد ما ينبغي إفادته لا لمقابلة عوض؛ لأنَّه أفاد الممكنات الوجود من غير استعاضة شيء منها، من صفة حقيقيَّة أو إضافيَّة.

الثـاني: كونـه ملكًا؛ لتحقُّـق صفة الملوكيَّة بالنسـبة إليه، وهي غنـاه المطلق في ذاته وصفاتـه، وكـون كلِّ شيء مفتقرًا إليه؛ للزوم الإمكان له، وأنَّه لا يوجد إلَّا بسـببه، فله ذات كلِّ شيء.

الثالث: كونه تامًّا وفوق التمام»[3].

وأشار في مبحث ضرورة وجود النبيّ إلى أدلَّة الفلاسفة[4].

٤. اصول الفقه[5]:

يُعدُّ أحد مصادر المعرفة في علم الكلام، هو الكتاب والسـنة، وجملة منه يبتني على قواعـد أصول الفقـه، فالمتكلِّم صاحب الاطِّلاع على جملة من المعـارف، يُعمِل ما عنده

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٦.

(٤)) لاحظ: المصدر نفسه: ٢٤١.

(٥) ينتمي علم الاصول بنحوٍ ما إلى العلوم العقليَّة، ولذا يقول الشـهيد مطهَّري: «يُعدُّ علم أصول الفقـه مـن العلوم الممتعة والجميلة؛ لما يحتوي عليه من دقَّة عقليَّة تسـتهوي أذهان الطلَّاب، فهو يوازي المنطق والفلسفة في الرياضة الفكريَّة، وتدريب الطالب على الدقَّة الذهنيَّة، كما أنَّ طلَّاب العلوم القديمة يرون لعلم الأصول يدًا طولى في دقَّة آرائهم. كليَّات علوم اسلامي: ٢٨٤.

مـن قواعد في حالة الضرورة، وهذا ما فعله (الفاضل) في جملة من الوارد، فهو يعتبر في مصـاف الفقهاء الكبار، وله تسـلُّط تامٌّ على مباحث وقواعد علم الأصول، على سـبيل المثال، في مبحث إثبات الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، استدلَّ بآية الولاية، قال:

«الأوَّل: قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾، و(إنَّـما) للحصر، نقلًا عن أهل اللغـة، ولأنَّ (إنَّ) للإثبات، و(ما) للنفـي، فـإذا ركِّبتا وجب بقاء ذلك، وإلَّا لـزم النقل، وهو خلاف الأصـل[1]، فإمَّا أن يـردا عـلى واحد، وهو محال، أو لنفـي المذكور وإثبات غيره، وهو باطـل إجماعًا، فتعيَّن العكس، والوليّ هنا الأولى بالتصرُّف لغةً، و هو شـائع، وعرفًا نحو: وليّ العهد، وشرعًا كقوله عليه السلام: «أيُّما امرأة نُكِحت بغير إذن وليِّها، فنكاحها باطل»، فيكون حقيقة، فإن ورد في غيره يكون مجازًا، وإلَّا لزم الاشتراك، وهو خلاف الأصل، ولأنَّ غير ذلك من معانيه غير صادق..»[2].

لاحظنـا في هـذا النصّ كيـف اعتمـد الفاضل على قاعـدة مقـرَّرة في علم أصول الفقه.

(١) لبيان هذه القاعد الأصوليَّة، يقول الشيخ المظفَّر: «أصالة عدم التقدير، وموردها ما إذا احتمل التقدير في الكلام، وليس هناك دلالة على التقدير، فالأصل عدمه.
و يلحـق بأصالـة عدم التقديـر أصالة عدم النقـل، وأصالة [عدم] الاشـتراك، وموردهما ما إذا احتمـل معنًـى ثانٍ موضوع لـه اللفظ، فـإن كان هذا الاحتـمال مع فرض هجـر المعنى الأوَّل، وهـو المسـمَّى بـ(المنقـول)، فالأصل عدم النقـل، وإن كان مع عدم هذا الفرض، وهو المسـمَّى بـ(المشـترك)، فالأصل عدم الاشـتراك؛ فيحمل اللفظ في كلٍّ منهما عـلى إرادة المعنى الأوَّل ما لم يثبـت النقل والاشـتراك. أمَّا إذا ثبت النقـل، فإنَّه يحمل على المعنى الثاني، وإذا ثبت الاشـتراك، فإنَّ اللفظ يبقى مجملًا لا يتعيَّن في أحد المعنيَين إلَّا بقرينة على القاعدة المعروفة في كلِّ مشـترك». أصول الفقه: ٢٣.

(٢) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٧.

وذكر في معنى الولي: «وَالَّذِينَ آمَنُوا هنا بعض المؤمنين لعود الضمير إلى الكلِّ؛ لأنَّ قبله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ والضمير لهم، فلو كان المراد هنا الكلُّ، لكان كلُّ واحدٍ وليًّا لنفسه، ولوصفهم بإيتاء الزكاة حال الركوع، إذ الجملة حالية فيكون مدلول الآية: لا أولى بالتصرُّف فيكم إلَّا الله و رسوله والذي آتى الزكاة حال ركوعه من المؤمنين، وذلك الشخص هو عليّ عليه السلام؛ لاتِّفاق أكثر المفسِّرين عليه، ولأنَّ كلَّ من قال: المراد البعض، قال: هو عليّ عليه السلام، ولأنَّه داخل في العموم قطعًا، فيكون هو الإمام، إذ ليس مرادنا بالإمام إلَّا الأولى بالتصرُّف، وهو المطلوب.

لا يُقال: يلزم المجاز في حمل الجمع على الواحد، والمضارع، وهو «يقيمون ويؤتون»، على الماضي.

لأنَّا نقول: أمَّا الأوَّل فلازم لكم أيضًا، فإنَّ حملها على العموم باطل، لما قلنا فيكون البعض، فيكون إطلاق الكلِّ على البعض، لكن مجازيًّا تسمية المعظم بالجمع، وهو كثير. وأمَّا الثاني فممنوع، لجواز أن يراد به الحال، فإنَّه حقيقة فيه عند الكوفيّ، ومشترك عند البصريّ»[1]؛ لأنَّه ثبت في علم الأصول الأصل عدم الاشتراك، «فالأصل عدم الاشتراك؛ فيحمل اللفظ في كلٍّ منهما على إرادة المعنى الأوَّل ما لم يثبت النقل والاشتراك، أمَّا إذا ثبت النقل، فإنَّه يحمل على المعنى الثاني، وإذا ثبت الاشتراك، فإنَّ اللفظ يبقى مجملًا لا يتعيَّن في أحد المعنيَين إلَّا بقرينة على القاعدة المعروفة في كلِّ مشترك»[2].

ومن الأدلَّة التي استدلَّ بها على إثبات أفضليَّة أمير المؤمنين عليه السلام حديث الطير:

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٨.
(٢) أصول الفقه: ٢٣.

«خبر الطائر، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «**اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطائر**»، فجاء عليّ عليه السلام، والخبر مشهور متواتر، ومعلوم أنَّ المحبَّة هي كثرة الثواب التي هي عبارة عن الأفضليَّة، فمن كان أحبُّ فهو أفضل.

لا يُقال: لفظة «أحب» ليست باقية على العموم؛ إذ يحتمل أن يكون أحبّ في كلِّ الأمور وفي بعضها، فلا يكون دليلًا على الأفضليَّة.

لأنَّا نقول: هذا باطل؛ لأنَّه خلاف الظاهر، فإنَّ قوله: «أحبَّ خلقك إليك» يقتضي العموم لمكان الإضافة، فجرى مجرى قولنا: زيد أفضل الناس، فإنَّه يقتضي العموم..»[1].

٥. العلوم الطبيعيَّة:

تعرض الفاضل المقداد في بعض أبحاثه الكلاميَّة إلى مسائل العلوم الطبيعيَّة، وبيَّن فيها تحقيقه في هذا المجال، فعلى سبيل المثال في إثبات صغرى برهان النظم بينها عبر العلوم الطبيعيَّة[2].

وأشار في جملة من مباحثه إلى تعريف اللون، والطعم وأنواعه، والمزاج وأنواعه، والرائحة وأنواعها، والحرارة والبرودة، واليبوسة والرطوبة[3].

٦. الفلك والنجوم:

بحث الفاضل المقداد كغيره من المتكلِّمين المسلمين في مبحث إثبات المعاد، إمكان خلق علم آخر، وتناول مبحثًا فلكيًّا؛ إذ إنَّهم في ذلك الزمان كان لهم اطِّلاع على علم الفلك، وكان الاعتقاد السائد أنَّ العالم كرويّ ومتشكِّل من تسع كرات، واستدلَّ

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٨٣.
(٢) الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد: ٥٩.
(٣) المصدر نفسه.

بعضهم على عدم إمكان خلق عالم آخر في عرض هذه الأفلاك التسعة، ونقد هذه النظريَّة جملة من المتكلِّمين، ومنهم الفاضل المقداد[1].

ونقل في مبحث أفضليَّة الأنبياء على الملائكة، نظريَّات مختلفة، ومنها قول المنجِّمين، ونقد ما يذهبون اليه:

«جماعة يسندون تلك الحوادث إلى الكواكب، وهم المعبَّر عنهم بالمنجِّمين.. بوجود أشياء عند حلول كواكب معيَّنة في بروجها، فظنُّوا استنادها إلى ذلك، فجعلوا الكواكب نفسه فاعلًا بشرط الحلول، وبعضهم جعلها فاعلة بالإيجاب، وبعضهم بالاختيار.

وأنكر ذلك المسلمون ومحقِّقو الحكماء..»[2].

وتعرَّض في مبحث طول عمر الإمام المهدي عليه السلام، نظريَّة للمنجِّمين، ونقدها:

«قال أصحاب الأحكام النجوميَّة: إنَّ العمر لا يزيد على مئة وعشرين..»[3].

ب. العلوم النقليَّة:

١. الأدب:

تقدَّم في بداية المقال أنَّ الفاضل المقداد ألَّف كتابًا مستقلًّا في علمَي المعاني والبيان، وعبر نظرة إلى آثار الفاضل المقداد، يتَّضح أنَّه كان أستاذًا في الأدبيَّات أعمّ من اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان، ونقرأ له في كتبه الكلاميَّة كيف يشرح ويوضِّح الخطبة ومعانيها اللغويَّة وتراكيبها البلاغيَّة.

(١) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٤١٤، وإرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٤٠٢.

(٢) راجع: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣١٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٩.

على سبيل المثال، ما بحثه مفصَّلًا في معنى وتركيب «بسم الله» في كتابه إرشاد الطالبين[١].

وأنَّه في أكثر كتبه الكلاميَّة يبدأ بالمعنى اللغويّ للمفاهيم في المسالة، ثُمَّ يذكر معناها الاصطلاحيّ، على سبيل المثال: المعنى اللغويّ للنبيّ «النبيُّ لغةً مأخوذ من الإنباء، وهو الإخبار، أي مخبر عن الله تعالى»[٢]، وفي مبحث التكليف «التكليف، وهو لغةً مشتقٌّ من كُلفة أعني المشقَّة..»[٣]، وفي مبحث الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام في آية الولاية: «والوليُّ هنا الأولى بالتصرُّف لغةً، و هو شائع، وعرفًا..»[٤].

٢. علم الحديث:

لم يبحث الفاضل المقداد في كتبه الكلاميَّة بحثًا مستقلًّا في الحديث، ولكن استند في مباحثه النقليَّة إلى جملة من المسائل ذات العلاقة بعلم الحديث، على سبيل المثال: أشار إلى الخبر الواحد والتواتر، وفي مبحث معجزات النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: إنَّها وصلت لنا بالتواتر[٥].

واستدلَّ بالتواتر بعد فناء هذا العالم يخلق عالم جديد[٦]، كما نقد ما ذهب إليه بعض العامَّة من إثبات خلافة أبي بكر بخبر الواحد[٧].

(١) انظر: إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٢٩٥.
(٢) لاحظ: المصدر نفسه.
(٣) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٢٧١.
(٤) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ٣٣٧.
(٦) المصدر نفسه: ٤١٤.
(٧) المصدر نفسه: ٤١٦.

٣. التاريخ:

أضفى الفاضل المقداد صبغة تاريخيَّة على جملة من المباحث، كمبحث الإمامة والنبوَّة الخاصَّة، فضلًا عن نقله للآيات والروايات يشير لما ورد في التاريخ، كما في إثبات المعجزات للنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله[١]، وكذا معجزات وكرامات أمير المؤمنين عليه السلام، وما سطَّره أمير المؤمنين عليه السلام في جهاد الكفَّار والمنافقين[٢]، ونقل جملة من المطاعن في الخلفاء[٣].

٤. مكانة المعرفة العقليَّة في منهج الفاضل المقداد:

تقسَّم مسائل علم الكلام بنحوٍ عامٍّ إلى مسائل ما قبل الوحي، والمراد منها التي لا تحتاج إلى الوحي في إثبات موضوعها، وتُقدَّم في مقام الإثبات على الوحي.

والقسم الثاني يقسَّم أيضًا على قسمَين:

- جملة من المسائل تتوقَّف على الوحي، ولا يمكن للعقل إثباتها، كالمسائل الجزئيَّة في المعاد، كـ: الصراط، والميزان، والكتاب.. وغيرها.
- هناك جملة ممكن إثباتها عن طريق العقل والنقل، مثل: ضرورة وجود الإمام، والعصمة، وأفضليَّة الإمام عليه السلام، يقول قدس سره في الدليل على وحدانيَّة الله تعالى:

«والدَّليل على أنَّه تعالى واحد: من العقل والنَّقل؛ لأنَّ النَّقل يصحُّ الاستدلال به على إثبات هذه الصِّفة؛ لأنَّ كلَّ صفة لا تتوقَّف صحَّة النَّقل عليها، يصحُّ إثباتها بالعقل والنَّقل؛ كهذه الصِّفة، ونفي الرؤية عنه تعالى، وما يتوقَّف صحَّة النَّقل عليه، مثل: كونه

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٥
(٢) المصدر نفسه: ٢٨٥
(٣) المصدر نفسه: ٣٣٦، ٣٤٠.

قادرًا عالمًا حكيمًا لا يصحُّ إثباته بالنَّقل، بل بالعقل خاصَّة»[1].

والبحث في مكانة العقل في منهج الفاضل المقداد متعلِّق في القسم الثالث؛ لأنَّ القسم الأوَّل والثاني واضح، وغير قابل للشكِّ والإنكار، وطريقة الفاضل المقداد أنَّه يبيِّن أوَّلًا الدليل العقليّ، وكثيرًا ما يقبله، ثُمَّ يذكر الدليل النقليّ في المقام.

ونلاحظ هذا الأسلوب عند سائر المتكلِّمين في إثبات المسائل التي قبل الوحي بطريق العقل والبراهين، على سبيل المثال: في إثبات الله تعالى[2]، وأوصافه[3]، والمعاد[4].

وأمَّا المسائل التي يتوقَّف إثباتها على النقل، فهو كسائر علم الكلام عند الشيعة، اعتمد في إثباتها على الآيات والروايات.

وأنَّه اعتمد في المسائل من النوع الثالث على الأدلَّة العقليَّة، ونطالع ذلك في الموارد التي فيها إمكانية إثباتها بنحو البرهان العقليّ، ثُمَّ بعد ذلك يأتي بالأدلَّة النقليَّة، وعلى سبيل المثال:

إثبات وجوب التكليف، وضرورة وجود النبيّ صلى الله عليه وآله، وضرورة وجود الإمام عليه السلام وعصمته وأفضليَّته[5].

وعبر البحث والتحليل في آثار الفاضل المقداد، نحصل على النتيجة الآتية: إنَّه استفاد من العقل والتفكير العقليّ في أربع مراحل:

(١) الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد: ٦٥.
(٢) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٥٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٧.
(٤) المصدر نفسه: ٤٢١.
(٥) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٢١١، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٠، ٢٤٤، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٣، ٤١٤.

١. إثبات العقائد.

٢. استنباط العقائد.

٣. الدفاع عن العقائد ورد الشبهات.

٤. تأويل الظاهر.

أمَّا إثبات واستنباط العقائد، فالمثال المتقدِّم من هذا النوع.

وأمَّا الدفاع عن العقيدة وردّ الشبهات التي ترد على العقيدة الشيعيَّة، فإنَّه كثيرًا ما يورد في هذا السياق الأدلَّة العقليَّة، على سبيل المثال، في مبحث (نفي الحيز) عن ذات الله تعالى، وهي شبهة طرحتها الفرقة الكراميَّة، إذ عرضها ونقدها[١]، وكذا في مبحث القدرة الإلهيَّة وعمومها، نقل بعض الأقوال للمخالفين في المسالة، يقولون: إنَّ القدرة لا تتعلَّق بكلِّ شيءٍ، ونقدها الفاضل بالأدلَّة العقليَّة[٢]، وكذا في بحث الحسن والقبح، فطرح نظريَّة علماء الشيعة في البدء، ثمَّ نقل آراء المخالفين، وأشار إلى شبهاتهم التي ذكروها على ما ذهب إليه الشيعة، وأجاب عنها بالأدلَّة العقليَّة[٣].

أمَّا تأويل الظاهر، فالبحث في آثار الفاضل المقداد في هذا المجال، يسمح لنا بالقول إنَّ السيوري يعتقد بحجيَّة العقل، ويرجِّحه على النقل، ويذهب إلى القول إنَّه إذا وقع تعارض بين العقل والنقل الصريح، ينبغي تأويل النصِّ، وإذا لم يمكن تأويله، نضعه جانبًا، وإلَّا يرجَّح العقل على النقل الصريح، والشاهد على هذا القول ما بحثه في الصفات الخبريَّة في القرآن، وعصمة الأنبياء، ففي الآيات التي تَنسِب الذنوب للأنبياء ظاهرًا أوَّلها ووجَّهها، وطرح نحو انسجام بينها وبين الأدلَّة العقليَّة، على سبيل المثال في

(١) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٦٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢١٢.

مبحث رؤية الله تعالى[1]، ومجيء الله تعالى، وحاول أن يؤوِّل الآيات ذات الصلة بهذا البحث.

وبالجملة: يمكن أن يُقال أنَّ الفاضل السيوري اعتمد في مباحثه الكلاميَّة على العقل النظريّ والعمليّ، كما أنَّه في المباحث ذات العلاقة بالفلسفة، استفاد من العقل النظريّ في إقامة البراهين، واعتمد على العقل العمليّ في أكثر المباحث المرتبطة بالفعال الإلهيَّة مثل: الحسن والقبح العقليّ، والحكمة الإلهيَّة والغرض الإلهيّ، والنبوَّة وأوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله كـ: العلم والعصمة، ومباحث الإمامة، مثل: أوصاف الإمام عليه السلام، وبعض مسائل المعاد.

٥. المعرفة النقليَّة في المنهج الكلاميّ للفاضل المقداد:

في ضوء ما تقدَّم، تبيَّن أنَّ جملة من المسائل يمكن أن تثبت عن طريق العقل والنقل، والطريق العقليّ أقلّ من النقليّ، والصبغة النقليَّة أكثر، أو أن بعض المسائل لا سبيل للعقل على إثباتها، وإنَّما يختصر فيها على الدليل النقليّ، مثل: الإمامة الخاصَّة (إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام)[2]، وإثبات إمامة الأئمَّة عليهم السلام بعد أمير المؤمنين عليه السلام[3].

وانتهج الفاضل المقداد في هذا النحو من المسائل الاستفادة من الآيات القرآنيَّة، على سبيل المثال: إثبات إعجاز القران استند بآيات التحدِّي[4]، وكذا اعتمد على ذلك في إثبات النبوَّة بشكلٍ عام نبوَّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله[5].

(١) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٢٤٤.
(٢) لاحظ: اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٤، ٣٤٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣٤٤، ٣٤٥.
(٤) المصدر نفسه: ٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه: ١٩٣.

والجدير بالذِّكر أنَّ السيوريّ عندما يعتمد على القرآن، ويأتي بالآية كدليلٍ نقليّ، ثمَّ يذكر شأن النزول، ويبيِّنه من مصادر العامَّة والخاصَّة، ثمَّ يبيِّن رأيه في المسألة، على سبيل المثال: في مبحث الإمامة يثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وأفضليَّته بآية الولاية، وأشار إلى شأن النزول والأحاديث ذات العلاقة بهذا الموضوع، وفي خاتمة البحث ينقل الشبهات ويردُّ عليها[1].

وكذا اعتمد الروايات المتواترة في معجزات النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله[2]، وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام[3]، وأنَّه قدس سره قسم النصوص في إثبات الإمامة إلى قسمين: نصٌّ جليّ ونصٌّ خفيّ، والنصُّ الجليّ لا يحتاج إلى ضميمة، والخفيّ في مقام الاستدلال يحتاج إلى ضميمة[4].

واستدل قدس سره في إثبات بعض المسائل الكلاميَّة على الإجماع، على سبيل المثال: في بحث الإمامة: «المسلك السادس: كلَّما لم يكن العبَّاس وأبو بكر صالحين للإمامة، وجب أن يكون عليّ عليه السلام إمامًا، لكنَّ المقدَّم حقٌّ والتالي مثله، أمَّا حقيَّة المقدَّم؛ فلقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهما كانا ظالمين بتقدُّم كفرهما، فلا يصلحان.

وأمَّا بيان الشرطيَّة: فلعدم ادِّعاء الإمامة لغير هذه الثلاثة، وقد بان عدم صلاحيَّتهما، فلو لم تتعيَّن إمامته عليه السلام، لزم إمَّا عدم القول بالإمامة وهو باطل بما تقدَّم، أو إثبات إمامة رابع، وهو باطل بالاجماع.

إن قلت: الشرطيَّة ممنوعة، فإنَّ الأنصار قالوا: منَّا أمير ومنكم أمير، وأقاموا سعد ابن عبادة.

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٣٧
(٢) المصدر نفسه: ٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٣٧.
(٤) المصدر نفسه: ٣٤٧.

قلنا: حصل الإجماع على بطلان قولهم وسقوطه[1].

وكذا قال في بحث وجود الغيبة للإمام المهدي عليه السلام:

«لـمَّا دلَّ الدليـل على إمامة سـيِّدنا المنتظر عليـه الصلاة والسَّـلام، وأنَّ كلَّ زمان لا بدَّ فيه من إمام معصوم وجب وجوده وبقاؤه من حين موت أبيه الحسـن عليه السلام إلى آخر زمـان التكليف، وإلَّا لزم إمَّا القـول بوجوب إمامة معصوم غيره، وهو باطل بالإجماع، أو خلوِّ زمانٍ عن إمام، وهو باطل بما تقدَّم، وبدلالة الأخبار المتواترة على وجوده وبقائه وغيبته وظهوره بعد ذلك، فيكـون القول بوجوده حقًّا، وهو المطلوب، وقد تقدَّم وجه لطفيَّته حال غيبته، فلا وجه لإعادته»[2].

٦. أسلوب مواجهة الفاضل المقداد مع آراء الفرق الكلاميَّة:

نقل الفاضـل المقداد في اكثر مباحثه نظريَّات وأقوال أغلب المتكلِّمين والفلاسـفة والمذاهب والنحل، ونَقَدها، ويذكر ويحلِّل قدس سره في مباحثه المسـائل الخلافيَّة بين الفلاسفة والمتكلِّمين، وكذا يحقِّق وينقد في المسـائل الكلاميَّـة الخلافيَّة بين الفرق الكلاميَّة، مثل: الإماميَّـة، والمعتزلـة، والأشـاعرة، والكراميَّـة، والزيديَّة، والإسـماعليَّة، ثـمَّ يطرح ما يرتضيه في المقام، على سـبيل المثال: في مبحث رؤية الله تعالى، نقل الأقوال المختلفة فيه، وينقل أدلَّة الكراميَّة والمشبِّهة، وينقدها ويثبت إبطالها[3]، وكذا في بحث نفي (الاتِّـحاد) نقل ونقد نظريَّة فرفريوس والنصارى والمتصوِّفة، ويوضِّح النظريَّة المختارة في المقام[4]، ونقل في بحث الاشـتراك المعنويّ للوجود نظريَّة المعتزلة، والأشاعرة، والحكماء، وأثير

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٤٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣٤٦.
(٣) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ١٣٠
(٤) المصدر نفسه: ٢٣٨.

الديـن الأبهريّ، والعلّامة الحِـلّيّ، والمحقّق الطوسيّ، ويذكر الـرأي المختار[1]، وكذا في بحث الإمامة وتعريفها وضرورتها.

ويبيِّن رأي الحشـويَّة، والخوارج، والمعتزلة، والأشـاعرة، والزيديَّة، والإسماعليَّة، والإماميَّة، الراونديَّة، والكيسانيَّة[2].

ونلاحظ في آثار الفاضل المقداد الكلاميَّة إشارته إلى جملة من الفلاسفة والمتكلِّمين، عـلى سـبيل المثال: أفلاطـون، وأرسـطو،[3] وابـن سـينا[4]، والنظام[5]، وفخـر الدين الـرازي[6]، والغـزّاليّ[7]، والنجّار[8]، وأبو الحسـن الأشـعريّ، والقاضي عبـد الجبّار، والاسـفيرايني[9]، وأبـو هذيـل[10]، والخواجـة نصير الديـن الطوسـيّ[11]، والعلّامة الكاشانيّ[12]، والسيِّد المرتضى[13].

وكان أسـلوب الفاضل المقداد في نقل الآراء ونقدها في غاية الأدب وأمانة النقل، ولم يخرج عن طريق الإنصاف، وكان ميزانه في النقد والترجيح الدليل والبرهان.

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٥٧-١٥٨.
(٢) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٣٨.
(٣) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ٣٢٠.
(٤) المصدر نفسه: ١٢٠، ١٣٠، والأنوار الجلاليَّة: ٦٤.
(٥) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٣٠.
(٦) المصدر نفسه: ١٦٤.
(٧) المصدر نفسه: ١٨٤.
(٨) المصدر نفسه: ٢٠١.
(٩) المصدر نفسه: ٢٠١.
(١٠) المصدر نفسه: ٢١٢.
(١١) المصدر نفسه:٢٣٣.
(١٢) المصدر نفسه: ١٥١.
(١٣) المصدر نفسه: ١٥٢، والأنوار الجلاليَّة: ٥٧.

وكان منهجه البرهان والجدال بالتي هي أحسن، وأحيانًا يُظهر حقيقة نسبة القول، كما في مسالة القدرة، وما نُسِب إلى الفلاسفة من أنَّهم يحدُّون قدرة الله تعالى، فيصحِّح تلك النسبة[1].

والخلاصة: يُعدُّ الفاضل المقداد من كبار علماء الشيعة، ومنهجه الكلاميّ هو منهج المحقِّق نصير الدين الطوسيّ، والعلَّامة الحِلِّيّ، ويعتبر ممَّن حفظ الكلام الشيعيّ، وله أثر مهم في ذلك.

وكانت أدوات منهجه العقل والنقل، وبوجهٍ عامٍّ، كان اتِّجاهه النقليّ أكثر من العقليّ.

(١) اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة: ١٩٦.

المراجع

١. أصول الفقه، الشيخ المظفَّر، انتشارات إسماعليان، قم.

٢. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمينيّ، تعارف للمطبوعات، لبنان.

٣. الأنوار الجلاليَّة في شرح الفصول النصيريَّة، الفاضل المقداد، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان.

٤. الأعلام، خير الدين الزركليّ، دار الملايين، لبنان.

٥. اللوامع الإلهيَّة في المباحث الكلاميَّة، المقداد السيوريّ، دفتر تبليغات اسلامي، قم، إيران.

٦. الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، الفاضل المقداد، مجمع البحوث، مشهد.

٧. إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، الفاضل المقداد، نشر مكتبة السيِّد المرعشيّ، قم.

٨. أمل الآمل، الحرُّ العامليّ، النجف.

٩. بحار الأنوار، الشيخ المجلسيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

١٠. التفسير والمفسِّرون، محمَّد حسين الذهبيّ، دار إحياء التراث، لبنان.

١١. تنقيح المقال، عبد الله المامقانيّ، نشر مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، قم.

١٢. روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعليان، قم.

١٣. ريحانة الأدب، محمَّد عليّ المدرِّس التبريزيّ، نشر خيام، طهران.

١٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهرانيّ، نشر طهران.

١٥. كليَّات علوم اسلامي، الشهيد مرتضى المطهَّريّ، انتشارات صدرا، قم.

١٦. مستدرك الوسائل، المحقِّق الميرزا حسين النوري، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

نافذةُ التُّراثِ الحِلِّيّ

الرَّد عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتابِ حَيدَر الحِلِّيّ- سِيرتُه، شِعرُه، مُؤَلَّفاتُه الأَدبيَّة. تأليف: عَليّ الحُسَينـيّ

المَطبعَة: دَارُ الفُرات للثَّقَافَةِ وَالإعلَام، العِراق، بَابِل، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

د. مضر سليمان الحسيني الحِلِّيّ
مركز تراث الحِلَّة

Responding to what was stated in the book Haidar Al-Hilli, his biography, poetry, literary works. Written by: Ali Al-Husseini

Printing Press: Dar Al-Furat for Culture and Information, Iraq, Babylon, 1438 AH/2017 AD

Dr. Mudar Suleiman Al-Husseini Al-Hilli
Hilla Heritage Center

يَظهَر مِن تَرجَمةِ المُؤَلِّفِ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ[1]، أَنَّهُ نَشَرَ بَحثًا بِاسمِ (الشَّاعِرِ العِراقيّ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ) فِي مجلَّةِ (الأَديب) اللُّبنانيَّةِ، أَو فِي عُدَّةِ مجلَّاتٍ[2].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ نَجاحَه ذَاكَ، فِي الكِتَابَةِ وَالنَّشرِ فِي المَجلَّاتِ اللُّبنانِيَّةِ، وَهوَ فِي مُقتَبلِ العُمرِ، إِذ تَجاوَزَ عُمرُه العِشرينَ رَبيعًا بِقَليل، هوَ الَّذي حَفَّزَهُ عَلَى وَضعِ كِتَابِهِ (حَيدَر الحِلِّيّ- سِيرتُه، شِعرُه، مُؤَلَّفَاتُه الأَدَبيَّة)، وَلَكِن شَتَّانَ بَينَ الأَمرَينِ.

(١) السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: وُلِدَ فِي قَريةِ الحصين (إِحدَى قُرَى الحِلَّة الجنوبيَّة) سنة (١٩٣٨م)، مِن أُسرةٍ عَلَويَّةِ النَّسَبِ وَالمَحتِد، مِنَ السَّادَةِ الأَعرجيَّة، نشَأ في القَريةِ، وَأَخذَ تَعليمَه الأَوَّليَّ في كَتاتِيبِهَا، ثُمَّ انتَظَمَ فِي التَّعليمِ الرَّسمِيِّ حتَّى أَكملَ الدِّراسَةَ المتوسطَةَ فِي الحِلَّة عَام (١٩٥٤م)، بَعدهَا التَحقَ بِدارِ المُعلِّمِينَ فِي بَعقوبةَ، وَبِسببِ أَفكَارِهِ المَاركِسيَّةِ فُصِلَ مِنَ المَدرسَةِ، وَسُجِنَ لمدَّةِ سَنةٍ، ثُمَّ أُعيدَ لِلمَدرسَةِ مَرَّةً أُخرَى، وَتخرَّجَ مُعَلِّمًا سَنةَ (١٩٥٧م)، فَعمِلَ فِي المَدارسِ الابتِدائيَّةِ، ثمَّ سَنحَت لَه الفرصَةُ بِمُواصَلَةِ تَعليمِهِ الجَامِعيّ، فَحَصلَ عَلَى البَكالوريوس فِي التَّربيَةِ وَعِلمِ النَّفسِ. شَاعرٌ يَكتبُ (الشِّعرَ الحُر)، وَقَد يكتبُ أَبياتًا مِنَ القَريضِ فِي بَعضِ الأَحيانِ، كَانَ لَه دورٌ فِي تَأسيسِ فَرعِ اتِّحادِ الأُدبَاءِ وَالكُتَّابِ فِي بابل سَنةَ (١٩٨٤م)، قُتِلَ فِي الكُويتِ بِتَاريخِ ٢/ ٣/ ١٩٩١م، وَكَانَ ضِمنَ قَاطِعِ الجَيشِ الشَّعبيّ، لَهُ مِنَ الآثارِ: (أَعرَاس تَموز) ١٩٥٨م، و(الميلاد) ١٩٥٩م، وَ(سَفَر عَبدِ الرَّحمَنِ الدَّاخِل) ١٩٨٠م، وَ(دَفتَر المَحبَّة)، وَ(آمَنتُ بِالعِراقِ)، وَ(لؤلُؤةُ الجنُوبِ)، وَلَه بَحثٌ بِعُنوان (الشَّاعِرُ العِراقِيّ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ)، نُشِرَ بِمَجلَّةِ الأَديبِ اللُّبنَانِيَّةِ فِي عَدَد آب (١٩٥٧م)، ثُمَّ طُبعَ هَذا البَحثُ بِاسمِ (دِراسَاتٌ فِي الأَدبِ المَنسيّ)، دار الفرات للثقافة والأعلام، العراق، بابل، لسنة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م، وله (حيدر الحِلِّيّ- سيرته، شعره، مؤلَّفاته الأدبيَّة)، دار الفرات للثقافة والاعلام، العراق، بابل، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م). ينظر: حصن سامة، قرية الحصين: ٢٧٩-٢٨١.

(٢) قَالَ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ: «هَذهِ فُصولٌ دِراسيَّةٌ أَدبيَّةٌ، قُمتُ بِوَضعِهَا نَتيجةً لِلرَّغبَةِ الَّتِي نَمَت فِي قَرارةِ نَفسِي.. وَقَد سَبقَ لهذِهِ الفُصُولِ أَنْ نُشِرَت حِينَ وَضعتُها فِي المَجلَّاتِ الأَدبيَّةِ، أَي فِي (الأَديب)، و(الورود)، و(الرسالة) اللبنانيَّات، عَلَى أَنَّ جَمعهَا فِي كِتابٍ وَنَشرِهَا عَلَى هَذِه الصُّورَةِ، سَيزيدُ بَلَا شَكٍّ فِي فَائِدتِه». دراسات في الأدب المنسيّ: ٧.

كَانَ عُمرُه (٢٣) سِـنة فَقَط عِندَمَا أَتَمَّ تَأليفَ كِتابِهِ هَذَا، وَرُبَّما عَمِلَ عَلَيهِ لِسَنَتينِ أَو أَكثَر، لَا نَدري، لَكنَّه أَتمَّه سَنةَ (١٩٦١م)[١]، أَي مَا زَالَ فَتِيًّا.

فِي هَذِهِ الحِقبةِ كَانَ فِي أَوجِ نَشَـاطِهِ السِّـياسِيّ، وَانْدِفاعِهِ فِي المَهَامِّ الحِزْبِيَّةِ، إِذ «بِسبَبِ أَفكَارِهِ المَاركسـيَّةِ سُـجِنَ وَفُصِلَ مِـن دَارِ المُعَلِّمِينَ فِي بَعقوبَةَ عِندَمَـا كَانَ طَالِبًا فِيهَا لمدَّةِ عَامٍ كَامِل، ثُمَّ أُعيدَ إِلَى المَدرسَـة، وَتَخرَّج مُعَلِّمًا عَامَ (١٩٥٧م)، لِيعملَ مُعلِّمًا فِي المَدَارسِ الرِّيفيَّة[٢].

وَكنـتُ حَاضِـرًا مَـعَ وَالِدي السَّـيِّد سُـليمان، وَعَمِّي السَّـيِّد محمَّـد، وَآخَرينَ، فِي مَضيفِ السَّـيِّد ضَايع السَّـيِّد كريـم رحمه الله، فِي قَريةِ الحصـين فِي أَحَدِ الأَيَّامِ بُعَيـدَ ثَورةِ ١٤ تَمـوز (١٩٥٨م)، عِندمَـا اقْتَحَـمَ عَليّ الحُسَـينيّ مَضيفَ السَّـيِّد ضَايع مَـعَ مَجموعةٍ مِن الشَّـبَابِ، بِحدُودِ ٢٠ شَـخصًا، جَاءَ بِهِم مِنَ الحِلَّةِ، وَهُم يَهتِفونَ: (سَنمضـي سَنمضـي إِلَى مَا نُريد، وَطنٌ حُرٌّ وَشَـعبٌ سَـعِيد)، يَعيش يَا يَعيش يَا، وَهِتَافَات أُخرَى، كَمظَاهرةٍ هَدَفُها بَثُّ الفِكر المَاركِسِـيِّ فِي القَريةِ الَّتِي تَحكمهَا السُّنَن الشَّرعِيَّة وَالقَواعِدُ العَشائِرِيَّة العَربيَّة.

هَـذَا الفَتَـى أَلَّفَ كِتَابَه عَن السَّـيِّدِ حَيدَر تَحتَ تَأثـيرِ عَامِلَين، الأَوَّل: شُـعُورُه بِأَنَّه أَصبَحَ مِنَ الأُدبَاءِ الكِبارِ، وَصَارَت الصُّحُف الأَجنَبيَّة تَنشرُ لَه مَقَالَاته، وَالعَامِلُ الثَّانِي: تَشبُّعُه بِالأَفكَارِ المَاركِسِيَّة المَعروفة نَظرَتهَا للدِّينِ وَرِجَالِهِ، وَالقِيمِ وَالتَّربيةِ الدِّينيَّةِ، لِذَلكَ كَانَ يَذكرُ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّيّ بِاسـمِهِ المُجَرَّد (حَيدَر الحِلِّيّ)، وَهَكذا عِندمَا يَذكر شُـيوخَ الأُسرَةِ مِثلَ: السَّـيد سُـليمان الحِلِّيّ، وَالسَّـيِّد مَرزة الحِلِّيّ، وَالسَّـيد مَهدي الحِلِّيّ، فَيقولُ: (سُلَيمان الحِلِّيّ، وَمرزَة الحِلِّيّ، ومَهدي الحِلِّيّ)، عِلمًا أَنَّ هَؤلاءِ سَادِةٌ أَجِلَّاء، لَـهم مَكانَتهم

(١) حيدر الحِلِّيّ، المقدِّمة: ٥.

(٢) حصن سامة، لمحات من الذاكرة: ٢٧٩.

الاجْتماعيَّة وَالدينيَّة السَّـاميَة، وَهوَ يَعلم هَذا جَيدًا؛ لِأَنَّه هو ابنُ قَريةِ الحصَين، وَبِالنِّسبَة إلى لسَّيدِ سُليمانَ الحِلِّي، فَقَد كَانَ خَطيبًا مُتَمَكِّنًا، وَيَحفظُ مِنَ الشِّعرِ وَالتَّأريخِ وَأَيَّامِ العَربِ مَا يَجعلُه مَوسُـوعيًّا، فَضلًا عَن حِفظهِ لِلقرآنِ وَالحَديثِ الشَّـريفِ وَالأحكام الشَّرعيَّة، ثُـمَّ أَنَّه صَاحِبُ دِيوانٍ مَفتوحٍ لِلقَاصِدينَ إِلَيهِ مِنَ الحصَين وَغَيرهَا مِنَ المَناطِق المُجاوِرة، وَالمَناطِقِ البَعيدةِ، فَقَد كَانَ مَرجعًا شَرعيًّا في تِلكَ المَناطِق، أَمَّا سِـنُّهُ فَكانَ أَكبرَ مِن سِـنِّ وَالِدِ السَّـيِّدِ عَليّ الحُسَـينيّ، وَقَـد قَدَّمَ لَهُ كَلَّ عَونٍ في سَـبيلِ إتمَامِ بَحثِـهِ، وَلَم يَبخَل عَلَيه بِشـيء، وَأَقرَّ السَّـيِّد عليّ الحُسَـيني بِذلِكَ عِندمَا ذَكرَ مَصَادرَ بَحثِهِ المُهِمَّـة الَّتِي حَصَل عَلَيها مِنَ السَّـيِّد سُـليمان الحِـلِّيّ، مِثلَ: مَخطوطَة دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّي بِخطِّ السَّـيِّدِ مَرزة الحِلِّيّ، وَمَجموعَةِ أَشـعَارِ عَبدِ المُطَّلبِ الحِلِّيّ بِخَطِّ السَّـيِّد مَرزة الحِلِّي، وَآل سُـليمان بِخَطِّ السَّيِّد مَرزة الحلِّيّ، وَمخطُوطَة دِيوانِ السَّيِّد سُليمَان الكَبير، وَكُلُّهَا مَوجُودة في خِزَانَةِ السَّيِّدِ سُلَيمان الحِلِّيّ[1].

لَكِنَّه عِندمَا يَذكرُه، يَسـتكثِرُ عَلَيه كَلمةَ (السَّـيِّد)، كَما استَكثرَهَا عَلَى السَّيِّدِ حَيدَر نَفسِه.

وَيَتكلَّـم المؤلـفُ السَّـيِّد عـليّ الحُسَـينيّ عَـلَى الأسرَةِ؛ فَيُسـمِّيهَا (آل ياسـين)[2]، وَلَا أَدري مِن أَينَ جَاءَ بِهَذا الإسمِ؟! وَيعزو كَلَامَه إلى مصدَرٍ يُسمِّيه (آل ياسين مخطوطة لمـرزة الحِـلِّيّ)[3]، وَلَكنَّه في فهـرسِ المَصـادِرِ لاَ وُجودَ لِهـذَا المَصدر، بَل يَذكرُه بِاسـمِهِ الصَّحِيحِ (آل سليمان)[4].

(١) حيدر الحِلِّيّ، المصادر والمراجع: ٢٤٣، تنظر الفقرات: ٢، ٣، ٤، ٦.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ٣٥-٣٦.
(٣) حيدر الحِلِّيّ، هامش الصفحة: ٣٦.
(٤) حيدر الحِلِّيّ، المصادر والمراجع: ٢٤٣، تنظر الفقرات: ٤.

وَيَستَمرُّ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ بِسَردِ مَعلومَاتِهِ عَنِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَالأسرَةِ، وَالمُؤَلَّفَاتِ، وَلَم أَجِد شَيئًا جَديدًا أَو مُهمًّا فِي كَلَامِهِ، وَأَغلَبُهُ كَلامٌ مَنقولٌ عَن المَصادرِ الأُخرَى الَّتِي تَنَاولَت السَّيدَ حَيدَر بِالبَحثِ، لَكنَّ كَلامَ السَّيِّد عَليّ لَا يَخلو مِنَ الغَرَابَةِ فِي بَعضِ الأُمورِ مِنهَا:

قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «حَدَّثَني صَديقٌ لِي أَنَّ هَذِهِ البَسَاتِينَ- بَسَاتِين بِيرمَانَة- أُهدِيَت إِلَيهِ مِن آلِ القَزوينيّ؛ مُسَاعَدةً وَتَكريمًا لَهُ، وَمُقابِلَ قَصَائِدِه الكَثيرةِ فِي مَدحِ رِجَالِ هَذِهِ الأُسرَة»[1].

وَلَا أَدري مِن أَينَ أَتَى بِهذِهِ المَعلومَةِ الَّتِي لَيسَ لَهَا نَصيبٌ مِنَ الصِّحَّةِ جُملةً وَتَفصيلًا، وَلَم يَذكر لَنا اسمَ هَذا الصَّديقِ، لِنَتَتَبَّع هَذه الرِّوَايَةَ؟!

وَيُكرِّرُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ هَذِه الفِريةَ بِطَريقةٍ أُخرَى، فَيقولُ: «وَحَدَّثَنِي أَحدُ الشُّيوخِ بِأَنَّ آلَ كُبَّة قَد أَهدوه بَعضًا مِن أَملَاكِهِم، حَثًّا عَلَى مَديحِهِم»[2].

لَا نَدري مَن هُو الشَّيخُ الَّذي جَاءَه بِهذَا الخَبَر! يُقالُ: إِنَّ الشَّيطَانَ إِذَا ظَهَرَ لِلإِنسَانِ، يَظهَر أَمَامَه عَلَى هَيأَةِ شَيخٍ كَبيرِ السِّنِّ، فَرُبَّما حَصَلَ لَه مِثلُ هَذا، وَهوَ لَا يَعلَم.

وَيَعمَد السَّيِّد عَليّ الحُسينيّ إِلَى قَضيَّةٍ يَرويهَا الأُستاذُ عَليّ الخَاقَانِيّ رحمه الله، مُستَشهدًا بِهَا عَلَى عُلوِّ مَنزلَةِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَمَكانَتِهِ السَّامِية، وَكَونُه أَبيًّا عَزيزَ النَّفسِ، يَترَفَّعُ عَن أَفعَالِ بَعضِ الشُّعراءِ فِي البَحثِ عَنِ المَكاسِبِ بِشِعرِهِم، فَيُفَكِّكُهَا وَيُحَرِّفُها عَن مَوضوعِهَا، بَل وَيَقلِبهَا لِيَفهَمَ مِنهَا القَارِئُ عَكسَ مَا أَرادَ بِهَا الأُستَاذ عَليّ الخَاقَانيّ، فَيقولُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ:

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٧٢.

(٢) حيدر الحِلِّيّ: ٩٠.

«قَـالَ الخَاقـانيّ:.. إنَّ حَيدَر قَد قَبِلَ هَديةً مِنَ العلَّامةِ المِيرزَا إِسـمَاعِيل الشِّـيرازيّ، عِندمَا مَدَحَه بِقَصيدتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا:

أَيُّ بُـشرَى كَـسَـتِ الـدُّنـيَـا بَهـاءَا
قُـمْ، فَـهَـنِّ الأَرضَ فِـيـهَـا وَالـسَّـمَاءَا

وكانت الهدية ١٠٠ ليرة»[١].

فَنقولُ لَه: عَلَى البَاحِث أَن يَذكرَ رِوايةَ الأسـتاذِ عليّ الخَاقانيّ رحمه الله كَما هِي، وَلَا يَجتزأ، وَلَا يُغَـيِّر، وَلَا يُبَدِّل، وَلَا يَتَصَرَّف كَمَا يَحلو لَـه؛ لِكَي يَفهَم القَارِئ حَقِيقةَ الأَمرِ، وَلَيسَ كَما يُريدُ هُوَ، وَمَا كَانَ مِن نَتاجِ خَيالِهِ عَن السَّيِّدِ حَيدَر.

وَمِنَ الضَّروريّ أَن نَذكرَ رِوايةَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقانيّ كَما هِيَ، لِنَرَى مَا أَرادَ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَينيّ.

قَالَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقانيّ: «وَقُصَّةٌ وَاحِدَةٌ تَعطِينَا صُورةً سَـامِيةً عَن مَقَامِهِ الرَّفِيعِ، أُثْبِتُهَـا عَـلَى عُهْـدَةِ العَلَّامَةِ المُعَاصِرِ الشَّـيخ مُحَمَّد عَـليّ الأُوردَبَادِي، فَقَد قَـالَ: حَدَّثَنِي الحُجَّةُ السَّيِّدُ المِيرزَا عَليّ أَغَا نَجلُ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ، قَالَ: عِندَمَا هَنَّأَ السَّيِّدُ حَيدَر وَالِدِي بِقَصِيدَتِهِ الهَمْزِيَّةِ، رَأَى أَنْ يُكْرِم الشَّـاعِرَ بِعِشْـرِينَ (لِيرَةً)، فَاسْتَشَـارَ ابـنَ عَمِّهِ العَلَّامَةَ السَّـيِّدَ المِيرزَا إِسـمَاعِيلَ الشِّـيرَازِيَّ فِي ذَلِكَ، فَأَبَى، وَقَالَ لِابْنِ عَمِّهِ الإِمَام: مَا قَولُكَ فِي دِعْبِـلٍ وَالكُمَيتِ، وَمَنْزِلَتِهِما عِندَ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام؟ فَهَل هُمَا أَفْضَلُ أَم السَّـيِّدُ حَيدَر؟ وَهوَ ابنُ رَسـولِ الله؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَأَفْضَلُ مِنْهُمَا، قَالَ: إِذًا يَجِبُ أَنْ تُكْرِمهُ بِأَقْصَى مَا تَشْعُرُ مِـن أَنوَاعِ التَّكرِيم، فَلَـمْ يَبقَ لِلإِمَامِ الشِّـيرَازِيِّ دُونَ أَنْ صَحِبَ مَعَهُ مِئـةَ لِيرَةٍ، وَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ، وَعِندَمَا دَخَلَ عَلَيهِ تَنَاوَلَ يَدَ شَاعِرِنَا؛ فَقَبَّلَهَا بَعدَ امْتِنَاعٍ شَدِيدٍ»[٢].

(١) حيدر الحِلّيّ: ٩١.

(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلّيّ، عليّ الخاقانيّ: ١٨.

وَيُضيفُ الأستاذ الخَاقَانيّ قَائِلًا: «فَهَذِهِ القِصَّةُ لَوْ لَمْ يَكنْ الـرُّوَاةُ لَهَا ثِقَاتٍ؛ لَامْتَنَعَ السَّمْعُ مِن قَبولِهَا؛ لِأَنَّ الإِمَامَ الشِّيرَازِيَّ عَرَفَ سِيرَتَهُ القَاصِي وَالدَّانِي، أَنَّ المُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ كَانَتْ تَزُورُهُ وَتَخضَعُ لَهُ احْتِرَامًا لِمَقَامِهِ الدِّينِي»(١).

وَمِنَ المُفيدِ هنَا أَن نَذكرَ مَا قَالَه الدكتور محمَّد مَهدي البَصير عَن تَرفُّعِ السَّيِّد حَيدَر، وَتَصَوُّنِهِ عَن أُمورٍ يَسعَى لَهَا بَعضُ الشُّعرَاء: «إِلَّا أَنَّه مِنَ الحَقِّ أَن نُلَاحِظَ أَنَّه كَانَ عَلَى العُمومِ أَبِيًّا عَزيزَ النَّفسِ، يَلْتَزِمُ التَّصَوُّنَ، وَيُؤثِرُ التَّرَفُّعَ، وَلَكنْ لَئِن كَانَ خَفيفَ الحَال، قَليلَ المَالِ، لَقَد كَانَ عَظِيمَ القَدرِ، وَاسِعَ الجَاه»(٢).

وَقَالَ خَيرُ الدِّينِ الزَّركلي: «تَرفَّعَ بِهِ عَنِ المَدحِ وَالاسْتِجدَاءِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالسَّخَاءِ»(٣).

وَقَالَ المُحَقِّقُ وَالمُؤَرِّخُ العَلَّامةُ الشَّيخُ يُوسفُ كَركوش: «وَكَانَ أَبِيًّا، عَزيزَ النَّفسِ، يَلتزمُ الصَّونَ، ويؤثِر التَّرَفُّعَ، ذَا جَاهٍ عَظِيمٍ، لَهُ مَكَانَةٌ سَامِيةٌ فِي الأَوسَاطِ العِلْميَّةِ والأَدَبيَّةِ»(٤).

وَجَاءَ فِي تَرجمَتِهِ بِقَلمِ المُحَقِّقِ الأستَاذِ صَالح الجَعفَريّ: «وَقَد كَانَ السَّيِّد حَيدَر مَعَ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِه، يَتَرفَّعُ عَمَّا يَتَّصِفُ بِهِ الشَّاعِرُ»(٥).

وَمَن أَرادَ المَزيدَ، فَليَراجع رَدَّنَا عَلَى أَقوالِ د. فارس عزيز.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، عليّ الخاقانيّ: ١٨.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤١.
(٣) الأعلام للزركليّ: ٢/ ٢٩٠.
(٤) تأريخ الحِلَّة: ٢/ ١٤٣.
(٥) شرح ديوان السيِّد حيدر، صالح الجعفريّ، المقدِّمة، وديوان السيِّد حيدر، الطبعة الحجريَّة، المقدِّمة: ٥.

وَفاةُ السَّيِّد حَيدَر الحِلّي

أَغلَـب المُؤرِّخينَ ذَكروا يَومَ وفَاةِ السَّـيِّد حَيدَر، وَمَا حلَّ فيـه وَمَا قِيلَ فِيه، وَأَكتفِي هُنَـا بِما قَالَـهُ الدكتور البَصيرُ رحمه الله؛ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَـيني أَخَذَ عَنـهُ، وَعَدَّهُ أَحدَ مَصادِرَ بَحثِهِ، قَالَ الدكتورُ البَصيرُ: «وَشَـاءَت الصُّدَفُ أَنْ تَكونَ وَفَاتُهُ فِي سَـنةِ جَدبٍ، وَأَنْ يَلْطُفَ اللهُ تَعالَى بِعبَادِهِ عَلَى إِثرِ وَفَاتِهِ؛ فَيَسقيهِم الغَيثَ، وَيُحيِي الزَّرعَ وَالضَّـرعَ، فَعدَّ النَّاسُ ذَلكَ كَرامَةً لَهُ، وَإِلَى هَذَا أَشارَ الشَّيخُ مُحَمَّد نُوحٍ بِقَولِهِ فِي مَرثِيَّةٍ لَهُ:

صَـدَّ الـغَـمَامَ فَـسَـادُ الأَرْضِ وانْـقَـشَـعَـتْ
سُـحْـبُ القِـطَـارِ وَهَـوْلُ الـشِّـدَّةِ انْفَسَحَا
وَفَـــزَّعَ الـدَّهْـرَ إِمْـسَـاكُ الحَـيَـا وَعَـرَتْ
سُـودُ الـرَّوَائِـعِ حَـيْـثُ المُـتْـرَفُ اجْـتَـرَحَـا
حَتَّى إِذَا اخْتَرْتَ دَارَ الفَيْضِ مُصْطَفِيًا
مَـثْـوًى بِـهِ جِـبْرِئِـيـلٌ وَجْـهَـهُ مَسَحَا
بَـكَـتْ عَـلَـيْـكَ الـسَّـمَا فَـاخْـضَرَّ مُـنْـغَـمِـرًا
رَوْضُ البَسِيطَةِ حَتَّى عَيْشُهَا نَجَحَا»[1]

لَكنَّ السَّيِّدَ عَليّ الحُسَينيّ قَالَ: «فَعدَّ النَّاسُ هَذَا التَّبدُّلَ مَكرمةً مِن مَكَارِمِه، وَفضلًا عَـن فَضائِلِـه، وَهَذَا يُشـيرُ إِلى جُمودِ الثَّقَافَـةِ العِراقيَّة آنـذَاكَ، وَضُمُورِ التَّفكِـيرِ العِلمِيّ الحَي»[2].

أَقـولُ: هَـذِه مِـن إِفـرَازَاتِ ثَقافَتـهِ الجَديـدةِ المُسـتَقَاةِ مِـنَ الفِكـرِ المَاركِسـيّ، التَّفكـير العِلمِـيّ الحَـي، الَّـذِي يَنكـرُ وُجـودَ كَرامَـاتٍ إِلهيَّـةٍ، وَتَدَخُّـلٍ إِلهـيٍّ فِي أَيِّ

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٥. ديوان حمَّادي نوح: ١/ ٣٢٧.
(٢) حيدر الحِلّيّ: ٩٨- ٩٩.

مَوضوعٍ عَلَى الأَرضِ، بَل يُنكِرُ وُجودَ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، فَيقولُ: (الدِّينُ أَفيونُ الشُّعُوب).

لِذَلِكَ لَم يَتَطَرَّقِ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ لِقَصيدَةِ الشَّاعرِ الشَّيخِ حَمادِي نُوحٍ، الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إلى هذا المَوضوعِ.

ذَكَرَ جَامعُ الدِّيوانِ السَّيِّد عَبدُ المُطَّلبِ هَذِه القَضيَّةِ، فَقَالَ: وَاتَّفَقَ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ سَاعَةَ فَرَغنَا مِن دَفْنِهِ، وَاستَمَرَّ المَطرُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَضَمَّنَهُ أَيضًا الشَّيخُ حَمَّادي نُوح فِي طَرفٍ عَجِيبٍ وَمَعنًى غَريبٍ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ- ويذكر الأبيات الأربعة السابقة، ويذكر بعدها البيت الخامس- وهو:[1]

فَكُنْتَ نُورًا لَهَا حَيًّا وَمُنْهِلَهَا
مَيْتًا وَكُنْتَ لَهَا فِي الجَدْبِ مُنْتَدَحَا

دِيوانُ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ

وَيَذكرُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ دِيوانَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ رحمه الله، فَيَقولُ: «حَدَّثنَا عَبدُ المُطَّلبِ الحِلِّيّ، نَاشِرُ دِيوانِهِ الأَوَّل، أَنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَدَيهِ مجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشَاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيهِ، وَأَنَّه كَانَ يَختلِفُ عِندَه السَّيِّد حَسَن هَادِي الصَّدِر المُتوفَّى عَام (١٣٥٤هـ)، فَوَجَدَه عِندَه، وَكَانَ السَّيِّدُ حَسَن قَد جَمَعَه عِندمَا كَانَ شَاعِرًا يَتردَدُ عَلَى سَامَرَّاءَ لِمَدحِ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ، وَمِنَ الجَديرُ بِالذِّكرِ هُنَا، أَنَّ كُلًّا مِنَ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ وَالسَّيِّدِ الصَّدرِ هُمَا مِن رِجَالِ الدِّينِ المَعروفِينَ فِي تِلكَ الفَترةِ، وَهَكذَا كَانَ رِجالُ الدِّينِ جَميعُهُم يَهتَمُّونَ بِروايةِ شِعرِ حَيدَر وَحِفظِهِ؛ لِأَنَّهُم يَحتاجُونَ إِلَيهِ لِتلَاوتِهِ في مَجالِسِ العَزَاءِ الحُسَينيَّةِ الَّتِي تُقَامُ كُلَّ عَام»[2].

(١) ديوان حمادي نوح: ١/ ٣٢٧.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

لَاحِظ حَجمَ الأَخطَاءِ وَالتَّهَافُتَ فِي هَذَا النَّصِّ:

أوَّلًا: قَالَ: «حَدَّثنَا عَبدُ المُطَّلِبِ الحِلِّيّ»، وَالسَّيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ رحمه الله تُوفِّيَ سَنَةَ (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، وَالسَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ وُلِدَ سَنَةَ (١٩٣٨م)، فَالسَّيِّد عَليّ وُلِدَ بَعدَ وَفاةِ السَّيِّد عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ دَاودَ بـ(١٧) سَنة، فَكيفَ حَدَّثَه؟! فَكَانَ عَلَيه إن لَم يَسمَع مِنهُ شَفَاهًا، وَقرأ ذَلكَ في كِتابٍ، أَنْ يُحيلُ عَلَى ذَلكَ المَصدَر؟! لَكِنَّ النَّزعَةَ الشَّبَابِيَّة فِيهِ، الَّتي تُؤزُّهُ أَزًّا لِتَضَعَه بِمَصافِ العُلَمَاءِ وَالشُّعرَاءِ الكِبَارِ، تَجعَلَه يُقَلِّدُ العُلماءَ الكِبارَ، أَمثَالَ العَلَّامَة الدكتور محمَّد مَهدي البَصير، وَيَذكرُهُم بِلَا أَلقَابٍ وَلَا عَناوينَ: عَبدُ المُطَّلِب، حَيدَر، سُلَيمانَ.. الخ، وَيقولُ: حَدَّثَنا عَبدُ المُطَّلِب!!

ثَانيًا: إِنَّ السَّيِّدَ عَبدَ المَطَّلِبِ رحمه الله لَم يَنشرِ الدِّيوانَ، فَالَّذِي نَشَرَه غَيرُه، وَهوَ الحَاجُّ الشَّيخُ عَليّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِريّ- عَلَيهِ رِضوَانُ الله تَعَالَى، وَذَلِكَ مُثبتٌ فِي أَوَّلِ صَحيفةٍ مِنَ النُّسخَةِ الحَجَرِيَّةِ المَطبوعَةِ سَنَةَ (١٣١٢هـ)، في الهند، وفي آخِرِ الخَاتِمَةِ مِنهَا، فَلَا يَجوزُ نِسبَةُ نَشرِ الدِّيوَانِ لِغَيرِه، قَالَ تَعَالَى: ﴿.. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ..﴾[1]، وَرُبَّما تَلَقَّفَ هَذا الوَهمَ مِن أَحدِ المَصَادرِ الَّتِي يَنقلُ عَنهَا بِلَا تَروٍّ، مَع ذَلكَ فَهوَ غَيرُ مَعذورٍ؛ لِأَنَّ نُسخَةَ الدِّيوانِ المَطبوعَةَ فِي الهِندِ كَانَت أَحَدَ المَصَادر لِبَحثِهِ هَذَا، فَعَلَيهِ أَن يَكونَ دَقِيقًا.

ثَالِثًا: وَهنَا الطَّامَّةُ الكُبرَى، إِذ قَالَ: «إِنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَديهِ- أَي السَّيِّد عَبد المُطَّلِب- مَجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلمِيذًا لِشَاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيه».

نَقولُ لِلسَّيِّدِ البَاحِثِ الفَتَى السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ- غَفرَ الله لَه: إِنَّ السَّيِّدَ عَبدَ المُطَّلِبِ هوَ جَامِعُ دِيوانِ عَمِّهِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَهوَ الَّذِي أَعَدَّهُ لِلطَّبعِ، وَسَمَّاهُ (الدُّرُّ اليَتِيم وَالعِقد النَّظِيم)، وَكَتبَ مُقَدِّمَةَ الدِّيوانِ، وَقَدَّمَ لِقَصَائِدِ الدِّيوَانِ، وَرَتَّبَهَا فِي أَبوَابٍ،

(١) سورة الأعراف: ٨٥.

وَكَتَبَ الخَاتِمَةَ، وَكُلُّ الَّذِي تَركَهُ السَّـيِّد حَيدَر رحمه الله قَصَائِـدَ مَكتوبَةً عَلَى أَورَاقٍ، مَحفوظَةً فِي أَسـفَاطٍ[1]. فَكَيفَ يَكونُ مجهولاً لَدَيهِ يَا سَـيِّد عَلِيّ؟! وَمَا مَعنَى هَـذَا التَّأكِيدِ: «عِلمًا بِأَنَّه كَانَ تِلمِيذًا لِشَـاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيه»، أَتُرِيدُ أَنْ تقولَ: إِنَّ الدِّيوانَ لَا قِيمَةَ لَه، إِلَى دَرجَة أَنَّ تِلمِيذَهُ وَابنَ أَخِيهِ يَجهَلُه، وَلَا يَعرفُ عَنهُ شَيئًا؟!.

نَعودُ لِلكِتابِ المَطبوعِ فِي الهِندِ، فَفِي الصَّحِيفَةِ الأُولَى، بَعدَ ذِكرِ اسـمِ الدِّيوَانِ (الدُّر اليَتِيم وَالعِقْد النَّظِيم)، وَاسمِ المُؤَلِّف السَّيِّد حَيدَر، يَقُولُ: «لَـمَّا كَانَ هَذَا الدِّيوَانِ مَرغوبًا عِندَ أُولِي الأَبصَارِ، وَمحبوبًا عِندَ أُولِي الألبَابِ، كُنتُ أَحْبَبتُ فِي تَكثِيرِهِ وَتَوفِيرِه وانْتِشَـارِ نُسَخِهِ، إِلَى أَنْ وَفَّقَنِي الله تَعَالَى لِطَبعِهِ بَعدَ تَصحِيحِه، حَسَبَ مَا تَيَسَّرَ لِي، وَأَنَا العَبدُ المُفتَقِر إِلَى الله الوَفِيّ المُلي، أَقَلّ أَبنَاءِ العُلماءِ، الحَاجُّ الشَّيخُ عَلِيّ المَحلَّاتِيّ الحَائِرِيّ»[2].

وَفِي الصَّحِيفَةِ الثَّانِيَة، قَالَ بَعدَ ذِكرِ اسْـمِ الدِّيوانِ، وَاسمِ المُؤَلِّفِ: «بِسمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحِيـمِ، الحَمدُ لله الَّذِي جَمعَ.. إِلَى أَنْ قَالَ: أَمَّـا بَعدُ، فَيقُولُ الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ الغَنِيّ عَبدُ المُطَّلِـبِ بنُ دَاودَ الحُسَـينِيّ الحِـلِّيّ: إِنَّهُ لَـمَّا ذَهبَ طَـارِقُ القَدرِ؛ بِغُرَّةِ جَبـينِ هَذَا الدَّهرِ؛ عَمِّنَـا وَوَالِدِنَا السَّـيِّد حَيدَرٍ طاب ثراه، وَرَاوَحهُ غَيثُ اللُّطفِ بِشَـآبِيبِ عَفـوِ الله وَغَادَاهُ، وَلَهُ مِنَ القَصَائِدِ وَالمَقَاطِيعِ وَالمُكَاتَبَاتِ فَرَائِدٌ تَتَحَلَّى بِحُسـنِهَا نُحورُ الخَرَائِدِ.. حتى قال رحمه الله.. فَأَحَبَبـتُ أَنْ أُؤَلِّـفَ بَينَ شَـوَارِدِهَا، وَأَجمعَ بَينَ بَدَائِدِهَـا، بِكِتَابٍ تَسْـتَأنِسُ بِرَائِقِ تَرتِيبِهِ النُّفُوس، وَتَتَحَلَّى بِحُسـنِ طِرزِهِ خُدُودُ الطُّرُوس، وَأُصَدِّرُهُ فِي مُقَدَّمَةٍ أَذكرُ فِيهَا شَيئًا مِنْ نَسَـبِهِ، وَلَوَامعًا مِنْ أَدَبِـهِ.. إلى أن قال.. وَقَد وَافَقَ حُبِّي لِذَلكَ إِلتِـمَاسَ الكَامِلِ الأَدِيبِ الفَاضِلِ الأَرِيبِ، بَدرِ العِلمِ وَذُكَاءِ الفَهمِ، غُرَّةِ وَجهِ الزَّمَنِ، جَنَابِ السَّـيِّدِ حَسَـنِ نَجلِ العَالِمِ.. السَّيِدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ، عَامَلَهُ اللهُ بِلُطفِهِ الخَفِيِّ وَالجَلِيِّ، وَأَنْ يَكونَ هَذَا

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة بومباي، المقدِّمة: ٢-٤.

(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة بومباي، المقدِّمة: ١.

الجَمعُ لَهُ، إذ هُوَ بَعضُ الأَسبَابِ الدَّاعِيةِ إِلَى جَمعِهِ، وَفَّقَهُ الله لِـمَا يُحِبُّهُ وَيَرضَاهُ، وَأَسعَدَهُ فِي دُنيَاهُ وَأُخرَاهُ، فَأَجَبتُهُ إِلَى ذَلكَ مُسَارَعةً إِلَى العَملِ الوَاجِبِ، إذ كَانَ مَا أَمرَ بِهِ مِنَ الضَّـربِ اللَّازِبِ، حتَّى قال.. وَقَد سَمَّيْتُهُ (الدُّرُّ اليَتِيمُ وَالعِقْدُ النَّظِيمُ).

ثُـمَّ فِي خَاتِمةِ الدِّيوانِ، قَالَ السَّـيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ رحمه الله: «وَهَذَا آخِرُ مَـا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ جَمِيعِ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ، بَعْدَ المُبَالَغَةِ التَّامَّةِ فِي الطَّلَبِ لِـمَا نَظَمَ وَنَثَرَ مِنْ ابْتِدَاءِ شَـبَابِهِ إِلَى نِهَايَةِ عُمْرِهِ، فَلَمْ نَجِدْ مِنْهُ إِلَّا مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ بِهَذَا الكِتَابِ، وَفَّقَنَا اللهُ تَعَالَى إِلَى العَمَلِ بِأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَحْسَنِ القَوْلِ بِالصَّوَابِ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالرَّسَائِلِ مَا لَوْ حُفِظَ؛ لَكَانَ حُلْيَةً لِجِيدِ هَذَا الزَّمَنِ العَاطِلِ.. الخ[1].

فَإِذًا السَّيِّد عَبد المُطَّلِبِ هُوَ الَّذي جَمعَ الدِّيوانَ، وَكتبَ المُقدِّمةَ، وَأَعَدَّهُ لِلطَّبعِ حَسَبَ رَغْبةِ السَّيِّدِ حَسَن نَجلِ السَّيدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِليِّ قدس سره، وَطَلَبِهِ، وَهَذا مَا أَثبَتَه السَّيدُ عَبدُ المُطَّلِبِ فِي مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ، كَما شَاهَدنَا.

عَلَى أَنَّ عَملِيةَ جَمع الدِّيوانِ لَم تَقتَصِر عَلَى السَّـيدِ عَبدِ المُطَّلِبِ وَحدَه، فَقَد اهْتَمَّ غَيرُهُ بِذَلِـكَ أَيضًا، قَالَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقَانِيّ نَـاشِرُ دِيوَانِه: «وَدِيوَانُ السَّـيِّدِ حَيدَرٍ عَلَى قُربِ عَهدِنَـا مِنـهُ، كَادَتْ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيهِ يَدُ النِّسـيَانِ، لَـو لَمْ يُهيئ اللهُ نَفَرًا يَرعَـى ذِمَّةَ الأَدَبِ وَالتَّدوِينِ، سَجَلَّ مَا وَصَلَ إِلَيهِ مِن شِعرِ صَاحِبِ الدِّيوَانِ، فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ جَمعَ بَعضَ مَا قَالَهُ وَأَهدَاهُ إِلَى صَديقِهِ الحَاجِّ مُحَمَّدِ حَسَـنٍ كُبَّه، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُمَثِّلْ كُلَّ مَا قَالَهُ مِنَ الشِّـعرِ، مِـمَّا حَفَّزَ هَذَا النَّفَرَ أَنْ يَتَتَبَّعوا شِـعرَهُ، وَمِنهُم ابنُ عَمِّهِ الشَّاعِرُ الشَّهِيرُ السَّيِّد مِيرزا الحِلِّيّ، فَقَد جَمعَ مَا اسْـتَطَاعَ أَنْ يَجمَعَ، وَتَبِعَهُ فَرِيقٌ مِنَ المُولَعِينَ فِي الجَمعِ وَالتَّدوِينِ، سَـجَّلوا فِي المَجَامِيعِ المَخْطُوطَةِ بَعضَ مَا وَصَلَ إِلَيهِم أَيضًا»[2].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الهند: ٤٧٨.

(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.

ثمَّ يقع الأستاذ عليّ الخاقاني رحمه الله في وهم شنيع، بقوله: «يُحَدِّثُنَا الشَّاعِرُ السَّيدُ عَبدُ المُطَّلِبِ الحِلِّيِّ فِي مُقَدَّمَتِهِ لِلطَّبعَتَينِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ اللَّتَينِ طُبِعتَا فِي (بُومبَيْ) الهِندِ، أَنَّ الدِّيوَانَ بَقِيَ مَجهولًا لَدَيهِ، غَيرَ أَنَّهُ خِلَالَ تَردُّدِهِ عَلَى (سَامَرَّاءَ)، عَثَرَ عَلَيهِ عِندَ العَلَّامَةِ الكَبِيرِ السَّيدِ حَسَنِ الصَّدرِ المتوفَّى (١٣٥٤هـ)[1]، فَقَدْ جَمَعَهُ يَومَ أَن كَانَ يَختَلِفُ صَاحِبُ الدِّيوَانِ عَلَى سَامَرَّاءَ[2]، وَبِذَلِكَ كَانَ خَيرَ عَونٍ عَلَى إِحيَائِهِ خِلَالَ الزَّمَنِ الَّذِي مَضَى،

(١) هَذَا وَهمٌ مِنَ الأُستَاذِ الخَاقَانِيّ- سَامحَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَهُ، فَالَّذِي قَالَ هَذَا الكَلَامَ هُوَ نَاشِرِ الدِّيوَانِ الشَّيخُ عَلِيّ الحَائِرِيّ المَحَلَّاتِيّ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ هَذَا الدِّيوَانُ جوهَرًا فَردًا، وَدُرَّةً يَتِيمَةً لَا يُعَادِلُهُ لِعُلوِّ شَأنِهِ ثَمَنٌ وَلَا قِيمَةٌ، وَمَحبوبًا لِلْقُلُوبِ وَمَرغُوبًا لِلطِبَاعِ، وَكَانَ كَالعَنقَا اسْمُهُ مَذكُورٌ وَمَرقُومٌ، وَكِتَابُهُ غَيرُ مَعلُومٍ، وَلَا أَدرِي فِي أَينِ وَمِنْ أَينِ، إِلَى أَنْ تَشَرَّفتُ فِي سَامَرَّا، فَوَجَدتُهُ عِندَ بَدرِ العِلمِ وَذَكَاءِ الفَهمِ، غُرَّةِ وَجهِ الزَّمَنِ، جَنَابِ السَّيِّدِ حَسَنٍ، نَجلِ العَلَّامَةِ الفَهَّامَةِ السَّيِّدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ- دَامَ فَضلُهُ وَعُمرُهُ، فَأَمَرتُ بِطَبعِهِ وَانتِشَارِ نُسَخِهِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، فَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكونَ سَعْيِي هَذَا ذَخِيرةً لِلمَعَادِ، وَمَؤُونَةً لِيَومِ التَّنَادِ، وَاللهُ تَعَالَى عِندَ ظُنُونِ عِبَادِهِ، وَهوَ المُوفِّقُ لِسَبِيلِ رَشَادِهِ. وَأَنَا العَبدُ المُفْتَقِرُ إِلَى اللهِ الغَنِيُّ الوَفِيُّ المَلِيُّ، أَقَلُّ أَبنَاءِ العُلَماءِ الرَّاشِدِينَ الحَاجُّ شَيخُ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيُّ، مَاه رَبيع الأَوَّل سَنَةَ (١٣١٢هـ)». تنظر طبعة بومبي: ٤٧٩. أَمَّا السَّيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ، فَقَد قَالَ عَنْ عَمَلِهِ فِي جَمعِ الدِّيوَانِ: «فَأَحَبَبتُ أَنْ أُؤَلِّفَ بَينَ شَوَارِدِهَا، وَأَجمعَ بَينَ بَدَائِدِهَا، بِكِتَابٍ تَستَأنِسُ بِرَائِقِ تَرتِيبِهِ النُّفُوس، وَتَتَحَلَّى بِحُسنِ طِرزِهِ خُدُودُ الطُّروس، وَأُصَدِّرُهُ فِي مُقَدَّمَةٍ أَذكُرُ فِيهَا شَيئًا مِنْ نَسَبِهِ، وَلَوَامعًا مِنْ أَدَبِهِ..الخ»، حتَّى قال: «وَقَد وَافَقَ حُبِّي لِذَلِكَ إِلتِمَاسَ الكَامِلِ الأَدِيبِ الفَاضِلِ جَنَابِ السَّيِّدِ حَسَنَ نَجلِ العَالِمِ العَامِلِ السَّيدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ، وَأَنْ يَكونَ هَذَا الجَمعُ لَهُ إِذ هُوَ بَعضُ الأَسبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى جَمعِهِ، وَفَّقَهُ اللهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرضَاهُ»، قَولُهُ: وَأَنْ يَكونَ هَذَا الجَمعُ لَهُ، أَي لِيَتَصَرَّفَ بِالدِّيوَانِ بَعدَ جَمعِهِ فِي مَوضُوعِ طِبَاعَتِهِ، وَفِعلًا كَلَّفَ السَّيدُ حَسَن- عَلَيهِ رِضوَانُ اللهِ، الحَاجَّ الشَّيخَ عَلِيًّا المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيّ بِتَحَمُّلِ نَفَقَةِ طَبعِهِ فِي الهِندِ، فَقَامَ الأَخِيرِ بِذَلِكَ بِكُلِّ رَغبَةٍ وَمَمنُونِيَّةٍ. تنظر: مقدِّمة السيِّد عبد المطَّلب لطبعة بومبي.

(٢) انْحَصَرَ عَملُ السَّيدِ حَسَن ابنِ السَّيدِ هَادِي العَامِلِيِّ قدس سره فِي تَشجِيعِ السَّيدِ عَبدِ المُطَّلِبِ رحمه الله، وَحَثِّهِ عَلَى جَمعِ الدِّيوَانِ، وَبَعدَ اكْتِمَالِ جَمعِهِ وَكِتَابَةِ مُقَدَّمَتِهِ، أَرسَلَ عَلَى الحَاجِّ الشَّيخِ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيِّ، وَكَلَّفَهُ بِتَحَمُّلِ نَفَقَاتِ طَبعِ الدِّيوَانِ فِي الهِندِ. تنظر: مقدِّمة عبد المطَّلب، ومدوَّنة الحَاجِّ الشَّيخِ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِي الحَائِرِيِّ في: ٤٧٩ من الديوان، طبعة بومبي.

وَبَعـدَ النَّظَـرِ مِن السَّـيدِ عَبدِ المُطَّلَـبِ، وَالتِمَاسِ السَّـيدِ الصَّدرِ، تَوَلَّى نَشرَهُ الشَّـيخُ عَليُّ المَحلَّاتيّ مَرَتَينِ عَلَى الحَجَرِ»[1].

وَيَتَلَقَّفُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ (غفر الله له) هَذا الوَهمَ الكَبيرَ مِنَ الأستَاذِ الخَاقانيّ، دونَ أَن يُكَلِّفَ نَفسَـه عَنَاءَ الاطِّلَاعِ عَلَى مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ، طَبعة بُومبَي؛ لِيكتَشِـفَ الوَهمَ وَيُصَحِّحَهُ، فَيُسَجَّل ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ السَّيد عَليّ الحُسَينيّ: «وَإِنَّه كَانَ يَختلِفُ عِندَه السَّيِّد حَسَن هَادِي الصَّدر المُتَوَفَّى عَامَ (١٣٥٤هـ)، فَوَجَدَه عِندَه»[2]، وَهُنَا يَتَخَبَّطُ السَّـيِّد عَلـيّ فَيزيدُ الطِّينَ بِلَّة، إِذ جَعَلَ السَّـيِّدَ صَـدرَ الدِّينِ يَختَلِـفُ (أَي يَتَردَّد) عِندَ السَّـيِّد عَبدِ المُطَّلِبِ، وَالحَقِيقَـة كَما قُلنَا أَنَّ الشَّـيخَ المَحلَّاتي عِندمَا تَشَـرَّف بِزيَارَةِ سَـامَرَّاءَ، وَزَارَ السَّيدَ حَسَـن الصَّدِر العَامِليّ قدس سره، وَجَدَ الدِّيوانَ عِندَه.

وَتَلعَـبُ الأَخطَـاءُ لِعبَتَهـا فِي زِيَادَةِ مَـرَارَة النَّصِّ، إِذ يَقولُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ: «وَكَانَ السَّـيِّد حَسَـن قَد جَمعَـه عِندمَا كَانَ شَـاعِرًا يَـترَدَّد عَلَى سَـامَرَّاءَ لِـمَـدحِ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ»[3].

أَخَذَ السَّـيِّد عَليّ هَذه العِبارةَ مِنَ الأسـتَاذِ عليّ الخَاقَانيّ، وَلَكِن زَادَ مِن شِدَّةِ مَرَارَتِهَا بِقَولِهِ: عِندمَا كَانَ شَاعِرًا؟! وَنَسأَلُهُ ثُمَّ مَاذَا أَصبَحَ بَعدَ أَن كَانَ شَاعِرًا؟!

وَقَد قَالَ السَّـيِّد عَليّ قَبلَ هَذا: «إِنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَدَيـه مَجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشَـاعِرِنَا وَابنًا لِأَخِيه»، فَالقِسـمُ الأَوَّلُ مِن هَذِه العِبارةِ تَلَقَّفَهَا مِنَ الأسـتَاذِ الخَاقَانِيّ[4]،

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.

وَبـدلًا مِـن أَن يُصَحِّحُها كَباحِثٍ يُحـاوِلُ كِتابَةَ بَحثٍ رَصينٍ، يَعمَـلُ العَكسَ، فَيُضيفُ العِبَـارةَ الثَّانيةَ مِنـه: «عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشَـاعِرنَا، وَابنًـا لِأَخِيهِ»، بِهـذِه العِبَارَةِ يُرِيدُ تَرسِيخَ الوَهمِ وَجَعلَهُ حَقيقةً مِن جِهةٍ، وَالتَّقلِيلَ مِن شَأنِ الدِّيوانِ مِن جِهةٍ أُخرَى، ذَلِكَ أَنَّ تِلميذَ السَّيِّد حَيدَر وَابنَ أَخيهِ يَجهَل الدِّيوَانَ، فَأَيُّ قِيمَةٍ بَقِيَت لَهُ؟!

وَآخِرُ هَذِه الأَخطَاءِ الشَّـنِيعَة فِي مَوضوعِ دِيوانِ السَّـيِّدِ حَيدَر وَجَمعِهِ وَنَشـرِه، قَالَ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ: «وَمِنَ الجَديرِ بِالذِّكرِ هُنَا، أَنَّ كُلًّا مِنَ الإِمَامِ الشِّـيرازيّ وَالسَّـيِّد الصَّـدرِ هُمَا مِن رِجالِ الدِّينِ المَعروفِينَ فِي تِلكَ الفَترَة، وَهَكَذَا كَانَ رِجالُ الدِّينِ جَميعُهم يَهتَمُّونَ بِروايةِ شِعرِ حَيدَر وَحِفظِه؛ لِأَنَّهم يَحتَاجونَ إِلَيهِ لِتلَاوتِهِ فِي مَجالِسِ العَزَاءِ الحُسَينيَّة الَّتِي تُقَامُ كُلَّ عَامٍ»[1].

هَذِه العِبارةُ تَنُمُّ عَن جَهلٍ شَديدٍ بِالحَوزةِ العِلمِيَّةِ وَتَركيبتِهَا، وَأَنَّى لَه يَتقُنُ ذَلكَ، وَهوَ رَجلٌ بَعيدٌ عَنهَا كُلَّ البُعدِ، فَهوَ المَاركِسيّ الأَفكَار، فَالسَّيِّد محمَّد حَسَن الشِّيرَازِيّ، (المُجَدِّدُ الشِّـيرازيّ قدس سره) هُوَ المَرجعُ الأَعلَى لِكُلِّ المُسـلِمِينَ مِن أَتبَاعِ أَهلِ البَيـتِ فِي العِرَاقِ وَالعَالَم، وَرَئِيـسُ الحَوزةِ العِلميَّةِ الَّتِي نَقَلهَا مِنَ النَّجَفِ الأَشرفِ إِلَى سَـامرَّاءَ المُقَدَّسَـة، وَالعَلَّامَةُ السَّـيِّد حَسَـن صَدرُ الدِّينِ العَامليّ مِن أَساتِذةِ الحَوزَةِ الكِبارِ، فَهؤلَاءِ لَا يُقَالُ عَنهُم رِجَالُ دِينٍ هَكَذَا، ثُمَّ هُم لَيسـوا مِن خُطبَاءِ المَنابِرِ الحُسَـينيَّة لِكي يَكونوا بِحَاجَة إِلَى شِـعرِ السَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيّ لِيقرَؤُوهُ عَلَى المَنابِر، فَالخَلطُ عِندَ السَّيِّدِ عَليّ وَاضِحٌ جِدًّا، لَكِنَّهمَا يَتَذَوَّقانِ شِعرَ السَّيِّدِ حَيدَر، وَيَشتَاقَانِ إِلى سَمَاعِهِ كُلَّ حِين، وَهُما لَعمري الأَجدَرُ بِهذَا مِن غَيرِهِمَا.

وَعَن الدِّيوانِ قَالَ: «أَمَّا نَحنُ فِي دِرَاسَتِنا هَذِه، فَقَد تَوَفَّرت لَدَينَا عُدَّةُ مَصادِر، قَابلَنا بَينهَا، وَرَاجَعناهَا بِأَمَانَةٍ، وَدِقَّةٍ، وَتَأَنٍّ»[2].

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

وَلَا أَظـنُّ أَنَّ هَذَا صَحِيح؛ لِأَنَّهُ لَو قَد تَمَّ مَا قَالَ؛ لَـمَا وَقعَ فِي هَذَا الكَم مِنَ الأَخطَاءِ الَّتِي مَرَّت بِنَا، فِيمَا يَتَعَلَّق بِدِيوانِهِ فَقَط.

وَيُعَدِّدُ البَاحِثُ نُسـخَ الدِّيوانِ الَّتِـي اعتَمدَهَا، فَيخلطُ بَـينَ المَخطوطَةِ وَالمَطبوعَةِ، بِدونِ فَصلٍ بَينهُما، وَهذَا مُخالِفٌ لِلطُّرقِ العِلميَّة فِي الدِّرَاسَةِ.

وَعِندمَـا يَذكرُ النُّسـخَةَ (الدرُّ اليتيم، ط الهنـد)، يَعودُ لِخَطَئِـهِ الأَوَّلِ، فَيقولُ: «قَامَ بِطَبعِـهِ عَبدُ المُطَّلَـبِ الحِلِّيّ»[1]. وَيقولُ أَيضًـا: «وَبِالرَّغمِ مِمَّا لَازَمَ طَبعَ هَذِه النُّسـخَةِ مِنَ الدِّيوانِ، مِن تَحريفٍ وَتَشـويهٍ وَإِضَافَةٍ.. الخ»[2]، وَهُنَا نَقولُ لِلسَّـيِّدِ عَليّ الحُسَينيّ: إِنَّ الطَّبعَةَ فِيهَا (تحريف، وتشـويه) نَاتِجٌ عَنِ الأَخطَاءِ المَطبَعيَّةِ، وَعَدم التَّدقِيقِ العِلميّ قَبلَ الطَّبعِ، وَلَكنَّهَا خَالِيَةٌ مِنَ الإِضَافَة، وَالطَّبعةُ مَوجودةٌ، وَيَستطيعُ أَيُّ بَاحِثٍ أَن يَستَخرجَ لَنَا الإِضَافَاتِ إِنْ وِجدَتْ.

وَأَخيرًا أَقولُ: لَو أَنَّ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَـينيّ رَجـعَ إِلَى البَابِليَّاتِ وَاطَّلَـع عَلى مَا كَتبَه العَلَّامـةُ الشَّـيخُ اليَعقوبيّ فِي هَذَ المَوضـوعِ، وَكَانَ مِنَ الوَاجبِ عَليـهِ أَنْ يَرجعَ وَيَطَّلِعَ، لِيَلُمَّ بِكُلِّ جَوَانِبِ المَوضوعِ، وَلَا سِـيَّما هوَ يَقولُ: «وَرَاجَعناهَـا بِأَمَانَةٍ، وَدِقَّةٍ، وَتَأَنٍّ»[3]، وَلَو فَعلَ؛ لَـمَا وَقعَ فِي هَذِه الأَخطَاءِ الشَّنِيعَةِ.

قَالَ العَلَّامةُ الشَّـيخُ اليَعقُوبيّ: «لَم يَكُنْ الدِّيـوانُ مَجموعًا فِي حَيَاةِ النَّاظِمِ، وَإِنَّمَا جَمَعَه ابنُ أَخِيهِ السَّـيِّد عَبدُ المُطَّلِبِ، بِاقْتِراحٍ مِنَ الحُجَّةِ السَّـيِّدِ حَسَن الصَّدرِ، وَأَهدَاه إِلَيهِ، كَمَا قَالَ فِي مُقَدَّمَتِهِ.. الخ»[4]

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٥.

(٢) حيـدر الحِلِّـيّ: ١٠٥. اقتبـس السـيِّد عليّ الحسـينيّ هذه العبارة مـن مقدِّمة الأسـتاذ عليّ الخاقانـيّ. ينظر: ديوان السـيِّد حيـدر الحِلِّيّ، الخاقانيّ: ٢٤، لكنَّ الأسـتاذ الخاقـانيّ لم يقل فيه إضافة، فهذه من عنديَّات السيِّد عليّ الحسينيّ.

(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

(٤) البابليَّات: ٢/ ٢٣٨.

العَلاقَة بَينَ السَّيِّد حَيدَر وَالشَّريف الرَّضيّ

تَطَرَّقَ الدكتور محمَّد مَهدي البَصير رحمه الله فِي مَعرضِ حَديثِه عَن الأَسبَابِ الَّتِي مَكَّنَت السَّيِّدَ حَيدَر مِن أَن يَبلُغَ شَأوًا بَعيدًا فِي الرِّثَاءِ- بحَسَبِ ظَنِّهِ- لِنَوعَينِ مِن الأَسبابِ: نَفسِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، فَقَالَ: «فَأَمَّا الثَّقافيَّة، فَهيَ صِلَتُهُ القَويَّة بِالشَّريفِ الرَّضِيّ، وَصِلتُهُ القَويَّةُ كَذلِكَ بِتلمِيذِهِ مِهيَار، وَاطِّلاعُه لَيسَ فَقَط عَلَى مَراثِيهِما الكَثيرةِ، الحَافلَةِ بِأَحَدِّ المَشاعِرِ وَالعَواطِفِ، وَأَصدَقِ الأَحَاسِيسِ، وَالانْفِعَالَاتِ، بَل عَلَى كُلِّ مَا خَلَّفَا مِن مَنظُومِ الكَلَامِ، فَمَا أَظُنُّ أَنَّ لِلرَّضِيِّ أَو لِتلمِيذِهِ مِهيَارَ بَيتًا وَاحدًا لَم يَقرأَهُ حَيدَر، وَلَم يَفهَمهُ فَهمًا كُلِّيًّا»(١).

أَخَذَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، كَلَامَ الدكتور البصير، فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ وَصَبَّ فِيهِ أَفكَارَهُ فِي نَصٍّ جَديدٍ، فَقَالَ: «وَلَقَد نَشَأت صِلَةٌ ثَقَافِيَّةٌ بَينَ حَيدَر وَبَينَ الشَّريفِ الرَّضيّ، وَهَذِهِ الصِّلَةُ نَاشِئَةٌ عَن تَشَيُّعِ الاثْنينِ، وَانْغِمارِهِمَا فِي الدِّفَاعِ عَن مَبَادِئِ وَمَفَاهِيمِ طَائِفَةِ الشِّيعَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخرَى مُوجَزةٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّلَةَ نَاشِئَةٌ عَن تَشَيُّعِهِما»(٢).

مَا هَذا الكَلامُ الَّذي يَرفضُهُ العَقلُ وَالمَنطقُ ؟ فَهَل نَحنُ فِي صِراعٍ طَائِفيٍّ؟! أَم فِي مَعركةٍ مَذهَبيَّة ؟! وَهَل أَنَّ السَّيِّدَ حَيدَر وَالشَّريفَ الرَّضِيّ هُمَا الشَّاعِرانِ الشِّيعيَّانِ الوَحيدَانِ مِن بَينِ كُلِّ الشُّعرَاءِ، لِكَي تَقومُ بَينهُما هَذه العَلاقَةُ الطَّائفيَّة المَزعومَة؟! وَهَل تَلَمَّسَ البَاحِثُ عَلاقَةَ الوُدِّ، وَالصَّدَاقَةَ الصَّادِقَة بَينَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ وَالشَّاعر عَبدِ البَاقي العُمَريّ المُعَاصِر لَهُ؟! وَهَل اطَّلَعَ عَلَى القَصائِدِ الَّتِي مَدَح بِهَا السَّيِّد حَيدَر شَخصِيَّاتٍ وَأُدبَاءَ وَعُلماءَ مِنَ المَذَاهِبِ الأُخرَى، دُونَ الأَخذِ بالحُسبَانِ مَذَاهِبَهم المُخَالِفَة لِمَذهَبِ أَهلِ البَيتِ؟! لَقَد كَانَ ذَلِكَ العَصرُ عَصرَ تَسَامُحٍ وَتَفاهُمٍ، وَكَانَت الحِلَّةُ خَاصَّةً، مُنذُ تَأسِيسِهَا، مَوطنًا لِمُختَلَفِ المَذَاهِبِ وَالأَديَانِ.

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٥٩-٦٠.

(٢) حيدر الحِلّيّ: ١٠٥.

وَمِن حَقِّنا أَن نَسـأَلَ السَّيِّدَ عَليّ الحسيني عَن مَذهَبِهِ، هَلْ هُوَ مِنْ مَذهَبٍ أَضَرَّت بِهِ هَذِهِ العَلَاقَةُ الشِّـيعِيَّةُ- كَمَا يَدَّعِي- بَينَ السَّـيِّدِ حَيدَر وَالشَّـريفِ الرَّضِي؟! وَلِـمَ لَمْ يَأخذْ بِقَولِ الأسـتاذ صَالِح الجَعفَريّ، وَهوَ الَّذِي مَدحَه، وَأَثنَى عَلَيهِ بِقَولِهِ: «شَاعِرٌ أَديبٌ نَابِهٌ مَعروفٌ»[1]، وَقَالَ أَيضًا «تَوَفَّرَ الأسـتاذ الجَعفَريّ عَلَى دِراسَـةِ الشِّعرِ دِراسةً دَقِيقَة»[2]، لَقَد قَالَ الأسـتاذ صَالِح الجَعفَريّ عَنِ السَّـيدِ حَيدَر: «ضَربَ لنَا مِنَ الأمثَالِ الشَّـارِدة، وَسَـجَّلَ لنَا مِنَ القَصائِدِ الخَالِدَة، وَالحَقُّ أَنَّه أَنسَى أَبَا تَمَّامٍ وَالتُّهَامِي، وَالشَّـريفَ الرَّضي، وَمِهيَارَ الدَّيلَمِي، وَغَيرَهُم»[3]

السَّـيِّد عَلي الحُسَـيني يُرِيدُ مِنَ السَّـيدِ حَيدَر أَنْ يَثورَ عَلَى مَدرَسَـةِ الشِّـعرِ وَتُرَاثِهِ، وَيكتُبُ (الشِّـعرَ الحُر)، أَو (الشِّـعرَ الحَديث)، فَيقول: «السَّـيِّد حَيـدَر يُعلِنُ عَجزَه عَنِ الثَّورَةِ ضِدَ القِيمِ الشِّـعريَّةِ المُتَرسِّـبَة عِندَ عَصرِهِ مِن خِلَالِ القُرونِ، وَهوَ بِهذَا يَأخذُ عَلَى نَفسِهِ عَهدًا بِأَن لَا يُخالِفَ هَذِهِ القِيَم، وَلَا يَعتَرِضُ سَبيلَهَا، وَأَنْ يُطَبِّقَ مَفَاهِيمَهَا فِي نَتَاجِهِ الشِّـعريّ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَثَقَافَتُه ثَقافَةٌ قَديمَةٌ، وَمَفهومُهُ عَنِ الشِّـعرِ مَفهومٌ قَديمٌ، وَهوَ لَا يُرِيدُ أَن يَخرجَ مِن هَذَا المَفهوم، وَيَبتَدعَ مَفهومًا جَديدًا لِلشِّعرِ، إِنَّما حَسبُهُ أَن يُجيدَ التَّزويقَ، وَأَن يُجيدَ هَذَا التَّلاعُبَ بِالأَلفَاظِ»[4].

أَقـولُ لِلسَّـيِّدِ عَلي الحُسَـيني: إِنَّ هَذَا الـكَلَامَ لَا يَرتَقي إِلَى المُسـتَوى الَّذِي يُوجِبُ الرَّدَّ عَلَيهِ اطْلَاقًا، وَلَو اطَّلَعَ صَاحِبُ هَذَا الكَلَامِ الهَابِطِ عَلَى مَا قَالَهُ الأسَـاتِذةُ الكِبارُ فِي السَّيِّدِ حَيدَر وَشِعرِهِ؛ لَنَأى بِنَفسِهِ عَن هَذَا كُلِّه، فَهذَا قَولُ الأستاذ صَالح الجَعفَريّ الَّذي يَعتَرِفُ الباحثُ بِكَفاءَتِهِ العِلميَّةِ، مِثلَ مَا مَرَّ قَبلَ سُطورٍ، وَأَمَّا الدكتور البصير، فَقَد قَالَ:

(١) حيدر الحِلّيّ: ١٠٦.
(٢) حيدر الحِلّيّ: ١٠٦.
(٣) شرح ديوان السيِّد حيدر الحِلّيّ، صالح الجعفريّ، المقدِّمة: م.
(٤) حيدر الحِلّيّ: ١٢٢.

«إنَّ فِي رِثَاءِ حَيدَر لِشُـهدَاءِ الطَّف، مَا يُفَتِّتُ الأَكبادَ أَسًـى وَلَوعَةً، وَيُذيبُ القُلوبَ أَسفًا وَحَـسرةً، وَلَكِنَّ فِيهِ كَذَلكَ مَـا يَملأُ الرُّؤُوسَ أَنَفةً، وَالصُّدورَ حَمِيَّةً وَحَماسَـةً، وَالنُّفُوسَ جُـرأةً وَإِقدَامًـا»[1]. وَيقَولُ فِيهِ أَيضًا بَعدَ أَن يَسـتَعرِضَ بَعضَ قَصائِدِهِ الشِّـعرِيَّةِ: «هَذَا مَا يَحمِلُنَا عَلَى الإِعجَابِ بِحَيدَر، وَيَحدو بِنَا إِلَى حَشرِهِ فِي طَلِيعَةِ شُـعرَاءِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِن نَاحِيَةِ الرِّثَاءِ، فَعَسَـى أَنْ نَنْصِفَ هَذَا الشَّـاعِرَ العَظِيمَ الَّذِي نَسِينَاهُ نِسـيَانًا تَامًّا، وَأَهمَلنَاهُ إِهمَالًا كَامِلًا، وَعَسَى أَنْ نَطْبَعَ دِيوانَهُ طَبعةً تَلِيقُ بِمَقَامِهِ»[2].

وَقَـالَ الدكتور البَصير أَيضًا: «يَجِبُ أَن نَتَذَكَّر أَنَّ التَّقَالِيدَ الأَدَبِيَّةَ السَّـائِدةَ فِي عَصرِ السَّـيِّد حَيدَر كَانَت تَرضَى- هَذا الأُسلوبَ- وَتَقِرُّهُ، بَلْ تَسْتَجِيدُهُ وَتَسْتَحْسِنُه، وَإِنَّ هَذَا مَوجودٌ فِي رِثَاءِ شَـوقِي وَالزَّهَاوِيّ، رَغْمَ تَجدُّدِهِمَا، وَرَغمَ اطِّلَاعِهِمَا عَلَى مَا لَم يَطَّلِعَ عَلَيهِ حَيدَر مِن أَلوَانِ العِلمِ وَالثَّقَافَة»[3]، وَغَيرُ هَذَا كَثِيرٌ، وَكَثِيرٌ جِدًّا.

مَعرِفَةُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ بِالرِّجَالِ

قَالَ فِي مَعرَضِ نَقْدِهِ لِشِعرِ السَّيِّدِ حَيدَر: «خُذْ مَثَلًا قَولَه يَمدَحُ صَدِيقَه محمَّد حَسَن كُبَّة، الَّذِي لَم يَكُنْ إِلَّا تَاجِرًا، مِن أُسرَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مَعرُوفَة»[4].

وَالشَّيخُ الفَاضِلُ مُحَمَّد حَسَنٍ ابنُ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح ابنِ الحَاجِّ مُصطَفَى ابنِ الحَاجِّ دُرويش عَليّ آل كُبَّة البَغدَاديّ، وُلِدَ فِي الكَاظِمِيَّة سَـنةَ (١٢٦٩هـ)، وَاشْـتَغَلَ بِالتِّجَارَةِ، فَكانَـت الدُّنيَا مُلقِيةً إِلَيـهِ زِمَامَهَا، وَعَلَيهِ مُقْبِلَـةً، وَلَه فِي تِلكَ الأَيَّامِ شِـعرٌ رَقِيقُ اللَّفظِ، مُنسَـجِمُ التَّركِيبِ، ثُمَّ عَـزَفَ عَنهَا، وَتَرَفَّعَ عَن مُغرَيَاتِهَا، فَتَركَهَـا، أَحرَقَ وَأَتلَفَ مُعظَم

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٤.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧١.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧١.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ١٢٥.

قَصَائِـدِه وَأَشْـعَارِهِ[1]، وَلَمْ يَبـقَ مِنـهُ إِلَّا مَا تَناثَرَ في مجَامِيـعَ خَطِّيَّة، وَغَيرِهَـا، وَانْصَرفَ لِلدِّراسَـةِ العِلمِيَّـةِ، فَهَاجَـر إِلَى النَّجَفِ وَأَخذَ عَن الشَّـيخِ أَغَا رِضَا الهَمَدَانيّ، وَالشَّـيخِ عَبَّاس الجَصَّانِيّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى سَامَرَّاءَ، فَاتَّصَل بِالإِمَامِ السِّيدِ المِيرزَا حَسَن الشِّيرازيّ قدس سره، وَبَعدَ وَفَاتِهِ، اتَّصَلَ بِخَليفَتِهِ الإِمَامِ الشَّـيخِ مُحَمَّد تَقِي الشِّـيرَازِيّ الحَائِرِيّ قدس سره، وَقَد أَجازَه فِي الفَتوَى وَرِوايةِ الحَديثِ، لَه أَكثرَ مِن خَمسينَ كِتَابًا، تُوفِّيَ سَنةَ (١٣٣٦هـ)[2].

لِذَلِـكَ قَـالَ فيـهِ العَلَّامَة الشَّـيخُ محمَّـد السَّـماوِيّ رحمه الله: هَـذَا الرَّجُلُ مَوضـعُ قَولِ القَائِلِ:

وَآخَـــــرٌ فَـــــازَ بِـكِـلْـتَـيْـهِـمـا
قَـــدْ جَمَـــعَ الـدُّنـيَـا مَـــعَ الآخِـــرَة

وَقَـالَ فيـهِ العَلَّامةُ السَّـيِّد محمَّـد مَهدي الموسَـويّ الأَصفَهـانيّ الكَاظِمـيّ المُتوفَّى (١٣٩١هـ): «العَلَّامةُ الكَبيرُ وَالفَقيهُ الشَّهيرُ أَبو الهَادِي مُحَمَّد الحَسَن بنُ محمَّد الصَّالِح.. حَتَّى قَالَ.. هَذَا الشَّـيخُ مِن كِبَارِ عُلَمائِنَا الَّذِينَ أَدركنَاهُم وَأَبصرنَاهُم، وَلَو كَانَ بَاقِيًا بَعدَ أُستَاذِهِ، لَانتَهَت الرِّئَاسَةُ الدِّينيَّةُ إِلَيهِ».

فَهَل عَلَى هَذَا العَالم الجَليلِ يُقالُ: «الَّذِي لَم يَكُنْ إِلَّا تَاجِرًا»؟! وَمَا مَعنَى هَذَا؟! أَهوَ نِكايةٌ بِعَالِمٍ جَليلِ القَدرِ؟! أَم بِشَاعرٍ أَشهرَ مِن نَارٍ عَلَى عَلَم؟! أَم هو جَهلٌ مُطبقٌ؟

(١) ديوان الشيخ محمَّد حسن كبَّة، المقدِّمة: ٥.

(٢) الشـيخ محمَّد حسن كبَّة، العقد المفصَّل للسـيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ٣٢-٣٨، ومعارف الرجال: ٢/ ٢٤٠، والطليعـة: ٢/ ٢٥٥، وأعيـان الشـيعة: ٤٣/ ١٧٤-١٧٨، وريحانة الأدب: ٥/ ٨٣، وشرح ديوان السـيِّد حيدر الحِلِّـيّ لصالح الجعفريّ: ١٥، كما ترجم له عـليّ الخاقانيّ في: ديوان السـيِّد حيدر: ١/ ٨٩، وديوان السـيِّد حيدر المحقَّق: ١/ ١٧٣، مصفى المقال: ١٣٢، وطبقات أعلام الشيعة ١٣/ ٤٠١، وأحسـن الوديعة: ١٧٦، ومكارم الآثار: ٦/ ١٩٢٧، ونهضة العراق الأدبيَّـة: ٢٨٤، والأعلام: ٦/ ٩٤، ومعجم المؤلِّفين: ٩/ ٢١٥، ومعجم رجال الفكر والأدب: ٣/ ١٠٦٣، ومعجم المؤلِّفين العراقيِّين: ٣/ ١٤١، ومجلَّة الأديب اللبنانيَّة: ٤/ ١٠، ١٩٧٣.

رَأيُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ في مَراثي السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ

قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَلَيسَ الغُلُوُّ وَحدَهُ هُوَ الصِّفَةُ المُميَّزةُ فِي مَراثِيهِ هَذِه، وَإِنَّما هُناكَ التَّكَلُّفُ فِي إِظهَارِ حُزْنِهِ تَكَلُّفًا وَاضِحًا، يُشَابِهُ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ المُمَثِّل الرَّدِيءَ الَّذي يُمثِّلُ دَورًا بَعيدًا عَنِ الإِثَارَةِ»(١).

هَكذَا يَفهَم السَّيدُ عَليّ الحُسَينيّ رِثَاءَ السَّيِّدِ حَيدَر، أَمَا أَسَاتِذَةُ الأَدَب وَمُؤَرِّخوهُ فَلَهُم رَأيٌ آخرَ، فَهَذا الدكتور البَصير يُقَارِنُ بَينَ رِثَاءِ السَّيدِ حَيدَر، وَرِثَاءِ السَّيِّدِ الحَبُّوبيّ (عَلَيهِما رِضوَانُ الله تَعَالَى وَرَحمَتُهُ)، قَالَ: «وَعِندي أَنَّ الحَبُّوبِي أَغْزَلُ شُعرَاءِ عَصرِه، وَأَنَّ حَيدَرًا أَرثَى شُعراءِ عَصرِه، وَأَنَّ لِلحَبُّوبِي رِثاءً بَليغًا، وَلَكنَّه دُونَ رِثَاءِ حَيدَر عَلَى الإجمَالِ، وَإِنَّ لِحيدَر غَزلًا طَرِيفًا، وَلَكنَّهُ دُونَ غَزَلِ الحَبوبِيّ، وَإِنَّهَا مَعًا فِي الرَّعِيلِ الأَوَّلِ مِن شُعرَاءِ العَربِيَّةِ»(٢).

وَعِندمَا يَذكرُ شِعرَه عَامَّةً وَدِيوانَهُ، يَقولُ: «أَمَّا دِيوانُه فَإِنَّه يَحتوي عَلَى كُلِّ بَابٍ مِن أَبوَابِ الشِّعرِ القَديمِ، وَالرَّجُلُ مُجيدٌ فِي هَذِهِ الأَبوَابِ جَميعًا، عَلَى اخْتلَافٍ فِي الإِجَادَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبلُغُ أَوجَ شَاعِرِيَّتِهِ فِي الرِّثَاءِ»(٣).

وَيقولُ فِي رِثَائِهِ: «وَتَسأَلوني عَنِ الأَسبَابِ الَّتِي مَكَّنَت لِحَيدَر أَنْ يَبلُغَ هَذَا الشَّأوَ البَعيدَ فِي الرِّثَاءِ، فَأَقولُ لَكُم إِنَّها صِنفَانِ: نَفسيَّةٌ وَثَقَافِيَّة»(٤).

وَلِتِبيَانِ الأَسبَابِ الَّتِي جَعَلَت السَّيِّدَ حَيدَر شَاعِرَ الرِّثَاءِ لأَهلِ البَيتِ عَامَّةً، وَلشُهدَاءِ الطَّفِّ خَاصَّةً، قَالَ: «أَدَارَ السَّيِّد حَيدَر نَظَرَه فِي مَا حَولَه مِن بِيئَتِهِ الأَدبيَّةِ

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٧١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ١٥.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٨-٤٩.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٥٩.

وَالمَادِيَّةِ، فَوَجدَ هَذِه المَأسَـاةَ الخَالِدةَ، مَأساةَ كَربلَاءَ، فَمَنحَهَا عَقلَهُ وَقَلبَهُ، وَوَهَبهَا خَيالَهُ وَشُعُورَهُ، وَحَبَسَ عَلَيهَا لِسَانَهُ وَقَلَمَه»[1].

وَيَسأَل الدُّكتور البَصير رحمه الله قَائِلًا: «أَلَيسَ فِي مَرَاثِي السَّيِّدِ حَيدَر لِشُهدَاءِ الطَّفِّ شَيءٌ آخَرَ سِـوَى البُكَاء؟! نَعَـم، إِنَّ فِيهَا وَصفًـا لَا يَفوقُهُ وَصفٌ لِلإِبَاءِ، وَتَصويـرًا لَا يَفوقُهُ تَصويرٌ لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّجدَةِ، وَالبَسَالَةِ وَالجُرأَةِ»[2].

وَيَقولُ أَيضًا: «إِنَّ فِي رِثاءِ حَيدَر لِشُـهَداءِ الطَّفِّ عليهم السلام مَا يُفَتِّتُ الأَكبَادَ أَسًى وَلَوعَةً، وَيُذيبُ القُلُوبَ أَسـفًا وَحَسرَةً، وَلَكِنَّ فِيهِ كَذَلِكَ مَا يَملَأُ الرُّؤُوسَ أَنَفَةً، وَالصُّدُورَ حَمِيَّةً وَحَمَاسَةً، وَالنُّفُوسَ جُرأَةً وَإِقْدَامًا»[3].

وَعَـن شِـعرِهِ فِي رِثَاءِ غَيرِ أَهـلِ البَيتِ، يَأخُـذُ قَصيدتَينِ مِثالًا، وَيَقـولُ: «فِي هَاتَينِ القَصيدَتَينِ مِن رِقَّةِ الشُّـعُورِ، وَحَرَارةِ العَاطِفَةِ، مَا يُخَيَّلُ لَكَ مَعَه أَنَّ الشَّـاعِرَ يَبكِي حَبيبًا أَسَرَ لُبَّهُ، وَتَيَّمَ قَلبَهُ، وَنَفذَ إِلَى أَعماقِ نَفسِهِ، وَفِي الحَقِيقَةِ أَنَّهُ يَبكِي إِنْسَانًا لَم يَقَعْ بَصَرهُ عَلَيهِ فِي يَـومٍ مِـنَ الأَيَّامِ، فَقَد كَانَ يَرثِي فَتَـاةً خَطَبَهَا شَرِيفٌ عَظِيمُ المَنزِلَـةِ، فَحِيلَ بَينَه وَبَينَها، فَتُوفِّيَت الفَتَاةُ بَعدَ فَشلِ الخِطْبَةِ بِقَلِيل»[4].

وَيَقـولُ الدكتـور البَصـير رحمه الله: «الشَّـيءُ الوَحِيـدُ الَّـذِي أَفْهَمُهُ مِـن إِجَـادَةِ حَيدَر فِي أَمثَـالِ هَـذِهِ المَراثِـي، هُـوَ اسْـتِعدَادِهِ الفِطْـرِيّ القَـوِيّ لِلتَّعبِيرِ عَـنِ الحُـزنِ، أَيًّا كَانَ نَوعُـه، وَأَيًّـا كَانَ مَصـدَرُه، وَهَـذَا مَـا أُفَسِّـر بِـه إِجَادَتَـه فِي هَذَا المِقـدَارِ الضَّخِـمِ مِنَ الرِّثَاءِ»[5].

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٢.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٤.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٦.
(٥) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٦-٦٧.

وَفي رِثَائِـهِ لِلإِمَامِ الشَّـيخِ مُرتَضى الأَنْصَارِيّ قدس سره[1]، وَهوَ زَعِيـمُ الحَوزَةِ العِلمِيَّةِ فِي زَمَانِـهِ، وَكان مَضرَبَ المَثلِ فِي التَّقـوَى وَالزُّهْدِ، وَالصَّلَاحِ وَالـوَرَعِ، بِقَصِيدتِهِ العَينيَّةِ، الَّتِي ذَكَرَهَا الدكتور البصير فِي بَحثِهِ لِيُظهِرَ جَودَتَها.

قَالَ السَّيِّد حَيدَر[2]:

يَـا رَاحِـلًا بِـالْـعِـلْـمِ تَـنْـ
ـقُـلُـهُ عَـنِ الـدُّنْـيَـا جَمِـيـعَـهْ
وَمُـوَسَّـدًا فِي تُـرْبَـةٍ
بَـاتَ الـصَّـلَاحُ بِهَـا ضَـجِـيـعَـهْ
كُـنْـتَ الـذَّرِيـعَـةَ لِـلْـهُـدَى
وَالْـيَـوْمَ بَـعْـدَكَ لَا ذَرِيـعَـهْ
إِنَّ الْـوَرَى فِي فَـتْـرَةٍ
عَـمْـيَـاءَ لَـيْـسَ لَهَـا طَـلِـيـعَـهْ
تَـرْتَـادُ مِـثْـلَـكَ سَـابِـقًـا
بَـيْنَ الحَـسِـيـرَةِ وَالـضَّـلِـيـعَـهْ
مَـا كَـانَ أَحْـوَجَـهَـا لِـطِـبْـ
ـبِـكَ أَيُّهَـا الـرَّاقِـي الْـلَّـسِـيـعَـهْ

(١) الشَّـيخُ مُرتَضَـى الأَنصَارِيُّ: هُوَ آيـةُ الله العُظمَى، رَئِيسُ عُلـماءِ الإمَاميَّةِ، حَبـرُ الأُمَّةِ، وَإِمَامُ المُحَقِّقِينَ، أُستَاذُ الفُقَهَاءِ وَالمُجتَهدِينَ، الشَّيخُ الأَعظَمُ مُرتَضى بنُ محمَّد أَمينٍ الدَّزفُوليُّ الأَنصَارِيُّ، كَانَ مُقِيمًا فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، وَتوفِّيَ فِيهَا سَنةَ (١٢٨١هـ)، لَهُ تَصانيفُ عَديدةٌ، مِنهَا: (المكاسب) الَّـذِي يُدَرَّسُ فِي الحَوزَاتِ العِلميَّـةِ مُنذُ تَأليفِهِ حَتَّى يَومِنَا هَـذَا، وَ(الفرائد الأصوليَّة)، و(إثبات التسـامح في أدلَّـة السُّـنن)، و(كتاب الإرث). له ترجمـة في: أعيان الشـيعة: ٨/ ٣١٥، ومصفى المقال: ٤٥٥، والأعلام: ٧/ ٢٠١، ومعجم المؤلِّفين: ١٢/ ٢١٦.

(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٧٥.

فَـاذْهَـبْ فَـلَـمْ تَـصْـلَـحْ لِـمِـثْـ
ـلِـكَ هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا الخَـدُوعَـهْ
فَـلَـهَـا دَخَـلْـتَ وَأَنْـتَ مَحْـ
ـمُـودُ الـسَّـجِـيَّـةِ وَالـطَّـبِـيـعَـهْ
وَصَـحِـبْـتَـهَـا بِـجَـوَارِحٍ
عُـصِـمَـتْ لِـخَـالِـقِـهَـا مُـطِـيـعَـهْ
وَخَـرَجْـتَ مِـنْـهَـا طَـاهِـرَ الْـ
أَبْـرَادِ مَـشْـكُـورَ الـصَّـنِـيـعَـهْ
فَـلْـتَـبْـكِ مَـفْـقَـدَكَ الْـوَرَى
يَـا نَـيِّـرًا فَـقَـدَتْ طُـلُـوعَـهْ
وَلْـتَـسْـتُـرِ الْهُـلَّاكُ خِـلْـ
ـلَـتَـهَـا وَلَا تَـشْـكُـوْ الـقَـطِـيـعَـهْ
قَـدْ فَـاتَـهَـا الـعَـيْـنُ الـبَـصِـيْـ
ـرَةُ مِـنْـكَ وَالأُذْنُ الـسَّـمِـيـعَـهْ
كَـانَـتْ تَـرَى بِـكَ مِـنْ أَمَـا
مَـكَ غُـرَّ أَوْصَـافٍ بَـدِيـعَـهْ
قَـدْ رَاضَ نَـفْـسَـكَ زُهْـدُهُ
فَـغَـدَتْ بِـقُـرْصَـيْـهِ قَـنُـوعَـهْ
وَبِـلُـبْـسِ طِـمْـرَيْـهِ اكْـتَـفَـتْ
فَـاسْـتَـشْـعَـرَتْ بِـهِـمَا خُـشُـوعَـهْ
وَصَـنَـعْـتَ إِذْ كُـنْـتَ الأَمِـيْـ
ـنَ عَـلَى الْـحُـقُـوقِ بِـهَـا صَـنِـيـعَـهْ

وَرَأَيْـــــــتَ فِـيـهَـا رَأْيَـــــهُ
لَـــمَّا لَـدَيْـكَ غَـــدَتْ وَدِيـعَـهْ
فَـلِـذَا بِهَـا سَـاوَيْـتَ عَـا
لِـيَـةَ الـنُّـفُـوسِ مَـعَ الـوَضِـيـعَـهْ
وَالآنَ قَـدْ ضَـاقَـتْ لِـرُزْ
ئِـكَ فِي الْـوَرَى الأَرْضُ الـوَسِـيـعَـهْ
عَـادَتْ كَـيَـوْمِ وَفَـاتِـهِ
لَـكَ ذَاتَ أَحْـشَـاءٍ صَـدِيـعَـهْ
هَـذِي الـفَـجِـيـعَـةُ جَـدَّدَتْ
أَحْـزَانَهَـا تِـلْـكَ الـفَـجِـيـعَـهْ

ثُـمَّ يُعَلِّقُ الدُّكتور البَصير عَلَى هَذِه القَصيدةِ قَائِلًا: «أَلَيسَ فِي هَذَا صُورةُ إِمَامٍ أَلَقَت الدُّنيَا إِلَيهِ قِيادَهَا، وَمَكَّنَتهُ مِن نَفْسِهَا، فَصَدَفَ عَنهَا، وَزَهَدَ بِهَا، وَقَصرَ هَمَّهُ عَلَى مَا يُرضِي رَبَّهُ، وَيُصلِحُ مِن أُمُورِ آخِرَتِهِ!!..»[1].

وَيَتَطَرَّقُ إِلَى رِثَاءِ العَلَّامة السَّيِّد المِيرزَا صَالِح القَزوينيّ، وَأَخِيهِ السَّيِّد المِيرزَا جَعفَر، مِثالًا آخَرَ لِرثَاءِ غَيرِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام، وَيَذكرُ مَقْطَعًا مِن قَصِيدَةِ رِثَائِهِمَا:[2]

أَفْـعَـى الأَسَـى طَـرَقَـتْ وَغَـابَ الـرَّاقِـي
فَـأَنَـا الْـلَّـدِيـغُ وَأَدْمُـعِـي دِرْيَـاقِـي
بَـاتَـتْ تُـسَـاوِرُ- وَهْـيَ غَـيْرُ ضَـئِـيـلَـةٍ-
حَـتَّـى رَشَـحْـنَ بِـسُـمِّـهَـا آمَـاقِـي

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧٠.
(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٨٨.

لَا رَاقَ نَفْسِي العَيْشُ بَعْدَكِ لَيْلَةً
ضَرَبَتْ عَلَيَّ بِأَسْدَفِ الأَرْوَاقِ
أَثْكَلْتِنِيهَا- يَا ثَكَلْتُكِ قَبْلَهَا-
غُرَرًا أَعَزَّ عَلِيَّ مِنْ أَحْدَاقِي
فَأَعَدْتِ لِيْ- فِي فَقْدِ أَطْيَبِ مُعْرِقٍ
فِي المَجْدِ- مَفْقَدَ طَيِّبِ الأَعْرَاقِ
ذَهَبَا بِأَيَّامٍ خَطَرْتِ مَعَ الْهَوَى
مِنْهَا بِمُعْلِمَةِ البُرُودِ رِقَاقِ
زَمَنًا لَبِسْتُ حَبِيرَهَا وَنَضَوْتُهَا
عَنْ جِدَّةٍ، وَأَبِيكِ لَا إِخْلَاقِ
فَلأَنْدُبَنَّ اليَوْمَ (صَالِحَ) عَهْدِهَا
وَلأَبْكِيَنَّ نَفَائِسَ الأَعْلَاقِ
وَلأَحْلِبَنَّ مِنَ الشُّؤُونِ حُشَاشَتِي
دَمْعًا كَمُنْدَفِقِ الحَيَا المِهْرَاقِ

وَيُعَلِّق الدكتور البَصير عَلَيهَا فَيقولُ: «أَليسَ فِي هَذَا صُورةُ صَديقٍ حَميمٍ يَندُبُ صَديقَينِ محَضَهُما وُدَّهُ، وَأَصفَاهُمَا حُبَّهُ، وَقَد فَجَعَهُمَا بِهِ القَدَر خِلَالَ سَنواتٍ؟!»(١)

ثُمَّ يَلتَفِتُ لِقَصيدَةِ السَّيِّدِ حَيدَر فِي رِثَاءِ عَمِّهِ السَّيِّدِ مَهديّ كَمِثالٍ ثَالِثٍ لِلرِّثَاءِ، وَيَذكرُ قِسمًا مِنَ القَصِيدَة:(٢)

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧٠-٧١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٣٤.

أَ ظُبَى الـرَّدَى انْصَلِتِي وَهَـاكِ وَرِيـدِي
ذَهَـبَ الـزَّمَـانُ بِـعُـدَّتِي وَعَـدِيـدِي
نَـشَـبَـتْ سِـهَـامُ الـنَّـائِـبَـاتِ بِـمُـقْـلَـتِي
فَـلِـحِـفْـظِ مَـاذَا أَتَّـقِـي عَـنْ جِـيـدِي
مَـاذَا الَّـذِي يَـا دَهْـرُ تُـوعِـدُنِي بِـهِ
أَوَ بَـعْـدُ عِـنْـدَكَ مَـوْضِـعٌ لِـمَـزِيـدِ؟!
طَـرَقَـتْـنِـيَ الـدُّنْـيَـا بِـأَيِّ مُـلِـمَّـةٍ
ذَهَـبَـتْ عَـلَـيَّ بِـطَـارِفِي وَتَـلِـيـدِي
الآنَ أَصْـبَـحَ لِـلـنَّـوَائِـبِ جَـانِـبِـي
غَـرَضًـا، وَشَـمْـلُ قُـوَايَ لِـلـتَّـبْـدِيـدِ
طَـلَـعَـتْ عَـلَـيَّ الـحَـادِثَـاتُ ثَـنِـيَّـةً
لَا يُهْـتَـدَى لِـرُنَـاجِـهَـا الْمَـسْـدُودِ
وَإِلَيَّ قَـدْ صَـعَـدَتْ ذُرًا مِـنْ شَـاهِـقٍ
لَا تُـرْتَـقَـى هَـضَـبَـاتُـهُ بِـصُـعُـودِ
فَـنَـزَعْـنَ مِـنْ كَـفَّـيَّ قَـائِـمَ أَبْـيَـضٍ
أَعْـدَدْتُـهُ لِـلِـقَـا الْـخُـطُـوبِ الـسُّـودِ
قَـدْ مِـلْـتُ نَـحْـوَ الـصَّـبْـرِ حِـينَ فَـقَـدْتُـهُ
فَـإِذَا الـمُـصَـابُ بِـصَـبْـرِيَ الْمَـفْـقُـودِ
عَـجَـبًـا أَمِـنْـتُ الـدَّهْـرَ وَهْـوَ مُـخَـاتِـلِي
وَرَقَـدْتُ، وَالأَيَّـامُ غَـيْـرُ رَقُـودِ
وَأَنَـا الـفِـدَاءُ لِـمَـنْ نَـشَـأْتُ بِـظِـلِّـهِ
وَالـدَّهْـرُ يَـرْمُـقُـنِـي بِـعَـيْـنِ حَـسُـودِ

لَمْ أَدْرِ مَا لَفْحُ الْخُطُوبِ بِحَرِّهَا
وَهْوَاجِرُ الأَيَّامِ ذَاتُ وُقُودِ
مَازِلْتُ وَهْوَ عَلَيَّ أَحْنَى مِنْ أَبِي
بِأَلَذِّ عَيْشٍ فِي حِمَاهُ رَغِيدِ
حَتَّى رَمَانِي فِي صَبِيحَةِ نَعْيِهِ
أَرْسَى بِدَاهِيَةٍ عَلَيَّ كَؤُودِ
فَفَقَدْتُهُ فَقْدَ النَّوَاظِرِ ضَوْءَهَا
وَعَجِجْتُ عَجَّةَ مُثْقَلٍ مَجْهُودِ

قَالَ الدكتور البَصير مُعَلِّقًا: «أَلَيسَت هَذِه صُورةُ وَلَدٍ بَارٍّ يَقطُرُ قَلْبُهُ الأَسَى عَلَى قَبرِ أَبِيهِ، وَتِلميذٍ وَفِيٍّ يَذرفُ دُموعَهُ حُزنًا لِفَقْدِ أُستَاذِهِ؟!»[1].

وَخُلَاصَةُ رَأي الدكتور البَصير فِي رِثَاء السَّيِّدِ حَيدَرٍ قَولُهُ: «هَذا مَا يَحمِلُنَا عَلَى الإعجَابِ بِحَيدرٍ، وَيَحدو بِنَا إِلَى حَشرِهِ فِي طَلِيعَةِ شُعرَاءِ اللُّغَةِ العَربِيَّةِ مِن نَاحِيةِ الرِّثَاء، فَعَسَى أَن نَنصِفَ هَذا الشَّاعِرَ العَظِيمَ الَّذِي نَسِينَاهُ نِسيَانًا تَامًّا، وَأَهملنَاهُ إِهمَالًا كَامِلًا»[2].

هَذَا هُوَ شِعر الرِّثَاءِ لِلسَّيِّدِ حَيدَر الَّذِي قَالَ فيه السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَلَيسَ الغُلُوُّ وَحدَهُ هُوَ الصِّفَةُ المُميَّزَةُ فِي مَراثِيهِ هَذِه، وَإِنَّما هُناكَ التَّكَلُّفُ فِي إِظهَارِ حُزنِهِ تَكَلُّفًا وَاضِحًا، يُشَابِهُ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ المُمَثِّلَ الرَّدِيءَ الَّذي يُمثِّلُ دَورًا بَعيدًا عَنِ الإِثَارَةِ»[3].

وقَالَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّي فِي رِثَاءِ كَرِيمَةِ الحَاجِّ محمَّد صَالِح كُبَّة:[4]

(١) نهضة العراق الأدبيَّة ٧١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة ٧١.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٧١.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ١٢٩.

تِـلْـكَ الَّـتِـي عَـنْـكُـمُ اسْـتَـقَـلَّـتْ
عِـيـسُ المَـنَـايَـا بِهَـا تَـسِـيـحُ
طُـوبَـى لَـهَـا جَـاوَرَتْ ضَرِيحًـا
عَـنْ جَـارِهِ رَبُّـهُ صَـفُـوحُ
وَاضْـطَـجَـعَـتْ، فِي حِـمًـى، ضَجِيعًا
حَـمِـيِّـهِ آدَمٌ وَنُـوحُ

فَيعتَرض السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، قَائِلًا: «وَيقولُ فِي رِثَاءِ امرأةٍ وَتعزيَةِ أَهلِهَا، بِأَنَّهَا قَد اضْطَجَعَت ضَريحًا طَيِّبًا»[1]. ثُمَّ يَذكرُ الأَبيَات الثَّلاثَةَ المَذكورةَ آنِفًا.

لَا أَدري أَفَهِمَ عَليَّ الحُسَينيّ بَيتَ السَّيدِ حَيدَر؟! أَم لَم يَفْهَمه؟! وَالبَيتُ أَمَامَ القَارِئ، وَمَوجودٌ فِي الدِّيوَانِ، وَاعتراضهُ يَنِمُّ إِمَّا عَنْ جَهلٍ مُطبقٍ فِي الشِّعرِ وَمَعَانِيهِ، أَو كُفرٍ بِقُدسيَّةِ ضَريحِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ سَلَامُ الله عَلَيه.

هَذَا وَمَا شَابَهَهُ كَثيرٌ فِي كِتَابِ السَّيدِ عَليّ الحُسينيّ، بَل الكِتابُ كُلُّهُ يَقُومُ عَلَى مِثلِ هَذَا الاعْتِراضِ الشَّنيعِ عَلَى صُورةٍ رُوحِيَّةٍ صَادِقَةٍ تُدَغْدِغُ المَشَاعِرَ، وَتُطَيِّبُ الخَواطِرَ، وَبعدُ فَهيَ مِن لُبِّ العَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ فِي العُقُولِ وَالقُلُوبِ.

وَيَرثي السَّيِّد حَيدَر رحمه الله العَلَّامة الشَّيخَ مَهديّ ابنَ الشَّيخ عَليٍّ كَاشِف الغِطَاءِ، وَمُعَزِّيًا أَولَادَه وَأَخَاهُ الشَّيخَ جَعفر، وَالعَلَّامَة السَّيِّد مَهدِي القَزوينيّ، بِقَصيدةٍ مِن (٦٥) بيتًا، قَالَ فِي آخِرِ بَيتٍ مِنهَا:[2]

مَـاذَا أَقُـولُ مُـعَـزِّيًـا بِـنَـشَـائِـدِي؟!
قَـطَـعَـتْ مَـهَـابَـتُـكُـمْ لِـسَـانَ نَـشِـيـدِي

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٧٤.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ١٥٢.

فَيَعتَرِض السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، قَائِلًا: «وَيَعتَذِرُ فِي قَصِيدَةٍ أُخرَى، بِأَنَّ مَهَابَةَ آلِ المَرثِيّ قَد أَخرَسَتهُ حَتَّى لِأَنَّه لَم يَعرِف كَيفَ يُعَزِّيهِم»[1].

وَهَذا اعْتِرَاضٌ لَا يَسْتَحِقُّ الرَّدَّ عَلَيهِ؛ فَهُوَ نَاجِمٌ عَن قِلَّةِ مَعرِفَةٍ بِالأُسَرِ العِلمِيَّةِ، وَرِجَالِهَا العُلَمَاءِ الأَفذَاذِ، وَهَيبَتِهِم النَّاجِمَةُ عَن تَسخِيرِ حَيَاتِهِم مِن أَجلِ خِدمَةِ المِلَّةِ وَالدِّينِ؛ لِذَلِكَ يَرزُقُهُم الله تَعَالَى هَيبَةً عَظِيمَةً، وَيُنِيرُ وُجُوهَهُم المُبَارَكَة مِن نُورِهِ الكَرِيم.

إِنَّ السَّيِّدَ عَلِيٍّ لَا يَفهَم هَذَا كُلَّهُ، وَهو بَعِيدٌ عَنهُ كُلَّ البُعدِ، فَكَيفَ نَدخلُ مَعَه فِي نِقَاشٍ؟! وَهَكذا فَكِتَابُه مَشحونٌ بِهذَا وَغَيرِه.

وَفِي قَصِيدَةٍ يَتَحَمَّسُ فِيهَا السَّيِّد حَيدَر قَائِلًا:[2]

مَا ضَرَّنِي بَيْنَ قَوْمٍ خَفْضُ مَنْزِلَتِي
وَمَنْزِلِي فَوْقَ هَامِ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
وَحَسْبُ نَفْسِي- وَإِنْ أَصْبَحْتُ ذَا عُدُمٍ
مِنْ ثَرْوَةٍ- أَنَّنِي مُثْرٍ مِنَ الأَدَبِ

فَيُعَلِّق السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ عَلَى هَذينِ البَيتينِ بِإسلُوبِهِ المَعرُوفِ، وَمَنهجِهِ الَّذِي يَتَلاءَمُ مَعَ طَبعِهِ وَطَبيعتِهِ الَّتِي تَكَشَّفَت لنَا مِن أَقوالِهِ، فَـ«الـمَرءُ مَخبوءٌ تَحتَ طَي لِسَانِهِ»، مِثلَ مَا قَالَ مَولَانَا أَميرُ المُؤمِنينَ سَلَامُ الله عَلَيهِ.

قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «بَعدَ هَذَا الفَخرِ كُلِّهِ، يَأتِي الشَّاعِرُ إِلَى (تَقدِيرِ) نَتَاجِهِ الأَدَبيّ، فَيُؤَكِّدُ لَنَا عَدَمَ اهْتِمَامِهِ بِمَا يَقولُهُ البَعضُ[3] فِي الحُكمِ عَلَى نَتَاجِهِ، فَسَواءٌ أَعلَوا

(١) حيدر الحِلّيّ: ١٧٤.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلّيّ: ٢/ ٥.
(٣) يجب أن يقول: (بعض) فالألف واللام لا تدخل على (بعض).

مَنزلَتـه، أَو عَلَى العَكسِ، فَذَلكَ لَا يَضيرُه شَـيئًا، إذ إِنَّ مَنزلَتَه الأَدَبيَّةَ (فوقَ هَامِ السَّـبعَة الشُّـهُبِ)، ثُمَّ مَاذَا يَضُـرُّ هَذا الفَقرُ الَّذِي يُلازِمُه وَالإدقَـاعِ الَّذِي يُلاحِظُه، وَهوَ مُكتَفٍ بِهذِهِ الثَّروةِ الأَدبيَّةِ الَّتِي بَنَاهَا لِنَفسِهِ، وَبِدونِ مَعونَةٍ مِن أَحَدٍ»[1].

نُجيبُ أَيضًا وَلَو أَنَّ الأَمرَ لَا يَستَوجِبُ الرَّدَّ، فَنقولُ:

صَـدقَ السَّـيِّد حَيدَر -عَلَيهِ رِضوَانُ الله- مَاذَا يُؤَثِّرُ مِثلُ هَـذَا الكَلَامِ، وَإِن كَانَ هوَ أَقـربُ إِلَى الثَّلبِ مِنَ النَّقدِ الأَدَبيّ، وَهوَ العَلَمُ الشَّـامِخُ، وَالصَّخرَةُ المَلسَـاءُ الَّتِي تَتكَسَّر عَليهَا قُرونُ الوُعولِ.

نَقولُ لِلسَّـيِّدِ عَليّ: مِنْ أَينَ جِئتَ بِالإِدْقَاعِ وَالفَقْرِ الَّذِي يُلَازِمُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، أَلَم يَمُـرُّ عَلَيكَ قَولُ الدكتور البَصير، حِينَما تَطَرَّقَ لِهذِهِ النَّاحِيةِ، فَقَالَ: خَفِيفُ الحَالِ؟! لَكِنَّ بَينَ تَعبيرِ العُلَمَاءِ وَغَيرِهِم بَونٌ شَاسِعٌ.

وَلِتَتُمَّ الفَائِدَةُ أَضَعُ القَصيدَةَ المَعنيَّةَ بَينَ يَدَي القَارِئ؛ لِيَطَّلِعَ عَلَيهَا وَيَسـمَع السَّـيِّد حَيدَر- عَلَيهِ رَحمَةُ الله- مُبَاشَرةً؛ لِيضَعَ قَولَ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ فِي مَوضِعِهِ المُنَاسِـبِ، قَالَ تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ مُتَحَمِّسًا:[2] [من البسيط]

وَرَاءَكِ الـيَـوْمَ عَـنْ لَـهْوِي وَعَـنْ طَـرَبِي
فَـإِنَّ قَـلْـبِـيَ أَمْـسَـى كَـعْـبَـةَ الـنُّـوَبِ
لَا تَـطْـمَـعِي فِي وِصَـالِي إِنَّ لِي كَـبِـدًا
تَهْـوَى وِصَـالَ الـعُـلَا لَا الخُـرَّدِ الـعُـرُبِ
أَبَـعْـدَ حِـفْـظِـي لأَسْـبَـابِ الـعُـلَا زَمَـنًـا
أُضِـيـعُـهَـا لَـكِ بَـيْـنَ الـلَّـهْـوِ وَالـلَّـعِـبِ

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٥.

مَـا بِـتُّ مُـسْـتَـمْـطِـرًا مِـنْ مُـقْـلَـتِـي جَـزَعًـا
نَـوْءَ الْمَـدَامِـعِ بَـيْـنَ الـنُّـؤْيِ وَالـطُّـنُـبِ[1]

قَدْحُ الأَسَى الْـبَرْقُ، وَالرَّعْدُ الْـحَنِينُ، وَأَنْـ
ـفَاسِي الْـجَنُوبُ، وَدَمْعِي دِيمَةُ السُّحُبِ[2]

وَلَا صَـبَـا- أَبَـــدًا- قَـلْـبِـي لِـغَـانِـيَـةٍ
إِذْ لَـيْـسَ فِي حُسْنِهَا شُـغْـلِي وَلَا أَرَبِي[3]

فِي السُّمْرِ لَا السُّمْرِ مَعْقُودٌ هَـوَايَ، وَلِلْـ
ـبِيضِ الظُّبَى لَيْسَ لِلْبِيضِ الظِّبَا طَـرَبِي[4]

وَمَـا عَـشِـقَـتُ سِـوَى بِـكْـرِ الـعُـلَا أَبَـدًا
وَلَـسْـتُ أَخْـطُـبُـهَـا إِلَّا بِـذِي شُـطَـبِ[5]

وَطَـالَـمَـا صَرْفُ هَـذَا الـدَّهْـرِ قَـلَّـبَـنِـي
فَـلَـمْ يَـكُـنْ لِـسِـوَى الـعَـلْـيَـاءِ مُـنْـقَـلَـبِـي

مَـا ضَـرَّنِي بَـيْـنَ قَـوْمٍ خَـفْـضُ مَـنْـزِلَـتِـي
وَمَـنْـزِلِي فَـوْقَ هَـامِ الـسَّـبْـعَـةِ الـشُّـهُـبِ

(١) النَّـوْءُ: قيـل هُوَ النَّجْم الَّذِي يَكُونُ بِهِ المَطَرُ. (اللسـان: ١/ ١٧٨)، والنُّؤْيُ: الحَفيرُ حَولَ الخِبَاءِ أَو الخَيمَةِ يَدفَعُ عَنهَا السَّـيلَ يَمِينًا وَشَمالًا وَيُبعِدُهُ. (اللسان: ١٥/ ٣٠١)، والطُّنْبُ والطُّنُبُ مَعًا: حَبْل الخِباءِ والسُّرادِقِ وَنَحْوُهُمَا. (اللسان: ١/ ٥٦٠).

(٢) الدِّيمـةُ: مِـنَ الـمَطرِ الَّـذِي لَا رَعدَ فِيهِ وَلَا بَرقَ تَـدومُ يَومهَا، وَالـجَمعُ دِيمٌ. (اللسـان: ١٢/ ٢١٣).

(٣) صَبَا: مَالَ. (اللسان: ١٤/ ٤٤٩)، والغَانِيةُ: الجَارِيَةُ الحَسْناءُ. (اللسان ١٥/ ١٣٥).

(٤) السُّـمرُ الأُولَى: الرِّمَاحُ، وَالثَّانِيةُ الجَوَارِي الحِسَـان، وَالبِيضُ الظُّبَى: السُّيوفُ، وَالبِيضُ: الظِّبَا، جَمعُ الظَّبي.

(٥) أبيض ذي شطب: كناية عن السيف.

وَحَسْبُ نَفْسِي- -وَإِنْ أَصْبَحْتُ ذَا عُدُمٍ
مِـنْ ثَـــرْوَةٍ- أَنَّـنِـي مُـثْـرٍ مِـنَ الأَدَبِ
وَلَـسْـتُ آسَـى عَـلَى عُـمْـرٍ أَطَـابِـبُـهُ
أَنْفَقْتُهَا فِي ابْتِغَاءِ المَجْدِ فِي الكُرَبِ[1]
يَـأْسَـى عَـلَى الْـعُـمْـرِ مَـنْ بَـاتَـتْ تُـقَـلِّـبُـهُ
فِي مَطْرَحِ الـذُّلِّ كَـفُّ الْخَوْفِ وَالرَّهَـبِ
لَمْ يَـسْـرُقِ الـدَّهْـرُ لِي فَـضْـلًا وَلَا شَرَفًـا
وَمَـا ادِّعَـائِـي الـعُـلَا وَالمَـجْـدِ بِـالْـكَـذِبِ
وَإِنَّهَـــا لَـــمَـسَـاعٍ لَا نَـظِـيرَ لَـهَـا
وَرِثْـتُـهَـا عَـنْ أَبٍ مِـنْ (هَـاشِـمٍ) فَـأَبِ
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ عَـقَـدُوا قِـدْمًـا مَـآزِرَهُـمْ
عَـلَى الـعَـفَـافِ وَكَـانُـوا أَنْـجَـبَ الـعَـرَبِ
وَالأَرْضُ لَمْ تَـبْـقَ مِـنْـهَـا بُـقْـعَـةٌ أَبَـدًا
إِلَّا سَـقَـوْهَـا بِـرَقْـرَاقِ الـدَّمِ الـسَّـرِبِ

وَمِنهَا:

حَـتْـفُ الْـحُـمَاةِ وَمِـقْـدَامُ الـسُّـرَاةِ لَـهُ
فِي الـرَّوْعِ سَـطْـوَةُ هَـجَّـامٍ عَـلَى الـنُّـوَبِ
مَحْـضُ الـضَّـرِيبَـةِ، مِـغْـوَارُ الـكَـتِـيبَـةِ، مَحْـ
ـمُـودُ النَّقِيبَةِ، يَـوْمَ الـسَّـبْـقِ وَالـغَـلَـبِ[2]

(١) آسى: أأسف وأحزن. (اللسان: ١٤/ ٣٤).

(٢) المحض: الخالص، ممحُوضُ الضَّرِيبة: مُنَقَّحًا مُهَذَّبًا. (اللسان: ٧/ ٢٢٧)، المِغْوارُ: المبالِغُ في الغارة. (اللسان: ٥/ ٣٦)، النَّقِيبةُ: النَّفْسُ وقيل الطَّبيعَة. (اللسان: ١/ ٧٦٨).

فِي كَفِّهِ مُرْهَفٌ مَاضِي المَضَارِبِ فِي
يَوْمِ القِرَاعِ تَرَاهُ سَاطِعَ اللَّهَبِ
يَمْضِي وَلَمْ يَعْتَلِقْ فِي شَفْرَتَيْهِ دَمٌ
مِنْ سُرْعَةِ القَطْعِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالرَّهَبِ
فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ أَنْيَابِ الحِمَامِ بِهِ الآ
سَادُ لَمْ تَنْجُ بِالأَقْدَامِ وَالهَرَبِ
أَعْيَا المَنِيَّةَ حَتَّى أَنَّهَا سَئِمَتْ
قَبْضَ النُّفُوسِ بِهِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ

وَيَلتَفِتُ السَّيد عَليّ الحُسينيّ إِلَى نَثرِ السَّيِّدِ حَيدَر، لِيُعْمِلَ مِعوَلَه فِيهِ، فَاختَارَ تَقريظَ (الرِّحلَةُ المَكِّيَّةُ) لِلحَاجِّ مُحَمَّد حَسَن كُبَّة، إِذْ قَالَ السَّيِّد حَيدَر[1]: أَيُّهَا الرائِدُ خَمِيلَةَ الآدَاب، المَاخِضُ ثَمِيلَةَ الأَفكَارِ والأَلبَاب، أَمْعِنْ سَيرَ رَواحِلِ فِكرَكَ فِي شِعَابِ هذهِ الرِّحلَة.. الخ.

فَقالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَيَستَطيعُ القَارِئُ أَن يُلَاحِظَ ضَعفَ بَعضِ التَّراكِيبِ النَّثريَّةِ؛ بِسَببِ اهْتِمامِهِ بِاللَّفظِ دُونَ المَعنَى، وَبِسَبَبِ اهْتِمامِهِ بِالقَافِيَةِ النَّثريَّةِ، وَكَذَلكَ يَستَطيعُ القَارِئ أَنْ يُلَاحِظَ المُبالَغَةَ فِي تَصويرِ المُرسَلِ إِلَيهِ مِنْ مِثلِ قَولِهِ: فَتَعَجَّب مِن مَاجِدٍ كَامَتَ[2] فِي شَرَخِ شَبَابِهِ، فِيهِ مَعَانِي السُّؤْدُدِ وَالرِّئَاسَةِ، فَأَصبَحَ كَعبَةَ الفُتُوَّةِ، وَمَروَةَ الإِحسَانِ وَالمُرُوَّةِ، تَتَعَرَّفُ النَّاسُ إِلَى عَرَفَاتِ جُودِهِ وَنَدَاه، فَما دَعَا طَائِفُ الرَّجَاءِ بِهِ إِلَّا وَلَبَّاه[3].. الخ»[4].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٣٢٣.
(٢) هل سأل السيِّد عليّ نفسه عن معنى (كامت) هذه؟!
(٣) وما معنى إلَّا ولياه؟! الكاتب هنا يعرض لنا نصًّا من الديوان وينقده، فهو يحاسب على كلِّ حرف، ونحاسبه أيضًا، فلا عذر له في خطأ مطبعيّ، أو غيره، بنى هو عليه حكمًا.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠٨.

رَسَـمتُ النَّصَّ الَّذِي أَخَذَهُ السَّـيِّد عَلِّي الحُسَينيّ مِن دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر مِثلَما أَثبَتَه فِي كِتَابِهِ؛ لِأُبَيِّنَ الأَخْطَاءَ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، فَشَوَّهَتِ النَّصَّ الجَمِيلَ، وَغَيَّرَت مَعَانِيه، وَبِهَا أَصدَرَ حُكمَهُ عَلَى السَّـيِّدِ حَيدَر، سَـأُعِيدُ كِتَابَةِ النَّصِّ نَفْسِـه مِثلَمَا جَـاءَ فِي الدِّيوَانِ، قَالَ السَّيِّد حَيدَر عَلَيهِ رَحمَةُ الله:

«وَتَعَجَّبْ مِن مَاجِدٍ كَمُلَتْ[1] فِي شَرَخِ شَـبَابِهِ فِيهِ مَعَانِي السُّؤدُدِ والرِّئاسَة؛ فَأَصْبَحَ كَعْبَـةَ الفُتُوَّة، وَمَرْوَةَ الإِحسَـانِ والمُرُوَّة، تتعرفُ للنَّاسِ عَرَفَـاتُ[2] جُودِهِ وَنَداه، فَمَا دَعَا طَائِفُ الرجاءِ به إِلَّا وَلَبَّاه»[3].

بَعـدَ أَن اطَّلَعنَـا عَـلَى رَأيِ السَّـيِّدِ عَليّ الحُسَـينيّ فِي نَثرِ السَّـيِّدِ حَيـدَر، لِنَطَّلِعَ عَلَى رَأيِ الدكتـور البَصير، قَالَ رحمه الله: «كَانَ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّيّ رحمه الله نَاثِرًا كَما كَانَ شَـاعِرًا، وَلَدينَا رَسَـائِلُ كَثيرةٌ مِنه كَتبَ بِهَـا إِلَى نَفرٍ مِن أَصدِقَائِـهِ وَأُدَبَائِهِ، لَهَا طَابِعُهَا الفَنِّـيّ وَلَهَا قِيمَتُهَا الأَدَبيَّـةُ وَالتَّأرِيخِيَّـة، وَأَقولُ التَّأرِيخِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَـتْ مِمَّـا يُقرَأ أَو يُكتَبُ نَظِـيرُهُ اليَومَ»[4]، وَيُضِيفُ الدكتور البصير: «إِنَّ رِسَـائِلَهُ المَسجُوعَةَ فَصيحةُ اللَّفْظِ، مَتينةُ السَّبكِ، رَصِينةُ الأُسلوبِ»[5].

ثُمَّ قَالَ الدكتور مَهدي البَصير: «وَمِثالٌ عَلَى ذَلِكَ: فَلَمَّا اسْـتَوقَفْتُ نَاقِدَ الفِكْرِ فِيهَا، وَسَرَّحْتُ رَائِدَ النَّظَرِ فِي أَلفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَجَدْتُهَا تَنْطِقُ عَنْ بَذْخٍ وَبأَو[6]، وَتَتَشَدَّقُ عَن

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠٨.
(٢) الشَّـاعِرُ يَستَعملُ التَّوجِيهَ بِأَسـمَاءِ بَعضِ الأَمَاكِنِ المَشهُورَةِ، الَّتِي تُقَامُ فيهَا مَنَاسِكُ الحَجِّ: المَروةِ وَعَرفَات.
(٣) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٣٢٣.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧.
(٥) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧.
(٦) البأو: الكِبَر والفخر. (التاج ١٩/ ١٨٦).

شَـمَخٍ وَزَهو، قَدْ نَشَأَتْ مِن ضَمِيرٍ شَحَنَهُ الحَنَق، فَطَفَحَ بِالإِحَنِ إِنَاؤُهُ عَلَى لِسَانِ مُنْشِئِهَا فَنَطَقَ بِمَا نَطَق»[1].

وَأَضافَ الدكتور البَصير: «وَمَا يُشِينُهَا إِلَّا التِزَامُ السَّجعِ، وَلَكِنَّ لَا حِيلَةَ لَه فِي هَذَا، فَـإِنَّ هَذِه هِـي الطَّرِيقَةُ الَّتِـي كَانَ يَكتُبُ بِهَا النَّـاسُ فِي عَصرِهِ فِي العِـراقِ وَفِي غَيرِهِ مِنَ الأَقطَارِ العَربيَّةِ»[2].

وَيُخطِـئُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ مَرَّةً أُخـرَى فِي مَعرِفَـةِ الرِّجَالِ، فَيقـولُ: «فَلَم يَكُنِ المَمْدوحُ- الشَّـيخُ محمَّد حَسَـن كُبَّة- إِلَّا رَجُلًا عَادِيًّا، وَإِنَّمَا يَمتَازُ عَنِ الآخَرينَ بِامتلَاكِهِ قَلِيلًا مِنَ الثَّروةِ، وَبَعضًا مِنَ الأَرضِ يُشَارِكُهُ فِيهَا أَقربَاء وَإِخوَةٌ آخَرونَ»[3].

كَلَامُهُ هَذَا قَالَه سَـابِقًا وَأَجبنَاهُ، وَقُلنَا: إِنَّ الشَّـيخَ الجَليلَ عَـالِمٌ كَبِيرٌ، قَدطَلَّقَ الدُّنيَا وَزَهَـدَ فِيهَا فِي وَقتٍ كَانَت سَـاجِدَةً لَهُ وَبَينَ يَديهِ، طَائِعَةً لَهُ، مُقبِلَـةً عَلَيهِ بِكُلِّ مُغْرَيَاتِهَا، لَا يَسـتَحِقُّ مِنَّا سِـوَى الإِجلَالِ وَالتَّكريمِ؛ لِـمَا قَدَّمهُ لِلمَذهَبِ وَالدِّينِ، ذَلِكَ هوَ الشَّيخُ الفَاضِـلُ محمَّد حَسَـن كُبَّة ابـنُ الحَاجِّ محمَّد صَالِـح كُبَّة، فَلَقَـد بَلَغَت مُؤَلَّفَاتُـهُ بِحدودِ الخَمسِينَ مَا بَينَ كِتابٍ وَرِسَالَةٍ[4].

أَمَّا عَن دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّي، قَالَ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ: «حَدَّثَنِي أَحَدُ أَحفَادِ الشَّاعِرِ بِأَنَّهُ- أَي حَيدَر- كَانَ يَطلُبُ إِلَى الوَرَّاقِينَ نَسْخَ دِيوَانِهِ، وَكَانَ يَهديهِم مُقَابِل ذَلِكَ خَمسَةً لِيرَاتٍ ذَهَبِيَّة»[5].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٤٠٢.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧-٤٨.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ٢١٠.
(٤) مرَّت ترجمته سابقًا.
(٥) حيدر الحِلِّيّ: ٢١٢.

وَنَقـولُ: إنَّ هَذَا الـكَلَامَ لَيسَ لَهُ نَصِيبٌ مِـنَ الصِّحَّةِ، وَالَّذِي قَـامَ بِجَمعِ الدِّيوانِ وَإعدَادِهِ لِلطَّبعِ هُوَ ابنُ أَخيهِ السَّـيِّد عَبدُ المُطَّلبِ، كَمَا جَـاءَ فِي مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ المَطبوعِ فِي الهِندِ، فَضلًا عَمَّا قَامَ بِهِ السَّـيِّد مِرزة ابنُ السَّـيِّدِ عَبَّاس الحِلِّي فِي مَخطُوطَتِهِ الَّتِي نَسَـخَ فِيهَا الدِّيوانَ بِخَطِّ يَدِهِ، وَجَمعَ فِيهَا مَا استَطَاعَ مِن شِعرِ السَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيّ رحمه الله.

وَيَدورُ السَّيِّد عَلِيّ الحُسَينيّ فِي حَلَقَةٍ مِنَ المَعلومَاتِ غَيرِ الصَّحِيحَةِ، فَيقولُ: «السَّبَبُ الهَام فِي بَقاءِ شِـعرِهِ هُوَ مُحتـوَاهُ الدِّينيّ، وَهذَا مَا دَفَعَ رِجَالَ الدِّيـنِ إِلَى الاهْتِمَامِ بِهِ وَجَمعِهِ وَنَشرِهِ»[1].

نَقولُ: لَو كَانَ الأَمرُ كَذلِكَ، لَـحُذِفَت كُلُّ أَشـعَارِهِ، وَأُبقِيَ عَلَى الشِّـعرِ الدِّينيّ، كَما يَقولُ الكَاتِب، وَالدِّيوانُ حَافِلٌ بِكُلِّ الأَغرَاضِ الشِّعريَّةِ.

وَعِبارَتُـهُ الأَخيرَةُ: «مَـا دَفَعَ رِجالَ الدِّينِ إِلَى الاهتِمامِ بِهِ وَجَمعِهِ وَنَشـرِهِ» نَقولُ: إِنَّ رِجَـالَ الدِّيـنِ لَم يَجمعُوهُ وَلَم يَنشرُوهُ، قُلنَاهَا مَرَّات عَديدَة، فَالَّذِي جَمعَه ابنُ أَخِيهِ السَّـيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ ابنُ دَاودَ، وَالَّذِي نَشَرَه الحَاجُّ عَلِيّ المَحلَّاتِي الحَائِرِيّ.

لَم يَفهَم السَّـيِّد عَلِيّ الحُسَينيّ قَولَ السَّيِّدِ حَيدَر، وَلَم يُقَدِّر المَواضِيعَ حَقَّ قَدرِهَا، فَقَد عَقَّبَ عَلَى قَولِ السَّـيِّدِ حَيدَر فِي العِقدِ المُفَصَّلِ: «إِلَّا أَنِّي لَم أُثبِت فِيهِ مَا كَانَ لِي فِي غَيرِهِم، إِلَّا مَا هُوَ آخِذٌ بِنَصيبٍ وَافِرٍ مِنَ الحُسـنِ وَالظَّرفِ، إِضرَابًا عَنِ الإِطنَابِ المُخِلِّ، وَاجتِنَابًا عَنِ الإِكثَارِ مِن إِيرَادِ مَا يَخرجُ عَنِ المَحَلِّ»[2].

هَذَا النَّصُّ الَّذِي أَخَذَه عَن طَبعَةِ الشَّـابَندَر، هُو غَيرُ النَّصِّ الَّذِي كَتَبَهُ السَّيِّد حَيدَر، وَالمَوجـودُ فِي مَخطوطَـةِ الكِتَابِ، وَالَّـذِي ذَكرنَاهُ فِي تَحقِيقِنَـا لِلعِقدِ المُفَصَّلِ، قَالَ السَّـيِّد حَيـدَر: « إِلَّا أَنِّي لم أُثبِـتْ فِيهِ مَـا كَانَ لِي فِي غَيْرِهِمْ، إِلَّا مَا هُوَ الفَائِزُ مِنَ المَحَاسِـنِ بِأَعلَى

(١) حيدر الحِلِّيّ ٢١٢.

(٢) العقد المفصَّل، الشابندر، المقدِّمة: ٤.

القِدَاح، وَلَمْ أَضِفْ إِلَى مَا كَتَبْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ أَنَا وَعَمُّنَا المَهْدِيُّ مِنَ الرَّسَائِل، إِلَّا مَا هُوَ الفَائِقُ مِمَّا كَتَبْنَا بِهِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الأَمَاثِل، إِضْرابًا عَنِ الإِطْنَابِ المُخِلِّ، وَاجْتِنَابًا للإِكْثَارِ مِنْ إِيرَادِ مَا يَخْرُجُ بِأَجْنَبِيَّتِهِ عَنِ المَحَلِّ»[1].

فَلَو أَثبتَ السَّيِّد حَيدَر كُلَّ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيهِم هُوَ وَعَمُّهُ المَهديّ مِنَ الرَّسَائِلِ؛ لَاحْتَاجَ ذَلِكَ إِلَى كُتُبٍ، فَاخْتَصَر اجْتِنَابًا لِلإِكثَارِ وَالإِسهَابِ. وَهَذَا لَا يَنطَبِقُ عَلَى فِقرَاتٍ أُخرَى ذَكرَهَا الكَاتِب عَليّ الحُسَينيّ، مِثلَ: «الحَديثِ عَنِ (الأَسماءِ وَالكُنَى وَالأَلقَابِ) الَّذِي اسْتَغرقَ سِتَّ صَحَائِفٍ[2]، وَ(نَوادر الفِتيَانِ والبُلَغَاء) الَّذِي اسْتَغرَقَ عَشَر صَحَائِفٍ[3]»[4]، الخ.

نَقولُ: لَو طَلبنَا مِن شَاعرٍ نَاثرٍ كَاتبٍ مُقتَدرٍ مِثلَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّي أَن يَكتُبَ لَنَا عَنِ (الأَسمَاء وَالكُنَى وَالأَلقَاب عِندَ العَرَبِ)، أَو (نَوادِر الفِتيَانِ وَالبُلَغَاءِ)؛ لَأَلَّفَ لنَا كُتبًا مُمتِعةً حَقًّا، فَمَا قِيمَةُ سِتِّ صَحَائِفٍ أَو عَشرِ صَحَائِفٍ مِن كِتابٍ يُعدُّ مَوسُوعَةٍ أَدبيَّةٍ، مِثلَ العِقدِ المُفَصَّل؟! لِكي نَقولَ عَنهُ قَد أَسهَبَ؟!.

وَيَتَطرَّق السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ إِلَى الأَخطَاءِ الكَثيرةِ فِي كِتَابِ العِقدِ المُفَصَّل، طَبعة الشَّابَندَر، وَيُدرج فِي كِتابِهِ جَدولًا بِالأَخطَاءِ مُعظَمُهَا طِباعيَّة مَفهومَة، لَا تَستَوجِبُ الرَّد، وَقَليلٌ مِنهَا تَسهيلٌ لِلهَمزَةِ، فَتُحوِّل التَّهنِئَةَ إِلَى تَهنِيَةٍ، وَلَم أَجد مَا يَجلبُ انْتِباهِي إِلَّا مُفرَدةً جَاءَت فِي أُرجُوزَةِ لَبيدِ العَامِريّ الَّتِي أَنشَدَهَا فِي حَضرَةِ المَلكِ النُّعمَانِ بنِ المُنذِرِ وَقصَّتُها مَذكورةٌ فِي العِقدِ المُفَصَّل:[5]

(١) العقد المفصَّل، المحقِّق، المقدِّمة: ٤٦.

(٢) قال صفحات: يريد صحائف أو صحف.

(٣) وهذه كسابقتها.

(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٢٤.

(٥) العقد المفصَّل، المحقِّق، المقدِّمة: ١٧٩-١٨٤.

قَالَ لَبيد العَامِريّ:

يَـا رُبَّ هَـيْـجَـا هِـيَ خَـيْـرٌ مِـنْ دِعَـهْ
إِذْ لَا تَـــزَالُ هَـامَـتِـي مُـقَـزَّعَـهْ[1]
نَـحْـنُ، بَـنِـي أُمِّ الـبَـنِـيْنَ الأَرْبَـعَـهْ
وَنَـحْـنُ خَـيْرُ عَـامِـرِ بـنِ صَعْصَعَهْ

وَفي الدِّيـوانِ تُروَى: نَحـنُ بَنو أُمِّ البَنينِ الأَربَعَـة، لِذَلِكَ عَدَّهَا خَطَـأً وَوَضَعَهَا فِي جَدولِ الأَخطَاءِ، فَنقولُ: إِنَّهَا تُروَى فِي الحَالَتَينِ، وَالنَّصبُ فِي الفَخرِ أَعلَى.

فَقَولُـهُ (نَحنُ بَنُو)، مُبتَدأٌ وَخَبر، فَالشَّـاعِرُ يُخبِرُ عَنْ أَبنَـاءِ أُمِّ البَنينِ، لَكِنَّ فِي مَوضعِ الفَخرِ يَجعَلُهَا مَفعولًا لِفِعلٍ مُضمَرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ:

نَـحـنُ، أَعـنِـي بَـنِـي أُمِّ الـبَـنِـينِ

وَقَد أَجَازَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرّد (المتوفَّى ٢٨٥هـ) ذَلِكَ، وَمِثلُهُ، قَولُهُم:

نَـحنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصحَابَ الجَمَل[2]

السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ يَتَّهِمُ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ- عَلَيهِ رِضوَانُ الله- بِأَنَّهُ يَصِفُ مَمدوحَهُ بِصِفَـاتٍ بَعيدَةٍ عَنهُ، فَكَأَنَّه يَكذِبُ، فَيقولُ: «لَم تَكُن تِلكَ المُقَدِّماتُ[3] إِلاَّ بِضعَةَ سُـطُورٍ تُبَالِغُ فِي وَصفِ الشَّاعِرِ بِصِفَاتٍ هِيَ بَعيدَةٌ عَنهُ»[4].

وَنُجيبُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ، بِمَا قَالَ الدكتور البَصير رحمه الله فِي مَقَامِ كَلَامِهِ عَن عَلَاقَةِ السَّيِّد حَيدَر بِالسَّادَاتِ وَالعُلَمَاءِ وَالأُدبَاءِ المُعَاصِرينَ لَهُ، وَرِثَائِهِ لَهم فِي حَالَةِ وَفَاتِهِم بِأَصدَقِ

(١) رَجُلٌ مُقَزَّعٌ: رَقِيقُ شَعرِ الرَّأسِ، مُتَفَرِّقُه. (التاج: ٢٢/ ٩).
(٢) الكامل في اللغة ١/ ٣٠٨.
(٣) مقدمات القصائد في كتاب (الأشجان في مراثي خير إنسان).
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٣٧.

لُغَـةٍ، فَهوَ يَتعامَلُ مَعَهم بِالطَّرِيقَةِ نَفسـها عِندَمَا يَكونوا أَحياءً يُشَـاركونَهُ فِي المُنَاسَـباتِ المُختَلِفـةِ، قَالَ الدكتـور البصير: «عَلَى أَنَّنَا إِذَا اسْتَحْسَـنَّا رِثَاءَ حَيدَر، فَإِنَّما نَسْتَحْسِـنُ لَهُ تِلـكَ الصَّفَحَاتِ المُمْتَازَةَ، الَّتِي تُمَثِّلُ أَخلَاقَ مَن رَثَـى مِن ذَوي العِلمِ وَالفَضلِ وَالأَدبِ وَالدِّيـنِ، وَمَواهِبَهُم، وَمَراكِزَهُـم الأَدبِيَّةَ وَالدِّينيَّةَ وَالاجْتِماعِيَّـةَ، أَصدَقَ تَمثيلٍ، وَتُصَوِّرُ عَلَاقَتَهُ بِهِم أَحْسَنَ تَصويرٍ»[1].

الخُلَاصَة

لَـمَّا تَصَفَّحتُ كُتَيِّب (حيدر الحلي) لِلسَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، لَم أَجِد فِيهِ مِنَ المُلاحَظَاتِ العِلميَّةِ، أَو المَآخِذِ الأَدَبيَّةِ، أَو الإِشَـارَاتِ التَّقويميَّةِ المُهمَّةِ أَو المُفِيدَةِ، الَّتي تَخصُّ السَّـيِّد حَيـدَر الحِلِّيّ رحمه الله أَو شِـعرَهُ أَو مُؤَلَّفَاتَـهُ، بَل كُلُّ الَّذِي وَجَدتُهُ وَلَـمِستُهُ، أَنَّ هَذَا الشَّـاب صَاحِب الاثنينِ وَالعِشرينَ رَبيعًا، الَّذِي تَشَـبَّع بِالأَفكَارِ السِّيَاسِـيَّةِ الماركسيَّةِ، قَد تَزَبَّبَ وَهوَ حِصْـرِم، فَأَرَادَ أَن يَظهَرَ أَمَامَ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ أَصبَحَ مِنَ العُلماءِ وَالنُّقَّادِ الكِبارِ، بِتَنَاولِهِ هَذَا الصَّـرحَ العَظِيمَ، مُحَاوِلًا هَدمَهُ بِمعولِهِ، مُنتَصِرًا لِأَفكَارِهِ، فَبدأَ بِالعُنوانِ سَالِبًا السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ مِن لَقَبِ السِّيَادَةِ، فَكَانَ يَذكرُهُ فِي كُلِّ الكِتَابِ بِاسمِهِ المُجَرَّد مِن كُلِّ المُقَدِّمَاتِ، كَأَنَّهُ أَخوهُ أَو صَديقُهُ أَو قَرينُهُ، وَلَيسَ السَّـيِّد حَيدَر وَحدَه، بَل كُل الشَّخصِيَّات العِلميَّة وَالأَدبيَّة مِن أُسرَةِ (آل سـليمان)، السَّـيِّد سُليمان الكَبير، وَالسَّـيد دَاود، وَالسَّيد سُليمان الصَّغير، وَالسَّـيد مَهدي بن دَاودَ، وَالسَّـيد عَبد المُطَّلب، إِلَى أَن يَصِلَ إِلَى الأَحيَاءِ الَّذينَ أَمَـدُّوهُ بِالمَصَادِرِ وَالمَعلومَات النَّفِيسَـة، الَّتِي يَحتَاجُ إِلَيهَا لِلبحثِ؛ لِـمُسَـاعَدَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَمِنهُم السَّـيِّد سُليمان الحِلِّيّ، هَذَا الرَّجلُ الحَوزَويّ، الخَطيبُ، الأَديبُ، الجَليلُ، الشَّاعِر،

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٧.

بِعُمرِهِ الَّذِي تَجاوزَ عُمرَ السَّـيدِ عَبدِ الحُسَينِ أَبِي عَلي الحُسَينيّ، وَكَانَ السَّيد سُليمان الحِلِّيّ مَرجعًا شَرعيًّا لِلمَنطَقَةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا قَومُ السَّيدِ عَليّ الحُسَينيّ وَأَعمامُه، فَكانَت النَّاسُ تُراجِعُهُ فِي كُلِّ صَغيرةٍ وَكَبيرةٍ، لَقَد كَانَ جَزَاؤُهُ مِن عَليِّ الحُسَينيّ أَنه لَم يَذكرهُ بِكَلِمةِ شُكرٍ وَاحِدة، بَل عَلَى العَكسِ مِن ذَلِكَ، كَانَ إِذَا ذَكَرَه يَذكرهُ بِاسمِهِ المُجَرَّد، وَكَأَنَّه هُوَ صَديقُه أَو قَرينُه أَو مَا شَابَهَ ذلك.

مَـا هَكَذَا جَرَت عَـادَةُ العُلماءِ وَالكُتَّـابِ وَالبَاحِثينَ، فَقَد كَانوا وَمَـا زَالوا يَذكرونَ المَكتَبَـاتِ الَّتِـي تُؤَازِرُهُـم بِالبَحثِ بِكُلِّ الشُّـكرِ وَالأمتِنَانِ، وَبِأَسـمَى آيَـاتِ الاحْتِرَامِ وَالتَّقديـرِ، وَهَكَـذَا يَفعلـونَ مَـعَ أَصحَابِهَا، فَيذكـرونَ فَضلَهـم عَلَيهِم، وَيَشـكروهم وَيَصفوهُم بِالإِجلَالِ وَالإِكبارِ وَالتَّكريمِ.

وَلَا بُـدَّ أَن أَقـولَ هُنَـا: إِنَّ السَّـيِّدَ عَـليّ الحُسـينيّ عِندمَـا أَلَّفَ هَـذَا الكِتَابَ سَـنةَ (١٩٦١م)، مِثلَ مَا جَاءَ فِي المُقَدِّمةِ، لَم يَنشـرهُ، بَل نَشَـرَ عُدَّةَ دَواوينَ شِـعريَّةٍ وَمُؤَلَّفاتٍ أُخرَى، قَالَ السَّيِّد عَدنان الحُسَينيّ: «وَلَه اصْدَارَاتٌ مِنهَا: أَعرَاسُ تَموز ١٩٥٨، وَالمِيلَاد ١٩٥٩، وَسِـفر عَبـد الرَّحمن الدَّاخِل ١٩٨٠، وَدَفـتر المَحَبَّة، وَآمَنتُ بِالعِـراقِ، وَلُؤلَؤة الجنوب»[1].

وَلَيـسَ هُنَاكَ سَـبب لِذلِـكَ، إِلَّا أَن المُؤَلِّفَ عَـرضَ مُؤَلَّفَهُ هَذَا عَلَى مَـن يَثِقُ بِهِ، أَو عَلَى خَبيرٍ، فَنَصَحَهُ بِعَدَمِ نَشـرِهِ، فَلَم يَنشـرهُ، وَجَاءَ ابنُهُ الدكتور المُهندس السَّـيِّد نَصير الحُسينيّ، وَكَانَ مُهاجِرًا، فَوجَدَ هَذا مُسَوَّدَة الكُتَيِّبِ مَعَ أَورَاقِ أَبِيهِ، فَنَشَرَهُ.

(١) حصن سامة، لمحات من ذاكرة قرية الحصين: ٢٧٩.

General Conditions of the City of Hilla since the Ottoman Control of Iraq from the year 1534 AD. until the beginning of the Eighteenth Century in the year 1700 AD.	Asst. Prof. Dr. Ali Talib Obaid Al-Sultani Imam Al-Kadhim College (PBUH)/ Sections of Babylon	387
Economic Life of the City of Hilla during the Twentieth Century	Dr. Abbas Hassan Obbaies Al-Jobory General Directorate of Education in Babylon	421
Quranic Research		
The Qur'anic Witness to Imamate of the Commander of the Faithful (PBUH) in the book (Kashf Al-Yaqin fi fadayil Amir Al-Muminin) by Allama Al-Hilli (D. 726 AH) A Comparative Study	Prof. Dr . Hassan Kazem Asad Al-Khafaji Researcher: Qasim Hassan Nimah Al-Yasiri University of Kufa/College of Basic Education	459
Abrogation in the Holy Quran Opinions of Diya Al-Din Abdullah bin Al-Araj Al-Husseini Al-Hilli As a Sample	Zahraa Gholam Reda Al-Mustafa (PBUH) International University, Syria, Sayyida Zainab	487
Altahqiq and Criticism		
What has Reached us from the book (Nur Al-Huda Walmunjy min Ar-Radaa) by Al-Hasan Ibn Abi Tahir Ahmad Ibn Muhammad Ibn Al-Hussein Al-Jawani Al-Hilli (D.597 AH) Analytical View	Prof. Dr. Rahim Karim Ali Al-Sharifi University of Babylon/College of Islamic Education Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fatli Ministry of Education/Educational College/Babel	523
Translated Research		
The Speech Approach According to Al-Miqdad Al-Siuri Al-Hilli Sheikh Ali Al-Rabbani Al-Kalpayani	Sheikh Muhammad Fardi Bourian PhD. Student in Islamic Theology Translated by: Ayoub Nasir Niema	559
Turath Al-Hillah Window		
Responding to what was stated in the book Haidar Al-Hilli, his biography, poetry, literary works Written by: Ali Al-Husseini	Dr. Mudar Suleiman Al-Husseini Al-Hilli Hilla Heritage Center	587

Contents

Researchs		
Strengthening the Meaning with Limitation Style in the Poetry of Hassan bin Musabbeh Al-Hilli (1247-1317 AH)	Prof. Dr. Sabah Atiwi Abboud Researcher Nour Rahi Ghanem University of Babylon/College of Education for Human Sciences	25
Reading the text and Elements of Artistic Creativity in the Poetry of Hassan Musabah Al-Hilli- His Poem in Eulogy for Muhammad Saleh Al-Falluji is an Example	Dr. Iman Karim Jabbar Al-Harizi University of Kufa/College of Education for Girls	87
Predicate Patterns and their Semantic Purposes in Sayyid Haider Al-Hilli's Stanzas	Prof. Dr. Amin Obaid Jijan University of Babylon/College of Education for Human Sciences	125
Linguistic Criticism in the Book of (Al-Saraeir) by Ibn Idris Al-Hilli (D.598 AH)	Asst. Prof. Dr. Haider Jabbar Daftar Al-Qadisiyah University/College of Education Asst. Prof. Dr Abtihaj Samae Ali Al-Qadisiyah University/College of Archeology	153
Aspects of Linguistic Correction according to Al-Iraqi (D. 561 AH) In his book (Nizhat Al-Anfos wa Rawdat Al-Majlis) Its Patterns and Types	Lect. Dr. Nibras Hussein Ayoub Al-Moussawi General Directorate of Education in Babylon	191
Works of Fakhr Al-Muhaqqiqin Muhammad bin Al-Hasan Al-Hilli (D. 771 AH/1369 AD)	Researcher Ali Aobis Hussein Ali Al-Mamouri	223
Nuqabaa Al-Tabatabai Family and their Scientific Influence in the Mongol Ilkhanid Era (656-738 AH/1258-1337 AD)	Dr. Rana Rasmi Hashem	307
Al-Khilafa Castle, (Albusultan) Field, Archaeological Study	Asst. Prof. Dr Rajwan Faisal Al-Mayali Al-Qadisiyah University/College of Archeology	337

TURATH AL-HILLAH

Quarterly Authorized Journal
Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine
Division of Islamic and Human Knowledge Affairs
Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Eighth Year, Volume No. 8, Issue No. 24
Shawaal 1445 A.H./April 2024 A.D.

Arabic Text Proofreading
Prof. Dr. Imad Jabbar Kazem
Wasit University

English Test Proofreading
Lect. Dr. Abbas Hassan Obaiss Al-Juboori

Website administrator
Haidar Abdul-Aziz Al-Einzi

Directing and Design
Ahmed Abdul-A'ali Al-Kaabi

Financial Management
Laith Mahdi Mahmoud Al-Amri

ISSN
2226-5228

Deposit Number in N.L.& D.H.
(2158), Year 2016

Address Location
Al-Thila Area - Near Al-Hunud Bridge - Hilla City - Babylon Governorate - Republic of Iraq

Correspondence addresses to the editor-in-chief
07827753770

E.Mail
turathhi@gmail.com

Website
http://mk.iq/hillah_heritage/

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji

Univesity of Kufa

Editorial Manager

Lect. Dr. Abbas Hassan Obaiss Al-Juboori

Ministry of Education

Editorial Board

Prof. Dr. Sabah Otaiwi Al-Zubeidy (Babylon University)

Prof Dr. Yussif Kadhim Jgheel (Babylon University)

Prof. Dr. Hashim Jafar Hussein Al-Musawi (Babylon University)

Prof. Dr. Aasim Hakim Abbas Al-Jobouri (Al-Qadisiya University)

Prof. Dr. Sattar Abdul Hassan Jabbar (Al-Qadisiya University)

Prof. Dr. Hazem Karim Abbas (Kufa University)

Prof. Dr. Hassan Kadom Assad Al-Khafaji (Kufa University)

Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fattly (Ministry of Education)

Prof. Dr. Saeed Jassim Al-Zubaidi /University of Nizwa /Sultanate " of Oman

Prof. Dr. Abdul-Kader Miloud Salami /Tilmasan University / Algeria

Prof. Dr. Husam Mohamed Nady Ahmed /Fayoum University /Egypt

Prof. Dr. Kobra Roshanfekr /Tehran University (Tarbiat Mudarris) / Iran

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.:
Date:

الرقم: ب ت/ ٤٦٦٦
التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٢٤

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على اعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/٧/٢٠

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٤٠٠٦/٤ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفحة

مهند ابراهيم
٤/ تموز

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

﴿O'mankind! We created you from a single (pair) of a maleand a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other, Verly the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full knowledge and is well acquainted (with all things)﴾

Hujurat: 13

Al-Abbas Holy Shrine. Division of Islamic and Human Knowledge Affairs.
Al-Hillah Heritage Center.

Turath Al-Hillah = Heritage of Hilla : Quarterly Authorized Journal Specialized in Hillah Heritage \ Issued by Al-Abbas Holy Shrine Division of Islamic and Human Knowledge Affairs Al-Hillah Heritage Center. - Hillah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Division of Islamic And Human Knowledge Affairs, Al-Hillah Heritage Center, 2016-

Volume : illustrations ; 24 cm

Quarterly.- Eighth Year, Volume No. 8, Issue No. 24 (April 2024)-

ISSN : 2412-9615

Includes bibliographical references.

Text in Arabic ; Abstracts in Arabic and English.

1. Hillah (Iraq)--history--periodicals. 2. Hillah (Iraq)-- Intellectual life -- periodicals. A.Title.

LCC : DS79.9.H55 A8374 2024 VOL. 8 NO. 24

DDC : 956.747

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

Republic of Iraq

Shiite Endowment

Al-Abbas Holy Shrine

Turath Al-Hillah

«Heritage of Hillah»

Quarterly Authorized Journal

Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Division of Islamic and Human Knowledge Affairs

Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Eighth Year, Volume No. 8, Issue No. 24

Shawaal 1445 A.H./Aril 2024 A.D.

Turath Al-Hillah

«Heritage Of Hillah»